www.kotobarabia.com

الإسلام الحنيف

بين التخريف والتحريف

www.kotobarabia.com

نبيل هلال هلال

الإسلام الحنيف
بين التخريف والتحريف

نبيل هلال هلال

طبقا لقوانين الملكية الفكرية

جميع حقوق النشر و التوزيع الالكتروني لهذا المصنف محفوظة لكتب عربية. يحظر نقل أو إعادة نسخ أو إعادة بيع اى جزء من هذا المصنف و بثه الكترونيا (عبر الانترنت أو للمكتبات الالكترونية أو الأقراص المدمجة أو اى وسيلة أخرى) دون الحصول على إذن كتابي من كتب عربية. حقوق الطبع الو رقى محفوظة للمؤلف أو ناشره طبقا للتعاقدات السارية.

فهرس

المقدمة ٥

الباب الأول التخريف والتحريف في الإسلام الحنيف ١٣

الفصل الأول صور من التحريف ١٤

الفصل الثاني التخريف والتحريف في العقيدة ٧٩

الفصل الثالث التخريف والتحريف في العبادات ١٤٨

الباب الثاني الشيعة والانحراف العقائدي والسلوكي ١٦٨

الفصل الأول كلام عن الشيعة ١٧٠

الفصل الثاني الولاية والوصاية ١٩٤

الفصل الثالث العصمة ٢١٣

الفصل الرابع حكاية المهدي المنتظر: مولده وغيبته ورجعته ٢٢٣

الفصل الخامس سب الصحابة ولعن أم المؤمنين ٢٤٥

الفصل السادس نكاح المتعة ٢٥٩

الفصل السابع البداء ٢٧٤

الفصل الثامن التقية ٢٧٨

الفصل التاسع الخُمس ٢٨٦

الفصل العاشر التقريب بين الشيعة والسنة ٢٩٠

الباب الثالث التصوف والانحراف العقائدي والسلوكي ٣١٠

الفصل الأول كلام عن الصوفية ٣١١

الفصل الثاني خلية الشيخ والمريد ٣٥٠

الفصل الثالث الطرق الصوفية ٣٦٣

الفصل الرابع الأذكار والأوراد ٣٩٥
الفصل الخامس كرامات المشايخ ٤١٩
الفصل السادس الصوفية والجهاد ٤٢٨
الباب الرابع اليد الخفية ٤٣٢
الفصل الأول اليد الخفية واليهود ٤٣٣
الفصل الثاني اليد الخفية والشيعة ٤٥٤
الفصل الثالث اليد الخفية والصوفية ٤٦٠
الباب الخامس العقل الشعبي ٤٧٦
الفصل الأول العقل الشعبي ٤٧٧
الملحق الأول فتوى الأزهر للتقريب بين الشيعة والسنة ٤٩٩
الملحق الثاني قائمة ببعض مراجع الشيعة التي تناولت موضوع تحريف القرآن ٥٠١
الملحق الثالث كتاب الخطة السرية لآيات الشيعة في إيران ٥٠٨
صدر للمؤلف ٥١٥

المقدمة

ظننت – وأنا طفل– أن وفاة النبي محمد صـ لوات الله علي ـه وسلامه كانت أعظم الكوارث المؤثرة في حياة المسلمين. ولكنن ـي فهمت بعد ذلك أن النبي ميت مثلما نحن ميتون وأنه يموت كس ـائر الناس، فالله تعالى يقول له:" إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ "١، فالموت قدر ولد آدم كلهم جميعا، والنبي الحبيب قد أتم مهمته وأبلغنا رسالة ربـ ـه كاملة غير منقوصة. وما كانت محبة الناس للنبي تحول دون وفاته، ولكن هذه المحبة صنعت شيئا من "الاستبعاد" في قلوب الن ـاس فكان منهم من لم يصدق أنه مات . ولما شببت قل يلا ع ن الطوق ظننت أن الفتنة الكبرى التي حدثت بين معاوية بـ ن أبـ ـي سفيان وعلي بن أبي طالب وأدت إلـ ى زوال الحكـ م الشـ وري واستبداله بالمُلك العضود، ظننتها أم الكوارث – وهـ ـي كـ ذلك – ولكنني أيقنت في نهاية المطاف أن الضربة التي قصـ مت ظهـ ر الإسلام وأصابت منه النحر والقلب ، كانت "الفتنة العظمى"، وهـ ـي أسوأ وأخطر ما أصاب الإسلام وأثر في المسلمين عبر تاريخهم كله

١– الزمر ٣٠

وأعنى ظاهرتي التشيع والتصوف اللتين أسدلتا أستارا سميكة عل ى إسلامنا الحنيف وزيفتاه لنا، وقدمتا لنا عوضا عن ه مزيج ا م ن التحريف والتخريف الذي ظننا ه الإسلام الذي أعلن الله كماله وتمامه ، وهذا هو موضوع الكتاب الذي بين يديك . ومن تمام البل وى أن عم التحريف دين الإسلام وداخله التخريف حتى إن رجال الدين لم يتفقوا على ما يعتبره بعضهم مخرجا من الملة في ح ين يعتب ره البعض الآخر تقربا إلى الله. ولم تتفق كلمتهم على ما يعتبره البعض مما يدين به الأتقياء والصالحون وما يعتبره البعض الآخر تج ديفا وهرطقة. لقد اتفقوا – مثلا – عل ى أن الاس تجمار – مس ح الإست بعد التغوط– يكون بثلاثة حجرات، ولكنهم اختلفوا في أم ر الشيعة والتشيع والصوفية والتصوف: فمنهم من يرى أن الشيعة قد مرقوا من الملة كما يمرق السهم من الرمية، ومنهم من يرى جواز التعبد بالمذهب الشيعى بل ويراه مذهبا خامسا لمذاهب أهل الس نة. واتفقوا على تفاصيل فقه الحيض والنفاس، واختلف وا ف ي أم ر التصوف والمتصوفين، فيراهم البعض أهل الإس لام الص حيح، ويراهم البعض الآخر كفرة وفجرة. ويقدس ملايين المسلمين –سنة وشيعة–أضرحة وقبور الألوف من المشايخ ويختصونها بالزي ارة

وتشد إليها الرحال على الرغم من نهي النبي عن البناء على القبور، ومخالفة لحصره شد الرحال إلى ثلاثة مساجد فقط هي البيت الحرام والمسجد النبوي والمسجد الأقصى. واتفق مشايخنا على عدم جواز الحلف بغير الله، ولكنهم اختلفوا بشأن من يستغيث بغير الله، ولم يجدوا حرجا في طلب المدد والعون من سواه. حتى أصبح من المألوف أن تجد من يستغيث بالموتى والمشايخ وقد أرموا في مقابرهم، ويجل فقهاؤنا مشايخ الصوفية ويحضون الناس على التأسي بهم، في حين أنهم ادعوا قدرات خرافية وصلاحيات إلهية تخرجهم من الملة. ويتفق فقهاؤنا على وجوب غض البصر وأن للمرء نظرة واحدة النظرة الأولى، ولكن لا يجمعون على تحريم الزنا في أبشع صوره والمسمى بزواج المتعة عند الشيعة إذ يعتبره بعض مشايخنا – مشايخ السنة – من وطء الشبهة .

ولصبية المساجد وحمقى الوعاظ ممن يعتلون المنابر دون علم ، حظ وافر من تشويه الدين ومسخ الملة في عقول العامة، وجميعنا يعلم ما يردده أمثال هؤلاء الجهلة في مساجدنا . ولو بُعث الآن أحد من الصحابة الأبرار لأنكر ما نحن عليه وأقر بمخالفته لما بلّغه الرسول الكريم عن ربه. وسوف يعز على الكثيرين ممن يقرءون هذا الكتاب التسليم بما جاء فيه من ثبوت

انحراف المسلمين عن الإسلام الحنيف بل وحشد وه بـ التخريف والتحريف على النحو الذي يحول دون أن يعتنقه أي عاقل أو متوسط الذكاء، وسوف يبادرون من فورهم إلى إنكار ما نقول من أن الإسلام الحنيف هو شيء آخر يختلف عما يدين به ملايين المسلمين الآن، أقصد ممن يظنون أنهم مسلمون. فطائفة من رجال الدين سوف ينكرون ويشجبون–دون علم– لأن هذا الإنكار يدفع عنهم تهمة التقاعس عن الدفاع عن دين الله الذي يزعمون أنهم حماته والذائدين عن بيضته، كما يدفع عنهم الوصم بالجهل لما آل إليه الإسلام الحنيف وقد ينبري أحد المعترضين قائلا إن المسلمين بخير فهم يصلون ويصومون ويحجون وينطقون بالشهادتين ، والمساجد تعج بالمصلين ويُرفع الآذان من فوق آلاف المآذن، فأين هذا الانحراف الذي أزعمه؟ ومثل هذا السائل الغائب المغيّب لا يستحق عناء الرد عليه.

وقد أغضى رجال الدين والمؤسسات الدينية عما دُس في الإسلام من تحريف وتخريف وأصبح ذلك مسكوتا عنه ، ومضوا جميعا يؤدون الصلاة في المساجد ويرددون الأذكار في الخانقاوات ويرقصون في التكايا والزوايا. ولم يتنبه سلاطيننا الكرام–حماة الدين والدنيا – إلى خطورة تحريف الملة، إذ كانوا مشغولين بالأموال والجواري والقيان والعرش والتاج، ولو صح عزمهم على قطع

أصول الفتنة وهي ضئيلة قبل أن تغلظ، لكان أحزم فـ ي الـ رأي وأصح في التدبير. والآن من للإسلام الحنيف ينتصر له ويذود عنه بعد أن بعثروا حبات دره؟

والمسلمون الآن في مشـ ارق الأرض ومغاربهـ ا هـ م الأذل والأضعف، وهم عاجزون عن الدفاع عن أنفسهم ودفع البلاء الذي يصبه أعداؤهم على رؤوسهم صبا. ومـ س المسـ لمين البأسـ اء والضراء واللأواء ، وأصبحوا لعدوهم أهون الأعداء، ولم يتحقـ ق لهم وعد الله بالنصر لأنه وعد مشروطفإن وفينا بحظنا من الشرط لأقبل علينا النصر حتما فالله لا يخلف وعده ومستعينه منصـ ور. وما ذلك إلا لأنه وعد مشروط بنصرنا لله، وقد تقاعسنا عن نصرة الله. ومن السذاجة أن يفهم أحد أن نصرتنا لله تكون بمجـ رد أداء الشعائر والعبادات، فالمقصود بهذه النصرة التي تأتي بهـ ا المنعـ ة والعزة، هو الأخذ بأسباب القوة على النحو الذي بينه الله لنا في كتابه، فالتدين وحده لا يحقق النصر، وإنما يُدرك النصر بطلب أسبابه، ولو كانت النصرة بالتدين وحده بصرف النظر عن الأخذ بأسـ بابه لمـ ا انتصر علينا غير المسلمين ممن انصرفوا عن دينهم وكانت العـ زة لهم والخزي لنا. وهذا ما يجب على العقلاء أن يفهمـ وه وإلا مـ ا انتصر مِثل قريش على المسلمين في أُحد ﴿ وفيهم النبي ﴾، ومثـ ل جيش يزيد بن معاوية على الحسين بن علي. لقد أغفلنا أسباب السيادة

كما وصفها الله لنا في كتابه. وهل ما يدين به المليار ونصف المليار مسلم الآن هو الإسلام الذي بلّغه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من أربعة عشر قرنا ؟ الجواب ببساطة: كلا. ما ندين به الآن ليس الإسلام الحنيف الذي ارتضاه لنا رب العزة حينما قال: ﴿اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً﴾ ٢. نعم قد يؤدى المسلمون – بنفس الطريقة – العبادات والشعائر ﴿الصلاة والزكاة والصوم والحج﴾، وليس ذلك كل الإسلام إنما هو بعضه. أما ما يدين به الآن المسموْن بالمسلمين ﴿صوفية و شيعة﴾ فأمر آخر. لقد وصفنا رب العزة بأننا خير أمة أُخرجت للناس، فما الذي عطّل هذه الخيرية التي اختص الله تعالى بها أمة الإسلام بعد أن حوّلها عن بني إسرائيل؟ومن هي الأمة الموصوفة بأنها أمة الإسلام؟ إننا الآن أهون أمة على الأرض، لماذا لم يتحقق وصف الله لنا بالعلو إذ قال: ﴿وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنْتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ ٣، ولماذا لم تتحقق وعود الله تعالى إذ يقول: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ المُؤْمِنِينَ﴾ ٤، ويقول ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ ٥. وإذ لم

٢–المائدة٣

٣–آل عمران ١٣٩

٤–الروم ٤٧

٥–محمد ٧

يتحقق لنا نصر الله فمعنى ذلك –حصرا –هو أننا ابتداءً لم ننصـ ر الله، أي لا نطبق دينه الحنيف ولم نعتنق العقيدة الصحيحة. نعم ما يدين به المسلمون الآن في أقطار الأرض ليس هو الإسلام الحنيف الذي بلغه لنا الحبيب المصطفى وكان عليه الصـ حابة رضـ ى الله عنهم والسلف الصالح الكرام، إذ تم العبث وبشكل فاضح بهذا الـ دين سواء بكليات تصورات العقيدة أم بالشعائر والعبادات، وذلك على النحو الذي سنبينه في هذا الكتاب.

ولقد حرمَنا تحريف الإسلام من الانتفاع بوعد الله للمـ ؤمنين بالنصر والمؤازرة، لأنه أخرجنا من دائرة الإيمان، وصرف الناس من غير المسلمين عن الإيمان بالإسلام إذ رأوا فيـ ه خـ زعبلات وأضاليل، ومزقنا التحريف شيعا وطوائف ففشلنا وذهبت ريحنـ ا. ومن هي أمة الإسلام، إنها أنا وأنت والآخرون، وإذا كنت أرى أن معتقَدي صحيح، فماذا عن معتقدك أنت والذي تراه أيضا صـ حيحا، وإذا كان معتقدنا أنا وأنت صحيحا،فماذا عن ما يعتقـ ده الآخـ رون؟ والمدهش أن الجميع يظنون أنهم يستأثرون بالحق والصواب، وأنهم وحدهم أهل الجنة والآخرون أهل السعير. ومع دراسة ما آلت إليـ ه عقائد تلك الطوائف، وجدناها جميعا على باطل – إلا فرقة واحـ دة: المهتدية بالقرآن والسنة – ويتفاوت حظ كل منها من الباطل على قدر بُعدها عن الدين المثال الذي ارتضاه الله.

وعند التشكك في هوية شخص ما يكون الفيصل هو الاطلاع على بطاقة هويته وصحيفته الجنائية والأخذ بما فيهما من بيانات بصرف النظر عما يدعيه هذا الشخص. وهذا هو عين ما ينبغي علينا عمله لمعرفة الشيعة والصوفية، فهما فئتان تزعمان من زاعم كثيرة تبغيان من ورائها دفع ما هما عليه من باطل. وليس أمامنا غير أن نطلع على بطاقة هوية كل منهما، ألا وهي الكتب التي يسجلون فيها أفكارهم ومبادئهم وملتهم المبتدعة. وكذلك نطلع على"الصحيفة الجنائية" لهما: ألا وهي تاريخ هاتين الطائفتين وأفعالهما وممارساتهما طوال أكثر من ألف عام. والتاريخ هو الشاهد الذي لا يكذب، وليس بعد الأحداث من قائل نصدقه. ولأنه لم يُرَ شيء أحسن من تفنيد دعوى ببرهان، فسوف نسوق في ما يلي أدلة وتفصيل ما أجملناه وعلى الله قصد السبيل.

الباب الأول

التخريف والتحريف في الإسلام الحنيف

* الفصل الأول: صور من التحريف
* الفصل الثاني: التخريف والتحريف في العقيدة
* الفصل الثالث: التخريف والتحريف في العبادات

صور من التحريف

لقد بلغ التخريف في إسلامنا الحنيف حدا لا يجوز معه مواصلة إغضاء الطرف عنه إذ بلغ السيل الزبى ، ولحق التحريف بملتنا إلى درجة يستحيل معها مشابهة دين السابقين بدين اللاحقين. ووقع هذا التحريف في دائرة المسكوت عنه إما جهلا، أو عمالة، أو من باب إيثار السلامة والحفاظ على السلام الاجتماعي. وهان الإسلام على الجميع فقد كان أرخص الضحايا. والاستمرار في هذا التجاهل يعد خيانة عظمى لدين الله الذي نزعم الانتماء إليه، إلى حد أكاد أراه يصل إلى درجة الردة.

ومن المعلوم أن كل من له عقيدة يظن أنها عين الحق. فعابد البقرة على يقين من أنها الرب الذي يمنح البركة والحياة. والوثني الذي يسجد لتمثال من حجر أو طين لا يشك في ألوهيته وثنه ويلتمس منه الرحمة والغفران، وأصحاب الديانات السماوية كذلك يفعلون. والجميع ينافحون عما يعتقدون، ويبذلون في سبيل ملتهم المال والنفس. ومع أن مراجعة الحق خير من التمادي في الباطل إلا أن أحدا لا يفكر في إعادة النظر فيما يعتقد وفيما ورثه عن آبائه الأولين. وكل واحد من أصحاب هذه الملل يتساءل: ماذا لو أعاد

الناس النظر فيما يعتقدون؟ ألم يكن جديرا بهم الوقوف على الحـ ق وما اتبع؟ وشر ما يُبتلى به المرء أن يرى الحق بـ اطلا ويـ رى الباطل حقا. وأنت أيها المسلم المعاصر ألم تسائل نفسك ما إذا كنت على صواب فيما تعتقد؟ دعني أجيبك: إن الإسلام الحنيف الـ ذي ارتضاه الله تعالى للإنسان المستخلف في الأرض ليس هو ما يدين به كثير ممن يظنون الآن أنهم مسلمون، إذ بدأ تحريـ ف الإسـ لام وتخريبه منذ النصف الأول من القرن الأول الهجري في الوقـ ت الذي كان فيه الدين لا يزال غضاً نقياً. ونعني بتحريـ ف الإسـ لام ابتداع تغييرات شملت العقيدة والعبادات، وإدخال فيهما مـ ا لـ يس منهما، وإخراج ما هو منهما ، ودس أفكار مستمدة مـ ن فلسـ فات وتراث السابقين، وتحريف الأحاديث النبوية، والالتواء بتفسير القرآن الكريم بعدما تعذر مسه بالتحريف إذ تعهد الله بحفظه، والـ زعم أن لآياته معاني باطنة يستأثر بعلمها الخاصة دون العامة، وهي معاني غايرت مقاصد الشريعة، بل وتقوِّض الملة من القواعد، فضلا عن تحريف غايات الكثير من الأمور والثوابت الأساسـ ية كالحريـ ات والعدل الاجتماعي والمساواة ، ثم مواصلة هذا التحريف وترسيخه بحيث يزداد البُعد عن الإسلام الحنيف المقرر في القـ رآن الكـ ريم والسنة النبوية. فبعد أن علت رايات التوحيد وتوثقت عرا الـ دين ، ذلت أعناق وانتقل من انتقل من عز الصياصي إلى حز النواصي،

وثقلت على المبطلين وطأة الإسلام بعد أن قلّم مـ نهم الأظف ار، فكادوا له وناصبوه كل عداوة . وبدأت المكايدة باحتشاد أعداء هـ ذا الدين الجديد ومناهضته في صورة ادعاءات للنبوة بـ دأت والنب ي الكريم لا يزال حيا، فظهر الأسود العنسـ ي ومسـ يلمة الكـ ذاب، وكلاهما من اليمن، وسجاح بنت الحارث، وطليحـ ة الأسـ دي، وتكررت حوادث ظهور من يدعي النبوة من ذلك العصر مـ رورا بالعصر العباسي وحتى العصر الحديث ٦. ومثل تلك الدعاوى لا تلقى كبير مقاومة أو إنكار من الدهماء والعوام، فهم يسمعون لكـ ل ناعق، ويتبعون كل مارق. فادعى النبوة في العصـ ر العباسـ ي " المقنع"، و أبو الخطاب الأسدي وغيرهما، وفـ ي سـ نة ١٤١ هجرية حصلت فتنة الراوندية الذين قالوا بألوهية الخليفة العباسـ ي أبي جعفر المنصور فحاربهم حتى قتلهم عـ ن آخـ رهم ، و فـ ي المغرب "في منطقة غمارة " سنة ٣١٣ هجرية ظهر مدع للنبـ وة اسمه "حاميم " وقام بتأليف قرآن . وبعد فشل الصدام العسكري مع المسلمين الأوائل، لم يكن هناك سوى التآمر الذكي بعيدا عن الصدام المباشر، فكان التدبير لتحريف هذا الدين وإفساد عقول أهله . وذلك عين ما أشار به القديس لويس التاسع عندما نصـ ح بنـ ي جلدتـ ه بمهاجمة الحصن من الداخل، أي العمل على تقويض الإسلام نفسه

٦– مثل مدعي النبوة في طوائف البهائية والقاديانية

وبأيدي أهله، وكان لهم ما أرادوا وصح تدبيرهم. وفي م ا بع د "
أحلوا الجهود التبشيرية التي تستند إلى فهم عميق للعقيدة الإس لامية واللغات الإسلامية محل المساعي العسكرية، مع استمرار اعتب ار محاربة الإسلام أمرا واجبا... وأدى نمو الإمبراطوري ة العثماني ة على حساب البلقان المسيحي في نهاية القرن الراب ع عشر إل ى التساؤل عن مدى فعالية المساعي التبشيرية وعما إذا كانت مفي دة بشكلها المعتاد. وترجموا القرآن الكريم وراعوا تفادي الأخطاء التي حصلت في ترجمات سابقة لتغيير المعاني الأصلية بملاءمتها م ع المفاهيم اللاتينية ".٧ ونرى أن السعي إلى تدمير الإسلام بتحريف ه إنما كان أيضا ضمن حرب "الاسترداد" التي شنها الغرب فيما بع د على المسلمين في زمان ضعفهم من أجل استرداد الأراضي الت ي كانت للمسيحيين قبل استيلاء المسلمين عليها بالفتح كالأندلس وشمال أفريقيا وغيرهما. وأول من بذل هذه الجهود –أول المعروفين– اليهودي عبدُ الله بن سبأ – من اليمن أيضا، الذي ق ال بتأليه ورجعة سيدنا على بن أبي طالب كرم الله وجهه. ث م تضافرت وتواصلت بعد ذلك محاولات كل كارهي الإسلام وأعدائه من أبناء الأمم الأخرى التي تضررت من الإسلام .كاليهود والروم .أو دالت على أيدي المسلمين .كالفرس . وذلك بتدبير محكم قامت

٧– تراث الإسلام – تصنيف شاخت وبوزورث– الجزء الأول– بتصرف

على تنفيذه اليد الخفية ﴿ فمنها الأصابع الرومية والفارسية ولك ن بقيت الكف يهودية﴾ . وتراوحت أشكال هذه المباعدة والانح راف بين التشكيك في المعاني الظاهرة للقرآن الكريم وادعاء معاني باطنة يستأثر الخاصة بعلمها ، أو القول بأنه غير المصحف الأصلي –كما قالت الشيعة–والتشكيك في الحديث النبوي وقيام الشـ يعة بتلفيـ ق أحاديث موضوعة منسوبة إلى النبي – كما فعلت كل الفرق السياسية لدعم مواقفها السياسية وكسب الأعوان، ذلك ما فعلـ ه الأمويـ ون والعباسيون والشيعة من أجل تدعيم مواقفهم السياسية ."ولم ينتـ ه الصراع العقيدي بين الإسلام والشرك بانتصار خاتم النبيين، وإنمـ ا استمرت محاولات العقائد الشركية القديمة للظهور في دولة الإسلام، ثم ما لبثت أن انتصرت وانتزعت منه الساحة ليصبح المتمسـ كون بالإسلام الحقيقي أفرادا قلائل يعانون الاضطهاد مثلما حدث للقلـ ة المؤمنة في مكة أثناء ظهور الإسلام" ٨.

ولم يمض غير مئة وخمسين سنة من الهجرة النبويـ ة حتـ ى أثمرت جهود يهودي آخر هو عبد الله بن ميمون القداح وأسـ رته

---

٨ –د. أحمد صبحي منصور: العقائد الدينية في مصر المملوكية بين الإسلام والتصوف ص٣٠

من بعده ، وتمكن من توطئة الأمر لعبيد الله المهدى اليهودي الذي زعم أنه من سلالة آل البيت النبوي، وتمكن من تأسيس الدولة الإسماعيلية التي تسمّت باسم الدولة الفاطمية . واستولى الفاطميون على المغرب العربي ثم مصر والشام وأرض الحرمين ، ثم حكموا وظلموا وقتلوا ونهبوا مستترين بالدين . وانشق من هذا المذهب الإسماعيلي فرقٌ شيعية أخرى كالقرامطة: وهم فرقة من الزنادقة الملاحدة أتباع الفلاسفة من الفرس الذين يعتقدون نبوة زرادشت ومزدك ، وقد أباحوا شيوع النساء والمال، وهاجموا مكة ونبحوا الحجاج وانتزعوا الحجر الأسود من الكعبة ولم يردوه إليها إلا بعد افتدائه بالمال، وهم يزعمون انتسابهم إلى البيت النبوي.

ومن فرق الإسماعيلية الشيعة البهرة والأغاخانية الذين أسقطوا الصوم والصلاة واستعاضوا عنهما بتراتيل يذكرون فيها أسماء ٤٨ إماما من أئمتهم الإسماعيلية. وكلها فرق تدّعي لحكامها العصمة والألوهية. وفى القرن الثالث الهجري ظهر الصوفيون الذين قالوا بالحلول والاتحاد ووحدة الوجود وزعموا لمشايخهم قدرات إلهية كعلم الغيب والمشاركة في إدارة الكون والتلقي من الله ومقابلة النبي بشخصه.

وأباح الشيعة الاثنا عشرية الزنا – وأسموه زواج المتعة–

وأباحوا إعارة الفروج وإتيان الزوجة من الدبر. والتشيع والتصوف وجهان لعملة واحدة ويتشابهان في الوسائل والغايات نشابها عجيبا،فما تجد ضلالة قال بها الشيعة إلا أخذ بها الصوفية، وما تجد سبيلا سلكه الشيعة إلا سلكه الصوفية. ويزعم الصوفيون أنهم يتحصلون على العلم اللدني من الله مباشرة دون درس أو تعلم. يقول أبو الحسن الشاذلي الصوفي الشهير: "إننا ننظر إلى الله ببصر الإيمان، فأغنانا عن الدليل والبرهان، فبالحب تهبط المعرفة في القلب بلا دليل ولا برهان "٩. وتقول الجارودية _ وهي من فرق الشيعة الزيدية – إن الأئمة من آل البيت يملكون العلم اللدني فطرة دون تعلم، ويزعمون أن علم ولد الحسن والحسين كعلم النبي، ويحصل لهم هذا العلم فطرة وضرورة، وهو متاح لصغيرهم وهو في المهد وإلى أكبرهم سنا، ولا يحتاج أحد منهم أن يتعلم من أحد منهم ولا غيرهم، فالعلم ينبت في صدورهم كما ينبت الزرع المطر، "ومنهم من ذهب إلى أن عليا أعلم من رسول الله، وجعلوا الأئمة بعده يرثون ذلك منه إلى يومنا هذا، وأن العلم يولد معه لا يحتاج إلى تعليم".١٠ "ويروي" الكليني" كبير فقهاء الشيعة ومحدثهم

٩– د. عامر النجار –الطرق الصوفية في مصر –

١٠– محمد عبد الرحيم الملطى : التنبيه ص ١٥١ ، نقلا عن الدكتور علي سامي النشار : نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام

في صحيحه "الكافي ": أن الأئمة يعلمون متى يموتـ ون وأنهـ م لا يموتون إلا باختيار منهم"١١. بل ويزعمون أن الله تعالى بنفسه – لا ملك الموت– هو من يقبض روح علي بن أبي طالب، وأن الله تعالى كتب على كل قائمة من العرش أن لا إلـ ه إلا الله محمـ د رسول الله وعلى بن أبي طالب أمير المؤمنين١٢.

ولما كان يُستدل على عقل الرجل بقوله، وعلى أصله بفعـ ه، وجب على السائل عن الشيعة والصوفية أن يقرأ ما يكتبون، ويشهد ما يفعلون. ولا يستحيي الشيعة من زعم أن عقيدتهم لا تختلف مع ما جاء في القرآن والسنة ويستوون في ذلك مع ما يزعمه الصوفية دائما من أن الأخذ بالقرآن والسنة هو شرط الانخراط في طريقتهم. وبذا أصبح الإسلام بين شقي الرحى: بين فكي الإفك الشيعي من جهة والضلال الصوفي من جهة أخرى. وسرعان مـ ا تفتتـ ت التركيبة الدينية وانحلت إلى تكوين فسيفسائي آخر مكون من مئات المذاهب والفرق والطوائف والملل والنحـ ل لا يجمـ ع بينهـ ا إلا الضلال الذي تراوح بين إبطال أداء الفـ روض الدينيـ ة وإباحـ ة المحرمات، وبين القول بألوهية أئمة الشيعة وأقطـ اب الصـ وفية

١١– " الكافي في الأصول" ج١ ط إيران

١٢– د. علي سامي النشار : نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام–ج٢

والاجتراء على الله ورسوله. والتشابه بـ بين الانحـ راف الشـ يعي والصوفي عجيب ويدعو إلى الدهشة، فتبايُن مواقع الإفك لا يمنـ ع من وحدة القصد والهدف وهو تحريف هذا الدين وتزييفـ ه حتـ ى ينصرف عنه كل عاقل راشد، وسوّد الشيعة والصـ وفية صـ فحة الإسلام ، فبدلا من أن يكسب في صراعه مع الأديـ ان الأخـ رى معركته بالضربة القاضية، إذ يخلو من الإفك الذي خالط الأديـ ان السابقة بعد تحريفها، شوهوا صفحته فشابهت غيرها من العقائد التي مسها التحريف، فقد أدخلوا فيه ما ليس منه فانصرف عنه العقلاء ممن لم يفرقوا بين الإسلام الحنيـ ف وبـ ين الإسـ لام المزعـ وم المحرف، فعماد الأمر الذي قصده الشيعة والصـ وفية هـ و هـ دم الإسلام و لا يكون ذلك إلا بتقويض دعائمـ ه العقائديـ ة والعبـ ث بشعائر عباداته، والإساءة إلى رموزه ممن أرسوا أركانه. وتولت الشيعة ذلك فقالوا بتحريف القرآن، ووضعوا الأحاديـ ث النبويـ ة، وسبّوا الصحابة ولعنوهم من فوق منابر المساجد، وأحلوا ما حـ رم الله من الزنا، وحضوا على الكذب، وأسموه التقية، وقالوا " بالبداء "، وهو رمي الله بالجهل إذ يغير قضاءه بعد أن يستجد عليه ما لـ م يكن يعلم فيغيره، تعالى الله عما يصفون. ورفعوا مقام أئمتهم فوق مقام النبوة، بل وساووهم بالله تعالى، فيقولون: "إن الدنيا والآخـ رة

للإمام يضعهما حيث يشاء ويدفعهما إلى من يشاء"[١٣]. وتولوا هـ م والصوفية تقويض الملة على مستوى العقيدة والعبادات كما سنبين ذلك في موضع آخر من الكتاب. وحـ اول المضـ لون تصـ وير التصوف على أنه طور لاحق لمرحلة سابقة، فزعموا أنه تطـ ور طبيعي للزهد، والأمر على غير ذلك. فالزهـ اد آثـ روا الآخـ رة وانصرفوا عن الدنيا ولم يعبثوا بالملة، وكانت حركة الزهد تعاصر التصوف دون الامتزاج به. وقيل إن التشيع بدأ في شكل الخلاف السياسي وانتهى إلى خلاف سياسي ديني إذ تشيع من تشيع حبا في آل البيت النبوي، حتى إن بعض الباحثين يرى أن التشيع بدأ في اجتماع السقيفة عقب وفاة النبي مباشرة. والحقيقة خلاف ذلـ ك لأن التشيع بدأ في الأصل ومنذ اللحظة الأولى بقصد تزييـ ف الملـ ة وتحريف الإسلام ومناهضته، وإنما كانت الواجهة السياسية مجرد وسيلة لا غاية، وقد يسر ذلك للشيعة الاستفادة مـ ن إنشـ اء دول تناهض المسلمين والإسلام وتعود عليهم بالنفوذ والسلطة والمـ ال والدينار. والسواد الأعظم من المسلمين الآن إما شيعي أو صوفي، وإن لم يكن كذلك فهو من عامة المسلمين الذين يتولى جهلة الوعاظ وصبية المساجد تعليمهم وتوجيههم وطمس دينهم الحق بخرافـ ات

١٣- الكافي ٣٣٧/١ كتاب الحجة. باب أن الأرض كلها للإمام

وأباطيل يتواصل ترديدها من قبل القرون الوسطى وحتى الآن. ولم يسلم من هذا الضلال إلا فرقة وحيدة، هي ما كانت على هَدْي الحبيب المصطفى عليه الصلاة والسلام. وقد بدلت هذه الفرق والطوائف في الإسلام الحنيف الذي ارتضاه الله تعالى للناس وبلّغهم به النبي الأمين. وهذا التغيير الذي اصطنعته هذه الفرق، سواء بالزيادة أو النقصان، بدعة خطيرة ألحقت بالإسلام ما ليس منه وحوّلته إلى دين آخر غير الذي كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة والسلف الصالح رضوان الله عليهم أجمعين، وانحرفت به بعيدا عن حالة الكمال التي ارتضاها الله تعالى حين قال:" اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً "، وذلك دليل قطعي بأن أي تغيير بالزيادة أو النقصان يُعد ابتداعا ينفي حالة التمام التي وصف الله تعالى بها دينه الذي ارتضاه لخلقه، هكذا وببساطة. ولما كان المعافى لا يعرف قدر النعمة بعافيته حتى يصاب، كذلك لا تُعرف عظمة الإسلام الحنيف إلا بمعرفة ما آل إليه بفعل التخريف والتحريف. وتشوّهت معالم الوجود الديني والسياسي على أرض الواقع، وعاش المسلمون هذا الواقع المشوه البائس وهم يظنون أنه يسير وفقا للدين الذي أعلن اللهُ كماله وتمامه. ولمّا كان الأمر على هذا النحو، امتنع تحقق الخيرية التي وصف الله بها أمة الإسلام لمّا قال : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ

أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ ١٤، ولم تتحقق حيازة العلو الموعود ﴿وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنْتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ ١٥، ولم يتحقق ذلك النصر الذي وعدنا الله به لما قال: ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ ١٦، لأنها كلها جميعا كانت، ولا تزال، أمورا مشروطة لا تتحقق إلا باستيفاء الشروط، ولم نعرف بعدُ أننا قد أخللنا بالشروط من جانبنا، فتعلقت الخيرية والعلو والنصر إلى أجل غير مسمى، إلى أن نتعرف على سنن الله الفاعلة. ومنذ ذلك الحين مضت تلك العوامل الفاعلة تؤثر سلبياً في الكيان الإسلامي. وفى ظل الضعف الذي حاق بهذا الكيان بفعل أعداء الإسلام ﴿سواء من أبنائه أو غيرهم﴾ والطامعين في أرضه، تحولت دولة المسلمين إلى فسيفسائية جغرافية على شكل دول ودويلات وطوائف دينية دائمة التناحر والاقتتال . والمدهش أن تلك العوامل التي مزقت العالم الإسلامي دينا ودنيا وفتنته على الصعيدين الديني والسياسي ، لا تزال إلى الآن هي الفاعلة والمؤثرة على نحو ما كانت عليه من أكثر من ألف سنة مضت. ويطرح الغافلون – بغباوة تصل إلى حد البلاهة – سؤالهم الساذج: لماذا لا

١٤–آل عمران ١١٠

١٥– آل عمران١٣٩

١٦– محمد ٧

يتحقق وعد الله لنا بالنُصرة؟ فيرد مغفل آخر: السبب هو عدم معرفتنا حتى الآن كيف نحسن الوضوء، فما زلنا نجهل الطريقة التي تعمل بها سنن الله في خلقه وكونه. واكتفى المسلمون من هذا الدين الرائع بالجانب الشعائري، إذ اقتصر حظهم منه على ممارسة الشعائر فقط، وتلاوة الأذكار والأوراد والرقص في حلقات الذكر والتردد على الأضرحة والموالد، والتوسل بالمقبورين والأولياء كما يفعل الصوفيون، أو ضرب الظهور بالجنازير والسيوف في احتفالات عاشوراء في كربلاء مثلما يفعل الشيعة. لذا لم يكن من الغريب أن يتحدث الأدب الشعبي الغربي في القرون الوسطى عن وثنية الإسلام، ويرون " أن الإسلام مليء بالاتجاهات الغنوصية والمانوية الوثنية التي نشأت في العالم الشرقي، ويفسرون ذلك بأن المسلمين لم تتح لهم رسالة المسيح " ١٧. والنظر إلى الإسلام على أنه ما يمارسه الصوفية والشيعة يسيء إليه أيما إساءة. يقول مراد هوفمان ١٨:" يصعب تجاهل حقيقة أن النظرة الغربية لما يحدث حاليا في جمهورية إيران الإسلامية تحد كثيرا من فرص انتشار الإسلام في الغرب –على الأقل طالما نظر إلى الشيعة

١٧– تراث الإسلام – تصنيف شاخت وبوزورث– الجزء الأول

١٨– سفير ألمانيا في المغرب ، اعتنق الإسلام

والسُنّة خطأ باعتبارهما شيئا واحدا ".١٩ وغاب عن المسلمين في خضم صراعاتهم الطائفية والسياسية والعسكرية، أن واجبهم الأساسي تجاه هذا الدين هو إطلاق سراحه من محبسه وفكّ حصاره، وتفعيله على أرض واقعهم بعد أن حبسوه في قمقم الدروشة والخرافات والجهل والتحريف، وضحوا به قربانا رخيصا على مذابح الارتزاق بالدرهم والدينار. وانحلت مبكرا تلك الرابطة الرائعة التي أرساها الإسلام لتربط كيان الأمة فتجعلها كالبنيان المرصوص، فمنذ استشهاد الخليفة الثالث سيدنا عثمان رضى الله عنه، انقلبت الأمة المسلمة يأكل بعضها بعضا، وغرق المسلمون في حروب داخلية ضارية ضُربت فيها الأعناق وانتُهكت الأعراض، وهُتّمت الكعبة المشرفة وأُضرمت فيها النيران ، واستبيحت المدينة المنورة، وانتزع الحجر الأسود من موضعه....، ومات منهم في هذه الصراعات السياسية، والسياسية الدينية أضعاف من ماتوا منهم في حروبهم مع المشركين في بداية البعثة النبوية الشريفة، وهي حروب وصراعات لم تبرأ منها الأمة إلى الآن. وكل من مات من هؤلاء المسلمين ﴿قتلة ومقتولين﴾ كانوا يصلّون ويصومون ويحجون ويزكون ويشهدون بوحدانية الله. ولمّا كان إضفاء الشرعية أو القدسية الدينية على

١٩– مراد هوفمان– يوميات ألماني مسلم

المواقف والآراء والصراعات هي الآلية الفاعلة في وقت كانت فيه المشاعر الدينية لاتزال متأججة في نفوس المسلمين، لـ ذا كاذ ت الفكرة الدينية هي أساس كل دعوة جديدة تظهر في العالم الإسلامي بقصد انتزاع السلطة السياسية وتحقيق غايات بعيدة كل البعد ع ن الدين والعقيدة، وإنما كانت الأهداف هي الارتزاق باسـ م الـ دين و النصب باسم العقيدة.

أما الشيعة فانحرفوا عن الإسلام وشوهوا العقيدة، واتخذوا زعم محبة آل البيت ذريعة لمعاداة الدين وتقويضه، وإدخال وثنية جديـ دة في الإسلام، فأقحموا عليه كثيرا مـ ن عقائـ د اليهـ ود و الفـ رس والزرادشتية ، وخاضوا في بدع عقائدية، منها تأليه علي بـ ن أبـ ي طالب والأئمة الشيعة، وإسباغ العصمة عليهم والقـ ول بالوصـ اية والرجعة والبداء والتقية وكلها معتقدات ذات أصول يهودية. والشيعة الجعفرية يرون أن "الجهاد مع غير الإمام المنتظر حرام، مثل حرمة الميتة والخنزير،ولا شهيد إلا الشيعة، والشيعي شهيد ولو مات على فراشه حتف أنفه، والذين يقاتلون في سبيل الله من غير الشيعة فالويل

يتعجلون"[٢٠] ومن فرقهم: فرقة الإسماعيلية:ومنه ا "الحشاش ون" والقرامطة، والفاطميون والبهرة والأغاخانية . والبابكية نسبة إلى بابك الجرمي الذي ظهر في أيام المعتصم، و بقي منهم جماعة يقال إنهم يجتمعون في كل سنة ليلة هم ونساؤهم ثم يطفئون المصـ باح وينتهبون النساء فمن وقعت في يده امرأة حلت له ويقولـ ون هـ ذا اصطياد مباح . كما يبيح الشيعة الاثنا عشرية الزنا في صورة زواج المتعة . والسبئية – ورأسها عبد الله بن سبأ – يقولون بألوهية علي بن أبي طالب ورجعته. وقالوا بتناسخ الأرواح وإيطـ ال البعـ ث والحساب. ومن السبئية فرقة الكيسانية التي تعتقد في إمامة محمد بن علي بن أبي طالب المعروف بمحمد بن الحنفية، و بأنه لـ م يمـ ت ويعيش في جبل رضوى بالحجاز، وعنده عين من اللبن وعين من العسل حيث تؤنسه الملائكة ويحرسه أسدان ونمران. كما يقـ ول أتباع محمد النفس الزكية بأنه لم يُقتل وأنه مقيم بجبل "حاجر" مـ ن ناحية نجد وسيرجع . "وانتقلت عقائد طائفة الكريـ ة إلـ ى المدينـ ة المنورة مركز دولة الإسلام الأولى، وقام بأمر هذه الطائفة حمـ زة

٢٠- الوافي نقلا عن تبديد الظلام وتنبيه النيام- إبراهيم السليمان الجبهان

البربري الذي ادعى النبـ وة ونسـ خ بعـ ض أحكـ ام الشـ ريعة الإسلامية،فتزوج ابنته، وأحل جميع المحارم، وقد تبعه بعض أهـ ل المدينة والكوفة"٢١. كما قال بالرجعة طائفة الحربية أتبـ اع ابـ ن حرب الكندي وهو من قال بأن الأئمة أربعة أسباط، رابعهـ م ابـ ن الحنفية الذي "يركب السحاب، وينفخ المد، ويسد باب الروم، ويبلـ غ الأرض السابعة"٢٢. ومن فرقهم الخرمدينية التي ألّهت الأئمـ ة، والهاشمية التي ألّهت بعض الصعاليك، والناووسية التـ ي قالـ ت إن جعفر الصادق لم يمت. وتظن فرقة المنصورية أن عليا يعيش في السحاب وإذا ظللتهم سحابة نظروا إليها قائلين: السلام عليـ ك أبـ ا الحسن. والاتحادية هم أتباع ابن عربي كبير الصـ وفية وإمـ امهم الأكبر، ويعظمون فرعون ويدعون أنه مات مؤمنا وأن إغراقه كان بمنزلة غسل الكافر إذا أسلم، ويقولون ليس في القرآن ما يدل علـ ى كفره . ونسب الشيعة إلي جعفر الصادق قوله:" ما من مولود يولد

١- النوبختي- فرق الشيعة ص٢٨- نقلا عن الدكتور علي سامي النشار- نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام،الجزء الثاني ص٨٥

٢٢- الدكتور على سامي النشار- نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام- ج٢ ص٧٩

إلا وإبليس من الأبالسة بحضرته، فإن علم الله أن المولود من شيعتنا حجبه من الشيطان، وإن لم يكن من شيعتنا أثبت الشيطان إصبعه في دبر الغلام فكان مأبونا ﴿أي شاذا جنسيا﴾، وفي فرج الجارية فكانت فاجرة " ٢٣. تلك هي صورة الإسلام كما يراها غير المسلم فينفر منه ومن أهله،فلا تنتظرن منه أن يميز بين الإسلام الصحيح وما يخالطه من باطل شيعي وصوفي، فالمسلمون أنفسهم لم يميزوا بعدُ بينهما.

ولا يجد المرء كبير فرق بين حكايات ألف ليلة وليلة وبين ما ألحقوه بالإسلام من تخاريف.ومن العجيب أننا نجد مناصرين لكل فئة من هذه الفئات المنحرفة الضالة من الصوفية أو الشيعة، ولكل منها "فقهاؤها" بالآلاف، وأتباعها بالملايين، وكلهم يظنون أنهم الفئة الوحيدة الناجية، وغيرهم فى النار، ويتعين عليهم مقاتلة من سواهم لقسرهم علي أفكارهم التى يعتقدون أنها الحق المحض وغيرها هو عين الضلال، ويتقاتلون جميعا إذ يظن كل منهم أنه وحده صاحب الحق، فيهلكون كلهم جميعا بعد أن يفشلوا وتذهب ريحهم ثم يصبحون لقمة سائغة يمضغها أعداؤهم فى يسر وسهولة . تلك هي بعض النفايات التي زعموا زورا وبهتانا أنها الإسلام المطلوب

٢٣– الوافي– نقلا عن تنبيه الغافلين

أن يؤمن به العقلاء . وقد يقول قائل إن بعض هذه الفرق والطوائف قد اختفت منذ قرون، أجل لقد باد بعضها كتنظيم أو جماعة لها أهداف تسعى إلى تحقيقها، أو تشكيل له أنصاره ، ولكن بقيت أفكارها فاعلة ومؤثرة في ضمير المسلمين ويعود إليها التشكيل الوجدان المسلم المعاصر. فقد أورثت هذه الفرق الشيعية البائدة معتقداتها إلى فرقة الشيعة الاثنى عشرية المعاصرة – في إيران والعراق –والتي تمثل الآن جمهور الشيعة، كما أورثتها إلى الطرق الصوفية التي واصلت مسيرة الضلال والإضلال. فمع أن فرقة السبئية قد بادت،إلا أن أفكارها لا تزال هي الفاعلة إلى الآن، فإليها يعود القول بالوصاية لعلي بن أبي طالب وألوهيته وعصمته ورجعته والقول بعصمة الأئمة وبغيبة الإمام المنتظر ورجعته، والحض على النفاق والمداهنة وأوجبوا العمل بها على "المؤمنين"، وسموها التقية، وهو ما يقول به الشيعة حتى الآن . والانحراف الذي بدأ منذ مئات السنين ازدادت جسامته مع مرور الوقت حتى أصبح الدين الآن شيئا آخر يختلف كلية عن الأصل ونقطة البداية التي بدأ منها الانحراف. خط رسول الله يوما خطا ثم قال هذا سبيل الله ثم خط خطوطا عن يمينه وعن شماله ثم قال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه ثم تلا: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ

بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ ٢٤. كما قال صلوات الله وسلامه عليه:" يُذاد رجال عن حوضي يوم القيامة فأقول يا رب أصحابي أصحابي فيقال لي إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك فأقول كما قال العبد الصالح﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ ٢٥.

ودائما تجد لكل رأي أنصاره مهما غلا وبدا غريبا ومغايرا للمنطق، إذ يعتمد الأمر على مدى يقظة العقول المستقبِلة لهذه الآراء، ودرجة خضوعها أو تحررها من أوهام القداسة والتقديس، كما يعتمد على رغبة أصحاب هذه العقول في الأخذ بهذه الآراء إذا ما سايرت أهواءهم وأدخلت مصالحهم في دائرة الارتزاق باسم الدين. فنجد مثلا من يصدق مدعي الألوهية والنبوة والقول بالحلول والاتحاد والتناسخ وعصمة الأئمة، والعمل بالتقية، والقول بالبداء، وبغيبة الإمام المنتظر ورجعته. وفي ضوء ذلك يمكن فهم الكثير حول ظروف نشأة الدول الشيعية في تاريخنا الإسلامي كدولة القرامطة والدولة الفاطمية والدولة الصفوية، بل وفهم الكثير من آليات صنع هذا التاريخ. ولا تكتسب هذه الآراء الفعالية والتأثير إلا بعد دسها بمهارة في الضمير والعقل الشعبي، ولذا حظي هذا العقل

٢٤- الأنعام ١٥٣

٢٥- المائدة ١١٧

الشعبي باهتمام بالغ من كل من أراد تسخير الجماهير في تحقيـ ق مآربه على النحو الذي سنبينه في موضع آخر من الكتاب.

و من ادعوا الألوهية ليسوا أغبياء كما يظن البعض بـ ل هـ م خبثاء ويعلمون جيدا أن العوام وجلّهم من الأميين نتطلي عليهم هذه المزاعم،ويقدرون على كسب أنصار ينافحون عنهم حتى المـ وت ويسخرونهم في تحقيق أهـ دافهم الدينيـ ة "ظـ اهرا" والارتزاقيـ ة "باطنا"،والتي تنتهي بهم إلى الثروة والنفوذ والعروش.

وأئمة الفاطميين – وهم من الشيعة الإسـ ماعيلية – يزعمـ ون انتماءهم إلى البيت النبوي، وها هو عبيد الله المهدي الفاطمي يـ نجح في مزاعمه ويجمع الناس حوله ويؤسس دولته في المغرب العربي، وامتدت بعد ذلك لتشمل مصر والشام وبلاد الحرمين ، وبعد ذلـ ك ادعى حفيدُه الحاكم بأمر الله الألوهية – وأنصـ اره هـ م الـ دروز الموجودون حاليا في لبنان – وإذا كان الفاطميون مـ ن آل البيـ ت النبوي، فما بال تلك المذابح والجرائم التي ارتكبوها في حق العباد، وإذا لم يكونوا من آل البيت، وهذا ما نراه، يكون قد ثبت عليهم مـ ا نتهمهم به من ادعاء وكذب.كل ذلك يشير إلى مدى تهافـ ت البنيـ ة الثقافية والدينية والمعرفية لتلك الشعوب التي تظهر فيها مثـ ل هـ ذه الدعاوى الباطلة من ادعاءات للألوهية والنبوة والانتساب إلى البيت

النبوي. وما أكثر هذه الدعاوى الباطلة التي راجت بين أتباع الشيعة والصوفية وقد تم استرهابهم وتضليلهم واعتقال عقولهم وتسخيرهم لخدمة أغراض سياسية. ومن الشيعة فرقة الجارودية الذين طعنوا في أبي بكر وعمر رضى الله عنهما وكفّراهما كما كفروا الصحابة جميعا ، خلافا لأتباع فرقة السليمانية الذين يعظّمون أبا بكر وعمر ولكن يكفرون عثمان بن عفان وأم المؤمنين عائشة وطلحة والزبير رضى الله عنهم جميعا. أما الشيعة الإمامية، ﴿الموجودون حاليا في إيران والعراق﴾ فيسبون الخلفاء الراشدين الثلاثة رضي الله عنهم ويقولون إن "من لعن الجبت ﴿أي سيدنا أبا بكر الصديق﴾ والطاغوت ﴿أي سيدنا الفاروق عمر بن الخطاب﴾ لعنة واحدة كتب الله له سبعين ألف ألف حسنة، ومحا عنه ألف ألف سيئة، ورفع له سبعين ألف ألف درجة، ومن أمسى يلعنهما لعنة واحدة كتب له مثل ذلك" [٢٦]، ويسبون أم المؤمنين عائشة، ويكفرون الزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله وهما من العشرة المبشرين بالجنة، ويؤمنون

٢٦- "أجمع الفضائح" للملا كاظم ، و"ضياء الصالحين" ص٥١٣

بغيبة الإمام المنتظر ورجعته. وما هي الغاية من رجعـ ـة المهـ ـدي المنتظر بعد أكثر من ألف سنة؟ يقولون إنه سيُخرج أجساد الخلفـ ـاء الراشدين الثلاثة من مقابرهم ويجلدهم ويقيم حد الزنـ ـا علـ ـى أمنـ ـا الطاهرة عائشة زوج الحبيب المصطفى، ويعمل الذبح والتقتيل فـ ـي قريش والعرب، والأهم هو أنه – أي الإمام المنتظر– سيرجع ليقيم شريعة داوود نبي اليهود، وذلك يشير إلى الأصـ ـول اليهوديـ ـة للتشيع كما سيأتي في حينه من الكتاب. ومنهم فرق ترى أن عبـ ـد الرحمن بن ملجم لم يقتل علي بن أبي طالب بل المقتول شـ ـخص آخر تشبّه بصورة عليّ الذي صعد إلى السماء وسينزل لينتقم مـ ـن أبى بكر وعمر. ويزعمون أن الرعد صوت سيدنا على رضى الله عنه . ومنهم الباقرية الذين يقولون إن محمد بن علي الباقر لم يمت ولا يموت لكنه غائب. و"الناموسية" الذين يقولون إن جعفر لم يمـ ـت لكنه غائب. و الإمامية الذين يقولون إن الخلق جميعا قد كفروا بعد النبي صلى الله عليه وسلم، إلا عليا وفاطمة والحسـ ـن والحسـ ـين وعمارا وسلمان وأبا ذر والمقداد وبلالا وصهيبا . و"الغرابية" قالوا إن علياً بمحمد– صلى الله عليه وسلم– أشبه من الغراب بـ ـالغراب وقالوا إن الله تعالى أرسل جبريل إلى علي فغلـ ـط جبريـ ـل وأدى

الرسالة إلى محمد لتأكد المشابهة بين علي ومحمد علي ه الصـ لاة والسلام، ويزعمون أن جبريل أزاغ الرسالة عن علي إلى محمـ د عمدا لا سهوا وهؤلاء يسيئون القول في جبريل علي ه السـ لام . وهؤلاء الأفاكون لم يحسنوا الكذب ولم يتحروا الدقة فيه، فـ العقول آنذاك كانت تقبل أي ضلال، فعلي بن أبي طالب وقت البعثة النبوية كان في التاسعة من عمره، أي لم يبلغ سن الرشد فضلا عن سـ ن التكليف. والكاملية يزعمون أن الصحابة كلهم كفروا لما فوضـ وا الخلافة إلى أبي بكر بل وكفّروا علياً أيضا حيث لم يحـ ارب أبـ ا بكر.

سفه عقلي وشذوذ اختلقوه اختلاقا وزعموه من الدين ودسوه في عقول وضمائر العامة الذين اعتنقوه ونافحوا عنه ظنا منهم أنه دين الله. تلك كانت عقائد من استنصروا الله ظنا منهم أنهـ م مسـ لمون، وطلبوا العزة والغلبة التي وعد الله بها عباده،وفاتهم أن بينهم و بـ ين الإسلام ما بين المشرق والمغرب، إذ حرفوا دينهم عمدا أو جهـ لا على النحو الذي رأينا، والله لا ينصر القوم الكـ افرين. وللمـ رء أن يعجب من تقبل الناس– أو بعضهم– لمثل هذه الخرافات والأباطيل وهم قريبو عهد من العصر النبوي.

أما الخوارج، وهم من خرجوا على علي بن أبي طالب وكانوا يحاربون إلى جانبه أولا ثم انقلبوا عليه بعد أن قبل التحكيم، فمتفقون على أن العبد يصير كافرا بالذنب وهم يكفرون عثمان وعليا وطلحة والزبير وعائشة، ويعظمون أبا بكر وعمر. ومنهم فرقة المحكمية الذين كفروا عليا ومعاوية، وفرقة الأزارقة ومن مذهبهم جواز قتل من خالفهم، والنجدات يرون وجوب قتل من خالفهم. ومنهم البيهية ومذهبهم أن من لا يعرف الله تعالى وأسماءه وتفاصيل الشريعة فهو كافر. وفرقة العجاردة وعندهم أن سورة يوسف ليست من القرآن لأنها في شرح العشق والعاشق والمعشوق ويرون أن مثل هذا لا يجوز أن يكون كلام الله تعالى. وفرقة الميمونية الذين يجوِّزون نكاح بناتهم. وفرقة الحمزية الذين يقطعون بأن أطفال الكفار في النار. وفرقة الأخنسية وهم يتبرؤون من كل من لا يوافقهم. أما المعلومية فيقولون من لم يعرف الله تعالى بسائر أسمائه فهو كافر.

فرق وطوائف وملل كثيرة، وما أسهل أن تتكر الفئات الضالة ضلالها بأن تزيح غلوها إلى ثلة منها تصفها بالغلو، فيتحمل البعض جريرة الكل للإيهام بأنهم مجرد فرع فاسد لأصل سليم، وذلك ما

يقول به غلاة الشيعة والصوفية دائما، إذ يتبرؤون من أباطيلهم وينسبونها إلى غيرهم.

ترى لو بُعث الآن أحد من الصحابة الأطهار فهل سيتعرف على الإسلام الحنيف بين هذا الركام من التحريف والتخريف؟

ومن غايات ذلك التشرذم الطائفي الديني – وهو من تدبير يد خفية – التشويش على الملة الحنيفة، وصد الناس عنها، والحيلولة دون قيام كيان إسلامي موحد ودولة قوية يعيش الإسلام بها وتعيش بالإسلام وتقف بالمرصاد لأعداء الأمة الإسلامية على الأصعدة الدينية والسياسية والعسكرية والاقتصادية. ومن أجل ترسيخ الإدراك الطائفي على حساب الرؤية الشاملة الموحدة للعالم الإسلامي، حرص كل من كانت مقادير أمتنا الإسلامية بيده في أزمنة الضعف والهوان، على الاقتصار على تدريس التاريخ القومي القطري فقط، وتجاهل التاريخ الإسلامي الشامل لكل الأمة الإسلامية في كل أقطارها العربية وغير العربية. فيدرس المصري تاريخ بلده وحسب، وكذلك السوري والمغربي .. وهكذا ، ولا يعلمون شيئا عن سائر مسلمي العالم في الهند والصين والجمهوريات السوفييتية السابقة وغير ذلك، لذا ينشأ المسلم على

إدراك مفتت لا يجمع في ضميره ﴿ الإقليمي ﴾ صـ ورة شـ املة للإسلام . وليس التاريخ وحده هو المسكوت عنه، وإنمـ ا العقائـ د والملل والنحل السائدة في عالمنا الإسلامي، فلا يعلم أحد غير عقيدته والذي يظن أنها هي الحق وعين الحق. فلا يعلم الضال أنه ضـ ال، لأن وعيه مغيب، ومضروب على عقله حصار محكم بفعل الجهل والأمية ﴿ اليزيدية يحرمون تعلم القراءة والكتابة﴾، أو محاصـ رون جغرافيا ﴿ مثل النصيرية الذين يعيشون في عزلة في جبال وعـ رة ﴾. وكل الطوائف والملل التي مرقت من الإسلام وتزعم انتسـ ابها إليه ، تلحق به الضرر الشديد إذ تتحدث باسمه ويحسب الجـ اهلون باطلها على أنه من الإسلام. وهذه الفرق والملل والنحل المحسـ وبة ظلما أنها من الإسلام، هي أعوان وعملاء اليد الخفية أمس واليوم. والعوام والأتباع لهذه الطوائف جهلة حبسـ هم المبطلـ ون داخـ ل معتقدات قديمة وضربوا عليهم السرية والكتمان. ومن تلك الفرق:

اليزيدية:

وهم جماعة من الغلاة يرجعون إلى اصـ ل مجوسـ ي ادعّـ وا الإسلام شأنهم في ذلك شأن كل الفرق المناهضة للإسلام والتـ ي تزعم انتماءها إليه حتى تتمكن من تقويضه من الداخل، " واليزيديـ ة

لم يكونوا سوى طائفة من الصوفية من أتباع الشيخ عدي بن مسافر مؤسس طريقتهم "٢٧.واعتقدوا بألوهية يزيد بن معاوي ة، وازداد انحرافهم حتى قدسوا كل من يزيد بن معاوي ة والشـ يطان مع اً. وانتشرت آراء الفرقة ومعتقداتها في الموصل وحلب وعلى الحدود بين العراق وسورية وتركية وفي ديار بكر و وفي البلاد الأرمني ة الواقعة على الحدود بين تركيا وروسيا والهند وإيران . ومثل ك ل الفرق الضالة التي تزعم الإسلام، تحرص ع ل أن تتواج د ف ي أوروبا والعالم المسيحي لتكون هي الصورة الشوهاء للإسلام الت ي تصد الناس عنه. ولليزيدية جاليات في لبنان وألمانيا الغربية وبلجيكا، مثلما يقيم كبير الطائفة الشيعية الإسماعيلية الأغاخانية في بلجيك ا. وينتمي معظم اتباع اليزيدية إلى الجنس الكردي.ولهذه الفرقة كتابان مقدسان يصفان معتقدات وعبادات الملة اليزيدي ة، هم ا: كت اب ﴿الجلوة﴾ وكتاب ﴿مصحف رش﴾. وظهرت هذه الفرقة في بلاد بعيدة عن التحضر والمراكز الدينية والعلمية، ومنشؤها كان ف ي كردستان. وتولى قيادة الفرقة زعماء دينيون أضلّوا الناس بالب دع

٢٧-أحمد تيمور –اليزيدية ومنشأ نحلتهم ، د . سهير محمد علي الفيل : اليزيدية

والخرافات وتظاهروا بالزهد والتعفف وكثرة المجاهدة– تماما مثلما فعل كبار دعاة التصوف والتشيع– فقصدهم الناس وتأثروا بهم حتى انتشرت معتقداتهم في الأطراف الحدودية من العراق وإيران وتركية وسورية. وقد تكتموا إظهار معتقداتهم تكتماً شديداً وأحاطوا ملـ تهم بالسرية مثل كل ضال مضل ينأى بضلاله بعيدا عن النـ ور فـ لا يفتضح أمره شأنهم في ذلك شأن فرقة الإسماعيلية الشيعية والتـ ي مازالت معظم كتبها سرية، وكذلك سائر فرق الباطنيـ ة .وهـ م يطمسون ما ورد في القرآن من كلمات لا تناسب معتقداتهم كالتعوذ واللعنة والشيطان بوضع قطعة شمع عليها. وليس لهم صلاة عامة بل هناك طقوس خاصة بهم يتوجهون فيها إلى مطلع الشمس عند الشروق والى مغربها عند الغروب فيلثمـ ون الأرض ويعفـ رون وجوههم بالتراب ويقرءون بعض الأدعية وهي خليط مـ ن اللغـ ة العربية والفارسية والكردية. و الصوم عندهم ضربان: صوم العامة: ويسمونه ﴿صوم يزيد﴾ في الثلاثاء والأربعاء والخميس الأول من شهر كانون الأول، وصوم الخاصة: ومدته ثمانون يوماً يصومها رجل الدين. وهم يؤدون الزكاة كل سنة إلى شـ يخهم –طبعـ ا– وتسمى عندهم الرسوم، كما يؤدي الشيعة الجعفرية زكاة أموالهم إلى

مشايخهم ويسمونها الخُمس. وفتش عن الدينار والارتزاق بالـ دين تتكشف لك الأمور. ويحجون حجاً خاصاً بهم كل عام إلى مرقـ د الشيخ عدي بن مسافر، أحد كبار رجال المذهب ومؤسس الطريـ ق العدوية في القرن السادس الهجري ، تماما مثلما يحج الصوفيون إلى أضرحة مشايخهم كل سنة في موالدهم: إذ يحج أتباع أبي الحسـ ن الشاذلي إلى ضريحه في حميثراء وأتباع البـ دوي إلـ ى طنطـ ا ، وغيرهم من مشايخ الصوفية مثلما يحج الشيعة إلـ ى مراقـ د آل البيت. ويؤدون – أي اليزيدية – في هذا الحج شـ عائر وطقـ وس خاصة بهم . وعندهم من لا يوفق لأداء الحج فهو كافر. أما عـ ن الشهادة عندهم فيقولون :" أشهد واحد الله، سلطان يزيد حبيب الله ". ومن أجل ضرب الحصار على عقول أتباع هذه الطريقـ ة فـ إنهم يحرّمون تعلم القراءة والكتابة مطلقاً – وعندهم من يعلم أولاده فهو كافر–ومن يتعوذ من الشيطان وجب قتله فوراً أو ينتحر فان لم يـ ر سبيلاً إلى ذلك صام أسبوعا وقدم ضحية للطـ اووس. ونظـ امهم الاجتماعي طبقي ويتكون من طبقات خمس لا يجوز الزواج بـ ين أتباع هذه الطبقات ، الاولى: طبقة الروحانـ يـ ين إحداهما خاصة بمن يعود نسبهم الى يزيد بن معاوية ولمن ينتمي إلى سلالة فخـ ر

الدين ويلقبونه بابا شيخ يعني الشيخ الكبير. والطبقة الثانية هي طبقة الفقير وهو الناسك المتعبد وله لباس خاص يسمونه خرقة الفقير، مثل خرقة الصوفي المميزة له. ثم طبقة المنشدين، والمنشدون وذ اقرو الدفوف لهم دور هام في الملل الباطلة كالتصوف وغيره، ثم الكواجك: وهم طائفة من العوام يتميزون بلباسهم الأبيض ونط اقهم الصوفي الأسود أو الأحمر وظيفتهم اكتشاف مصير الموتى إن كان خيراً أو شراً والاتصال بعالم الغيب لمعرفة الحال والاستقبال، ومحرم علي هذه الطبقة النوم على السرير.ثم المريدون: وهم عوام الناس من اليزيدية وقد فرضت عليهم الطاعة العمياء ودفع الزكوات وهولاء يتزاوجون فيما بينهم فقط ولا يحق لهم مصاهرة الفئات الأخرى حفاظا على النظام الطبقى الذي يفرض الطاعة والمغارم على طبقة، ويوفر المكاسب والمغانم لأخرى.

ويقولون بتناسخ الأرواح. وييحون الزواج من سبت نساء. ويحرمون الزواج في شهر نيسان. ويعتقدون أن الحمام والمرحاض من ملاجئ الشيطان في نظر المسلمين فلا يدخل اليزيدي مرحاضاً ولا يغتسل في حمام. وحرموا على اليزيدي قص أظافره والاغتسال من الجنابة ، أو الاستنجاء بعد قضاء الحاجة ولا

يجوز له أن يبول وهو واقف وألا يلبس سرواله وهو جالس. ويؤثم اليزيدي إذا مدّ رجله أمام جليسه، مثلما لا يجوز للمريد الصوفي أن يفعل ذلك دون استئذان شيخه. وحرموا الاشتغال يوم الجمعة. مثلما يفعل اليهود يوم السبت، وحرموا على اليزيدي النظر إلى وجه المرأة غير اليزيدية . ولهم ليلة تسمى السوداء حيث تطفأ الأنوار وتستحل المحارم وتستباح الخمور. وينتشر اليزيديون في المناطق الشمالية الشرقية من الموصل وعلى الحدود العراقية السورية وديار بكر وبالقرب من حلب حول كلس وعينتاب وفي بعض البلدان الأرمينية على الحدود بين تركية وروسية وينتمي معظمهم الى الجنس الكردي.

وكان اليزيديون يمتنعون عن الخدمة في الجيش العثماني لأسباب دينية تمنعهم من ذلك في اعتقادهم « منها الاضطرار إلى لبس الأزرق، والدخول إلى المرحاض » وهما من أشد مظاهر الكفر في معتقدهم، والعيش بين جنود مسلمين يتوقع تعذيبهم من الشيطان، أو لعنتهم إياه عمداً أو بلا عمد، وغير ذلك من الأعمال التي ينفرون منها، فكانوا يدفعون بدلاً نقدياً كاليهود والنصارى. وقد جندتهم الحكومة العراقية في عهد صدام حسين واشتركوا اشتراكاً

فعلياً في الجيش وفي الحروب التي خاضتها القوات العراقية في إيران والكويت[٢٨].

النصيرية:

"والنصيرية يؤلهون على بن أبي طالب رضي الله عنه، إذ يعتقدون أن الله يحل في الأشخاص، وأن آخر حلول له كان في علي بن أبي طالب، بل ذهبوا إلى ما يشبه عقيدة التثليث عند

---

٢٨ – المراجع الخاصة باليزيدية :

١–الامين، شريف يحيى، معجم الفرق الاسلامية، ﴿بيروت .لبنان، دار الاضواء، ط١، ١٤٠٦ هـ ـ ق . ١٩٨٦ م.﴾، الحسنى، عبد الرزاق، اليزيديون في حاضرهم وماضيهم، ﴿صيدا، لبنان، مطبعة العرفان، ١٩٦٨ م﴾، أحمد تيمور، اليزيدية ومنشأ نحلتهم، ﴿القاهرة .مصر، المطبعة السلفية، ط١، ١٣٤٧ هـ ـ

٢ .العزاوي، عباس، تاريخ اليزيدية وأصل عقيدتهم ﴿بغداد .العراق، ١٩٣٥ م﴾ .

٣ .الحنبلي، محمد، قلائد الجواهر في مناقب الشيخ عبد القادر.

٤ .الدملوجي، صديق، اليزيدية، ﴿الموصل .العراق، ١٩٤٩ م﴾.

٥ .جورج حبيب، اليزيدية بقايا دين قديم ﴿بغداد .العراق، ١٩٧٨ م﴾، سامي سعيد الاحمد، اليزيدية احوالهم ومعتقداتهم ﴿بغداد .العراق، كلية الاداب، ١٩٧١ م﴾.

النصارى، إذ أنهم ألفوا ثالوثاً يتكون من سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم،وعلى بن أبي طالب، وسلمان الفارسي، ويزعمون أن العلاقة بين أطراف هذا الثالوث علاقة إيجاد، فعلي خلق محمداً، ومحمد خلق سلمان، وسلمان خلق الأيتام الخمسة ويقصدون بهم: المقداد بن الأسود، وأبا ذر الغفاري، وعثمان بن مظعون، وعبد الله بن رواحة، وقنبر بن كادان مولى علي، وأكدوا لهؤلاء مسئوليات معينة في تصريف الكون، فالمقداد موكل إليه الرعد والصواعق والزلازل، وأبو ذر موكل بالرياح وقبض أرواح البشر، وقنبر موكل بنفخ الأرواح في الأجسام"٢٩ . ومن يقول مثل هذا الكلام وجب اتهامه في دينه، ومن يصدقه يجب اتهامه في عقله.

و تعددت الفرق والطوائف "الإسلامية"، وانشق من هذه الفرق فرق، وتفرع من تلك الطوائف طوائف،ومع بُعد الفروع عن الأصول يزداد الانحراف، وبمقارنة ما آلت إليه هذه الأصول بعد مدة يتأكد لنا حدوث تحريف بيّن يجعل الفروع تناقض الأصول بوضوح. وللجميع حظ من هذا التحريف الذي طال معظم تلك الملل

١- انظر الباكورة السليمانية ص٢٩، ٣٠، مجموع الفتاوى ٣٥ / ١٤٧، ودراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين، د. أحمد جلي ٣١٦-٣١٨ .

والنحل التي تشكل عقيدة ووجدان وضمير قسم كبير من المليـ ـار ونصف المليار مسلم في أرجاء العالم الآن. ولكي يتبيّن كل مسلم، أو كل من هو موصوف بأنه مسلم، حظه من التحريف عليه بتمحيص معتقده وقياس سلوكه في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، فيتبين له من فوره الرشد من الغـ ـي. قـ ـال تعـ ـالى: "وَأَنَّ هَـ ـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿ ٣٠ . وتربص بنا أعداؤنا الدوائر،فشقوا عقل وجسد الأمة إلى شطرين كليهما على باطل – إلا من عصـ ـم ربي من الفرقة الناجية – بعد أن رمونا بالتصـ ـوف والتشـ ـيع . وانفرط عقدنا إلى فرق وجماعات وطرق وطوائف وملل ونِحـ ـل كلها جميعا، عدا واحدة، على باطل. فلينظر المسلم أين موقعه مـ ـن هذا الشتات، وأين نحن جميعا من هذه الفسيفسائية العقائدية والسلوكية التي تغاير الإسلام الحنيف ولا تشبهه في شيء ، وإذا مـ ـا حاولنـ ـا إعادة تجميعها في صورة مفهومة، انتهى بنا الأمر– إن نجحنا فـ ـي تجميعها– إلى عقيدة مختلفة لا تشبه إسلامنا الحنيف في شيء، فقـ ـد

٣٠–الأنعام ١٥٣

شرذمنا أنفسنا بأنفسنا في الماضي، وحديثا تولى أعداؤنا عن هذه المهمة ففتتونا إلى أقطار ودويلات وإمارات عديدة لا يفصل بينها سوى حدود وهمية ضمانا لإبقائنا مشرذمين مفرقين. وعندما جلوا عن أراضينا تركوا لنا بذورا للشقاق لتحُول دون اتحادنا مرة أخرى.

وكل هذه الفرق والطوائف المنحرفة التي طالها الباطل تخلط في عقائدها بعض الحق ببعض الباطل، حتى إذا اتهمتها بالباطل اتقت ببعض ما فيه من حق ، وإنما سميت الشبهة شبهة لأنها تشبه الحق. فلا معنى لأن يصلي الشيعي ثم يقول بتحريف القرآن، أو يصوم رمضان ثم يسب أبا بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم ، أو يزعم محبة سيدنا علي وآل البيت ثم يسب أم المؤمنين عائشة زوجة وحبيبة المصطفى. ولا معنى لأن يحج الصوفي ثم يقول بالاتحاد والحلول، أو يتظاهر بالاقتداء بالنبي ثم يعفي نفسه وأتباعه من أداء الفروض، أو يزعم أنه يوحد الله ثم يقول بألوهية غيره، فببعض هذا القول يكون المروق من الدين.

وخلط بعض "الحق" ببعض الباطل ثم التعلل بهذا "الحق"،حيلة لا تنطلي إلا على الغافلين، فالحق بيّن بيّن ولا يقبل خلطا بباطل، فإما حق أبلج أو باطل لجلج. ولجأ كل المبطلين إلى استخدام طريقة "

قليل من السم في الكثير من العسل"، لجأ إليها من استشهدوا بالقرآن والسنة،فإذا اطمأن الناس إليهم دسوا خفية بعض إفكهم،ولجأ إليها من تظاهر بالزهد والصلاح حتى إذا وثق فيه البسطاء دسوا في أذهانهم الأباطيل والضلال وانحرفوا بهم إلى الكفر، ذلك ما فعله المبشرون الأوائل للإسماعيلية والقرمطية والفاطمية والصفوية وكذلك كل الطرق الصوفية. ولما كان كلام المرء ترجمان عقله، فاسمع كلام الصوفية لتقف على مبلغ عقولهم:

يزعم الصوفي الشيخ الميرغني شيخ الطريقة الختمية وأتباعه المنتشرون في مصر والسودان " أن الله كلّمه وقال له: أنت تنكرة لعبادي ومن أراد الوصول إليَّ فليتخذك سبيلا وأن من أحبك وتعلق بك هو الذي خلد في رحمتي ومن أبغضك وتباعد عنك فهو الظالم المعدود له العذاب الأليم"٣١. كما يزعم " أن رسول الله قال له: من صحبك ثلاثة أيام لا يموت إلا ولياً وأن من قبل جبهتك كأنما قبل جبهتي ومن قبل جبهتي دخل الجنة ومن رآني أو رأى من رآني

٣١-كتاب الطريقة الختمية بعنوان ﴿ الهبات المقتبسة – تأليف الشريف السيد محمد عثمان ص ٧٦

إلى خمس لم تمسه النار "[٣٢] . و الختمية يزعمون أنه لو كان الله سيبعث نبيا بعد سيدنا محمد لكان هذا النبي هو شيخ الطريقة الختمية محمد عثمان الميرغني"[٣٣]. قال الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم: "لو كان نبي بعدي لكان عمر" ، ولم يقل إنه الشيخ الميرغني.

فسلوكيات المسلمين الآن ترجمة رديئة مشوهة للإسلام الحقيقي، وما ظنك بغير المسلم الذي تعتمد حياته كلها على العقل ومنجزاته،ولكنه يرى المسلمين وقد اعتقلوا هذا العقل وعطلوه، غيْر المسلم الذي ينتقل بالطائرة ويسافر بالصواريخ، ولكنه يسمع أن شيوخ الصوفية يطيرون في الهواء ويسيرون فوق الماء بلا آلة أو واسطة. وغير المسلم يقضي عمره يحصّل العلم في المدرسة والجامعة والمختبرات، ثم نخبره أن المسلمين يتحصلون على

٣٢- كتاب الطريقة الختمية بعنوان مناقب صاحب الراتب تأليف السيد / محمد عثمان الميرغني ص ١٠٢ .

٣٣- الطريقة الختمية بعنوان رسالة الختم تأليف السيد جعفر بن السيد محمد عثمان الميرغني ص ١١٥ – ١١٦

المعارف مباشرة من الله وهم نيام في التكايا والخانقـ اوات بعـ د أن يغطوا رؤوسهم بجلابيبهم وهم يرددون لفظ الجلالة دون انقطـ اع، فتهبط عليهم من السماء العلوم العلوية من الله مباشرة كمـ ا يـ زعم الصوفية، هكذا يقول"حجة الإسلام" أبوحامد الغزالي:"وعند الصوفية أن من لف رأسه بخرقه وجلس في مكان مظلم رأى الله، وعرف كل شيء وشاهد الكون أعلاه وأسفله "[٣٤]. ومن العجيب أن أحدا لم يفسر لنا علة أن المسلمين الآن هم أجهل أهل الأرض مع أن لديهم مفاتيح العلم الإلهي اللدني لدى "مشايخ الصوفية.

والشيعة يقولون إن هذه العلوم اللدنية العلوية يتحصـ ل عليهـ ا أئمتهم بالمولد والميراث، ويؤلهون أئمـ تهم ويقولـ ون بـ رجعتهم و بالحلول والاتحاد، وينتظرون عودة إمامهم الساكن في السرداب مع حراسه من النمور والأسود منذ أكثر من ألـ ف سـ نة. إن غيـ ر المسلمين ينظرون إلينا كما ننظر نحن إلى الأنعام،ولا نلومن غيـ ر أنفسنا."نشرت الصحف البريطانية طرفا من أخبار الأغاخان –وهو إمام طائفة الأغاخانية إحدى فرق الإسماعيلية الشيعية – بقصد النيل

٣٤– عبد الرحمن عبد الخالق – تفنيد الصوفية

من المسلمين، جاء فيها أن أتباعه " ٢٥ مليون مسلم "يسجدون له من دون الله ، وأنه أكبر مقامر على الخيول في العالم،وأنه يوزن كل عام بالماس والذهب والبلاتين من الهدايا التي يقدمها له أتباعه، غير ما يدفعونه له من الزكاة المفروضة عليهم وقدرها خُمس أم والهم. وأنه لما مات لم يعرف أتباعه كيف يصلون عليه لأنهم لا يعرف ون شيئا من دينهم، وأنه يعطي صكوك الغفران ويبيع الجنة لمن يش اء ويحرمها على من يشاء﴾٣٥ . "وكان أغاخان الثالـ ث قـ د وُزن بالذهب سنة ١٩٣٦ في الهند،ومرة أخرى سنة ١٩٣٧ في شـ رق أفريقيا، ووزن بالماس ثلاث مرات سنة ١٩٤٦ احتفالا بمرور ٦٠ سنة على إمامته، كما وزن بالبلاتين سنة ١٩٥٦ بالقـ اهرة " ٣٦. ولما كانت عقول الناس على قدر زمانهم فلا عذر لأهل زماننـ ا – زمن العلم والاستنارة –أن يقبلوا مثل هذه الخرافات.

وجموع المضلّلين من الشيعة والصوفية هم من العامة الجهلـ ة ممن خفت عقولهم وسفهت حلومهم، الذين لا يشكُّون لحظة واحـ دة في سلامة معتقداتهم. فيرى الصوفي أن الولي أفضل من النبي و

٣٥–تبديد الظلام وتنبيه النيام – إبراهيم السليمان الجبهان

٣٦ – محمود أحمد قناوي– الإسراف–الناشر دار الإيمان

يطلب شفاعة شيوخه ويحج إلى مقابرهم- يحج الصوفية من أتباع الشاذلي إلى ضريحه في حميثراء بالصحراء الشرقية _ ويتوجه بدعائه إلى غير الله ، ويرى أن أقطابه يصرفون شؤون الكون مع الله . هذا الصوفي لا يرى أنه يعبد غير الله، وهو على استعداد للتضحية بحياته في سبيل شيخه. و الشيعي الذي يؤمن بالغلو والباطل، لا يشك في أنه على غير الجادة، ولا يتردد في بذل الغالي والنفيس دفاعا عن إمامه الذي يؤمن بعصمته و غيبته ورجعته. وكلاهما: الصوفي المضلّل والشيعي المخدوع، لا يعلمان أنهما أدوات في أيدي الزعماء الدينيين أو القادة السياسيين الذين يعرفون حق المعرفة أنهم على باطل وإنما يستغلون أتباعهم لتحقيق أهداف سياسية وغايات ارتزاقية ، إذ يجمع شيوخ الصوفية الأموال من صناديق النذور في الأضرحة والمساجد ومراقد أوليائهم ومن الهبات والهدايا ومن مخصصات الأوقاف ، ويحصل فقهاء الشيعة على خمس أموال الشيعي فقيرا كان أو غنيا ، غير ما يحصلون عليه من أموال نظير إسقاط الفروض والعبادات عن الناس.

ويمكن القول – دون مجانبة للصواب – بسرقة وعي هذه الأمة منذ أن غفل الناس عن تآمر أعدائهم بالإسلام الحنيف ، ويوم أن

عُطل المسجد عن أداء مهمته التنويرية وفرضت عليه رقابة الخليفة، وسرق وعي الناس يوم أن انحاز الفقهاء إلى جانب السلطان يدافعون عن مصالحه ويفتونه بالباطل ويرتزقون بالدين والملة، ويوم أن غُيّبت قيم الحرية والمساواة والعدالة الاجتماعية،ويوم أن غرق الناس في بحور الأمية، فجهلوا دينهم، وبمرور الوقت لم يتبق لهم منه غير بعضه.

وقد لحق التزييف والتحريف بمعظم الديانات السابقة بفعل الوقت وجهود المنتفعين من الظروف التي أنيط بهذه الديانات أن تغيرها، وبفعل التغيير الذي ألحقه سدنة هذه الديانات بأصولها . أما الإسلام فأصوله ثابتة سالمة من التحريف بعد أن تعهد الله نفسُه بحفظ قرآنه وكلامه، ولكن القرآن في شأن والمسلمين في شأن آخر،ولا عذر لهم إن لم يبادروا إلى التخلص من النفايات والأضاليل التي دُست في تراثهم ولوثت منابع دينهم . وإن المرء ليعجب من تفشي الضلال الصوفي والإفك الشيعي في ضمائر المسلمين في حين أن لديهم ما إن تمسكوا به فلن يضلوا أبدا:كتاب الله وسنة رسوله. وانظر ما لدينا من كفريات ابن عربي وأضاليل

أبى يزيد البسطامي وكفريات الكليني والقمي وابن المطهر، وكلهم ابتدعوا وجدفوا وظنوا أنهم بذلك قد نثروا على الناس حبات درهم.

إن غير المسلمين لا يكرهون الإسلام، وإنما يحتقرون المسلمين ويستخفون بهم . وهم لا يبغضون الإسلام الحقيقي فهم لا يعرفونه. وما يعرض عليهم على أنه دين الإسلام إنما هو دين آخر نالت منه يد التحريف والتخريف فعزف عنه العقلاء من خلق الله. وتقاعس رجال الدين عن المنافحة عن دينهم وإزالة ما لحق بصفحته البيضاء من خبث وزيف. وهم في ذلك بين جاهل أو عميل أو مهادن آثر السلامة.

والسؤال الآن: أين كان "علماء" الإسلام طوال هذه القرون التي ترسخ فيها هذا التزييف والتحريف. و ما أحراهم الآن أن يتصدوا للدفاع عن الملة بدلا من ظهورهم أمام كاميرات التلفاز في ذكرى المولد النبوي واحتفالات ظهور هلال رمضان. وخليق بهم أن يفردوا بعض ما يخصصونه من وقت لتوعية الناس بشروط الاستبراء من البول ودم الحيض، لتوعيتهم بالتحريف والتخريف المدسوس في ما يعتقدون، بدلا من أن يصرفوا جهدهم في معارك هامشية حول إطالة الجلباب وإعفاء اللحى ومناقشة آداب قضاء

الحاجة. فالإسلام يتعرض للكيد من أعدائه منذ البعثة النبوية وإلـ ى الآن. وعليهم التصدي فورا للأمور الجلل والتنبيه إلى المخاطر التي تتهدد عالمنا الإسلامي دينا وشعبا بعد أن أظلنا زمـ ن القصـ عة. ويتعين تمحيص كتـ ب الشـ يعة والصـ وفية بغـ رض تفنيـ دها واستخلاص باطلها وعرضها على الناس بدلا من استغراقهم فـ ي الخوض في تفاصيل لا قيمة لها عقائديا.وسكوت علمائنا عن هـ ذا الباطل إنما يعد من قبيل كتمان الحق الذي نهانا الله عن كتمانه، وإذ يتقاعس مشايخنا عن أداء هذا الدور، فماذا يتبقى لهم ليفعلوه؟ ولـ م يقتصر الأمر على تهاونهم في المنافحة عن الحق، وإنما تعدى إلى مناصرتهم للباطل، فمنهم من قال بجواز التعبد بالمـ ذهب الشـ يعي الجعفري الاثني عشري واعتباره المذهب الخامس لأهل السنة . أما عن التصوف فلم يشر إليه أحد بإصبع الاتهام، بل انخرط مشايخنا في الطرق الصوفية وترأسوا طوائفها، مما يغري العامة والـ دهماء بتقليدهم دون علم إذ يكفيهم التأسي بمن يحسنون الظـ ن بهـ م مـ ن المشايخ،وإن كان صلاح العامة بالخاصة، فقد ضلت عوام الناس إذ ضل خواصهم وفقهاؤهم.

وقد بدأ هذا التزييف من وقت مبكر فى تاريخنا، بدءاً من دخول أصحاب الديانات الأخرى في الإسلام بعد فتح بلادهم وزوال عزّهم، فحقدوا على الإسلام وأرادوا النيل منه.

وسنحت الفرصة بعد وفاة النبي الكريم فتكالبت كل القوى المعادية للإسلام لتوجيه ضربة قاصمة تجهض هذا الدين في مهده. واليهود كانوا ضالعين بشكل أساسي في هذه المواجهة المستترة بعد أن فشل صدامهم العسكري المباشر مع المسلمين، ولم يبق لديهم غير التآمر والمكايدة وهو أمر هم سادته. واليهود اضطلعوا بأدوار رئيسية في جميع المؤامرات ضد الإسلام بدءا من حروبهم المباشرة مع النبي، وتآمرهم مع مشركي قريش،وضلوعهم في حركة الردة وحركات ادعاء النبوة أيام أبي بكر الصديق .وكانت المساندة من جماعات تلمودية تعاونت معها جهات من دولة الروم المتضررة من الإسلام، وجندت هذه اليد الخفية من يقومون على تنفيذ المؤامرة التي قادها اليهودي اليمنى عبد الله بن سبأ وآخرون معه لم يكشف التاريخ أسماءهم بعد.

وطاف اليهودي عبد الله بن سبأ في الأمصار الإسلامية ليروج لفكرة تأليه علي بن أبي طالب وذلك في حياته. وقال بالوصاية:

وهى أن كل إمام وصِي من قبله، أي أن عليا وصـ ى الرسـ ول والحسن وصى علي وهكذا. والرجعة وهي أن محمدا صـ لى الله عليه وسلم سيرجع إلى الدنيا بعد مماته. ثم تحول بعد ذلـ ك قـ ائلا برجعة علي بن أبي طالب. وقال عند موت علي: لو أتيتمونا بدماغه ألف مرة ما صدقنا موته ولا يموت حتى يملأ الأرض عدلا كمـ ا ملئت جورا. وزعم أن عثمان اغتصب الخلافة من علـ ى، وقـ ال بتناسخ الأرواح وإبطال البعث والحساب. وما تزال هذه الخرافـ ات حتى الآن هي الفاعلة والمؤثرة في عقول الشيعة الاثنى عشرية في إيران والعراق.

وثمة أنواع أخرى من التحريف مفادها الغلو في تسطيح الـ دين وتبسيطه تبسيطا مخلا. "فهناك مثلا من رأوا أن كل من قال لا إلـ ه إلا الله محمد رسول الله فهو مؤمن حقا وهو من أهل ملة الإسـ لام سواء أكان مخلصا فيه أو منافقا مضمر الكفر فيه والزندقة،ولهـ ذا زعموا أن المنافقين في عهد رسول الله كانوا مؤمنين حقـ ا وكـ ان

إيمانهم كإيمان جبريل وميكائيل والأنبياء والملائكة مع اعتقادهم النفاق وإظهار الشهادتين "٣٧.

ويزعم "إبراهيم السنغالي أنه صاحب الفيضة التيجانية الـ ذي بشر به التيجاني مؤسس الطريقة الصوفية المعروف ةبويـ دعي أن أتباعه يدخلون جميعاً الجنة بغير حساب ولو كانوا كفاراً ولو أنهم لم يفعلوا شيئاً قط من الدين، أو استحلوا كل المحرمات لأن الله اختارهم لذواتهم فقط ، وعلا شأن هذا المحتال وبسط دعوته تلك في أصقاع كبيرة من القارة الأفريقية "[٣٨]. وكان ذلك هو الإسلام المزعوم الذي يباهي محتالو الصوفية بنشره. كذلك يختصر الشيعة الدين كله في محبة على بن أبي طالب ويرون أن دخول الجنة رهن بهذه المحبة فيزعمون "أن محب على وإن كان كافرا يهوديـ ا أو نصـ رانيا أو مشركا لن يدخل النار"[٣٩]. ويرون " أن حب سيدنا علي حسـ نة لا تضر معها سيئة". وعمد المبطلون إلى الإساءة إلى النبي بمـ دح

---

٣٧ – البغدادي – الفرق بين الفرق

٣٨– عبد الرحمن عبد الخالق – تفنيد الصوفية﴿ بتصرف﴾

٣٩– أمالى الطوسى ص ٣١٢ محمد بن الحسن الطوسي – مؤسسة الوفاء ، بيروت الطبعة الثانية

ظاهري يراد به باطل، فالشيعة ينفون الأمية عن النبي بل يزعمون أنه يتحدث بثلاث وسبعين لغة!! ولمّا كانت معجزة النبي معجزة عقلية وعلمية،كانت أميته تأكيدا لهذه المعجزة إذ تثبت أن مصدر علمه من الله وحده فهو أمي وتعوزه القدرة الذاتية على تحصيل المعارف والمعلومات مالم يمدده الله بها. لذا فالقول بنفي أميته يعني فتح الباب أمام القائلين بأنه تعلم هذه المعارف على يد معلم. ويزعم الشيعة " أن أبا جعفر محمد بن على الرضا سئل: يا ابن رسول الله لِمَ سُمى النبي بالأمي ألأنه لم يحسن أن يكتب؟ فقال كذبوا عليهم لعنة الله أنّى ذلك والله يقول في كتابه العزيز:﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمْيِينَ رَسُولا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِم آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمَهُمْ الكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾ فكيف كان يعلمهم ما لا يحسن والله لقد كان رسول الله ﷺ يقرأ ويكتب باثنين أو ثلاثة وسبعين لساناً وإنما سمى الأمي، لأنه كان من أهل مكة ومكة من أمهات القرى وذلك قوله تعالى:﴿ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ القُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ . والله تعالى يفند كذبهم إذ يقول في قرآنه الكريم :" وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لارْتَابَ المُبْطِلُونَ ". وعز على الشيعة أن يختصوا النبي بمعرفة ٧٣ لغة دون أن يكون لأئمتهم مثل هذا الفضل المزعوم، فادعوا أن

سيدنا الحسن بن علي يعرف ٧٠ مليون لغة، فينسبون إلى الحسن أنه قال:" إن لله مدينتين، إحداهما بالمشرق والأخرى بالمغرب، وفيهما سبعون ألف ألف لغة! يتكلم كل لغة بخلاف لغة صاحبها. وأنا أعرف جميع اللغات "[٤٠] يقول ابن حزم : "والأصل في خروج أكثر هذه الطوائف عن ديانة الإسلام، أن الفرس كانوا من سعة الملك، وعلو اليد على جميع الأمم، وجلالة النظر في أنفسهم حتى أنهم كانوا يسمون أنفسهم الأحرار والأبناء،وكانوا يعدون جميع الناس عبيدا لهم، فلما امتحنوا بزوال الدولة عنهم على أيدي العرب،وكان العرب أقل الأمم عند الفرس خطرا، تعاظمت الأمور، وتضاعفت لديهم المصيبة، وراموا كيد الإسلام بالمحاربة في أوقات كثيرة،فأظهر قوم منهم الإسلام،واستمالوا أهل التشيع بإظهار محبة أهل البيت،وإنكار ظلم علي رضي الله عنه، حتى أخرجوهم عن الإسلام". ولم ير الفرس الإسلام إلا من منظور فارسي ولم يتخلصوا من كل عقائدهم القديمة المستمدة من تعاليم زرادشت وماني ومزدك فكانت تظهر من حين لآخر بين المسلمين الفرس

٤٠- الكافي ١/٣٨٤-٣٨٥ كتاب الحجة. باب مولد الحسن بن علي

في أشكال شتى. وتدريجيا صبغ مسلمو الفرس آراءهم القديمة بصبغة إسلامية، فنظرة الشيعة إلى علي وأبنائه هي نظرة آبائهم الأولين إلى الملوك الساسانيين.

كذلك خالط الفكر الإسلامي الكثير من الأفكار الفلسفية المستقاة من كتب اليونان وغيرهم بعد ترجمتها أيام العباسيين. فمن جهة، استفاد بعض علماء المسلمين في إثبات العقائد الإسلامية والدفاع عن الملة باستخدام الأقيسة المنطقية والأدلة العقلية المجردة، ولكن من جهة أخرى،أدت الفلسفة بالبعض الآخر إلى الخوض فيما لا يصح الخوض فيه من أمور غيبية وجدلية لا طائل من الخوض فيها، وظهر في العصر العباسي أقوام شكيون ينزعون في الشك منزع السوفسطائيين اليونانيين. وقد أدى ذلك كله إلى فتح باب الاختلافات على مصراعيه، فدلف منه كل سراع إلى الباطل والتشكيك. وابتعدت المذاهب والفرق "الإسلامية" تدريجيا وفي خفاء عن الدين الأصل، فنجد من يقول بوجوب الاقتداء بهذا الإمام أو ذلك الشيخ أو شيخ الطريقة فلان،ولم يطلب أحد منهم الاقتداء بالأسوة الأولى والأخيرة للمسلمين جميعا وللناس كافة: الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه. وبدلا من القول بالرجوع إلى

القرآن والسنة وإلى الله ورسوله، يتم إزاحة هذا كله والانحراف إلى بدائل تبعد بنا عن الأصل الوحيد الحق. مَن مِن الصـ وفية يـ دعو مباشرة للتأسى بالنبي بدلا من شيوخهم أصحاب الطرق الشـ اذلية والرفاعيـ .ة والقادريـ .ة والأحمديـ .ة والنقشـ .بندية والتيجانيـ .ة والميرغنية...وغيرهم. وإذا سألتهم: ولماذا التأسي بغير النبي، قالوا من فورهم إنه أسوتهم الحقيقية. وإن كان الأمر كذلك فما جـ دوى التأسي بشيوخهم والاعتياض بأورادهم عن سنة نبيهم وقرآن ربه. أليس الأَولى الاقتداء بالأصل الذي لا يغني عنه الفرع. وأحلوا التكايا والخانقاوات مكان المسجد، وعكفوا على أورادهم بدلا من القرآن الكريم، وابتدعوا أذكارا خاصة بهم زعموا أن النبي أملاهـ ا علـ ى شيوخهم. والمقصود من هذه الأوراد والأذكار هو فك الارتبـ اط بين المسلم والقرآن وصرف الناس عن كلام ربهم . فبـ دلا مـ ن توجه المسلم بعقله ووجدانه إلى كتاب الله يقرأه ويهتدي بهكان هدف محرفي الدين هو توهين عرا هذه العلاقة والزعم أن النبي – بعد مماته!– أعطى هذه الأذكار إلى شيوخهم ومحتاليهم وعكف عليهـ ا المغفلون من مريديهم بعد أن ظنوا أن ثواب قراءتها يعدل قـ راءة القرآن ألوف المرات . ومن هذه الأذكار ما ابتدعه أحمد التيجـ اني

شيخ الطريقة التيجانية، وأسموها صلاة الفاتح وزعموا أنها تعـ دل كل ذِكر تُلي في الأرض ستين ألف مرة. ولإحكام حلقة تـ وهين هذا الارتباط بين المسلم وقرآنه اشترط المحرفون على المغفلـ ين الانصراف عن القرآن وعدم الانشغال به حتى يصـ ح إيمـ انهم. وانظر إلى أي مدى بلغ الاستخفاف .

وقد نُفهم علة انصراف همة اليهود أو الفرس أو الروم إلى محاربة الإسلام، ولكن من غير المفهوم مشاركة المسلمين أنفسهم في هذه المحاربة، فهم بين محدِث للتحريف أو مشارك فيه بالاتباع والطاعة، فمسخوا الإسلام وأفسدوه على أهله،وحدّوا من انتشاره إذ صدوا عنه العقلاء والساعين إلى الحقيقة ممن لا يرون فيه إلا خزعبلات وشعوذة وأتْباع سفهاء. فمن فرق الصوفية فرقة "الحيية" الذين يقولون: إن الله تعالى إذا أحب عبداً رفع عنه الحساب فيحل له كل النعم ويسقط عنه العبادات ولا يبقى في حقه حظر فلا يصلون ولا يصومون، ولا يسترون العورة، ولا يمنعون عن الزنا وشرب الخمر ولا

عن اللواطة ولا عن محظور ما.

ومنهم "الأوليائية" الذين يقولون: إن الولي أفضل من النبي والرسول ومن الآدميين والملائكة جميعاً، وإنه إذا بلغ الإنسان في العبادة الدرجة القصوى وفي الولاية الرتبة العليا لا يُحظر عليه

محظور، ويحل له كل شيء.

ومنهم "الإباحاتية" الذين يقولون: إن الأموال كلها على الإباحة، وكذا الفروج وليس للمُلاك إلا مجرد الاكتساب، ويستبيحون أموال الناس وفروج نسائهم.

ومنهم "الحلولية" الذين يستبيحون الرقص والغناء والنظر إلى الشاب الأمرد المليح الصبيح، ويقولون قد حلت بهذا الأمرد الصبيح صفة من صفات البارئ، فنحن نحبه ونعانقه لأجل تلك الصفة.

ومنهم "المتجاهلة" الذين يضربون الدفوف وينفخون في المزامير ويشربون الخمر ويأتون الفواحش، ويقولون بوجوب ترك الإرادة .

كذلك استباح القرامطة، وهم من الشيعة الإسماعيلية ، الزنا والخمر واللواط وسائر المحرّمات، وقالوا بشيوع المال والنساء ، وأباحوا نكاح المحارم من أخوات وبنات ، فانظر إلى قولهم وكيف كشفوا بهذا الكلام عن ضلالهم . وإن تعجب فاعجب ممن لا يرى في هذا التحريف مفارقة للدين والملة.

وأقوال العلماء في أمور الدين لا تؤخذ قضية مسلمة، بل لا بـ د من عرضها على الكتاب والسنة، فما وافقهما أخذ وما خالفهما رد. و الصحابة رضوان الله عليهم كانوا أعبد الناس وقد تحقق وا بهـ ذين الأصلين: الكتاب والسنة.

ويزعم الشيعة لأئمتهم قدرات خارقة ينازعون فيها الله سلطانه:"

قال أبو عبد الله[٤١]: إني لأعلم ما في السماوات وما في الأرض وأعلم ما في الجنة والنار وأعلم ما كان وما يكون" [٤٢] ..." وإن الإمام لا يخفى عليه كلام أحد من الناس ولا طير ولا بهيمة ولا شيء فيه الروح، فمن لم يكن هذه الخصال فيه فليس هو بإمام"[٤٣]. ويقول: "عندنا خزائن الأرض ومفاتحها وإن شئت أن أقول بإحدى رجليّ: أخرجي ما فيك من الذهب لأخرجت. ثم قال بإحدى رجليه فخطها في الأرض خطا، فانفرجت الأرض، ثم قال بيده فأخرج سبيكة ذهب وقال: إن الله سيجمع لنا ولشيعتنا الدنيا والآخرة ويدخلهم جنات النعيم ويدخل عدونا الجحيم "[٤٤]. وينسب الشيعة إلى جعفر الصادق قوله: " إن الله جعل عليا علما بينه وبين خلقه، ليس بينهم علم غيره!! فمن أقر بولايته كان مؤمنا ومن جحده كان كافرا، ومن جهله كان

٤١–هو جعفر الصادق ، الإمام السادس في سلسلة الأئمة الاثني عشرية ، وينسب الشيعة إليه معظم الفقه الشيعي

٤٢– الكافي ١/٢٠٤ كتاب الحجة باب أن الأئمة يعلمون علم ما كان وما يكون وأنه لا يخفى عليهم الشيء

٤٣–الكافي ١/٢٢٥ كتاب الحجة باب الأمور التي توجب حجة الإمام

٤٤– الكافي ١/٣٩٤–٣٩٥ كتاب الحجة. باب مولد جعفر بن محمد

ضالا ، ومن جاء بولايته دخل الجنة، ومن أنكرها دخل النار "[٤٥].
ومعيار الصلاح والاستقامة لدى الشيعة ليس العمل الصالح وطاعة الله ورسوله، وإنما هي الإقرار بولاية علي بن أبي طالب، فنسبوا إلى علي قوله:" لو أن عبدا جاء يوم القيامة بعمل سبعين نبيا ما قبل الله ذلك منه حتى يلقاه بولايتي وولاية أهل بيتي"[٤٦] .

ويقول المثل العربي:إذا كنت كذوبا فكن ذكورا. فبينما يزعم الشيعة في أهم كتبهم – وهو الكافي– أن أئمتهم يعلمون الغيب، يعود قائلهم وفي نفس الكتاب، لينفي ذلك:"عن أبي عبد الله قال: يا عجباً لقوم يزعمون أنا نعلم الغيب، ما يعلم الغيب إلا الله عز وجل، لقد هممت بضرب جاريتي

فلانة، فهربت مني فما علمت في أي بيوت الدار هي"[٤٧].
والصوفية يرون أن الاطلاع على الغيب ليس مستغربا فبمقدور أوليائهم ومشايخهم خرق أستار الغيب. ولمّا اصطدم زعمهم بقول الله تعالى:" عَالِمُ الْغَيبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ "[٤٨]، فلم يستثن أحدا إلا رسول،لم يجدوا غير التأويل

٤٥–الأصول من الكافي– ج١ص٤٣٧– أمالى الطوسي٤٢٢

٤٦–بحار الأنوار– محمد باقر المجلسي– ج٢٧ص١٧٢

٤٧– الكافي ١/٢٠٠ باب نادر فيه ذكر الغيب

٤٨– الجن : ٢٦، ٢٧

بالباطل، فقال لهم الصوفي الشهير أبو العباس المرسي:" وفي معناها– أي كلمة رسول، أو صديق أو ولي "[٤٩].

وسيقول لك الشيعة: من قال لك إننا نسلّم بكل ما في كتاب الكافي فإن فيه الصحيح والضعيف، وقال أحدهم في محاولة للتنصل مما جاء في كتبهم من باطل – وكان قوله كالعذر الأقبح من الذنب – قال بجواز تخطئة من كتبوا هذه الكتب فهم بشر وليسوا بمعصومين، وإن كتبهم ليست فوق مستوى الشبهات ككتاب البخاري عند أهل السنة! وإن تعجب فاعجب من هذا القول، فكيف يأخذ عاقل دينه ممن لا يوثق به وبعلمه. هذه واحدة، والثانية: ماداموا قد علموا أن كتب الحديث عند أهل السنة صحيحة وفوق مستوى الشبهات،فلمَ طرحوها وراء ظهورهم وانصرفوا إلى غيرها مما لا ينزهونها عن الخطأ والباطل؟

وقولهم بعدم نزاهة كتبهم عن الخطأ،إنما يقولون به إذا أُحيط بهم وعدموا الوسيلة للدفاع عن ما بها من باطل. في حين أن ذلك يتعارض مع ما قاله كبار علماء الشيعة من أن نصوص كتاب الكافي ﴿أشهر كتبهم الأربعة المؤسسة لملتهم ﴾ متواترة مقطوع بصحتها وهي أحسن الكتب الأربعة وأتقنها. وقد مضى على تأليف هذا الكتاب ما يقارب الألف سنة وبه ما به من الأباطيل،وزعموا

٤٩– ابن عطاء الله السكندري– لطائف المنن

أنهم عرضوه على جعفر الصادق فأقره، ولم يمحصوه أو يستخلصوا منه الباطل، لأنهم إن فعلوا لم يبق منه شيء.

ولابد لفِرق الباطل من آليات ووسائل تتركب بها الموجة وتسير بقوة دفعها. فالصوفية مثلا تمسحوا في البداية –ولا يزالون – في أهل الزهد والصلاح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وادعوا الانتساب إليهم. كما زعم الشيعة الانتساب إلى آل البيت النبوي والقول بمناصرتهم . وبعد أن ينخدع الناس بهذه الأكاذيب يمضي المضلون صوب الارتزاق باسم الدين والملة.

وانتحال الأسماء والصفات القديمة وتركيبها على أحوال جديدة وبمعاني مستحدثة، هو إحدى الحيل التي يتخذها الحائدون عن الحق لتحميل النصوص فوق ما أُريد بها. وهذا الانتحال من نوع انتحال كلمة"ذرّة"، الواردة في القرآن الكريم بالمعنى الذي قصده الله، ثم تركيب معني حديث لها من تكوين ذري إلكتروني للمادة ، ثم التهليل بأن القرآن يلاحق علوم العصر. ومثل ذلك كلمة أولياء الله الواردة في القرآن الكريم ، اقتبسها الصوفية وأطلقوها على فساقهم ليكتسبوا المعاني الواردة في القرآن بخصوص أولياء الله . الأمر الذي دعا بعض المحتالين من تسمية أنفسهم بألفاظ وردت في القرآن حتى يدللوا على أن القرآن بشر بهم، كالمحتال الذي ادعى النبوة في المغرب وسمى نفسه حاميم، وآخر سمى نفسه

كسفا.

ومن أساليب المضلين التنصل من أباطيلهم بنسبتها إلى بعض طوائفهم ، فيقول بها بعضهم دون البعض من أجل تبرئة الكل. فإذا اتهمت المبطل بما دلّس وافترى، تبرأ وأنكر وأزاح ما افترى إلى غيره ممن يصفونه بأنه ليس على شيء. وهكذا يتناوبون توزيع أكانيبهم ومفترياتهم بينهم، فلا يمكن للمنتقد أن يصيب ضالته في الإشارة إلى المبطل بعينه والإمساك به،فيتمكن من الإفلات بفعلته. ويغالي الشيعة في أئمتهم حتى رفعوهم مقاما عاليا يداني مقام الله: فيزعمون أن أبا جعفر قال "نحن لسان الله، ونحن وجه الله، ونحن عين الله في خلقه" ، وأنه قال: إن الله خلطنا بنفسه فجعل ظلمنا ظلمه وولايتنا ولايته"[٥٠] و " نحن والله وجه الله ننقلب في الأرض بين أظهركم ونحن عين الله في خلقه ويده المبسوطة بالرحمة على عباده"[٥١].

وذلك يثبت قول الشيعة بالاتحاد والحلول مثلما يقول بهما الصوفية. ويزعمون أن "للإمام عشر علامات: يولد مطهرا مختونا وإذا وقع على الأرض وقع على راحتيه رافعا صوته بالشهادتين ولا يجنب، وتنام عينه ولا ينام قلبه، ولا يتثاءب ولا

٥٠–الكافي ١ص١١٢–١١٣ كتاب التوحيد :باب النوادر

٥١–﴿الكافي ١/١١١ كتاب التوحيد: باب جوامع التوحيد﴾

يتمطى ويرى من خلفه كما يرى من أمامه، ونجفه ﴿فساؤه وضراطه وغائطه﴾ كريح المسك "[٥٢].

و يقولون:" إن الله خلقنا – أي أئمة الشيعة – من نور عظمته، ثم صور خلقنا من طينة مخزونة مكنونة من تحت العرش فأسكن ذلك الروح فيه، فكنا نحن خلقا وبشرا نورانيين. وخلق أرواح شيعتنا من طينتنا، وأبدانهم من طينة مخزونة مكنونة أسفل من ذلك الطينة ولم يجعل الله لأحد في مثل الذي خلقهم منه نصيبا إلا للأنبياء، ولذلك صرنا نحن وهم الناس، وصار سائر الناس همجاً للنار وإلى النار"[٥٣]. أما قولهم في محمد صلوات الله عليه وسلامه فلا يختلف عما يقوله أمثالهم من الصوفية الذين يزعمون أن الله خلق محمدا من نوره وأن هذا النور هو الذي استوى على العرش.

والشيعة يزعمون أن الله قال: يا محمد إني خلقتك وعليا نورا ﴿يعني روحا﴾ قبل أن أخلق سماواتي وأرضي وعرشي. ثم جمعت روحيكما وجعلتهما واحدة، ثم قسمتها اثنتين وقسمت اثنتين اثنتين فصارت أربعة: محمد واحد، وعلي واحد، والحسن والحسين اثنتان، ثم خلق الله فاطمة من نور ابتدأها روحا بلا بدن، ثم مسحَنا بيمينه

٥٢– الكافي ٣١٩/١ كتاب الحجة – باب مواليد الأئمة

٥٣– الكافي ٣٢٠/١ باب خلق أبدان الأئمة وأرواحهم وقلوبهم

فأفضى نوره فينا "[٥٤]. والحقيقة المحمدية في الفكر الصوفي هو الله المستوي على العرش كما قال ابن عربي: "الحقيقة المحمدية هي الموصوفة بالاستواء على العرش". "وأهل التصرف في الفكر الصوفي هم أهل الديوان الذين يتحكمون في المقادير وهم الغوث والأقطاب الأربعة" [٥٥]"ويرى إبراهيم الدسوقي الصوفي المعروف أن النبي محمد هو قبضة من نور الله، فهو جزء من ذات الله تعالى، كان قبل خلق آدم يحيا كملك في عالم الملكوت، فلما خلق الله آدم من تراب حلت فيه تلك الحقيقة المحمدية، ثم انتقلت من نبي إلى نبي، وبعد وفاته، انتقلت إلى علي بن أبي طالب، ثم ابنه الحسن، وهكذا ظلت تنتقل من قطب إلى قطب، حتى ظهر إبراهيم الدسوقي فحل فيه ذلك النور، أو تلك الحقيقة المحمدية ٥٦.

" قال أبو عبد الله[٥٧]" نحن واللهِ الأسماء الحسنى التي لا يقبل الله من العباد عملا إلا بمعرفتنا، بنا أثمرت الأشجار وجرت

٥٤– الكافي ٣٦٥/١ كتاب الحجة. باب مولد النبي ﷺ ووفاته

٥٥– عبد الرحمن عبد الخالق _ تفنيد الصوفية

٥٦– الأدب الصوفي في مصر – د. علي صافي حسين، نقلا عن الطرق الصوفية في مصر – الدكتور عامر النجار ص١٥٩–بتصرف

٥٧– نحن ، وكل مسلم ، ننزه آل البيت النبوي الشريف من أن يقولوا بأي مخالفة للدين ، ولكننا للتسهيل نذكر رواية الشيعة عنهم كما جاءت في كتبهم .

الأنهار، وبنا ينزل غيث

السماء وينبت عشب الأرض، وبعبادتنا عُبِدَ الله، ولولا نحن ما عُبِد" [٥٨]. وقال أحدهم: "دخلت على أبي جعفر عليه السلام فقلت له: أنتم تقدرون على أن تحيوا الموتى وتبرئوا الأكمه والأبرص؟ قال نعم بإذن الله"[٥٩]. ويقولون:" إن الدنيا والآخرة للإمام، يضعهما حيث يشاء ويدفعهما إلى من يشاء "٦٠. في حين يقول النبي صلى الله عليه وسلم: "لن يدخل أحدكم الجنة بعمله، قالوا: ولا أنت يا رسول الله، قال: "ولا أنا ما لم يتغمدني الله برحمة منه وفضل. والمسلم اليوم يجهل، وإن علم، لا يدري أصاب أم أخطأ، فإن أصاب خاف أن يكون قد أخطأ، وإن أخطأ رجا أن يكون قد أصاب. فقد تصادمت آراء وفتاوى فقهائه في أمور جلل وقضايا أساسية أجازها فريق وأنكرها آخر. ففي حين يرى فضيلة الشيخ عبد العزيز بن باز في فتوى له أن الشيعة أصحاب شرك أكبر، يرى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الأسبق الشيخ محمود شلتوت جواز تعبد أهل السنة بالمذهب الشيعي الاثنى عشري ﴿الجعفري﴾. لقد فعل الصوفية والشيعة بالإسلام الحنيف ما لم

٥٨- الكافي ١-١١١ كتاب التوحيد : باب النوادر

٥٩- ﴿الكافي ٣٩١/١ كتاب الحجة. باب مولد أبي جعفر محمد بن علي

٦٠- ﴿الكافي ٣٣٧/١ كتاب الحجة. باب أن الأرض كلها للإمام

يفعله غيرهم ، فقد نسبوا إلى الدين من التحريف والتخريف ما ينفّر العقلاء من الإسلام. وإذا كان المسلمون يأخذون على النصـ ارى تأليه المسيح فإن الشيعة لم ينزلوا أئمتهم بعيدا عن مقام الألوهيـ ة كما ألّه الصوفية مشايخهم وأعطوهم صلاحيات لا تكون لغير الله. ولا تجد باطلا أو خرافة في أي ملة من الملل إلا وجدتها وأسوأ منها في التراث الديني للمسلمين ." هل تجد عنـ د النصـ ارى أو اليهود. أو الوثنيين أو المشركين الأولين عقيدة ﴿تطور الولى﴾ التي يقول بها المسلمون الجاهلون؟ وهل عند أحد من هؤلاء مثل هـ ذه الآداب المبثوثة في كتب " العهود الوثيقة "التـ ي يـ زعم هـ ؤلاء المسلمون المغفلون أنها مما يجب على المريدين للأشياخ؟ وهـ ل يوجد في هؤلاء من يزعمون أن أولياء الله الصالحين الأبرار هـ م الذين يتركون الفرائض والطاعات والعبادات ويزنون جهارا ونهارا بالبهائم كالحمير ونحوها كما يزعم المخبول الشعراني في أوليائـ ه، وهل يوجد في هؤلاء من يدعون أن الولي الصالح قد يحقن العلوم والمعارف في أتباعه ومريديه بآلة ذكورته وأنه لذلك قد يُرى يزني ويفجر بالذكور والإناث ثم لا يكون في الحقيقة إلا حاقنا فيهم العلوم والمعارف والحكم"٦١. وهي علوم لدنية اكتسبوها وحيا مـ ن الله مباشرة أو أبلغهم بها النبي الكريم مشافهة كما يزعمون. والمدهش

---

٦١ –عبد الله القصيمي– كيف ذل المسلمون

أن رجال الدين في شغل عن المنافحة عن الإسلام، واكتفوا بأدوار هزيلة لا تخرج عن دائرة حفظ الأحكام، والصراخ على المنابر وهم يلقون خطب الجمعة ويزعقون مهددين بالويل والثبور لمن لا يحسن غسل أصابعه في الوضوء ويتوعدون من يفعل ذلك بالحريق في قعر السعير،ومنهم من يغادر المسجد بعد ذلك ليرقص على نقر الدفوف في حلقات الذكر التي يتحلق فيها مجاذيب الصوفية. ولله الأمر من قبل ومن بعد.

وما بقي من الدين وسلم من التحريف قتله الفقهاء بحثا وتفصيلا وفصلوا هذه التفاصيل إلى تفاصيل أخرى وكأنهم اسقوفوا من عداها،إذ تناول هذا البحث مسائل فرعية بتركيز شديد يوحي باستيفاء ما سواها، وأغفلوا تفنيد ما بعقائد الصوفية من إفك وضلال. ويتكلمون كثيرا في فقه الطهارة من الحيض ثم يغفلون كفريات غلاة الشيعة، والأمر على هذا النحو يوحي من طرف خفي بإقرار هذه الأباطيل،فلم يجد المسلمون البسطاء من يبين لهم باطل القول بالحلول والاتحاد والتناسخ متلما وجد من يحدثهم بالتفصيل عن الطهارة من الجنابة. ولم يجدوا من يفند لهم ما جاء في قول الشيعة من باطل كقولهم بألوهية الإمام وعصمته وغيبته ورجعته..الخ ومن العجيب أنه في الوقت الذي تقاعس فيه "الفقهاء" عن المنافحة عن الإسلام ، وجدنا منهم من يساير الصوفية بل و يتحدث بلسانهم،كذلك لم تعدم

الشيعية من يعتنقها من "الفقهاء"بل ويفتري الأحاديث التي يزعم أنها أحاديث نبوية، ويلتوي بتفسير القرآن الكريم لإقرار الباطل

وكان من هؤلاء "الفقهاء" من يعرف الباطل ويسكت عنه، وبالدينار يجعل من الحق باطلا، ومنهم من هو كثير العلم قليل العقل. ورجل الدين الذي لا ينتقد الأحوال شيطان أخرس، إذ إن السكوت في هذا المقام يعنى إقرار الواقع وإضفاء الشرعية عليه، فيتقبله العوام – وجُلّهم من الجهلة – دون إنكار أو تفكير في تغييره إذ برره لهم الفقيه العالم الذي يمثل في وجدانهم الحق والعدل ونظافة اليد والذمة.

وبينما أغلق أهل السنة باب الاجتهاد فتحه الشيعة على مصراعيه حتى دلف منه الباطل الذي ظنوه حقا، وليتهم لم يفعلوا، إذ فهموا أن الاجتهاد هو الشطح بلا ضوابط، والمضي على غير هدْى القرآن والسنة، فضلّوا وأضلوا. وقد كان غلق باب الاجتهاد من باب التخوف الشديد من تفكك وحدة العقيدة وعلومها بسبب تيارات الزندقة والتشيع والتصوف التي سادت في القرن الرابع الهجري. في حين كان الدافع إلى فتح باب الاجتهاد عند الشيعة هو تهيئة الوسيلة لتمرير التبريرات والشطحات والمخترعات، فقد أنكروا القياس في حين غالوا في الاجتهاد.أنكر ابن عمر على رجل عطس، فقال: الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله قائلاً له:

"ما هكذا علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بل قال إذا عط س أحدكم فليحمد الله ولم يقل: وليصل على رسوله"!! ٦٢، تلك كانـ ت حساسية الرعيل الأول من المسلمين لما كان عليه دينهم أيام الإسلام الأولى، ولم يكن ليقبلوا أي انحراف ولو كان طفيفا يخرج بهم عن دائرة الأصول المقررة.

٦٢- رواه الترمذي

التخريف والتحريف في العقيدة

اقتضت رحمة الله تعالى مد يد العون إلى الإنسان الذي كان يعوزه فهم عالمه ولا يدري من خلقه ولماذا خلقه وما هو المطلوب منه، وما هي الضوابط الحاكمة لحياته وحياة الآخرين، وما شابه ذلك من تساؤلات. وبمجيء الإسلام تم إرساء المفاهيم العقائدية والتصورات الإيمانية بشكلها النهائي وبجميع مكوناتها: الألوهية، والنبوة، والغيب، واليوم الآخر، والقضاء والقدر، والملائكة، والجنة والنار والثواب والعقاب. كذلك تم إرساء أسس العبادات الإسلامية: الصلاة والزكاة والصيام والحج. وكل تلك المفردات التي تشكل الإسلام الحنيف قد طالتها يد العبث والعابثين، وآمن بهذا التحريف والتخريف المغفلون، وسكت عنه المرتزقون. ومما تقدم من تحريف يصادم في جلاء التصور الإيماني الإسلامي الصحيح وفقا لما جاء في القرآن الكريم. ففي أمر الدين يجب المحاسبة على الفتيل والنقير، ولا يمكن الإغضاء عن بعضه وإلا جاز التنازل عنه كله. ولا قيمة لسلوك المسلم ما لم يكن قائما على التصور الإيماني الصحيح، فلا قبول لعبادات من تبطل تصوراته الإيمانية: فلا تصح صلاة من يرى أن ربه مفرَّق في مخلوقاته، ولا صيام لمن يعتقد أن الأئمة والأقطاب

والأغواث يشاركون الله في إدارة شؤون الكون، ولا حج لمن يطلب الشفاعة من المشايخ والأولياء والمقبورين ، ولا دين البتة لمن يقول بألوهية أئمة الشيعة أو برفع مقامهم فوق مقام النبي، أو القول برفع مقام مشايخ الصوفية فوق مقام النبي أو برفع مقام النبي لرتبة الألوهية، وكلها أباطيل روج لها الشيعة والصوفية. ونظرا للأهمية القصوى للتصور الإيماني الإسلامي، فإن الآيات المكية عنيت بإرسائه وتوضيحه طوال الثلاث عشرة سنة الأولى من البعثة النبوية، وبعد ذلك عني القرآن بالأحكام والتشريعات الحياتية التي تنظم أمور الناس وذلك في عشر سنين بالمدينة المنورة.

الألوهية: الحلول والاتحاد ووحدة الوجود:

يقول الصوفية بالحلول والاتحاد ووحدة الوجود: والحلول معناه حلول الله تعالى في مخلوقاته، فتحل الذات الإلهية في الذات الإنسانية، أي حلول اللاهوت في الناسوت ، كما تحل في سائر المخلوقات كالشجر والحجر. والاتحاد هو اتحاد ذواتهم مع الذات الإلهية. أما وحدة الوجود فتعني نفي الإثنينية بين الخلق والخالق والقول بأن الله أمر كلي لا وجود له إلا في ضمن جزئياته فالله–بزعمهم– موجود فقط في صورة مخلوقاته حتى الخنازير منها والكلاب –تعالى الله علوا كبيرا عما يصفون . ولتدمير الإسلام لجأ المبطلون إلى تقويض تصوراته ومفاهيمه

العقائدية فلا يلبث أن تتهاوى بنيته الإيمانية كلها، كما سبق وحـ دث مـ ع الديانات السماوية السابقة.

ويحاول البعض تبرئة الصوفية من القول بوحدة الوجود مثل ما فـ ي قول البسطامي: سبحاني، وقول الحلاج: أنا الحق، وما في الجبة غيـ ر الله، ويدفعون عن الصوفية هذه التهمة بقولهم إن الوحدة التي يقولون بها هي وحدة شهود وليست وحدة وجود – انظر التلاعب بالألفاظ – فوحدة الشهود –كما يقولون– هي أن يفنى الصوفي عن كل شيء سوى الله فلا يشاهد غيره في الوجود. ويرى ابن عربي[٦٣] أنه ليس في الوجـ ود، بما فيه من مخلوقات وموجودات، سوى الله، ولا معبود في الواقع سوى الله، حتى وإن كانت المعبودات من الأصنام أو الحيوانات. وأنه لا فـ رق بين الله ومخلوقاته، وذلك هو القول بوحدة الوجود، فيقـ ول إن وجودنـ ا وجود الله، ونحن مفتقرون إليه من حيث وجودنا، وهو مفتقر إلينا مـ ن حيث ظهوره لنفسه، واسمعه يقول:

فيحمدني وأحمده ويعبدني وأعبده

كما يقول:

لقد صار قلبي قابلا كل صورة فمرعى لغزلان ودير لرهبان

٦٣– هو محي الدين بن عربي الصوفي الأشهر المعروف بالشيخ الأكبر والكبريت الأحمر ، ولد في مرسية سنة ٥٦٠ هجرية

وبيت لأوثان وكعبة طائف وألواح توراة ومصحف قرآن
أدين بدين الحب أني توجهت ركائبه فالحب ديني وإيمـ اني

لذا لم يكن غريبا أن يجترأ صوفي آخر فيقول:

وما الكلب والخنزير إلا إلهنا وما الله إلا راهب في كنيسة".[٦٤]

وحرّف الصوفية مفهوم الألوهية بقولهم بـ الحلول والاتحـ اد ونفي الاثنينية بين الخالق والمخلوق والقول بأن الله لا يوجـ د إلا في مخلوقاته ، فطال عبثهم مفهوم الألوهية والوحدانية، منلما طـ ال مفهوم النبوة، كما صورها القرآن الكريم.

وسبق أن قال بوحدة الوجود كل مـ ن النصـ ارى واليهـ ود والهنود. "وزعم ابن عربي أن موسى علم أن أصحاب العجـ ل – ممن أطاعوا السامري – ما عبدوا إلا الله، لأن الله قال: {وقضـ ى ربك ألا تعبدوا إلا إياه} ٦٥، فجعل هذا القضاء قضاء كونياً قدرياً، وأن الله ما حكم بشيء إلا وقع، ومعنى هذا عنده أن كل معبود في الأرض إنما هو الله، وما عبد الإنسان شيئاً حجراً أو غيره إلا عبد الله، مستدلاً بالآية السالفة بمعنى حكم وأمر "[٦٦]. ولا يتورع ابن عربي أن ينسب ما في الوجود من شر وقبائح وظلم وسفك دم إلى

٦٤–محمد بهاء الدين البيطار "أحد مشايخ الصوفية"– كتاب النفحات القدسية

٦٥– الإسراء:٢٣

٦٦ – عبد الرحمن عبد الخالق – تفنيد الصوفية

الله، بل يجعل كل ذلك هو الله فيقول: " فالعلي لنفسه هو الذي يكون له الكمال الذي يستغرق به جميع الأمور الوجودية، حيث لا يمكن أن يفوته نعت منها، وسواء كانت محمودة عرفاً وعقلاً وشرعاً، أو مذمومة عرفاً وعقلاً وشرعاً، وليس ذلك إلا لمسمى الله خاصة "[٦٧]

ولم يكتف بهذا القول المجمل، بل فصل ذلك أيضاً حيث جعل الكبش الذي أنزله الله فداءً لإسماعيل من الذبح هو الله، تعالى الله علوا كبيرا عما يصفون. يقول ابن عربي:

"فيا ليت شعري كيف ناب بذاته شخيص كبش عن خليفة رحمان"[٦٨]

فوقتاً يكون العبد رباً بلا شك ووقتاً يكون العبد عبداً بلا إفك

فإن كان عبداً كان بالحق واسعاً وإن كان رباً كان في عيشة ضنك[٦٩]

"ومع بداية القرن الثالث الهجري ابتدأ المتصوفة بالتصريح بشيء من علومهم الباطنة فأنكر بعضهم على بعض، فهذا الجنيد يقول للشبلي –

٦٧– الفصوص ص٧٩. نقلا عن تقنيد الصوفية

٦٨– ابن عربي – فصوص الحكم ص٨٤

٦٩–الفصوص ص٩٠

وكلاهما من مشاهير الصوفية: "نحن حبرنا هذا العلم تحبيراً ، ثم خبأناه في السراديب، فجئت أنت فأظهرته على رؤوس الملأ " فرد عليه الشبلي بقوله: "أنا أقول وأنا أسمع فهل في الدارين غيري"[٧٠]. وكان ذلك هو أول القول بوحدة الوجود. وفي نهاية القرن الثالث وأوائل القرن الرابع كان الصوفيون قد قالوا على الملأ بعلومهم الباطنة الباطلة من الحلول والاتحاد والفناء في الله . وابن عربي كبير الصوفيين وسيدهم وهو القائل بوحدة الوجود، يجترئ على الله "فيصوره في صورة رجل وامرأة يقترفان الإثم، مؤكداً لأتباعه أن الجسدين الآثمين هما في الحقيقة ذات الله"[٧١]، تعالي الله علوا كبيرا عما يصفون. كما يزعم أن الله خلق الإنسان على صورته، مع أن ذلك يناقض ما سبق وافتراه من أن جميع المخلوقات هي صورة لله ولا تنفرد صورة واحدة بأن تكون مثلاً للخالق، فالله عند القائلين بوحدة الوجود هو عين وجود الشياطين والملائكة والإنس والجن، والحيوان والنبات. "ويزعم ابن عربي في كتابه "التجليات" أنه التقى برجال التصوف السابقين في البرزخ وناقشهم في عقائد التوحيد هذه، وبين لهم خطأهم وعرفهم في النهاية أن لا موجود إلا الله، وأن الله والعبد شيء واحد، وأنهم

٧٠- محمد الكلاباذي أبو بكر – التعرف على مذاهب أهل التصوف ص١٤٥

٧١- عبد الرحمن عبد الخالق –تفنيد الصوفية

أقروا جميعاً بذلك".[٧٢] وينسب الشيعة إلى جعفر الصادق –وهـ و الإمـ ام السادس في سلسلة الأئمة الاثنى عشرية– أنه قال: "لنا مع الله حـ الات، نحن فيها هو، وهو نحن". مما يعني صريح القول بـ الحلول والاتحـ اد. ويلوون معاني القرآن لتثبت حلول الله في أئمتهم:"عن أبي جعفر قال فـ ي قول الله تعالى: "وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ " ٧٣ قـ ال: إن الله خلطنا بنفسه فجعل ظلمنا ظلمه وولايتنا ولايته"[٧٤]، وهو عين القـ ول بالاتحاد والحلول الذي يقول به أقطاب الصوفية مثل الحلاج وابن عربي. والصوفية الاتحادية الذين يقولون بأن وجود الخالق هو وجـ ود الخلـ ق يصرحون بأن "وجود "يغوث" و"يعوق" و"نسرا" وغيرها من الأصنام هو وجود الله وأنها عُبدت بحق وكذلك العجل عبد بحق وأن موسى أنكر على هارون من نهيه عن عبادة العجل وأن فرعون كان صادقا في قوله أنـ ا ربكم الأعلى وأنه عين الحق وأن العبد إذا دعا الله تعالى فعين الداعي عين المجيب وأن العالم هويته ليس وراء العالم وجود أصلا"[٧٥].

٧٢– تفنيد الصوفية

٧٣– البقرة ٥٧

٧٤– الكافي ١١٣/١ كتاب التوحيد: باب النوادر

٧٥–ابن تيمية– الرد على ابن عربي

وتزعم فرقة "البنانية" من الشيعة أن الله تعالى حل في علي رضى الله عنه وفى أولاده، وأن أعضاء الله تعالى تعدم كلها ما خلا وجهه لقوله تعالى: كُلُّ مَنْ

عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الجَلالِ وَالإِكْرَامِ ٧٦ . وفرقة "الخطابية" يزعمون أن الله تعالى حل في علي ثم في الحسن ثم في الحسين ثم في زين العابدين ثم في الباقر وفي الصادق. و النصيرية يزعمون أن الله تعالى كان يحل في علي في بعض الأوقات وفي اليوم الذي قلع عليّ باب خيبر كان الله تعالى قد حل فيه. و "الأسجافية" وهم على هذه المقالة، وهذه الطائفة باقية في حلب وفي نواحي الشام .و"الأزلية " يزعمون أن عليا قديم أزلي ومعه عمر بن الخطاب. "واليونسية" يزعمون أن النصف الأعلى من على بن أبي طالب كرم الله وجهه محوف وهو من الله، وأن النصف الأدنى منه مصمت .انظروا ما آل إليه أمر ديننا العظيم ومالطخوا به صفحته من التحريف والتخريف.

ويزعم الشيعة أن أئمتهم قادرون على الإحياء والإماتة ، مع أن ذلك من القدرات الإلهية فقط، ولا يحي ويميت غير الله تعالى، فيقولون عن أئمتهم :" إنهم يحيون ويميتون "[٧٧]. وسأل أحدُهم أبا جعفر: أنتم تقدرون

٧٦- الرحمن-٢٦، ٢٧

٧٧-الكافي ٤٢٦/١

على أن تحيوا الموتى وتبرئوا الأكمه و الأبرص؟ قال نعـ م بـ إذن الله "[٧٨].

وكان مشركو قريش يزعمون أن أصنامهم تقربهم إلـ ى الله، ولـ م يقولوا بأن هذه الأصنام هي الله ذاته، أي قالوا بأن الله واحد ولكـ ن لـ ه شركاء: فتلك الأصنام وسائط تقربهم إلى الله زلفى، في حين قال الشيعة والصوفية بأسوأ من ذلك، إذ قالوا بألوهية علي بن أبي طالب والنبي محمد صلى الله عليه وسلم. وادعى الكثيرون مـ ن اتبـ اع الفـ رقتين النبـ وة والألوهية: فمن الشيعة ادعاها أبو الخطاب الأسدي، ومن الصوفية ادعاها الحلاج والشلمغاني، وغيرهم كثيرون. ومنهم من لم يكتـ ف بمرتبـ ة الألوهية بل مضى أبعد من ذلك وزعم أنه كبير الآلهة كما فعل الصوفي ابن عربي الذي يجله الكثيرون من "متقفي" المسلمين إلى الآن.

ولا تنتهي مزاعم ادعاء الفضل والتميز، فيزعم الشيعة أن عليا قـ ال –وحاشاه أن يكون قد قال–:" أنا عين الله، وأنا يد الله، وأنا جنـ ب الله" [٧٩]، وأن الله أعطى أئمتهم الأرض وفوضهم في التصرف فيها، فعن أبـ ي جعفر أنه قال:"....ثم خلق جميع الأشياء وفوض أمورها إلـ يهم. فهـ م يحلون ما يشاءون ويحرمون ما يشاءون. ولن يشاءوا إلا أن يشـ اء الله

٧٨–﴿الكافي ١–٣٩١ –كتاب الحجة–باب مولد أبي جعفر محمد بن على

٧٩–﴿الكافي ١/١١٣ كتاب التوحيد– باب النوادر﴾.

[٨٠]. وزعموا أن الدنيا والآخرة للإمام يضعهما حيث يشاء ويدفعهما إلى من يشاء "[٨١] ، أي أنهم أعطوا صلاحيات الإله للإمام . ويزعمون أن الأئمة يعلمون الغيب وكل شيء، قال أبو عبد الله: " أي إمام لا يعلم ما يصيبه وإلى ما يصير، فليس ذلك بحجة لله على خلقه" [٨٢]، وقال:" لو كنت بين موسى والخضر لأخبرتهما أني أعلم منهما ولأنبأتهما بما ليس في أيديهما، لأن موسى والخضر أعطيا علم ما كان ولم يُعطيا علم ما يكون وما هو كائن حتى تقوم الساعة، وقد ورثناه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وراثة" [٨٣].

وكلما أوغل المبطلون في ضلالهم ووجدوا من يصدقهم، ازدادوا عتوا وتجاوزوا حدود الخيال المريض، و إن دل ذلك الإيغال على شيء فإنما يدل على مدى تلطخ العقل المسلم بأوحال الجهل والضلال التي تعجزه عن رفض ما يصور له على أنه الإسلام الحنيف، وانظر – مثلا– فيما

٨٠– الكافي ١/٣٦٥ كتاب الحجة. باب مولد النبي ﷺ ووفاته﴾.

٨١–﴿الكافي ١/٣٣٧ كتاب الحجة. باب أن الأرض كلها للإمام﴾.

٨٢ –﴿الكافي ١/٢٠٢ كتاب الحجة باب أن الأئمة يعلمون متى يموتون وأنهم لا يموتون إلا باختيارهم﴾.

٨٣–﴿الكافي ١/٢٠٤ كتاب الحجة باب أن الأئمة يعلمون علم ما كان وما يكون وأنه لا يخفى عليهم الشيء

يزعمونه قول أبي عبد الله:" إني لأعلم ما في السماوات وما في الأرض وأعلم ما في الجنة والنار وأعلم ما كان وما يكون"٨٤، "و أن الإم ام لا يخفى عليه كلام أحد من الناس ولا طير ولا بهيمة ولا شيء فيه الروح، فمن لم يكن هذه الخصال فيه فليس هو بإمام" ٨٥. أي أنه يكتسب جميع صلاحيات الله .

ويزعم بعض المتصوفة أن من كرامات أوليائهم إحياء الموتى، فهذا أحمد البدوي تستغيث به امرأة ليحيي ولدها الذي مات "فمد أحمد البدوي يده إليه ودعا له فأحياه الله تعالى "[٨٦]. والبدوي يميت من يتعرض له م ن الأحياء كما فعل مع معارضيه في العراق، فقد قال لهم موتوا فوقعوا على الأرض

قتلى، ثم قال: قوموا بإذن من يحي ويميت الأحياء، فقاموا "[٨٧]. وه ذه الأقوال ممتنعة من الناحية الإيمانية، وكفى بالمرء جهلا أن يصدقها.

٨٤– ﴿الكافي ٢٠٤/١ كتاب الحجة باب أن الأئمة يعلمون علم ما كان وما يكون وأنه لا يخفى عليهم الشيء

٨٥– الكافي ٢٢٥/١ كتاب الحجة باب الأمور التي توجب حجة الإمام﴾

٤– الجواهر السنية ص ٤٦، نقلاً عن ﴿السيد البدوي بين الحقيقة والخرافة﴾ د. أحم د صبحي منصور ٢٣٣.

١ – المرجع نفسه، نقلاً عن السيد البدوي ..ص ٢٣٤ .

يقول الله تعالى في كتابه العزيز:" وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ "٨٨، ويزعم الشيعة أن أبا عبد الله قال: " نحن واللهِ الأسماء الحسنى التي لا يقبل الله من العباد عملا إلا بمعرفتنا، فبنا أثمرت الأشجار وجرت الأنهار، وبنا ينزل غيث السماء وينبت عشب الأرض، وبعبادتنا عُبِدَ الله، ولولانا ما عُبِد" [٨٩].

ويعتقد الصوفية عقائد شتى في الأولياء ، فمنهم من يفضّل الولي على النبي ، ومنهم من يجعل الولي مساوياً لله في كل صفاته، فهو يخلق ويرزق ، ويحيي ويميت، ويتصرف في الكون. ولهم تقسيمات للولاية

: فهناك الغوث، والأقطاب، والأبدال والنجباء حيث يجتمعون في ديوان لهم في غار حراء كل ليلة ينظرون في المقادير .

ولأن جذور التشيع والتصوف تعود إلى اليهودية ، لذا يسهل اكتشاف أوجه الشبه بين الباطل اليهودي والصوفي والشيعى. يقول الرابي مناحيم: "إن الله تعالى يستشير الحاخامات على الأرض عندما توجد مسألة معضلة

٨٨- الأعراف ١٨٠

٨٩- الكافي ١/١١١ كتاب التوحيد: باب- النوادر﴾.

لا يمكن حلها في السماء" ٩٠. وهل تجد فرقا بين ما يفتريه اليهود وما يفتريه الشيعة إذ يكذبون على عبد الله بن مسعود أنه قال: أتيت فاطمة صلوات الله عليها، فقلت لها أين بعلك؟ فقالت:عرج به جبريل عليه السلام إلى السماء، فقلت: فيما ذا؟ فقالت: إن نفرا من الملائكة تشاجروا في شيء فسألوا حكما من الآدميين فأوحى الله تعالى إليهم، أن تخيروا، فاختاروا علي بن أبي طالب عليه السلام" [٩١] وقالوا: "إن النبي وعليا وفاطمة والأئمة الاثني عشر هم العلل الأربع لخلق العالم"[٩٢]. ويقول الشعراني عن الرفاعي، وهما الصوفيان المشهوران: "كان الرفاعي قطب الأقطاب في الأرض، ثم انتقل إلى قطبية السماوات، ثم صارت السماوات السبع في رجله كالخلخال"[٩٣]. في حين أن الحبيب المصطفي سيد ولد آدم ينهى الناس أن ينزلوه غير مكانته، عن أنس رضي الله عنه قال: إن أناسا قالوا: "يا رسول الله، يا خيرنا وابن خيرنا

وسيدنا وابن سيدنا، فقال:﴿ يا أيها الناس قولوا بقولكم، ولا يستهوينكم الشيطان،أنا محمد عبد الله ورسوله، ما أحب أن ترفعوني

٩٠– د . غازي حسين –العنصرية والإبادة الجماعية في الفكر والممارسة اليهودية

٩١–الشيخ المفيد –الاختصاص–ص٢١٣

٩٢–أحمد الأحسائي–كتاب شرح الزيارة–نقلا من تبديد الظلام

٩٣–الشعراني –لطائف المنن

فوق منزلتي التي أنزلني الله عز وجل".[٩٤]

ويرى الصوفية أن الولي هو من يتولى الله سبحانه أمره فـ لا يكله إلى نفسه طرفة عين ." و أنه يُسلب من جميـ ـع الصـ فات البشرية ويتحلى بالأخلاق الإلهية ظاهرا وباطنا، ويتساوى مع الله، ويعتقدون أن الأولياء لهم القدرة علـ ى إذ زال المطـ ر وشـ فاء الأمراض وإحياء الموتى وحفظ العالم من الدمار" [٩٥]. ويقولون إن الغوث الأكبر واحد، وكل غوث له أقطاب أربعة في الأرض، لكلّ واحد منهم قسم من الأرض، ولكل واحد من هؤلاء الأربعة سبعة، يتحكم كل واحد منهم في قارة من القارات السـ بع بـ أمر الغـ وث والنجباء وكل واحد منهم يتصرف في مصائر الخلق.

ولما كان يُستدل على عقل الرجل بقوله، وعلى أصـ له بفعلـ ه، وجب على السائل عن الشيعة والصوفية أن يقرأ ما يكتبون، ويشهد ما يفعلون. "يزعم الشيعة أن أعمال العباد تّعرض على الأئمة كـ ل يوم، وأن الله اختصهم بعلم ما كان، وما يكون، وما لم يكـ ن، وأن لهم أن يحلوا ما حرم الله وأن يحرموا ما أحل الله، وأنهم شركاء الله في جنته وناره، وأن الله أشهدهم خلق الخلائق، وفـ وض إلـ يهم التصرف في الكون، وفرض طاعتهم على جميع الكائنات، وأنهـ م

---

٩٤ – رواه النسائي بسند جيد

٩٥– صور من الصوفية–أبو العزايم جاد الكريم

أركان الأرض ولولاهم لساخت بمن فيها "[٩٦]. والشيعة من فرقة "المفوضية" يزعمون أن الله تعالى خلق أرواح علي وأولاده وفوض العالم إليهم فخلقوا هم الأرضين والسماوات.

و يزعم الشيعة الإمامية الاثنا عشرية أن علي بن أبي طالب قال:

" انتقل النور إلى غرائزنا ولمع في أئمتنا، فنحن أنوار السماء وأنوار الأرض، فبنا النجاة ومنا مكنون العلم، وإلينا مصير الأمور، وبمهدينا تتقطع الحجج"٩٧ ،... " ونحن الذين بنا تمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، وبنا

تمسك الأرض أن تميد بأهلها، وبنا ينزل الغيث، وتنشر الرحمة٩٨. يقول الخميني في كتابه ﴿ الحكومة الإسلامية ﴾: " إن للإمام مقاماً محموداً ودرجة سامية، وخلافه تكوينية تخضع لولايتها وسيطرتها جميع ذرات هذا الكون "[٩٩]. فالكون بذلك خاضع لولايتهم وسيطرتهم وتصرفهم ، وماذا بقي بعد ذلك من

٩٦- إبراهيم السليمان الجبهان- تبديد الظلام وتنبيه النيام – ص ١٨٧

٩٧- مروج الذهب للمسعودي ٣٣/١ /

٩٨- انظر نشأة الفكر الفلسفي ﴿النشار﴾ ٢٩٧/٢ .

٩٩- الحكومة الإسلامية للخميني ٥٢ .

صلاحيات إلهية لم يدعوها لأئمتهم؟

وقضية الحلول تكاد تكون متطابقة عند كل من الحلاج الصوفي وغلاة الشيعة. فقد كان الحلاج يقول في دعائه: "يا إله الآلهة ويا رب الأرباب، ويا من لا تأخذه سنة ولا نوم رد إلي نفسي لئلا يفتن بي عبادك، يا من هو أنا، وأنا هو لا فرق بين آنيتي وهويتك، إلا الحدث والقدم" .

والحلاج هو الذي وُجدت عنده ورقة مكتوب فيها "من الرحمن الرحيم إلى فلان ابن فلان". و يزعم أبو الخطاب الأسدي الشيعي أن الله خلق روح علي وأولاده وأسند إليهم أمر العالم فخلقوا هم السماوات والأرض. لذا فإن منهج الصوفية وغلاة الشيعة في القرن الثالث الهجري كان منهجاً واحداً وعقيدة واحدة، فالحلاج كان صاحباً لكبار رجال التصوف المشهورين كالجنيد البغدادي والشبلي وذلك في القرن الثالث الهجري وقت ميلاد التصوف من رحم التشيع، والجنيد نفسه قد أرسل إليه عندما حُكم عليه بالقتل والصلب يقول: " إنك أفشيت أسرار الربوبية فأذاقك الله طعم الحديد"! وأما الشبلي فيقول: "كنت أنا والحسن بن منصور ﴿الحلاج﴾ شيئاً واحداً غير أنه تكلم وسكت أنا". فالصوفية كانوا مع غلاة الشيعة شيئاً واحداً عقيدة وهدفاً.. عقيدة في الحلول، وإن اختلف المحلول فيه، وهدفاً واحداً في العمل على تحريف دين الإسلام.

وكما طال الانحرافُ العبادات كذلك طال التصورات العقائدية: فالتوحيد هو الإقرار بوحدانية الله وإفراده بالعبادة، لكن الشيعة يرون أن التوحيد هو الإيمان بالإمامة والولاية: أي إمامة علي بن أبي طالب والأئمة من بعده، وأن إنكارها هو الكفر والشرك.ولما حددوا أركان الإسلام الخمسة استبدلوا الولاية بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله. أي أنهم أحلوا مبدءا دنيويا يتعلق بالحكم – وهو الولاية– مكان أهم مبدأ عقيدي أرساه الإسلام وهو التوحيد الذي استغرق إرساؤه في الضمير المسلم ثلاث عشرة سنة من الدعوة في مكة المكرمة، فنسبوا إلى أبي جعفر قوله: "بُني الإسلام على خمسة أشياء: على الصلاة، والزكاة، والحج، والصوم، والولاية. ولما سُئل: وأي شيء من ذلك أفضل، فقال الولاية أفضل"[١٠٠]، أي أن الشهادة بولاية علي بن أبي طالب أهم من الإقرار بوحدانية الله وأن محمدا رسوله. وقالوا: "من أشرك مع إمام إمامته من عند الله مع من ليست إمامته من الله كان مشركا بالله"[١٠١].. ويرى الصوفيةُ أن شهادة " لا إله إلا الله " هي توحيد العامة والدهماء ممن ينقصهم العلم، ويقولون بتوحيد الخاصة ممن يعلمون ويعقلون علومهم العلوية فيزعمون أن " لا موجود غير الله

١٠٠– الكافي في الأصول" ص١٨ ج٢ ط إيران

١٠١–﴿الكافي ٣٠٥/١ كتاب الحجة: باب من ادعى الإمامة وليس لها بأهل

" بمعنى أن الكون كله مظ اهر لله وينف ون الإثنينيـ ة بـ ين الله ومخلوقاته وذلك هو القول بوحدة الوجود. كما يقولون:من أشرك بشيخه شيخا آخر فقد أشرك بالله .فالشرك في نظرهم ليس عـ دم إفراد الله تعالى بالألوهية، وإنما هو عدم إفراد شـ يوخهم بالطاعـ ة والتبعية والاتباع. وإذا اختل معيار التوحيد انحلت بنية العقيدة كلها.

ومن مكائد أعداء الإسلام – الصوفية والشيعة – النيل من مكانة النبي الكريم إما بالغلو فيه وتقريبه من مقام الألوهية، أو وضعه في مرتبة أدنى من مشايخهم وأئمتهم، وذلك برفع مقام أوليائهم وأئمتهم فوق مكانته، وتركيز الأضواء وهالات التقديس على هؤلاء الأولياء والمشايخ والأئمة ، بل يصل الأمر أحيانا إلى سب النبـ ي الكـ ريم، فيرمي الصوفي الشهير ابن سبعين[١٠٢] النبي صلى الله عليه وسـ لم بالكذب فيقول:" لقد كذب ابن أبي كبشة– يقصد به النبـ ي الكـ ريم– حين قال لا نبي بعدي ". وتتراوح منهج تحريف الإسلام الحنيـ ف بين الطرح الخرافي والطرح الهزلي إن صح التعبير، واقرأ كتـ ب الشيعة لتعرف كيف يسـ خرون مـ ن النبـ ي بتصـ ويره بشـ كل كاريكاتوري "هزلي" فيقولون: "لما وُلد النبي مكث أياما ليس لـ ه لبن. فألقاه أبو طالب على ثدي نفسه، فأنزل الله فيه لبنا فرضع منـ ه

---

١٠٢ – وهو عبد الحق بن محمد بن نصر الاشبيلي المرسى القرمطي ، ولد سنة ٦١٤ وتوفى سنـ ة٦٦٩ هجريـ اً

أياما حتى وقع أبو طالب على حليمة السعدية فدفعـ ـه إليهـ ـا" [١٠٣].
وقالوا:" إن النبي كان يؤتى به الحسين فيلقمه لسانه فيمصه فيجتزئ به. ولم يرضع من أنثى"[١٠٤]. ويزعم الصـ ـوفية أن النبـ ـي يـ ـأتيهم شخصيا أو مناما لتبليغهم الأخبار والأذكار والأوراد.بـ ـل ويملـ ـيهم الكتب التي يستكملون بها العقيدة. والقول بأن النبي يبلغ أمتـ ـه بعـ ـد مماته إنما يعني تقصيره –حاشاه– في تبليغ الرسالة في حياته، وهو أمر يصادم الحقيقة وتنفيه شهادة الله تعالى بكمال الدين وتمامه. ولو كان النبي يأتي الناس بعد مماته فهو إذن يخرق سنة الله التي سـ ـنها لعباده إذ قضى بموتهم جميعا وبعثهم يوم القيامة، وإن يخرق النبـ ـي هذه السنة فهو إذن إله وليس ببشر. وإن كان بوسعه العودة إلى الدنيا لتعليم شيوخ الصوفية الأذكار والأوراد، فما كان أحراه أن يظهر في مواطن كثيرة كان ظهوره فيها أهم من مقابلة محتـ ـالي الصـ ـوفية، مثلا: لحل نزاع المسلمين في حروب الجمل وصـ ـفين ، وهـ ـي حروب مات من جرائها عشرات الألوف من المسلمين، أو مساعدة المسلمين أيام هزائمهم على أيدي الصليبيين والتتار، أو لدرء استباحة المدينة المنورة في موقعة الحرة وغير ذلك. ومم ـا لا أسـ ـتطيع فهمه، قول البعض إن النبي أتاه في المنام وأخبره أنه سيعبر مـ ـع

١٠٣– عن أبي عبد الله ﴿الكافي ٣٧٣/١ كتاب الحجة. باب مولد النبي ووفاته﴾.

١٠٤– عن أبي الحسن ﴿الكافي ٣٨٧/١ كتاب الحجة. باب مولد الحسين

الجيش في حرب أكتوبر ٧٣، وأنه شوهد فعلا – أي النبي– م ع العابرين لقناة السويس! والنبي الحبيب غير مستطيع بذاته، فه و لا يقدر أن يبعث نفسه من الموت ويعود إلى الحياة الدنيا وقد قال ع ن نفسه إنه لا يعلم ما يُصنع به غدا، فقدراته بشرية وتس ري علي ه القوانين البشرية، فقد مات ولن يعود إلى الحياة الدنيا وإلا كان إله ا. وإذا أراد الله له أن يعود إلى الحياة الدنيا–خرق ا للن اموس–الـ ذي وضعه للناس من الأزل وللأبد وهو عدم عودة الموتى إلى الحياة، فلابد – جدلا– أن تكون الغاية من هذا البعث جليلة وض رورية، فلا تكون لمثل مقابلة شيوخ الصوفية ، أو مشاركة الجنود عب ور القناة. والزعم بمشاركة النبي للجنود في حرب أكتوبر يسئ إليه ولا يمتدحه إذ أفسحوا المجال لمن يقول: أين كان النبي عندما ح دثت الثغرة ولماذا لم يسترد سيناء أو لماذا لم يحرز نص را حاس ما. ويحدثنا التاريخ أن المسلمين هُزموا في أُحد وكادت تحي ق به م الهزيمة في حُنين مع أن النبي كان معهم . ولكن المبطلين يري دون ترويج القول بعودة النبي إلى الدنيا حتى لا يكون مستغربا ق ولهم بعودة أمثال البدوي للحياة ليصنع الحلوى للصوفي عب د الوه اب الشعراني احتفالا بفض بكارة زوجته.

يقول ابن عربي كبير الصوفية: إن ذات محمد صلى الله علي ه وسلم هي أول ذات تكونت من الهباء وهي التي اس توت عل ى

العرش الإلهي، ومن نور هذه الذات خلق الله الخلق جميعاً بعد ذلك فالملائكة والسماوات والأرض كل ذلك قد خلق من نـ ور الـ ذات الأولى وهي الذات المحمدية . ويواصل ابن عربـ ي افتراءاتـ ه فيزعم أن النبي أعطاه كتابا وأمره بتبليغه للنـ اس، وهـ و كتـ اب "فصوص الحكم" وهو الكتاب الذي جعله خاتمة لأعمالـ ه جامعـ اً لعقيدته،يقول فيه: " أما بعد فإني رأيت رسول الله صلى الله عليـ ه وسلم في مبشرة أريتها في العشر الآخر من المحرم سـ نة سـ بع وعشرين وستمائة بمحروسة دمشق، وبيده صلى الله عليه وسـ لم كتاب، فقال لي: هذا "كتاب فصوص الحكم خذه واخرج بـ ه إلـ ى الناس ينتفعون به، فقلت: السمع والطاعة لله ولرسوله وأولي الأمـ ر منا كما أمرنا" ثم يقول: فحققت الأمنية، وأخلصت النية، وجـ ردت القصد والهمة إلى إبراز هذا الكتاب كما خطه لي الرسول صلى الله عليه وسلم من غير زيادة ولا نقصان"[١٠٥]. والغلو في مقـ ام النبـ ي الكريم وإعطائه صلاحيات إلهية إنما هو كفر بواح لا يراد به في الواقع سوى تشويه مقام النبي والنبوة.وها هو البوصـ يري أحـ د مشاهير الصوفية يقول في قصيدته الشهيرة " البردة":

يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به سواك عنـ د حلـ ول

١٠٥–الفصوص، ص٤٧، طبع بيروت. تحقيق: أبو العلاء عفيفي

الحادث العمم

إن لم تكن في معادي آخذا بيدي فضـ ـلا وإلا فقـ ـل يازلة القدم

فإن من جودك الدنيا وضرتها ومن علومك علـ ـم اللوح والقلم

كما يقول في همزيته "قصيدة أخرى":

هذه علتي وأنت طبيب ليس يخفى عليك في القلب داء

والملاذ لا يكون إلى غير الله، والنبي لا يعلم علم اللوح والقلم،ولا يعلم الغيب، وهو القائل:لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد الله فقولوا عبد الله ورسوله. ويقول الله تعالى:" قُـ ـل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلا ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَـ ـمُ الْغَيْـ ـبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَـ ـوْمٍ يُؤْمِنُونَ" ١٠٦.

ويزعم الشيعة والصوفية علو مكانة أئمتهم وشيوخهم فوق مكانة

١٠٦- الأعراف١١٨

النبي صلى الله عليه وسلم. فالصوفية يرون أن الولي منهم يأخذ العلم اللدني مباشرة من الله دون واسطة أو وحي، وهو دائم الإضافة إلى الدين في حين أن إضافات النبي امتنعت بوفاته وانقطاع الوحي.لـ ذا ينزلون أولياءهم منزلة أعلى من منزلة النبي، باعتبار أن النبوة تنقطع والولاية لا تنقطع.ويرون أن النبي هو خاتم الأنبياء في حين أن ه لا خاتم للأولياء. وادعى ابن عربي أنه خاتم الأولياء، وكذلك فعل أحمد التيجاني وغيرهما. وافتراض إمكان أن يضيف الأولياء إلى دي ن اللهمن شانه أن ينسف من القواعد كمال الدين وتمامه علي الصورة التي وصفه الله بها عندما قال:" اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً "١٠٧.لـ ذا رأوا أن يرتفع وا بمكانة النبي إلى آفاق بعيدة ضلوا معها وقاربوا بين النبي والله. "نكر المستشرق نيكلسون: إن الفارق شاسع بين صورة النبي في القرآن وصورته عند الشيعة إذ جعلوا للولي ولإمامهم المعصوم صو رة أكبر من صورة النبي، ووصفوه بكل الصفات الإلهية، بينم ا ف ي المقابل أعلوا من صورة النبي وجعلوه مرجع كل الأنبياء والأولي اء والحقيقة الإلهية السارية في كل الوجود.وراحوا يلحون دوما على أن العالم ليس سوى صورة الحقيقة المحمدية، وأن الحقيق ة المحمدي ة

١٠٧– المائدة٣

ليست سوى صورة الله."١٠٨. ولما ادعى الشيعة والصوفية عل و مقام أئمتهم وأوليائهم فوق مقام الأنبياء والرسل،أعوزهم الدليل ول م يجدوا خيرا من قصة الخضر مع النبي موسى – إذ علم مالم يعلمه موسى – وبها جوّزوا أن يعلو غير النبي على مقام النبي. "وي ذكر الشعراني الصوفي الشهير أنه رأى الخضر عليه السلام، واجتم ع معه على سطح جامع الغمري حيث أخذ الخضر بيده وأوقفه عل ى عين الشريعة١٠٩، مع ملاحظة أن الفارق الزمني بين الخض ر والشعراني حوالى ثلاثة آلاف سنة! وخلع الصوفية على شـ يوخهم قدرات خارقة: يحكون عن عبد الوهاب الشعراني الموصوف بأن ه إمام القرن العاشر الهجري، أنه " تمكن من الطيران في الهواء،فكان يطير من صحن الجامع إلى السطح أو المنارة.....، فيقب ل علي ه الناس من كل فج ،ويقدمون إليه الهدايا والأموال "١١٠. وإن ك ان الصوفي يبلغ المراقي بحسن تدينه ويطير بلا أجنحة، فما بال النبي لم يطر مع كمال إيمانه، وقد قطع عند هجرته من مكة إلى المدين ة الطريق راكبا الجمل ويهديه الدليل، تُرى أكان الصوفي أكمل إيمانا

١٠٨–د.عبد المنعم الحفني– الموسوعة الصوفية ص٩٤٥

١٠٩–عبد الحفيظ فرغلى–عبد الوهاب الشعراني–ص٥٥

١١٠–عبد الحفيظ فرغلي علي القرني–عبد الوهاب الشعراني_أعلام العرب–الهيئة العامة للكتاب

من النبي؟ وإن كان الصوفي مستطيعا بنفسه،فما أجـ در النبـ ي أن يستطيع ذلك أيضا.وإن كان مستطيعا بالله لكرامة الصوفي عنـ ده – كما يزعمون، فالنبي عند الله أكرم. أما عن العلم فيتحصلون عليه وهم أطفال." فقد ظفر الشعراني بإجازة جلال السيوطي–أي إجازة الرواية عنه– وهو في العاشرة من عمره، علما بأن السيوطي لـ م يكن قد التقى بالشعراني قـ ط، ولكنـ ه تتبـ أ بقـ درات الشـ عراني فأجازه.١١١وانظر إلى هذا الخلط واعجب من درجة تغييب العقل المسلم حتى أمكن خداعه وتضليله فقبل هذه الخرافات.

وفي كتاب بصائر الدرجات يزعمون قول جعفر الصادق :" إن لله ١٢٠٠٠عالم، كل عالم أكبـ ر مـ ن سـ بع سـ ماوات وسـ بع أرضين،وأنا الحجة عليهم". ولم يكتف الشيعة بزعم قدرات خارقة للكبار منهم، بل زعموها أيضا لأطفالهم الرضـ ع: فيـ روي لنـ ا الطوسي في كتابه " الغيبة " ما حـ دث عنـ د ولادة المهـ دي١١٢ مباشرة . فعندما سقط من بطن أمه كان يقـ رأ القـ رآن بصـ وت مسموع، وأنه كان منلقيا الأرض ساجدا، وأن والده أمره أن يـ تكلم فاستعاذ بالله من الشيطان الرجيم، ثم استفتح فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله، ثم صلى على أمير المؤمنين: علي

١١١–المرجع السابق – بتصرف

١١٢– هو إمامهم المنتظر محمد بن الحسن العسكري الإمام الثاني عشر

بن أبي طالب، وعلى الأئمة إلى أن وقف على أبيه ثم تلا قول الله تعالى ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الوَارِثِينَ﴾١١٣ ، وأنه حينما ولد كانت الملائكة تهبط وتصعد وتسلم عليه وتتبرك به، وأن روح القدس طار به ليعلمه العلم مدة أربعين يوماً، وأنه حينما ولد كان مكتوباً على ذراعه الأيمن جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا " ١١٤.

وفي حين أن النبي صلى الله عليه وسلم أمي لا يقرأ ولا يكتب،فإن الشيعة يزعمون أن أئمتهم يجيدون اللغات الأجنبية ، بل ويتسع علمهم فيشمل كل العلوم، وبذلك يتفوقون على النبي وسائر الأنبياء، بل ويطاولون الله نفسه فيحيون ويميتون. ويزعم الشيعة أن الحسن رضي الله عنه كان يعرف سبعين مليون لغة١١٥، وأن الله يعطي الإمام جميع اللغات ومعرفة الأنساب والآجال والحوادث.

والغلو في الأقطاب والأئمة ضربان: أولهما يُقصد به إثبات الفضل والتمايز للإمام الشيعي أو القطب الصوفي، فتُنسب إليه

١١٣- القصص ٥

١١٤- كتاب الغيبة ٢٤٠

١١٥- الكليني في ﴿الكافي ٣٨٥/١﴾

المعجزات والمخاريق حتى ينزلوه مقاما رفيعا يطاول – أو يكـ اد– مقام العزة الإلهية، والضرب الآخر غلو يُقصـ د بـ ه الإضـ رار والبخس، تماما مثلما يقولون في الحبيب المصطفى مقالا يرفعه فوق مصاف البشر بل وينسبون الألوهية إليه. والمبطلون إنما يلجأون إلى ذلك لتعذر النيل المباشر من رسول الله، فيغالون في تعظيمه علـ ى النحو الذي ينفي عنه البشرية، " فمنهم من يعتقد أن محمدا صلى الله عليه وسلم هو قبة الكون، وهو الله المستوي علـ ى العـ رش وأن السماوات والأرض والعرش والكرسي وكل الكائنات خُلقت مـ ن نوره، وأنه أول موجود،وهذه عقيدة ابن عربي ومن تبعه "[١١٦]. في حين أن النبي الكريم يحكى عن نفسه مبينا أن قدراتـ ه بشـ رية ولا يغني عن آل بيته شيئا، إنما يتفاضل الناس بالعمل والتقوى ، فيقول: " يا فاطمة ابنة محمد سليني ما شئت من مالي لا أغنى عنك من الله شيئاً، يا عباس عم رسول الله لا أغنى عنك من الله شيئاً، يا صـ فية عمة رسول الله لا أغنى عنك من الله شيئاً، لا يأتيني الناس بالأفعال وتأتوني بالأنساب﴾، لا فضل لعربي على عجمي إلا بـ التقوى أو عمل صالح ويردد الآية الكريمة : ﴿قُلْ إِنِّي لا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرّاً وَلا رَشَداً﴾.

١١٦– أبو العزايم جاد الكريم – طلائع الصوفية

ومن الصوفية من يرمي الأنبياء جميعا بالجهل بعلوم رجـ ـال التصوف،يقول البسطامي: "خضنا بحراً وقف الأنبياء بساحله"، ثـ م يقسم على علو مكانته فوق مقام الحبيب المصطفى فيقـ ول – أي البسطامى–: "تالله إن لوائي أعظم من لواء محمد". ويـ رى ابـ ن عربي "أن النبوة مغلقة والولاية مفتوحة وخاتم الأنبياء هـ و واحـ د بعينه: محمد،وخاتم الأولياء ليس واحدا . ويزعم الشيعة أن على بن أبي طالب يسبق النبي دخولا إلى الجنة، فيزعمون أنه قال: قال لي رسول الله ﷺ أنت أول من يدخل الجنة فقلت: يا رسول الله أدخلها قبلك قال: نعم إنك صاحب لوائي في الآخرة كما أنـ ك صـ احب لوائي في الدنيا وحامل اللواء هو المتقدم ثم قال ﷺ يا على كأني بك وقد دخلت الجنة وبيدك لوائي هو لواء الحمد تحته آدم فمن دونـ ه. يقول النبي: " أنا سيد ولد آدم ولا فخر وأنا سيد الأولين والآخـ رين ولا فخر وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر وأنا أول مـ ن تفتح له أبواب الجنة ولا فخر وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامـ ة ولا فخر وأنا أول شافع وأول مشفع" . ولما قال النبي: ﴿ مثلي ومثـ ل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى دارا إلا موضع لبنة فأخذ النـ اس يتعجبون ويقولون لولا هذه اللبنة فأنا اللبنة "[١١٧]، يقول ابن عربي: " غير أن رسول الله لا يراها إلا لبنة واحدة، أما خاتم الأولياء فيراها

١- انظر صحيح الجامع الصغير للألباني

لبنتين: لبنة من فضة وأخرى من ذهب ولبنة الفضة هو خاتم الأنبياء بينما لبنة الذهب هو خاتم الأولياء ". ومعنى هذا أن دين الله لم يكتمل إلا على يد خاتم الأولياء" [١١٨].

ويزعم الشيعة أن الأئمة مخلوقات نورانية فينسبون إلى عبد الله أن الله قال: يا محمد إني خلقتك وعليا نورا ﴿يعني روحا﴾ قبل أن أخلق سماواتي وأرضي وعرشي، ثم جمعت روحيكما وجعلتهما واحدة، ثم قسمتها اثنتين وقسمت اثنتين اثنتين فصارت أربعة: محمد واحد، وعلي واحد، والحسن والحسين اثنتان. ثم خلق الله فاطمة من نور ابتدأها روحا بلا بدن، ثم مسحنا بيمينه فأفضى نوره فينا ١١٩.

وعن أبي عبد الله قال: إن الأئمة مخلوقون من نور خلق الله منه محمدا ١٢٠ . وفي حين أن الإسلام قد جاء ليقوض العنصرية بجميع أشكالها ورد تفاضل الناس إلى التقوى والعمل الصالح، إلا أنهم نسبوا إلى أبي عبد الله قوله: " نحن العلماء وشيعتنا المتعلمون وسائر الناس غثاء" ١٢١.

---

١١٨ – التصوف عرض ونقد . أ د / عبد الفتاح الفاوي ١١

١١٩–﴿الكافي ٣٦٥/١ كتاب الحجة. باب مولد النبي ووفاته

١٢٠–﴿الكافي ٣٣١/١ كتاب الحجة. باب فيما جاء أن حديثهم صعب مستصعب

١٢١–﴿الكافي ٢٦/١ كتاب فضل العلم – باب: أصناف الناس﴾.

وممن ادعى ختم الولاية لنفسه محمد عثمان الميرغني السوداني المتوفى سنة ١٢٦٨هجرية، وسمى نفسه خاتم الأولياء، وأسس طريقة صوفية خاصة به أسماها الطريقة الختمية أي خاتمة الطرق جميعاً. ويدعي أنه أفضل من أشرف على أمر الدين بعد النبي الكريم ، بما في ذلك أبو بكر وعمر وعثمان وسائر الصحابة والتابعين والأمة جمعاء .

ولم يترك الصوفية مأثرة كانت للنبي إلا ادعوها، فمنهم من زعم أنه عرج به كما عرج بالنبي، فصعد إلى السماوات والتقى بالأنبياء والملائكة على غرار عروج النبي . وقد سجل الصوفي عبد الكريم الجيلي تفاصيل رحلته إلى السماوات العلي في كتابه الذي أسماه " الإنسان الكامل[١٢٢] " حيث صور فيه كيف قابل الأنبياء والأولياء والفلاسفة وناقشهم وعلموه وعلّمهم!! وكيف وصل إلى الكرسي وعرش الله تعالى. وقد حذر هذا الضال كل من يكذبه ورمى المتشككين في ضلاله بالكفر . "ويأتي صوفي آخر هو إسماعيل بن عبد الله السوداني ويكتب كتاباً[١٢٣] يصف فيه

١٢٢– كتاب يقع في ٢٠٠ صفحة من القطع المتوسط

١٢٣– كتاب مشارق شموس الأنوار ومقارب حسها في معنى عيون العلوم والأسرار– سنة١٢٦٢ هجرية

مشاهداته الحسية –في زعمه– للسماوات السبع، وللأرضين السبع وسدرة المنتهى، حيث التقى بالأنبياء والملائكة واحتفلوا به، ويقول: "واجتمعت في هذه السماء بنبي الله سيدنا إبراهيم الخليل على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام فوجدته جالساً على منبر من نور أحمر متكئ على نمارق من نور أخضر لائحة على وجهه أنوار المعارف والكمال متوجهاً بتاج أسرار النبوة والإجلال بيده قضيب من سر علوم الكنوز معتقلاً سيف فتق طلاسم الرموز مسنداً ظهره إلى البيت المعمور مشاهداً ما هو له من حضرة الغفور ﴿؟﴾، فلما وصلت إليه وسلمت عليه، رد علي السلام وأكرمني بالقيام إكراماً لنبينا أشرف الأنام فعرفني ورحب بي وبشرني ببلوغ مطلبي "[١٢٤]. تلك هي المهاوي التي انزلق إليها العقل المسلم في عصور الظلام ، فغاب في غفلة لم يستيقظ منها بعدُ، ولله الأمر من قبل ومن بعد.

الجنة والنار

يقول الصوفي إبراهيم الدسوقي :" أنا بيدي أبواب النار أغلقتها، وبيدي جنة الفردوس فتحتها، ومن زارني أسكنته جنة الفردوس "[١٢٥].

١٢٤– كتاب مشارق شموس الأنوار –صفحة ١٣٥

١٢٥ – الشعراني الطبقات الكبرى–١– ١٥٣،١٥٧

وينسب الشيعة إلى أبي عبد الله قوله:" عندنا خ زائن الأرض ومفاتحها وإن شئت أن أقول بإحدى رجلي ّ: أخرجي ما فيك م ن الذهب لأخرجت. ثم خط بإح دى رجلي ه خط ا ف ي الأرض فانفرجت الأرض، ثم أشار بيده فأخرج سبيكة ذهب وقال: إن الله سيجمع لنا ولشيعتنا الدنيا والآخرة ويدخلهم جنات النع يم ويد دخل عدونا الجحيم "١٢٦. ولم يقل لنا أحد من الشيعة ما س بب ه ذا الفضل والتمييز من الله تعالى للشيعة وهو العدل الـ ذي لا يحـ ابي أحدا، والذي قال في محكم آياته إن التقوى هي أساس التك ريم، لا القربى من النبي.

وينسبون إلى جعفر الصادق أنه قال:" من بكى أو أبكى أو تباكى في يوم عاشوراء، فقد وجبت له الجنة. وأنه قال: من زار الحسين في قب ره فكأنما زار الله في عرشه" ، وقال: من ثبت على موالاتنا في غيبة قائمنا _ أي الإمام المنتظر– أعطاه الله أجر ألف شهيد من شهداء بدر وأُحد" والله لم يوجب الجنة لمن بكى على النبي، فكيف يوجبها لم ن بك ى عل ى الحسين؟ " [١٢٧].

١٢٦– ﴿الكافي ١/٣٩٤–٣٩٥ كتاب الحجة. باب مولد جعفر بن محمد﴾

١٢٧– إبراهيم السليمان الجبهان–تبديد الظلام وتنبيه النيام– ص ١٢٨

ويجعل الشيعة دخول الجنة أو النار رهنا بمحبة سيدنا علي أو كرهه، ويزيدون فيقولون إن ذلك يسري على من سبق من الخلق،فيزعمون أن محبة الأنبياء له قد ثبتت. وسئل جعفر الصادق لِمَ صار على بن أبي طالب قسيم الجنة والنار قال: لأن حبه إيمان وبغضه كفر، فالجنة لا يدخلها إلا أهل محبته، والنار لا يدخلها إلا أهل بغضه، فالأنبياء والأوصياء كانوا يحبونه وأعدائهم كانوا يبغضونه، وقد ثبت أن جميع أنبياء الله ورسله وجميع المؤمنين كانوا لعلي محبين، وثبت أن أعداءهم والمخالفين لهم كانوا لهم ولجميع أهل محبتهم مبغضين ، فلا يدخل الجنة إلا من أحبه من الأولين والآخرين ولا يدخل النار إلا من أبغضه من الأولين والآخرين، فهو إذن قسيم الجنة والنار، ورضوان ومالك صادران عن أمره بأمر الله تعالى.

ويحقر الصوفية من شأن الجنة والنار ويرمون بالنقيصة كل من يخشى النار ويطلب الجنة ويرون أن الإيمان الحق في الفناء في الله، ولم يقل أحدهم كيف يكون ذلك الفناء الموهوم .

شهادة التوحيد:

شهادة ألا إله إلا الله هي الركن الأول من أركان الإسلام ، ولكن الصوفيين يرون أنها تعني توحيد العوام، أي التوحيد من وجهة نظر العامة والدهماء، ولكن توحيد الخاصة في نظرهم هو: " لا موجود إلا الله "،

وهو القول بوحدة الوجود ونفي الإثنينية بين الخلق والخالق. واستبدل الشيعة الاعتقاد" بالإمامة" بشهادة ألا إله إلا الله، فعن أبي جعفر قال: " بني الإسلام على خمسة أشياء: على الصلاة والزكاة والحج والصوم والولاية، قيل: وأي شيء من ذلك أفضل؟ فقال: الولاية أفضل، أما لو أن رجلاً قام ليله وصام نهاره وتصدق بجميع ماله وحج جميع دهره ولم يعرف ولاية الله فيواليه ويكون جميع أعماله بدلالته إليه، ما كان له على الله جل وعز حق في ثوابه ولا كان من أهل الإيمان " ١٢٨. وذلك يعني فيما يعنى تكفير من عداهم من أهل السنة والجماعة. وهم يقولون بالتحريف في القرآن لأغراض منها إثبات مسألة الإمامة والولاية التي جعلوها أساس الدين وأصله،كما نقلوا عن الرضا أنه قام خطيباً وقال: إن الإمامة أس الإسلام النامي وفرعه السامي، بالإمام تمام الصلاة، والزكاة، والصيام، والحج" [١٢٩] وهذا لا يستقيم إلا بادعاء التغيير والتبديل في القرآن.

أما عن شهادة التوحيد عند اليزيدية فيقولون :" أشهد واحد الله، سلطان ﴿يزيد﴾ حبيب الله "، وهذا اليزيد هو ربهم الذي يعبدون من دون الله.

١٢٨– الكافي ١٦/٢ كتاب الإيمان والكفر باب دعائم الإسلام

١٢٩– "كتاب الحجة من الكافي" باب النوادر ص٢٠٠ ج١ ط طهران

القرآن: الزعم بتحريفه،وتأويله،وظاهره وباطنه

أ- التأويل الباطني للقرآن

لما تعذر على أعداء الإسلام تحريف القرآن الكريم كما فعل المبطلون مع سائر الكتب السماوية، لم يكن أمامهم غير الالتواء بمعانيه والقول بأن له معاني ظاهرة تناسب أفهام العامة، ومعاني باطنة لا يفهمها إلا الخاصة. ويزعم الشيعة الاثنا عشرية اختصاصهم بعلم المعاني الحقيقية للقرآن والأحاديث النبوية وأن هذا العلم كان في حوزة أشخاص من خواص سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ومن المقربين إليه وبخاصة سيدنا علي بن أبي طالب،وانتقل هذا العلم عن طريقه إلى أعقابه من الذكور وهم أحد عشر إماما. وإذا كان الشيعة فقط من يختصون بالمعاني الحقيقية للدين والقرآن والسنة، لانتفى علم غيرهم به ولكان إيمان السابقين ناقصا إذ خلا من العلم الحقيقي للدين، وهذا ما لا يقول به عاقل. والتاريخ،وهو الشاهد الذي لا يكذب، يحكي لنا عن الخلفاء الشيعة ما يخرجهم من الدين كما يخرج السهم من الرمية،وما حديث القرامطة والحاكم بأمر الله والفاطميين بخاف على أحد.

و الصوفية يفسرون القرآن والسنة تفسيراً باطنياً يسمونه تفسير الإشارة ومعاني الحروف ويزعمون أن لكل حرف في القرآن معنى لا يدركه إلا الصوفي المكشوف عن قلبه، ولذا كان لهم دينهم الخاص

الذي يختلف في أصوله وفروعه عن إسلامنا الحنيف. ويستدلون بقصة الخضر عليه السلام التي وردت في القرآن في سورة الكهف، على أن لكل ظاهر باطنا، وأن الشريعة غير الحقيقة، وجعلوها برهانا أكيدا على المعتقد الصوفي في القول بمغايرة الظاهر للباطن. ولم يتورعوا عن الادعاء بتلقي الكثير من "علومهم" عن الخضر، ومنهم من زعم الالتقاء به والتلقي عنه إذ يزعمون أنه خالد وباق ويجتمع بالنبي والأولياء. ولتعظيم الانتفاع بفرية الخضر بعد أن نسبوا إليه قدرات وهمية، زعموا أنه ولي وليس بنبي، لكي يسهل قبول فكرة التفوق الموهوم للولي الصوفي على النبي، وسمو علوم الأولياء على علوم الأنبياء، إذ توفر للخضر من العلم مالم يعرفه نبي الله موسى. فعلوم الأولياء من الله مباشرة دون وحي أو واسطة خلافا للعلم النبوي الذي كان جبريل واسطته. لذا فإنهم يستدلون بذلك على أن الأولياء من الصوفية أعلم من محمد صلى الله عليه وسلم لأن علمه يقتصر على الشريعة الظاهرة فقط، والولي عالم بالحقيقة الصوفية وعلم الباطن، وعلماء الحقيقة أعلم من علماء الشريعة، والحقيقة غير الشريعة: فما تراه منكرا من منظور الشريعة، لا يكون كذلك من منظور الحقيقة، تماما كما كان الأمر ملتبسا على نبي الله موسى في قصة نبي الله الخضر الذي خرق السفينة وقتل الغلام وهي أمور ظاهرها الباطل و الإثم وباطنها الحق والصواب. وقياسا على ذلك لا تكون

المعاصي في "الشريعة" –كشرب الخمر ومقارفة الزنا واللـ واط مـ ن الآثام، وإنما هي من الفضائل بحسب "الحقيقة" الصوفية. ولكـ ل ولـ ي شريعته الخاصة المغايرة للملة والدين ولكنهم يزعمون أنها على غير مـ ا يراه غير الصوفية. وماذا عن علوم الباطن التي زعموا تلقيها عن نبي الله الخضر ؟ اسمع واحكم: "ومن هذا الدين الباطن الذي زعموا أخذه عن الخضر إتيان ﴿الحمارة﴾ والزنا، وشرب الخمـ ر واللـ واط، والتعـ ري، والصراخ في الطرقات، وسب المؤذنين للصلاة، وسب الأنبياء والإدعاء بأن كل مخلوق هو الله وإلقاء السلام على الكلاب والخنـ ازير، والتـ رحم على إبليس ومحاولة الوصول إلى مقامه، وجعل فرعون أعلم من موسى بالله وتبرئة قوم نوح من الشرك، وجعل الرسول محمد هو الله المستوي على العرش..، وما عليك إذا أردت لقاء الخضر إلا أن تنكر مجموعـ ة من الأنكار فيأتيك الخضر في الحال، ويبشرك بما تشاء من البشـ ارات، ويجعلك ولياً من الأولياء، ويعطيك علوماً لدنية لم يعلمها الرسل أنفسهم ولا خطرت لهم على بال "[١٣٠].

ولما كانت تلك مكانة الخضر في التراث الصوفي ، رأى الشـ يعة ألا يفوقهم أحد في زعم المقدرات والصلاحيات الإلهية لأئمتهم، فنسبوا إلـ ى أبي عبد الله أنه قال "لو كنت بين موسى والخضر لأخبرتهما أني أعلم

١٣٠– عبد الرحمن عبد الخالق– تفنيد الصوفية

منهما ولأنبأتهما بما ليس في أيديهما، لأن موسى والخضر أعطيا علم م ا كان ولم يُعطيا علم ما يكون وما هو كائن حتى تقوم الساعة، وقد ورثـ اه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وراثة" [١٣١].

ب- الزعم بتحريف القرآن:

القول بأن الله تعالى قد حفظ القرآن من التحريف لا يمنع الحمقى من ادعاء تحريفه بالزيادة فيه أو النقصان منه [١٣٢]. ومثل هذه الدعاوى الساذجة لا تنفي حفظ الله تعالى لكتابه، فالله قادر على إمضاء أمره، ومثـ ل تلـ ك المحاولات لا يصدقها عاقل ولا تثبت شيئا غير حمق قائلها، وإنما يثبـ ت التحريف على أي كتاب إذا أصبح ما به من المعاني المحرفـ ة هـ ي وحدها المقررة والمقبولة من الناس بعد ثبوت عجزهم عن القطع بتزييفها أو الجزم بصحتها. فمثلا يصح القول بتحريف الكتب السماوية السـ ابقة لأن ما بها من معاني محرفة أصبحت هي الأصول المقبولة من النـ اس والأوساط الدينية، وضاعت المعاني الحقيقية بضياع أصول هذه الكتـ ب.

١٣١- ﴿الكافي ١/٢٠٤ كتاب الحجة باب أن الأئمة يعلمون علم مـ ا كان وما يكون وأنه لا يخفى عليهم الشيء﴾.

١٣٢- انظر الملحق رقم ٢ وبه ٦٣ مرجعا شيعيا يقـ ول بتحريـ ف القرآن

وسلامة كتاب الله من التحريف طوال أربعة عشر قرنا لتنهض وحـ دها دليلا ناصعا تعمى به عيون المنافقين، على صدق وعد الله بحفظ كتابـ ه. ففي أبعد قرية نائية من قرى المسلمين في الصين، لو لحن أحـ دهم فـ ي قراءة آية من القرآن لصححها من فوره أصغر طفل ، وفـ ي أحـ راش أفريقيا أو أدغال أمريكا الجنوبية أم أي مكان شئت ، لو أخطأ أحدهم فـ ي قراءة كلمة واحدة من القرآن لانبرى الكثيرون من فورهم لتصـ حيحها. ويعتقد الشيعة أن القرآن الكريم الذي بين أيدينا ليس كاملا وإنما هو ثلـ ث ما نزل من السماء، و هذا الثلث محرف، إذ زعموا أن الصحابة قد حذفوا منه ما لم يرُق لهم من آيات تثبت ولاية علي بـ ن أبـ ي طالب، حتى إنهم أفردوا كتابا لإثبات تحريف القرآن الكريم وأسموه " فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب"، وهو كتـ اب يضنون به إلا على الخاصة منهم وهو من تأليف فقـ يههم محمـ د الحسين الطبرسي الذي "ذكر في كتابه ما يزيد على ١٥٠٠ آيـ ة، ادعى أنها محرفة، وزعم أنه جاء بتصحيح ما حرف مـ ن آيـ ات، وكل التصحيحات التي ذكرها تدور حول إثبات الولاية للأئمة والثناء علي من أقر بها وتبشيره بالجنة نتيجة لهذا الإقرار، وإما ذم ولعـ ن

وسب وشتم أحد المخالفين للشيعة وخاصة من الصحابة"[١٣٣].
ونسبوا إلى أبي جعفر أنه قال: لولا أنه زيد في كتاب الله ونقص منه، ما خفي حقنا على ذي حجي" ١٣٤.

وكانت الأسس التي قام عليها المذهب الشيعي تدور كلها حول مزاعم الولاية والوصاية والعصمة والتقية والحق الإلهي لعلي بن أبي طالب وأبنائه من بعده واختصاصهم بالملك والحكم والاستئثار بالنفوذ وزكوات "المؤمنين"، بل واستمرار هذا النفوذ وهذه الامتيازات حتى بعد الممات ، وزعموا تمتع آل البيت بالرجعة بعد الموت وانخراق نواميس الطبيعة لعلي بن أبي طالب وأبنائه من بعده، وهي التي لم تتخرق لنبي الله صلى الله عليه وسلم. ولما زعموا قدرات خرافية لعلي والأئمة – قدرات تفوق كل قدرات البشر و لا يماثلها سوى قدرات الله نفسه وهي مزاعم واضحة البطلان –لم يكن أمام الشيعة من سبيل سوى القول بتحريف

١٣٣– إبراهيم بن عثمان بن محمد الفارس –مفهوم الموالاة والمعاداة بين أهل السنة والمبتدعة

١٣٤– "البرهان" مقدمة ص٣٧، وورد هذا الحديث في "البحار" ج١٩ ص٣٠، و"إثبات الهدى" ج٣ ص٤٣، ٤٤] .

القرآن، واتهام الصحابة الأطهار رضي الله عنهم جميعا بحذف ما جـ اء به بخصوص ما زعموه ، وأضاف الشيعة إلى القرآن ما يرونه مناسـ با لتأكيد هذه المزاعم . ومما أثبتوه في كتبهم من آيات محرفة بقصد إثبـ ات ولاية علي بن أبي طالب قولهم الذي نسبوه إلي رب العزة: " كبر على المشركين بولاية على ما تدعوهم إليه يا محمد من ولاية علي هكذا فـ ي الكتب مخطوطة "١٣٥، وقالوا "سأل سائل بعذاب واقع للكافرين بولايـ ة على ليس له دافع. ثم قال الراوي: هكذا والله نزل بها جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم "١٣٦. ولم يكتف الشيعة بذلك بل قالوا إن للقـ رآن معاني باطنة تغاير المعاني المفهومة من النص القرآني المباشـ ر وأنهـ م وحدهم يستأثرون بعلمها وذلك على النحو الذي يخـ رج الآيـ ات مـ ن مقاصدها ويلتوي بها لتعني مزاعمهم بغية إثبات الولاية لآل البيت.

وما تكلم الناس بالكلام إلا ليُفهم، فالكلام وسيلة حمل المعاني، و يستخدم الناس المجاز والكناية لزيادة تبيان هذه المعاني. هذا ما يحسـ نه النـ اس أفيعجز الله – سبحانه – أن يصنع صنيع الناس فيحسن تحميل ألفاظ كتابه ما يعنيه من معاني مباشرة واضحة جلية، وما دام ذلك ممكنا عقـ لا فمـ ا

١٣٥–الكليني– الأصول من الكافي–كتاب الحجة–باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية –جزء١ص٤١٨

١٣٦–الكليني–الأصول من الكافي ١

أسخف القول بأن للقرآن معاني باطنية ومعاني سرية للخاصة دون العامة. ولما كانت الألفاظ خدم المعاني، تكون المباعدة بين اللفظ ومعناه المباشر كإزالة الشيء عن جهته. والتفسير الباطني للمعاني الظاهرية غير الكناية والتورية وهما من لغة العرب، فيأتي الكلام باطنه غير ظاهره، والمراد ليس إخفاء المعنى وإلا بطلت الغاية من الكلام . أما افتراض معاني باطنية خفية تخالف المعاني الظاهرية للفظ، فهذا منكر وغير منطقي ولا يقول به عاقل. ولا يصح الاختلاف بشأن نصوص القرآن، فهي آيات الله وهي الحق عين الحق لا تتبدل ولا تتغير، وإنما تتفاوت عقول الناس في فهم هذه النصوص بحسب ما يتوافر –باستمرار –من معارف وعلوم. فالنص ثابت ونحن ندور في فلكه نستخلص المعاني منه.

وكان الملأ من مشركي قريش يحضون الناس علي عدم الإنصات إلى القرآن ويأمرونهم باللغو فيه بغية صرف الأنظار والأسماع عن آياته،فهم يعرفون أن الفطرة السليمة والعقول الصحيحة تقبل عليه، وقد علموا أنه الحق ولكن مصالحهم تقضي أن لا يطّلع الناس عليه، لذا عمدوا إلى الحيلولة دونهم وهذا الحق باللغو فيه والتشويش عليه والحرص –كل الحرص –ألا يصل هذا الحق، أو طرف منه، إلى العوام والبسطاء حتى لا تقوم دولة الحق و العدل والمساواة وبذا تتضرر مصالح الصفوة وأرباب السياسة والاقتصاد. و"لغو" أعداء الإسلام المعاصرين هو

الحجاب الذي يحول دون الناس والإسلام الحنيف: إنه حجـ ـاب التشـ يع والتصوف، فهما آليتا التحريف والتخريف اللتان تؤديان –على أفضل وجه ممكن – مهمة" اللغو " فيه. وانظر ما يفعله الشيعة ، إنهـ م يزعمـ ون تحريف القرآن وينسبون إليه ما ليس فيه ويزيدون إليه وينقصـ ون منـ ـه، وذلك كله يؤدى مهمة " والغوا فيه ".

والقرآن الكريم يعنى عند معظم الشيعة " مصحف فاطمـ ـة " الـ ـذي يزعمون أنه بحوزة الإمام الغائب المختفي منذ أكثر من ألف سـ نة فـ ي سرداب بمدينة سامراء، وأنه– أي مصحف فاطمة – يبلغ ثلاثـ ـة أمثـ ـال المصحف الذي بين أيدي المسلمين الآن، ولم يخبرنا أحدـ ع ن سـ بب الاحتفاظ بكتاب الله مخفيا في سرداب. وجاء في كتاب الكليني علـ ى لسان أئمتهم في كتابه الكافي[١٣٧]: "وإِنَّ عِنْدنَا لَمصحف فَاطِمة ومَا يدرِيهِم ما مصحف فاطِمة : مصحف فِيهِ مِثْل قرآنِكم هَذَا ثَلَاثَ مَرات، واللَّه مَـ ا فِيهِ مِن قرآنِكم حرف واحِد". فهل علم النبي والصـ حابة بـ أمر هـ ذا المصحف؟ وهل أخفاه عن أمته ولم يبلغه للناس انصياعا لأمر الله بالبلاغ؟ فالله يقول: { يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَـ ا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ }١٣٨، وإن لم يكن يعلم بأمره فكيف عرف به آل بيتـ ه؟

---

١٣٧ – انظر: «أصول الكافي» للكليني ﴿٢٣٩/١﴾.

١٣٨– المائدة:٦٧–٧٧

وإذا كان القرآن الحقيقي–كما يزعمون– مع المهدي المنتظر، فما هي الحكمة من إخفائه في السرداب حتى يحين ظهوره مع الإمام المنتظر في نهاية العالم وهو – أي القرآن – دستور لضبط حياة الناس في الدنيا وليس الآخرة. وكيف يصح القول بسلامة إيمان الصحابة والسلف الصالح وقد فاتهم المصحف الصحيح؟ ولم يسأل أحدهم نفسه ما الغاية من احتفاظ الإمام الغائب– على فرض وجوده – بالقرآن في السرداب، وهو كتاب الله وما نزل إلا لهداية الناس والعمل به.

ويسخّر الشيعة،شأنهم في ذلك شأن الصوفية، نصوص القرآن في ما يتلاءم مع أهوائهم،ويحاولون ليّ معاني الآيات لتوازي .ولو ظاهريا . ما يفترونه من إفك بحيث ينتهي الأمر إلى اختلاق تأويلات فاسدة تخرج الآيات عن مقاصدها. فالشيعة يختلقون رؤى خاصة بهم من آيات القرآن –وما زعموه من السنة –لتبرر أفكار الوصاية والإمامة وعصمة الأئمة والمهدي المنتظر والغيبة والرجعة والتقية وهي أفكار ما أنزل الله بها من سلطان وإنما تعود إلى أصول يهودية. ولا يخدعنك إقرار بعض الشيعة بتنزيه القرآن عن التحريف،فهذا لا يعني سلامة آرائهم الأخرى التي استمدوها من مصنفاتهم المشحونة بالتزوير والهراء. وإقرار بعضهم–من باب التقية– بعدم تحريف القرآن لا يعني شيئا طالما أنهم يؤمنون بما يخالف هذا القرآن مخالفة صريحة،وكتبهم حافلة بالضلال والأباطيل التي

ما كان لهم أن يدونوها في هذه الكتب طوال ألف سنة أو يزيد إذا كانوا فعلا يؤمنون بالقرآن، وسلوكياتهم تؤكد بما لا يدع مجالا للشك أنهم يعيشون وفقا لتلك التصورات المغلوطة. قال الله تعالى في سورة البقرة: {إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً أُولَـئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ النَّارَ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ أُولَـئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُاْ الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴿١٧٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾} و قال: { إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَـئِكَ يَلعَنُهُمُ اللّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴿١٥٩﴾} صدق الله العظيم.

وإذا ضيقت على الشيعة _ أو الصوفية فهُما في غيهما سواء _ وأثبت لهم باطلهم من كتبهم، تراوح منهجهم في ستر باطلهم بين المبادرة بسؤالك منكرين: من أين أتيت بهذا الكلام؟ فإن دللتهم على مصادرهم الموثوقة عندهم ، صاحوا بك: أنت لم تدرس فقهنا، وما إن يتبينوا أنك على علم بما في كتبهم، قالوا متصلين: من قال لك أن مراجعنا ومفكرينا معصومون؟ فإن قلت لهم إن ما جاء في كتبهم منسوب إلى أئمتهم الذين يدعون لهم العصمة والاطلاع على العلوم الإلهية ومعرفة الغيب، فيتهمونك ، وقد ضيقت عليهم الخناق، بأنك من دعاة الفتنة، وينصحون

بترك ما فرّق بين السنة والشيعة فهو صراع تاريخي آن تجنبه لمواجهة أعدائنا الحاليين. وفي النهاية لا يجدون سوى التسليم بأن كتبهم تحتوي "بعض" الباطل، ويتعللون بأن مادام كاتبوها بشرا فهم غير منزهين عن الخطأ. وقد ظنوا بذلك أنهم نجحوا في تبرير باطلهم وأفلتوا بفعلتهم. والمنطق يقضي بأنه ما كان ينبغي لهؤلاء الكتّاب ابتداء إثبات هذه الأباطيل في كتبهم ما داموا يؤمنون بالله ورسوله لأن في ما كتبوه مخالفات صريحة للإسلام ولا يقول بها إلا جاهل أو أحمق، هذه واحدة.ولما أقروا بأن كتبهم تحوي أباطيل، فلماذا لم يحذفوها منها ولماذا واصلوا طباعتها كاملة بباطلها لمدة تزيد على ألف سنة؟ ولما كانت هذه الكتب هي المراجع المعتمدة لتبصرة الناس بدينهم طوال هذه الآماد الطويلة، تكون الملايين من هذه الأجيال،ممن رأوا أنهم مسلمون،قد تربوا على الباطل. وهؤلاء، وهم الأسلاف والأجداد، لم يكتشفوا الأباطيل المدسوسة في كتبهم الدينية فظنوها دين الله، فأثبتوا على أنفسهم الجهل. وإن كانوا يعرفون أنها أباطيل وتركوها في كتبهم، فضلا عن الإيمان بها، يكونوا قد أثبتوا على أنفسهم الخيانة والعمالة: الخيانة لدين الله، إذ روجوا أباطيل زيفت الدين، والعمالة لأعداء الإسلام ممن هم وراء هذه المؤامرة.

ويروي الكليني، وهو عند الشيعة كالبخاري عند أهل السنة، يروي عن الإمام جعفر الصادق أنه قال – وحاشاه أن يكون قد قال – إن القرآن

الذي نزل به الوحي علي محمد صلى الله عليه وسلم ، سبعة آلاف آية، والآيات التي نتلوها الآن هي ثلاث وستين ومئتين وستة آلاف آية،أما الفرق بين العددين فهو مخزون عند أهل البيت، ... وأنه قال في القرآن الذي جمعه علي بن أبي طالب:هو مثل قرآنكم ثلاث مرات،والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد.

وإذا قال فريق منهم بسلامة القرآن من التحريف– وهو فعلا كذلك – إنما يعنون في أفضل الأحوال، سلامته من التحريف اللفظي، أما عن تفسيره وتأويله وفق ضلالهم وغاياتهم فحدث ولا حرج. ويزعم الشيعة أن أئمتهم ضروريون لكشف غوامض القرآن، فالقرآن وحده دونهم لا يكفي على حمل الناس على الطريق السوي. وكما يعرف أي مسلم فإن الدعوة إلى تدبر القرآن تناقض القول بضرورة أئمة الشيعة لتفسير غوامضه.

والله يقول : ﴿ أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ القُرْآنَ ﴾١٣٩، ويقول: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ ﴾١٤٠ وما كان الله يكلف عباده تدبر آيات غامضة لا يفقهونها.وكيف يصح، بهذا المعنى، إيمان الصحابة وكل المسلمين قبل الأئمة الشيعة،إذ تعبدوا بقرآن لم يفهموا غوامضه. "وقسموا فهم القرآن إلى أربع مراتب : فهم العبارة، وهو للعامة وفهم الإشارة، وهو

١٣٩– النساء ٨٢

١٤٠–ص ٢٩

للخاصة من العلماء، وإدراك اللطائف الدقيقة،وهو للخاصة من الأولي اء الذين لازموا الأوصياء وإدراك الحقائق–أي م راد الله تع الى– وه و للأوصياء خاصة"[١٤١]. وذلك تصنيف يخلق نوعا من الطبقية في الدين، إذ يتيح بعض ما أنزل الله للبعض دون البعض،ويحجب البعض منه على البعض،وهذا يتعارض مع الآية الكريمة. وكل فرقة من الفرق التي تسمي نفسها "إسلامية"،فسرت آيات القرآن وفقا لأهوائها ، وما داموا قد اجترءوا على تحريف القرآن وهان عليهم كلام الله، فتحريفهم للأحاديث ونسـ بتها إلى النبي،كان عليهم أهون .

ولولا أن "فقهاء" الفرق الباطنية التي تخفى كتبها وتـ زعم أنها ا للخاصة، ﴿مثل فرق الإسماعيلية، والقرامطة،واليزيدية وغير هم ﴾، لولا تأكدهم من احتوائها على باطل يمكن للعقلاء تفنيده، لما أخف وا ه ذه الكتب. وليس هناك مبرر واحد يقضى بإخفاء كتب يزعم أصحابها أنها ا كتب دين وعقيدة. فما أُنزلت الديانات وفُرضت العقائد إلا ليعتنقها الن اس، العامة منهم والخاصة، وهذا يزيد الأمر غرابة بحبس هذه الكتـ ب ع ن الناس المفترض أنها تتضمن دينهم. وواقع الأمر أنهم يخفونها لستر ما بها من باطل ومن وقوعها في أيدي العقلاء فينتقدونها ويسلطون الضـ وء علي ما بها من زيف ، الأمر الذي يحُول دون تحقيق المرامي والغايات

---

١٤١ – تبديد الظلام وتنبيه النيام – إبراهيم سليمان الجبهان

التي تكون في معظمها سياسية وارتزاقية. والقائلون بالمعاني الباطنة للقرآن هم من أرادوا الانحراف بمعانيه إذ يعلمون أن الله تعهد بحفظه، فسلّموا بحفظه نصا وشطوا في تفسير معانيه، وكل من ابتغى الفتنة من أعداء الإسلام –وهم كُثر– عمد إلى متشابه الآيات ولما عز عليهم تحريف القرآن إذ تعهد الله بحفظه، عمدوا في اجتراء وبلاهة إلى لي معانيه لتؤدي غير المقصود منها.

فمثلا يقولون في الآية"والشمس وضحاها"يعني رسول الله"، والقمر إذا تلاها"يعني عليّ "، والنهار إذا جلاها "يعني الوصية"، والليل إذا يغشاها "يعني خلافة أبي بكر وعمر. جاء ذلك في كتاب إثبات الوصية لابن المطهر أحد كبار أئمتهم ممن يكاد يبلغ عندهم درجة العصمة"[١٤٢].

ودرج الشيعة على التنصل من أباطيلهم بنسبتها إلى بعض طوائفهم دون البعض. فإذا اتهمت المبطل بما افترى، تبرأ وأنكر التبعة بإزاحتها إلى غيره. وهكذا يتناوبون توزيع أكاذيبهم ومفترياتهم بينهم ، فيتمكن المبطل من الإفلات بفعلته.فبينما يزعم الشيعة أن القرآن الذي يقرأه المسلمون الآن ليس كاملا، يقول البعض – من باب ذر الرماد في العيون– إن من يقول بذلك كافر. ويقول القمي، في معرض نفيه لتحريف القرآن: "اعتقدنا أن القرآن الذي أنزل الله تعالى على نبيه محمد هو ما بين

١٤٢– إبراهيم السليمان الجبهان – تبديد الظلام وتنبيه النيام

الدفتين، وهو ما في أيدي الناس ليس بأكثر من ذلك، إلى أن قال: ومـ ن نسب إلينا أنا نقول أكثر من ذلك فهو كاذب"[١٤٣]. وهو بذلك يرمي نفسـ ه بالكذب فها هو ذا يعود قائلا، أي القمي، في مقدمة تفسيره: "فالقرآن منه ناسخ ومنسوخ، ومنه ومنه محكم ومنه متشابه، ومنه عام ومنه خـ اص، ومنه تقديم ومنه تأخير، ومنه منقطع ومنه معطوف، ومنه حرف مكـ ان حرف، ومنه على خلاف ما أنزل الله" ١٤٤. ويقـ ول أبـ و جعفـ ر الطوسي المتوفى سنة ٤٦٠هجرية في تفسيره "التبيان": أما الكلام فـ ي زيادته ونقصانه فمما لا يليق به – إلى أن قال: "وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وآله رواية لا يدفعها أحد أنه قال: إني مخلف فيكم الثقلين مـ ا إن تمسكتم بهما لن تضلوا، كتاب الله وعترتي، أهل بيتي. وهذا يدل على أنه موجود في كل عصر لأنه لا يجوز أن يأمرنا بالتمسك بما لا يقدر التمسك به"١٤٥.

ومن أجل إثبات فضل العترة ﴿آل البيت﴾على الأمة، يحاول الشيعة تحريف القرآن، فيزعمون أنه جاء بأحقية علي بن أبي طالـ ب فـ ي الولاية ومن أجل هذه الولاية غيروا في كتاب الله، ونسبوا إلى أبـ ي

١٤٣– اعتقادات لابن بابويه القمي باب الأعتقاد في مبلغ القرآن ط إيران ١٢٢٤

١٤٤ – "تفسير القمي" ج١ ص٥

١٤٥– "التبيان" ص٣ ج١ ط نجف، وتفسير الصافي ص١٥

جعفر قوله إن الله هو الذي سمى عليا بأمير المؤمنين وأنه "أنزل في كتابه "وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشـ ـهدهم على أنفسهم ألست بربكم وأن محمدا رسـ ـولي وأن علي ـا أمي ـر المؤمنين"[١٤٦]، وأن "جبريل عليه السلام نزل بهذه الآية على محمد هكذا:"وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا في علي فأتوا بسورة من مثله"[١٤٧].وزعموا أن جبريل عليه السلام نزل على محمد صلى الله عليه بهذه الآية هكذا: يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنـ ـا في علي نوراً مبيناً"[١٤٨]. ويقول أحد أعلام الشيعة الذي يلقبونه بشيخ الإسلام وخاتمة المجتهدين الملا محمد باقر المجلسي: "إن عثمـ ـان حذف من هذا القرآن ثلاثة أشياء: مناقب أمير المؤمنين علي، وأهل البيت، وذم قريش والخلفاء الثلاثة مثل آية: يا ليتني لم أتخذ أبا بكـ ـر

١٤٦- ﴿الكافي ١/٣٤٠ كتاب الحجة. باب نادر﴾ ، كتاب الحجة من الكافي" باب النوادر ص٤١٢ ج١ ط طهران وص٢٦١ ط الهند

١٤٧-"كتاب الحجة من الكافي" باب فيه نكت ونتف من التنزيل، ص٤١٧ ج١ ط طهران ص٢٦٣ ط الهند

١٤٨-"كتاب الحجة من الكافي" ٤١٧ ج١ ط طهران ص٢٦٤ ط الهند

خليلاً" [١٤٩]. وزعموا أن أبا جعفر قال:" نزل جبريل عليه السلام بهذه الآية هكذا ﴿ إن الذين ظلموا آل محمد حقهم لم يكن الله ليغفر لهم طريقا إلا طريق جهنم﴾ وأنه قال ﴿ يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم في ولاية علي فآمنوا خيرا لكم وإن تكفروا بولاية علي فإن لله ما في السماوات وما في الأرض﴾ ١٥٠. وأنه قال :" هكذا نزلت هذه الآية ﴿ ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به في علي لكان خيرا لهم﴾ ١٥١.

وأليس في تفضيل العترة ما يخالف مبدأ المساواة الذي جاء الإسلام لإقراره؟ إنها دعوة عنصرية محضة ابتُدعت لتمجيد آل البيت الذين قال نبيهم ونبينا المصطفى صلوات الله عليه وسلامه : لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى، ولم يقل إلا بالنسب والقربى مني. ومن أروع ما ضُرب من مثل في إنكار مثل هذه العنصرية، قول المصطفى:سلمان منا آل البيت.وهو ليس بعربي وإنما فارسي. وفضل الأنبياء لا يورّث إلى أبنائهم بحكم العِرق والدم، فما كان ابن نوح صالحا.وتفضيل العترة إنما

١٤٩– تذكرة الأئمة – ص٩ قلمي

١٥٠–﴿الكافي ٣٥١/١ كتاب الحجة. باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية﴾

١٥١–﴿الكافي ٣٥١/١ كتاب الحجة. باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية﴾.

يمثل نوعا من الطبقية الدينية التي ما جاء الإسلام إلا ليناهضها ويبطلها ،، والكل يعلم ما قاله الحبيب المصطفى: والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها. وذلك في تأكيد تام للمساواة بين المسلمين،ونفي قاطع للطبقية الدينية، أو التميز بالعرق أو العنصر. وما أفسد رأي من قال بأن القرابة من النبي تمنح ضمانات ما، أو تضع أصحابها في مكانة أعلى من باقي المؤمنين. فالمعيار الوحيد الذي أرساه الله للمفاضلة بين الناس هو التقوى لا القرابة، إذ يقول:" إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُم "١٥٢ هكذا وببساطة. ولو كانت القربى هي المعيار فما كان الله ليسب أبا لهب عم النبي . وإذا صح حديث العترة، فأي عترة يقصدون؟ أهم الإثني عشر إماما أم أئمة الإسماعيلية والقرامطة والصفويين. و لماذا لا يكون ضمن هذه العترة فرع بني العباس – أي العباسيين– أليسوا من آل البيت النبوي؟ إذ إن العم– العباس– أولى من ابن العم– على بن أبي طالب.

ولإثبات التقية والبحث لها عن سند من القرآن ، ينسبون إلى أبي عبد الله تفسير الآية الكريمة: " ولا تَستَوِي الحَسَنَةُ ولا السَّيِّئَةُ "١٥٣ أن الحسنة هي التقية، والسيئة هي الإذاعة، وقوله تعالى: " ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ " أن المقصود بالتي هي

١٥٢– الحجرات ١٣

١٥٣–فصلت ٣٤

أحسن التقية "[١٥٤]، "ويرون أن مصحف فاطمة من كتبهم التي اختصوا بها وعلى هوامشه علم ما كان وما هو كائن وما سـ يكون،وإذا ضـ يقت عليهم في النقاش عادوا فقالوا إنه قرآن عادي غير أنه ا كاذ ت تكتـ ب الشروح والتفاسير في الهوامش. وأي تفاسير إضافية كتبت وأي معـ اني لاحت لها وخفيت على الصحابة وكيف كان يتسع لها الوقت لكتابة قرآن ثلاثة أمثال قرآن السنّة،ولا سيما أنها ماتت في سن الثالثـ ة والعشـ رين و وقتُها – رضي الله عنها–كان يضيق على أداء شؤونها المنزلية مما حـ دا بها أن تطلب خادما لتعينها على أعمال المنزل.

وفي" اعتقاد الشيعة الإسماعيلية أن القرآن الكريم كتاب العامـ ة، أمـ ا رسائل إخوان الصفا – وهي مجموعة رسائل فلسفية مجهولة المؤلف – فهو كتاب الأئمة والطبقة العارفة الخاصة "١٥٥.

والسنة المطهرة عند الشيعة هي أحاديث الأئمة المعصومين من أولاد عليّ بن أبي طالب كرم الله وجهه بشرط أن يكون المحدثون من الشيعة ومن حاكاهم ممن يطلقون على أنفسهم الرواة عن العترة آل البيت. "وقـ د

١٥٤– الكافي ١٧٣/٢ كتاب الإيمان والكفر باب التقية

١٥٥– د . مصطفى غالب – إخوان الصفا – دار مكتبة الهلال–بيروت

رووا عن علي بن أبي طالب ٦٨٦ حديثا مسندا إلى النبي لم يصح منه ا إلا نحو خمسين"[١٥٦].

"ويذكر الشيعة في كتب حديثهم وكلامهم أن عثمان – رضي الله عنه – نقص من آيات القرآن – بزعمهم – و مما قالوه في القرآن : إنه ك ان في سورة الشرح بعد قوله سبحانه: {وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ} كان بعدها – كما يفترون – "وعلياً صهرك"١٥٧﴾. وقال الشيخ محب الـ دين الخطيـ ب: «وهم لا يخجلون من هذا الزعم مع علمهم بأن سورة ﴿ الشرح ﴾ مكيـ ة وإنما كان صهره الوحيد العاصي بن الربيع الأموي» ١٥٨. وسئل أبـ و جعفر: لمَ سمي علي بن أبي طالب أمير المؤمنين؟ قال: الله سماه وأنـ زل في كتابه:"وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم علـ ى أنفسهم ألست بربكم وأن محمداً رسولي وأن علياً أمير المـ ؤمنين". ١٥٩ وقال: نزل جبريل عليه السلام بهذه الآية على محمد هكذا: "وإن كنتم في

---

١٥٦ – الفصل في الملل والنحل لابن حزم

١٥٧ –النواقض/ الورقة ١٠٣ ﴿مخطوط﴾

١٥٨ – الشيخ السيد محب الدين الخطيب –الخطوط العريضة: ص ١٥....

١٥٩ – محمد بن يعقوب الكليني "كتاب الحجة من الكافي" باب الـ نوادر ص٤١٢ ج١ ط طهران وص٢٦١ ط الهند

ريب مما نزلنا على عبدنا في علي فأتوا بسورة من مثله" ١٦٠. و قالوا: نزل جبريل عليه السلام على محمد صلى الله عليه وآله بهذه الآية هكذا: يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا في علـ ـي نـ ـوراً مبينـ ـاً". ١٦١ وزعموا نزول جبريل عليه السلام بآية هكذا :"يا أيها الناس قـ ـد جـ ـاءكم الرسول بالحق من ربكم في ولاية علي، فآمنوا خيراً لكـ ـم وإن تكفـ ـروا بولاية علي فإن لله ما في السماوات والأرض" ١٦٢. وأما الرواية فـ ـي الوصاية فيحرفون قول الله عز وجل في سورة الرحمن ويقولون: فبأي آلاء ربكما تكذبان أبالنبي أم بالوصي ".١٦٣

وصرف الشيعة آيات توحيد الله إلى ولاية علي، فنسبوا إلى أبـ ـي عبد الله أنه قال في الآية: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيكَ وإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِـ ـكَ لَـ ـئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ ﴾ ١٦٤يعني إن أشركت في الولاية غيره. وفي

---

١٦٠ –"كتاب الحجة من الكافي" باب فيه نكت ونتف من التنزيـ ـل، ص٤١٧ ج١ طـ طهران ص٢٦٣ ط الهند

١٦١ –"كتاب الحجة من الكافي" ٤١٧ ج١ طـ طهران ص٢٦٤ ط الهند

١٦٢ –"كتاب الحجة من الكافي ط ٤٢٤ ج١ طـ طهران ص٢٦٧ ط الهند

١٦٣ –"الكافي في الصول" باب أن النعمة التي ذكرها الله ص٢١٧ ج١ طـ طهران

١٦٤–الزمر ٦٥

الآية:﴿ بَلْ اللَّهَ فَاعْبُدْ وكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ١٦٥﴾ يعني بـ ل الله فاعبـ د بالطاعة وكن من الشاكرين أن عضدتك بأخيك وابن عمك" ١٦٦.

أما عما يزعمه الشيعة من نقص في القرآن، فقـ د ادعـ وا أن ثمـ ة سورتين كاملتين محذوفتان، هما سورة النورين وسورة الولايـ ة، واقـ رأ معي إفكهم:

١ – سورة " النورين":

{يا أيها الذين آمنوا آمِنوا بالنورين أنزلناهما يتلوان علـ يكم آيـ اتي ويحذرانكم عذاب يوم عظيم نوران بعضهما من بعض وأنـ ا السـ ميع العليم إن الذين يوفون ورسوله في آيات لهم جنات النعيم والذين كفروا من بعد ما آمنوا بنقضهم ميثاقهم وما عاهدهم الرسول عليه يقذفون في الجحيم ظلموا أنفسهم وعصوا الوصي الرسول أولئك يسقون من حمـ يم إن الله الذي نور السماوات والأرض بما شاء واصطفى من الملائكة وجعل من المؤمنين أولئك في خلقه يفعل الله ما يشاء لا إله إلا هو الرحمن الرحيم قد مكر الذين من قبلهم برسلهم فأخذهم بمكرهم إن أخذي شديد أليم إن الله قد أهلك عاداً وثمود بما كسبوا وجعلهم لكم تذكرة فلا تتقون وفرعـ ون بمـ ا

١٦٥–الزمر ٦٦

١٦٦– الكافي ١/٣٥٣ كتاب الحجة. باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية﴾

طغى على موسى وأخيه هارون أغرقته ومن تبعه أجمعين ليكون لكم آية وإن أكثركم فاسقون إن الله يجمعهم في يوم الحشر فلا يستطيعون الجواب حين يسألون إن الجحيم مأواهم وأن الله عليم حكيم يا أيها الرسـ ـول بلـ ـغ إنذاري فسوف يعلمون قد خسر الذين كانوا عن آياتي وحكمي معرضون مثل الذين يوفون بعهدك أني جزيتهم جنات النعيم إن الله لذو مغفرة وأجر عظيم وإن علياً من المتقين وإنا لنوفيه حقه يوم الدين ما نحن عن ظلمـ ـه بغافلين وكرمناه على أهلك أجمعين فإنه وذريته لصابرون وأن عدوهم إمام المجرمين قل للذين كفروا بعد ما آمنوا طلبتم زينة الحياة الدنيا واسـ ـتعجلتم بها ونسيتم ما وعدكم الله ورسوله ونقضتم العهود من بعد توكيـ ـدها وقـ ـد ضربنا لكم الأمثال لعلكم تهتدون يا أيها الرسول قد أنزلنا إليك آيات بينات فيها من يتوفاه مؤمناً ومن يتولاه من بعدك يظهرون فأعرض عنهم إنهـ ـم معرضون إنا لهم محضرون في يوم لا يغني عـ ـنهم شـ ـيء ولا هـ ـم يرحمون إن لهم جهنم مقاماً عنه لا يعدلون فسبح باسم ربك وكـ ـن مـ ـن الساجدين ولقد أرسلنا موسى وهارون بما استخلف فبغوا هارون فصـ ـبر جميل فجعلنا منهم القردة والخنازير ولعناهم إلى يوم يبعثون فاصبر فسوف يبصرون ولقد آتينا لك الحكم كالذين من قبلك من المرسلين وجعلنـ ـا لـ ـك منهم وصياً لعلهم يرجعون. ومن يتولى عن أمري فإني مرجعه فليتمتعوا بكفرهم قليلاً فلا تسأل عن الناكثين يا أيها الرسول قد جعلنا لك في أعنـ ـاق

الذين آمنوا عهداً فخذه وكن من الشاكرين إن علياً قانتاً بالليل ساجداً يحذر الآخرة ويرجو ثواب ربه قل هل يستوي الذين ظلموا وهم بعذابي يعلمون سنجعل الأغلال في أعناقهم وهم على أعمالهم يندمون إنا بشرناك بذريته الصالحين وإنهم لأمرنا لا يخلفون فعليهم مني صلوات ورحمـ ـة أحيـ ـاء وأمواتاً يوم يبعثون وعلى الذين يبغون عليهم من بعدك غضبي إنهم قـ ـوم سوء خاسرين وعلى الذين سلكوا مسلكهم مني رحمة وهم في الغرفـ ـات آمنون والحمد لله رب العالمين﴾[١٦٧].

٢ – سورة الولاية:

{يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالنبي والولي اللذين بعثناهما يهـ ـديانكم إلـ ـى صراط مستقيم نبي وولي بعضهما من بعض، وأنا العليم الخبير، إن الذين يوفون بعهد الله لهم جنات النعيم، فالذين إذا تليت عليهم آياتنا كانوا بآياتنـ ـا

١٦٧– ذكر هذه السورة : أ﴾ العلامة النوري الطبرسي في كتابه فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب ص ١٨٠ .

ب﴾ العلامة محمد باقر المجلسي في كتابه تـ ـذكرة الأئمـ ـة ص ١٨ ، ١٩ باللغـ ـة الفارسية منشورات مولانا

جـ ﴾ كتاب ﴿دبستان مذاهب ﴾ باللغة الفارسية .

د ﴾ العلامة المحقق ميرزا حبيب الله الهاشمي الخوئي في كتابه ﴿منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ﴾ جـ ٢. ص ٢١٧.

مكنبين، إن لهم في جهنم مقام عظيم، نودي لهم يوم القيامة أين الضـ الون المكنبون للمرسلين، ما خلفهم المرسلين إلا بالحق، وما كان الله لنظـ رهم إلى أجل قريب فسبح بحمد ربك وعلي من الشاهدين }﴿١٦٨﴾.

وقد يقول قائل: ما بال المبطلون يحرفون القرآن بالزيادة أو النقصان، بل ويبتدعون ما يشابه آيات القرآن مع أن الله قد تعهـ د بحفظـ ه مـ ن التحريف. ونرد بأن بوسع أي أحمق أن يقول كلاما ويزعم أنه من كلام الله تعالى. ولا يعتبر الأمر تحريفا مادام مفضوحا وواضحا ومن السهل كشفه مادام هذا التحريف غير راسخ أو ناسخ للحق والصحيح كما هـ و الحال مع الكتب السماوية السابقة التي طالها التحريف وتم استبدالها بحيـ ث حل المحرف مكان الصحيح. قال الفخر الرازي عند قوله سبحانه: {إِنَّـ ا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ }١٦٩، وإنا نحفظ ذلك الـ ذكر مـ ن

١٦٨– ذكر هذه السورة : أ﴾ العلامة المحقق ميرزا حبيب الله الهاشمي الخوئي في كتابه ﴿منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة﴾ جـ .٢ ص ٢١٧..

ب﴾ العلامة محمد باقر المجلسي في كتابه تذكرة الأئمة ص ١٩ ، ٢٠ باللغة الفارسية منشورات مولانا ، إيران .

١٦٩–الحجر ٩

التحريف والزيادة والنقصان – إلى أن قال: إن أحداً لو حـ اول تغيير حرف أو نقطة لقال له أهل الدنيا هذا كذب وتغيير لكلام الله حتى أن الشيخ المهيب لو اتفق له لحن أو هفوة في حرف من كتاب الله تعالى لقـ ال لـ ه الصبيان أخطأت أيها الشيخ وصوابه كذا وكذا.. واعلم أنه لم يتفق لشـ يء من الكتب مثل هذا الحفظ فإنه لا كتاب إلا وقد دخله التصحيف والتحريف والتغيير إما في الكثير منه أو في القليل، وبقاء هذا الكتاب مصوناً من جميع جهات التحريف مع أن دواعي الملاحدة واليهود والنصارى متوفرة على إبطاله وإفساده من أعظم المعجزات ﴿١٧٠﴾.ولما قال الشيعة بتحريـ ف القرآن الكريم احتجت النصارى بهذا القول وروجوا أن المسلمين يقولـ ون بتحريف قرآنهم، ويقول ابن حزم: وأما قولهم– أي النصـ ارى– فـ ي دعوى الروافض تبديل القرآن فإن الروافض﴿ أي الشيعة﴾ ليسـ وا مـ ن المسلمين ﴾ ﴿١٧١﴾. وإنكار بعض الشيعة للتحريف إنما هو مـ ن بـ اب التقية فهم لم يردوا على من قال بالتحريف، ولا تزال كتبهم تقـ ول بـ ه، ويعظمون القائلين به من "فقهائهم".

والقول بتحريف القرآن بل حتى الزعم بتأليف قرآن أمر يلقى هـ وى لدى الحمقى من المبطلين، ففي سنة ٣١٣هجرية زعم أحد حمقى ادعـ اء

---

١٧٠ – "مفاتيح الغيب" : ﴿١٩/١٦٠-١٦١﴾ .

١٧١ – "الفصل" ٢/٨٠ .

النبوة في المغرب، واسمه "حاميم " أنه تتزل عليه قرآن باللهجة البربرية، جاء فيه:" يا من يخلي البصر ينظر في الدنيا، خلني من الذنوب، يا من أخرج موسى من البحر آمنت بحاميم وبأبيه أبي خلف من الله....، وآمنت بتايغيت عمة حاميم وأخت أبي خلف من الله"١٧٢. ومن العجيب أن حاميم وجد من يناصره ويؤمن به وبقرآنه، ولله في خلقه شؤون. وللشيعة مراجع كثيرة تناولت موضوع تحريف القرآن يحاولون فيها تأكيد مزاعمهم بالتحريف١٧٣.

قال الشيعي نعمة الله الجزائري: " روي في الأخبار أنهم عليهم السلام أمروا شيعتهم بقراءة هذا الموجود من القرآن في الصلاة وغيرها والعمل بأحكامه حتى يظهر مولانا صاحب الزمان فيرتفع هذا القرآن من أيدي الناس إلى السماء ويخرج القرآن الذي ألفه أمير المؤمنين فيقرأ ويعمل بأحكامه ﴿١٧٤﴾ وقال أبو الحسن العاملي: " إن القرآن المحفوظ الموافق لما أنزله الله تعالى، ما جمعه علي بن أبي طالب وحفظه إلى أن وصل

١٧٢–العبر ج٦ ، ص ٢٨٨ ، نقلا عن الإسلام السري في المغرب العربي–د . إبراهيم القادري

١٧٣– انظر الملحق الثاني في الصفحة ٤٧٠ حيث أوردنا أسماء ٦٣ مرجعا شيعيا تتناول موضوع تحريف القرآن

١٧٤ – الأنوار النعمانية ج٢ ص ٣٦٠ .

إلى ابنه الحسن وهكذا إلى أن وصل إلى القائم "المهدي" وهو اليوم عنده "﴿١٧٥﴾ ويقولون: إن الإمام المهدي بعد ظهوره يتلو القرآن، فيقول: أيها المسلمون هذا والله هو القرآن الحقيقي الذي أنزله الله على محمد والذي حرف وبدل "[١٧٦]. ويقولون: الواجب أن نعتقد أن القرآن الأصلي لم يقع فيه تغيير وتبديل مع أنه وقع التحريف والحذف في القرآن الذي ألفه بعض المنافقين، والقرآن الأصلي الحقيقي موجود عند إمام العصر عجل الله فرجه"[١٧٧].

وينسبون إلى أبي عبد الله قوله: "إن عندنا الجفر وما يدريهم ما الجفر؟ قلت: وما الجفر؟ قال: وعاء من أُدُم فيه علم النبيين والوصيين وعلم العلماء الذين مضوا من بني إسرائيل. قلت: إن هذا هو العلم، قال: إنه لَعِلم وليس بذاك. ثم سكت ساعة ثم قال: وإن عندنا لمصحف فاطمة، وما يدريهم ما مصحف فاطمة. قلت: وما مصحف فاطمة؟ قال: مصحف فيه مثل

١٧٥- المقدمة الثانية لتفسير مرآة الأنوار ومشكاة الأسرار ص٣٦ وطبعت كمقدمه لتفسير ﴿البرهان﴾ للبحراني .

١٧٦- إرشاد العوام ص ١٢١ ج٣ فارسي نقلا عن كتاب الشيعة والسنة ص ١١٥ ﴿إحسان إلهي ظهير﴾

١٧٧- عقائد الشيعة على البرجردي ص ٢٧ فارسي نقلا عن كتاب الشيعة والسنه لإحسان إلهي ظهير ص ١١٥ .

قرآنكم هذا ثلاث مرات، والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد. قلت: هـ ذا والله العلم، قال: إنه العلم وليس بذاك، ثم سكت ساعة ثم قال: إن عندنا علم ما كان وعلم ما هو كائن إلى أن تقوم الساعة، ما يحدث بالليل والنهـ ار: الأمر بعد الأمر والشيء بعد الشيء" ١٧٨.

وكان القرآن – وسيبقى إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها – هـ و كلمة الله، وعين الحق، كل الحق، المنزه عن التحريف الذي لم تسلم منه سائر الكتب السماوية ، لذا فقد رآه أعداء الملة والدين، هو العدو الأل د. " اعتبر مردخاي الياهو، الحاخام الشرقي الأكبر الأسبق لإسرائيل أن القرآن أكبر عدو يواجه إسرائيل وقال في خطاب أمام مجموعة مـ ن منتسـ بي المدارس الدينية إن لنا أعداء كثيرين، وهناك من يتربص بنـ ا وينتظـ ر الفرصة للانقضاض علينا، وهؤلاء بإمكاننا عبر الإجراءات العسكرية أن نواجههم، لكن ما لا نستطيع مواجهته هو ذلك الكتاب الذي يسمونه القرآن، هذا عدونا الأوحد، هذا العدو لا نستطيع وسـ ائلنا العسـ كرية المباشـ رة مواجهته" ١٧٩.

١٧٨–﴿الكافي ١/١٨٤ كتاب الحجة : باب فيه ذكر الصحيفة والجفر والجامعة ومصحف فاطمة

١٧٩– كتاب العنصرية والإبادة الجماعية فـ ي الفكـ ر والممارسـ ة الصهيونية–د. غازي حسين

وإذا ما أعوز المبطلون تلفيق الأدلة لإثبات باطلهم، قالوا مـ ن فورهم بتحريف القرآن، ففرقة اليزيدية ﴿ أصلها طريقة صوفية ﴾ تزعم أن المسلمين قد حرفوا القرآن بأن أضافوا إليه آيات اللعـ ن والتعوذ من الشيطان – معبودهم– وكلمات شيطان وإبليس، لـ ذا فإنهم يمحون هذه الألفاظ من القرآن بالشمع.

الملائكة:

و نال أهل الضلال من باقي مفردات التصور الإسـ لامي، وطـ ال باطلهم الملائكة، وزعم الصوفية أن مشايخهم يرون الملائكة ويتحـ دثون معهم ويتلقون منهم. يقول حجة الإسلام " أبو حامد الغزالي فـ ي كتابـ ه ﴿المفصح بالأحوال﴾: إن الصوفية في يقظتهم يشاهدون الملائكة وأرواح الأنبياء، ويسمعون منهم أصواتا، ويقتبسون منهم فوائد "[١٨٠]. وعجبا لمـ ن يزعم رؤية أرواح الأنبياء وقد قال الله ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ ١٨١، أي لا علم لأحد بها كائنا من كان غيره تعـ الى، ومن يزعم خلاف ذلك فقد كذب وافترى على الله. ومن المعلوم أن تلك المشاهدات والتهيؤات وحالات الجذب والصـ عق ومشـ اهدة الملائكـ ة

١٨٠–عبد الكريم الخطيب – التصوف والمتصوفة

١٨١–الإسراء ٨٥

والأرواح التي يزعمها الصوفيون إنما هي من قبيل الهلاوس البصـ رية والسمعية التي تعن لغير الأسوياء من المرضى النفسيين والذهانيين بسبب تأثر العقل بخرف الشيخوخة أو بسبب معـ اقرة الخمـ ر أو الحشـ يش. والصوفية هم أول من تعاطى الحشيش ونصحهم به شيوخهم للاسـ تعانة به في التعبد. والعجب فيما رواه الصوفية عن إبليس، فشيخهم الحـ لاج مدح إبليس مدحا لم يقله أحد منهم في جبريل؛ إذ جعله سـ يد الملائكـ ة أجمعين لأنه أبى أن يسجد لغير الله ولذلك كان – في نظـ ره– أعظـ م الموحدين، فيقول الحلاج عن إبليس:" كان أعلمهم بالسجود، وأقربهم إلى الموجود، وأوفاهم بالعهود، وأدناهم للمعبود، سجدوا لآدم، وإبليس جحـ د السجود ١٨٢.كذلك قال أحمد الغزالي ﴿أخو الصوفي الشهير أبو حامـ د الغزالي صاحب الإحياء ﴾:" إن إبليس سيد الموحدين، وأنه من لم يـ تعلم التوحيد من إبليس فهو زنديق، أمر أن يسجد لغيـ ر الله فـ أبى" ١٨٣ ، ولذلك فإن اليزيدية ﴿عبدة الشيطان﴾ " استكروا لعن إبليس فـ ي القـ رآن الكريم، ومن ثم عكفوا على كتاب الله يطمسون بالشمع كل كلمة فيها لعن،

١٨٢–أبو منصور الحلاج : الطواسين ، طاسين الأبد والالتباس ، نشرة لويس ماسنيون : آلام الحلاج

١٨٣-انظر ابن أبي الحديد في شرحه لنهج البلاغة نقلا عن الدملوجي : اليزيدية ، د. سهير محمد علي الفيل : اليزيدية

أو لعنة، أو شيطان، أو استعاذة أو مشتقات هذه الكلمات ومدلولاتها، لفظا كان أو معنى، زاعمين أن ذلك لم يكن موجودا في أصل القرآن، وأن ذلك زيادة من صنع المسلمين"١٨٤.

وإليك طرفا من العلم اللدني الذي استأثر به الصوفية والشيعة حـ ول الملائكة: يزعمون " أن في كل مدينة من المدن عدداً كبيراً من الملائكـ ة مثل السبعين ملكاً يكونون عوناً لأهل التصوف من الأولياء فيما لا تطيقه ذات الولي؛ وهؤلاء الملائكة يكونون على هيئة بني آدم فمنهم من يلقـ اك في صورة خواجة، ومنهم من يلقاك في صورة فقي ﴿أي صـ وفي أو شحاذ﴾، ومنهم من يلقاك في صورة طفل صغير وهم منغمسـ ون فـ ي الناس ولكنهم لا يشعرون"[١٨٥]. وما من مانع من قيام الملائكة بأدوار أقـ ل أهمية كأن تهلل بل وتأخذ البركة من رضيع حديث الولادة، فيزعم الشيعة أنه حينما ولد المهدي المنتظر " كانت الملائكة تهبط وتصعد وتسلم عليـ ه وتتبرك به، وأن روح القدس طار به ليعلمه العلم مدة أربعين يوماً "[١٨٦].

١٨٤-مخطوط مصحف رش ص٦،الموسوعة الميسرة ص٥٥١ بتصرف د.سهير محمد علي : اليزيدية

١٨٥- الإبريز ص١٦٥،١٦٤ - نقلا عن تفنيد الصوفية

١٨٦-كتاب الغيبة ٢٤٠

ويزعمون أنه: " بينما رسول الله ﷺ جالس إذ دخل عليه ملك له أربعة وعشرون وجها، فقال له رسول الله ﷺ: حبيبي جبريل لم أرك في مثل هذه الصورة، قال الملك: لست بجبريل يا محمد، لقد بعثني الله عز وجل لكي أزوج النور من النور. قال: من ممن؟ قال: فاطمة من علي. قال: فلما ولى الملك إذا بين كتفيه مكتوب: محمد رسول الله وعلي وصيه. فقال رسول الله ﷺ منذ كم كُتِبَ هذا بين كتفيك؟ فقال: من قبل أن يخلق الله آدم باثنين وعشرين ألف عام" ١٨٧.

والعلم اللدني لدى الصوفية – الذين يفاخرون بالحصول عليه من الله مباشرة دون وحي أو وساطة – خير دليل على ما كان عليه الناس من جهل وأمية، اسمع ما يقوله الصوفي الجيلي وهو يتحدث عن عين الحياة:" إنها في جانب المغرب، ومن شرب منها لا يموت، ومن سبح فيها أكل من كبد البهموت، والبهموت حوت في البحر المالح جعله الله ليحمل الدنيا وما فيها، فإن الله لما بسط الأرض جعلها على قرن ثور يسمى البرهوت، وجعل الثور على ظهر حوت في هذا البحر يسمى

١٨٧– الكافي ٣٨٣/١ كتاب الحجة. باب مولد الزهراء عليها السلام .

البهموت، وهو الذي أشار إليه الحق تعالى بقوله: "وما تحـ ـت الثـ رى" ١٨٨. وطوبى لمن احترم عقله.

١٨٨- الجيلي- الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل ٢-٧٢ ، نقلا من كتاب عقائد الصوفية – محمود المراكبي ﴿بتصرف﴾

التخريف والتحريف في العبادات

لا يستقيم السلوك إلا باستقامة المعتقد، فظل العود لا يسـ تقيم والعـ ود أعوج، فبعد أن عبث الشيعة والصوفية في الأصول العقائدية للإسـ لام، كان عليهم مواصلة العبث بالعبادات والشعائر، فطال عبـ ثهم الصـ لاة والصيام والزكاة والحج. وابتداء يُسقط الصوفية أداء العبادات عمن بلـ غ درجة ما من التصوف والاتصال بالله– في زعمهم – فيعفون أنفسهم من أداء تلك الفروض ويستحلون الحرام، شأنهم في ذلك شـ أن البراهمـ ة الذين عَرفوا من قديم إسقاط التكاليف حيث يقول البرهمي: "حيث أكون متحداً مع برهماً لا أكون مكلفاً بعمل أو فريضة" .

و يعتقد "الجناحية" الشيعة أن المعرفة إذا حصلت لم يبق شيء مـ ن الطاعات واجبة ويتفقون في ذلك مع الصوفية ممن يتساهلون في الالتزام بالعبادات ويترخصون في إباحة المحرمات كالزنا واللواط منلما أباحتهما فرقة "المنصورية" الشيعية ، منلما أباح القرامطة شيوع النساء، وكـ ذلك الشيعة الاثنا عشرية يبيحون الزنا ويسمونه نكاح المتعة. وإذا لم يكن إسقاط العبادات بالكلية، فالانحرا ف بها عن مقاصدها .

ويرى البعض – ولا أرى ما يرون – أن البدعـ ة مقبولـ ة إن

كانت من الدين، ولا نعرف كيف تكون البدعة من الدين، ما دامت في اتجاه إثراء العبادات والفضيلة، وهو أمر محفوف بالمخاطر لأن العبادات توقيفية، ولو تركت المسألة لمن يرى إثراء الفضائل،لانتهى الأمر إلى فوضى، ولوجب علينا – أخذا بالمبدأ نفسه– التماس العذر لمن كذبوا علي النبي بالأحاديث الموضوعة مادامت في دائرة الحض على مكارم الأخلاق والترغيب والترهيب. والحق الذي نرى،هو الوقوف عند حدود العبادات التي كان عليها الصحابة والسلف الصالح، وإلا سيأتي اليوم الذي يصلي فيه المبتدعون الصبح أربع ركعات ويكون صومهم شهرين والحج على غير القادر المستطيع، وذلك بدعوى الإخلاص في التعبد.

وكانت حساسية المسلمين الأوائل شديدة تجاه أي ابتداع في الدين وإن كان يسيرا، وكانوا حراساً للإسلام الحنيف، فما شاهدوا انحرافاً ولو يسيراً إلا شددوا نكيرهم على فاعليه . وقد أنكر ابن عمر على رجل عطس، فقال: الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله قائلاً له: "ما هكذا علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بل قال: إذا عطس أحدكم فليحمد الله ولم يقل: وليصل على رسوله"!! [١٨٩] ذلك كان فهم الصحابة رضوان الله عليهم للدين. وذات يوم دخل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

١٨٩–رواه بنحوه الترمذي

المسجد في الكوفة فرأى حلقاً، وفي وسط كل حلقة أكوام من الحصـ ى، ورأى رجلا قائما على كل حلقة يقول لهم: سبحوا مئة فيسـ بحون مئـ ة، احمدوا مئة فيحمدون مئة، كبروا مئة، فيكبرون مئة؛ فقال لهم ابن مسعود رضي الله عنه: يا قوم! والله لأنتم على ملة هي أهدى من ملة رسول الله صلى الله عليه وسلم أو مفتحمو باب ضلالة [١٩٠]. وبالنظر إلى ما آل إليه حال ملتنا الحنيفة، يمكن القطع بحجم ما أصابها من تحريف وتخريـ ف. وانظر في ما يلي إلى بعض ما آل إليه حال العبادات على أيدي بعـ ض الفرق والطوائف "الإسلامية" :

الحج:

لا يحج "اليزيدية" إلى بيت الله الحرام ولكن يحجون إلى مرقد شيخهم مؤسس طريقتهم " عدي بن مسافر" بلواء الموصل بالعراق، ويحجـ ون سنويا في المدة من ١٢ إلى ٢٠ سبتمبر، ويسمون هذا الحج عيد القربـ ان أو عيد الضحية . ويعتقدون أن جبل "لالش" الذي يقع فيه المرقد المذكور مثل مكة التي يحج إليها المسلمون، بل هو في زعمهم أفضل منها ومـ ن الكعبة ذاتها، وأنه لا فائدة من زيارة مكة والكعبة لمن يقدر علـ ى زيـ ارة

---

١٩٠ -﴿رواه الدارمي ﴿١/٦٨﴾ بتمامه مع بعض اختلاف، وإسـ ناده جيد،

مرقد الشيخ عدي في جبل "لالش" الذي يسمونه ﴿ جبل عرفات ﴾، ويرون أن الغرض من الحج إلى بيت الله الحرام قد انتفى بالحج إلى زاوية الشيخ عدي المتصوف "١٩١. ومن أوسعها البدع انتشاراً بين مسلمي البوسنة و الهرسك ما يُعرف عند البشانقة–أهل البوسنة– باسم ﴿ الحج الأصغر ﴾ [١٩٢]، حيث يتوجه البوسنيون المسلمون بمختلف طبقاتهم الاجتماعية إلى بلدة "آيفاتوفيتسا" ، قرب مدينة آفحصار الشهيرة، في يومٍ محدَّدٍ من كلّ عام تحت تغطية إعلاميَّة واسعة، وتشجيعٍ كبيرٍ من المشيخة الإسلاميَّة! و رئاسة العلماء، و السلطات الرسميَّة في البلاد. و يتوافد عشرات الآلاف من الساسة، و رجال المشيخة الإسلاميَّة علماء و أئمة مساجد و طلبةً في الكليَّات والمعاهد العليا و المدارس الإسلاميَّة، من أقطار البوسنة و بلدان مجاورة منها صربيا، و كرواتيا، و ألبانيا، و غيرها لحضور هذه المناسبة، التي يطلقون عليها أسماء من قبيل: يوم الدعاء المقدَّس، و الاجتماع الديني و يتجرأ بعضهم فيسميها المكان ﴿الكعبةً المصغَّرةً ﴾، فضلاً عن تسمية المناسبة عند العامَّة بـ الحج الأصغر، ويتوجَّه جلُّ الحضور إلى القبور بالدعاء و التبرُّك و التوسُّل،

١٩١–الأمير جول : اليزيدية قديما وحديثا ص٨٣،تيمور : اليزيدية ومنشأ نحلتهم ص٢٧ ، هاشم البنا : اليزيديون ، د. سهير محمد علي : اليزيدية–بتصرف

١٩٢–انظر : مجلَّة الصف ، العددان ﴿ ٨ و ١٩ ﴾ .

بينما ينزع بعضهم من حجارة الجبل، و يغترفون من تربته ما يقوون على حمله، التماساً للبركة و إبراء المرضى، و قضاء الحوائج، مثلما يفعل الشيعة بطينة كربلاء. ويجري ذلك كلُّه باختلاطٍ الرجال بالنساء وتبرُّج الفتيات، ممَّا يجرِّد المناسبة من صفتها الدينيَّة ﴿ المبتدعة ﴾ . وما أشبه ذلك بالحج إلى حميثراء بصحراء عيذاب بالصحراء الشرقية بمصر، إذ يشد الرحال مئات الألوف من أتباع الحسن الشاذلي الصوفي المعروف إلى ضريحه سنويا. ويتراوح الأمر بين تجريد الفرض الديني من غايته، وبين إنكاره وإلغائه واستبداله بطقس بديل . وكانت إحدى التهم التي قتل الحلاج من أجلها هي إنكاره الحج إلى مكة بالذات، ودعوته إلى الحج القائم على النية الخالصة والتوجه القلبي. وكان يقول ببديل للحج يمكن إتمامه في بيت المسلم دون الحاجة إلى تجشم مصاعب السفر والطواف حول الكعبة. كذلك ينسب الشيعة إلى النبي قوله:"من زار قبر ولدي الحسين كان له عند الله كسبعين حجة،قال الراوي سبعين حجة،قال نعم وسبعمئة حجة،قال الراوي وسبعمئة حجة،قال نعم وسبعين ألف حجة قال الراوي وسبعين ألف حجة،قال نعم،ومن زار الحسين في قبره فكأنما زار الله في عرشه. وما أسهل الدس في الحديث والكذب على النبي الكريم ، فمن هان عليه القرآن كان الحديث النبوي عليه أهون.وعندما اقتيد عبد الكريم بن أبي العوجاء لضرب عنقه،قال لقد وضعت فيكم أربعة آلاف حديث أحرم فيها

وأحلل. وكتاب البخاري به نحو سبعة آلاف حديث، منها نحو ثلاثة آلاف حديث مكرر وصحت عنده من ستمئة ألف حديث كانت متداولة في عصره.

ويشهد شاهد من أهلها فيقول الإمام الشيعي محب الدين عباس الكاظمي، في كتابه سياحة في عالم الشيعة والتشيع الحوزة العلمية.... أسرار وخفايا ": إن هذه العقائد– يقصد الاعتقاد في الحج إلى كربلاء وما يصاحب ذلك من طقوس– ليست من دين الله في شيء ولا يمكن أن تكون على منهاج أهل البيت إنها هي من صنع أياد خفية أراد أصحابها لمراقد الأئمة الأطهار أن تكون بدائل يضاهون بها الكعبة ليصرفوا قلوب الناس عنها إلى تلك القباب والمشاهد، وتأمل كيف أنهم في الوقت الذي هونوا فيه من شأن الحج عظموا في مقابله من شأن المزارات تعظيما شديدا جعلوا به الناس إليها ﴿يحجون﴾ وعندها يلبون ويدعون ويبكون بل ويضحكون ويستغيثون وما بينها يهرولون ويسعون وحولها يطوفون وبها يتمسحون وأعتابها يقبلون وبها يقدمون القرابين ويوفون بالنذر ويذبحون كأنهم في الكعبة المشرفة ومن أراد أن يدرك معنى ذلك فليذهب إلى كربلاء في يوم عرفة!! إن أكثرية عوامنا اليوم يعتقدون بأن صحة الحج معلقة بزيارة الأئمة وإلا فالحج باطل والعكس غير صحيح!!" . وحرص الشيعة شديد على اختلاق عبادات بديلة للحج ليست من الحج في شيء،

وزعموا لها ثوابا عظيما يفضل ثواب الحج مرات ومرات ، فيقولون: "إن المؤمن إذا أتى قبر الحسين يوم عرفة واغتسل من الفرات ثم توجه إليه كتب الله له بكل خطوة حجة بمناسكها– أو قال– وغزوة "[١٩٣]. وعن الصادق: "من زار قبر الحسين يوم عرفة كتب الله له ألف ألف حجة مع القائم " أي الإمام المنتظر" وألف ألف عمرة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم " [١٩٤]. والشيعة يرون علو مقام كربلاء وضريح علي فوق مقام الكعبة وحجتهم في ذلك أن المسجد النبوي خير من المسجد الحرام لأن النبي مدفون فيه أما المسجد الحرام فليس فيه أحد، وبما أن الحسين ابن بنت النبي صلى الله عليه وسلم، إذن فقبره خير من الكعبة، وبما أن الإمام علي كرم الله وجهه أفضل من الحسين ، إذن فضريحه أفضل فهو أفضل من الكعبة!! . ويروى عن أبي عبد الله أنه أنكر على رجل جاءه ولم يزر قبر أمير المؤمنين فقال: بئس ما صنعت!! لولا أنك من شيعتنا ما نظرت إليك، ألا تزور من يزوره الله مع الملائكة ويزوره الأنبياء ويزوره المؤمنون [١٩٥]. ولمن استطاع سبيلا إلى الحج

---

١٩٣ – فروع الكافى للكلينى ٤/٥٨٠

٢– الفيض الكاشاني : "الوافي" : المجلد ١٤ جـ ٨ ص ١٤٧٧

١٩٥ – فروع الكافي ٤/ ٥٨٠

ولم يفعل، يمكنه دفع بدل أو تعويض أو قل رشوة تدفع لأحد الفقهاء، فيسقط عنه فرض الحج ولا يسأل عن عدم أدائه.

الصلاة والصيام :

"الصلاة عند اليزيدية لا يشترط لها طهارة ولا وضوء وليس فيها قيام وركوع. ويرون أن لا فائدة منها، ولا بأس من تركها، وهي ليست واجبة، بل الواجب هو طهارة القلب لا غير. وهم لا يلتزمون فيها بشيء مطلقا، فهم يأكلون ويشربون ويدخنون، وقد ينامون ويتغوطون، كل ذلك أثناء هذه الصلاة " ١٩٦. ومحرم عليهم استخدام الحمام والمرحاض، ويتغوطون – رجالا ونساء – في الأرض المكشوفة ويغتسلون بالمياه الجارية. أما صيامهم فصيامان: صيام العامة ويسمونه صيام يزيد، ومدته ثلاثة أيام تقع في أيام الثلاثاء والأربعاء والخميس الأولى من شهر ديسمبر سنويا ﴿ وهي أقصر أيام السنة﴾وهي تجزئ عن ثلاثين يوما طبقا للآية الكريمة:"من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ". ويفطر فيها الصائم بشرب الخمر المقدس. وصيام رجال الدين ومدته ثمانون يوما. و في المذهب

١٩٦– أحمد تيور : اليزيدية ومنشأ نحلتهم ، د . سهير محمد علي : اليزيدية

اليزيدي يمكن إسقاط الصيام والصلاة عمن يتقرب إلى شخص أو مكان من مقدساتهم١٩٧.

أما الشيعة فلهم تأويل باطني للعبادات: "فالصلاة هي الناطق الذي هو الرسول بدليل قوله تعالى إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، والوضوء هو موالاة الإمام وطاعته، والزكاة بتزكية النفس بمعرفة ما هم عليه من الدين، والكعبة بالنبي، والباب بعلي، والميقات والتلبية بإجابة المدعو، والطواف بالبيت سبعاً بموالاة الأئمة السبعة – أئمة الشيعة الإسماعيلية – والجنة براحة الأبدان عن التكاليف، والنار بمشقتها بمزاولة التكاليف، وأن الدين طاعة رجل وأن الصلاة والزكاة وغيرهما إنما هي كنايات عن رجال" ١٩٨. ذلك ما آل إليه إسلامنا الحنيف عند بعض الطوائف التي لا تزال تعيش بين ظهرانينا حتى الآن ويرى الشيعة أن مشاهد أئمتهم خير من المساجد، والصلاة فيها أفضل من الصلاة في المساجد" ١٩٩. وقد ورد أن الصلاة عند ضريح علي كرم الله وجهه أفضل بمائتي ألف صلاة " ٢٠٠، أي أفضل من الصلاة عند النبي

١٩٧– د. سهير محمد على : اليزيدية –بتصرف

١٩٨– الخوانساري –روضات الجنات ص٧٣١

١٩٩ – منهاج الصالحين للخوئى ١٤٧/١

٢٠٠ – منهاج الصالحين للخوئى ١٤٧/١

بعشرين مرة!! "و اختصر الشيعة الصلاة من خمس إلى ثلاث مـ رات في اليوم، ولا يؤذن لها ولا تؤدى في غير هذه الأوقـ ات. ومـ نهج " التيسير" وإسقاط العبادات نهج يأخذ به الصوفية أيضا حتى أنهم يسقطون العبادات بالكلية لمن يبلغ درجة ما من التصوف. أما عن صلاة الجمعـ ة "فقد حذفها الشيعة أو عطلوها منذ القرن الخامس الهجري وإذا أصدر فقيه فتوى بإقامتها فلا يقيمها إلا مقلدوه فإن مات أو قتل انقلبوا إلى فتوى فقيـ ه آخر قد يفتي باستحبابها أو بطلانها بعد أن كان سلفه يقول بوجوبها والكل يدعي أن الدليل معه وأنه جعفري المذهب!! "٢٠١. وليس يخفي حرص اليد الخفية على إبطال الجمعة، فهي اجتماع أسبوعي تعليمـ ي تـ وجيهي للناس وخصوصا العوام الذين يحرص المبطلون على إبقائهم في جهـ ل وغفلة. "وصلاة الجماعة محذوفة أو مهملة لا يُهتم بها إلا قليلا أو عـ ى سبيل الاستحباب وتجد لإقامتها شروطا صعبة أو تعجيزية مثـ ل وجـ ود ﴿الغائب﴾ أو نائبه، أو من تتوفر فيه شروط العدالة والسلامة مـ ن كـ ل عيب أو نقص بالنسبة للمصلى، وإذا أقيمت أحيانا فبلا نظـ ام أو تسـ وية صفوف " ٢٠٢."كما حذفت صلاة العيد أو أهملت واستبدلت بها زيارة

٢٠١–سياحة في عالم الشيعة والتشيع ، الحوزة العلمية ...أسرار وخفايا –الإمام الشيعي محب الدين عباس الكاظمي

٢٠٢–سياحة في عالم التشيع

المقابر إذ يهرع إليها الناس منذ منتصف الليل وبأعداد غفيرة يسابقون الفجر أو الشمس وإلا فإن ميتهم لن يراهم! أما عن النوافل فمحذوفة من المنهاج العملي وإن كانت موجودة نظريا وقيام رمضان معطل بالكلية في المساجد !!ويسع تارك الصلاة أن يدفع مبلغا من المال إلى "السيد" كي يؤديها عنه "٢٠٣.

ويزعم الشيعة أن الصلاة يُقصد بها الولاية، ويفسرون قول الله تعالى:

" مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ المُصَلِّينَ "[٢٠٤]، بمعنى لم نتول وصي محمد– أي علي بن أبي طالب – والأوصياء من بعده"[٢٠٥]. ولأن العقيدة الشيعية تدور كلها في فلك أساسي هو ولاية علي بن أبي طالب وأبنائه من بعده، لذا كان حرصهم محموما على تأكيد هذه الكذبة، وراحوا يصطنعون لها الأسانيد والأدلة مهما بلغ بهم الشطط ومهما كانت حججهم واهية. ولم يسأل أحدُهم نفسه: مادامت الولاية بهذه الأهمية، والتي اعتبروها ركنا أساسيا من أركان الإسلام الخمسة ، فلماذا نُكرت هذه الأركان في القرآن دون ذكر الولاية تصريحا أو تلميحا؟ لذلك لم يكن

٢٠٣–سياحة في عالم التشيع

٢٠٤–المدثر ٤٢، ٤٣

٢٠٥– الكافي ٣٦٠/١ كتاب الحجة. باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية

أمامهم من بد سوى القول بنقص القرآن والزعم بحذف آيات الولاية منه، كما دفعهم ذلك إلى محاولة تحريفه –هيهات–بإضافة إليه م ا ليس منه بقصد إثبات مزاعمهم ومسخوا معاني آيات الله فزعموا أن الصلاة معناها إتباع الإمامة وتولِّي علي بن أبي طالب والأئم ة، وأن المسجد الحرام يرمز إلى أمير المؤمنين. كل ذل ك لتطوي ع نصوص القرآن والسنة كي تساير مزاعمهم.

القرآن: استبداله بالأنكار والأوراد

لما أراد أعداء الإسلام دس التحريف والتخريف في الإسلام، تركزت جهودهم على تغييب القرآن من حياة المسلمين بع د أن تع ذر عل يهم تحريفه، فأحلوا قراءة أنكارهم وأورادهم المبتدعة مكان القرآن الك ريم وجعلوا للعكوف عليها ثوابا عظيما. ومن تلك الأوراد ما يعلن البراءة من جميع أهل السنة، ومنها ما يلعن أبا بكر الصديق وغير ذلك من كفريات. وابتدع الصوفية صلاة بديلة للصلاة التي علمها النبي الكريم للمس لمين، وأسموها صلاة الفاتح ويبلغ فضلها –في زعمهم– ستة آلاف ﴿أو ستين ألف﴾ ضعف ثواب قراءة القرآن الكريم. و أحل الص وفية الخانق اة والتكية مكان المسجد، شأنهم في ذلك شأن الماسونية اليهودية التي أحل ت

المحافل الماسونية مكان دور العبادة في سعيها إلى إحلال الماسونية محل الأديان.

واهتمام الشيعة بقراءة القرآن أو حفظه أو تحفيظه على غرار ما يفعله أهل السنة والجماعة، اهتمام ضئيل، ومعدوم في بعض الأحايين، ولا يتلوه غير بعض المعوقين والعميان في المقابر على الموتى لقاء دراهم معدودات. وصرف أربابُ الباطل الناس عن القرآن بدعوى صعوبة فهمه وازدواج معانيه بظاهر وباطن، ورموه بالتحريف والنقصان، فانصرف الناس عنه إذ قال لهم أربابهم من أئمة "الدين" بأنهم وحدهم ينفردون بفهم المرامي الخفية لآياته، في حين أن الله يقول:" كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الأَلْبَابِ"٢٠٦. واستبدل الشيعة كتب الأدعية والزيارات بالقرآن الكريم، تماما مثلما عكف الصوفية على الأذكار والأوراد وهجروه. واليد الخفية عمدت من قديم إلى اصطناع جفوة بين المسلمين وقرآنهم، ونجحت في ذلك إذ هو مهجور إلا في المقابر والإذاعات، وتم تنحيته عن أن يكون هو الدستور الهادي لهم. وما تحقق رشد هذه الأمة إلا بقرآنها، لذا ستبقى في زمان الغي والجهالة طالما هجرت كتابها، وتكون بذلك مقضيا عليها ألا تشب عن الطوق أبدا.

٢٠٦- ص ٢٩

- الوثنية البديلة: تقديس القبور وزيـ ـارة المشـ ـاهد والأضرحة، والاستغاثة بغير الله:

قال النبي صلى الله عليه وسلم: "لعن الله اليهود والنصـ ـارى اتخـ ـذوا قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد " ٢٠٧. والشيعة – وهم مـ ـن يـ ـدعون انتماءهم إلى البيت النبوي – كانوا أول من خالف النبي فكانوا روادا بناء الأضرحة والمشاهد فوق قبور أئمتهم منذ بداية القرن الثالـ ـث الهجـ ـري، وتبعهم بعد ذلك الصوفية، ولما أرسل علي بن أبي طالب رضـ ـي الله أبا الهياج الأسدي إلى اليمن قال له: ألا أبعثك على ما بعثني به رسول الله صلى الله عليه وسلم: أن لا تدع قبراً مشرفاً ﴿أي ظاهراً بارزاً عالياً عن الأرض﴾ إلا سويته ولا تمثالاً إلا طمسته[٢٠٨]ولما شاع أيام العباسيين بناء الأضرحة والمشاهد، قام الخليفة العباسي المتوكل في سنة ٢٣٦هـ بهدم القبر المنسوب إلى الحسين بن علي رضي الله عنهما وما حولـ ـه مـ ـن المنازل ونودي في الناس أن من وجد هنا بعد ثلاثة أيام ذهب به إلـ ـى

٢٠٧–﴿متفق عليه﴾.

٢٠٨– صحيح مسلم

المطبق ، فلم يبق هناك بشر، واتخذ ذلك الموضع مزرعة تحرث وتستغل"[٢٠٩].

واعتبر الشيعة أماكن قبور أئمتهم المزعومة أو الحقيقية "حرماً" مقدساً: فالكوفة حرم، وكربلاء حرم، وقم حرم – عندهم – وغيرها. وجاء في "الوافي" ﴿أن الكوفة حرم الله وحرم رسوله صلى الله عليه وآله وحرم أمير المؤمنين وأن الصلاة فيها بألف صلاة والدرهم ﴿أي زكاة﴾ بألف درهم﴾[٢١٠]. ويروون عن الصادق أنه قال: ﴿إن لله حرماً هو مكة ولرسوله حرماً وهو المدينة ولأمير المؤمنين حرماً وهو الكوفة ولنا حرماً وهو قم ستدفن فيه امرأة من ولدي تسمى فاطمة من زارها وجبت له الجنة﴾[٢١١] وكربلاء عندهم أفضل من الكعبة، يقولون: ﴿إن الله أوحى إلى الكعبة لولا تربة كربلاء ما فضلتك ولولا من تضمنته أرض كربلاء ما خلقتك ولا خلقت البيت الذي به افتخرت، فقري واسكني وكوني ذنباً متواضعاً ذليلاً مهيناً غير مستكف ولا مستكبر لأرض كربلاء وإلا سخت بك وهويت بك في نار جهنم﴾[٢١٢]. وزيارة قبور

٢٠٩– ابن كثير – ﴿البداية والنهاية ص٣١٥ ج١﴾

٢١٠ – "الوافي" ، باب فضل الكوفة ومساجدها المجلد ١٤ جـ ٨٠ ص ١٤٣٩.

٢١١ – "البحار" : جـ ٩٩. ص ٢٦٧ ط احياء التراث العربي – بيروت .

٢١٢ – "البحار" : جـ ٩٨. ص ١٠٧ .

الأئمة والدعاء والصلاة عندها والتوسل والاستشفاع بهم كل ذلك عندهم أفضل من الحج إلى بيت الله، يقولون: ﴿ إن الله يبدأ بالنظر إلى زوار قبر الحسين بن علي عشية عرفة قبل نظره إلى أهل الموقف، لأن في أولئك أولاد زنا وليس في هؤلاء أولاد زنا﴾[٢١٣]. وفي "الوافي" قال الصادق: ﴿من عرف عند قبر الحسين فقد شهد عرفة ﴾[٢١٤]. وعن الصادق: ﴿ من زار قبر الحسين يوم عرفة كتب الله له ألف ألف حجة مع القائم، وألف ألف عمرة مع رسول الله صلى الله عليه وآله ، وعتق ألف ألف نسمة ، وحمل ألف ألف فرس في سبيل الله ، وسماه الله عز وجل عبدي الصديق آمن بوعدي وقالت الملائكة فلان الصديق وزكاه الله من فوق عرشه ﴾[٢١٥]. والصلاة عند القبور تعد عندهم من القربات المضاعفة.ويرون أن "ثواب الصلاة ركعة واحدة في حرم الحسين كثواب من حج ألف حجة، واعتمر ألف عمرة وأعتق ألف رقبة وكأنما وقف في سبيل الله ألف ألف مرة مع نبي مرسل" [٢١٦]. وليس هذا خاصاً بحرم الحسين، وإنما هذا الفضل لأضرحة كل أئمتهم، ففي "البحار"

---

٢١٣ – الفيض الكاشاني : "الوافي" : المجلد ١٤ جـ ٨ ص ١٤٦١ .

٢١٤ – الفيض الكاشاني : "الوافي" : المجلد ١٤ جـ ٨ ص ١٤٧٦ .

٢١٥ – نفس المصدر السابق ص ١٤٧٧ .

٢١٦ – المصدر السابق : ص ١٤٧٨ .

للمجلسي: ﴿من زار الرضا أو واحدا من الأئمة فصلى عنده، فإنه يكتب له – ثم ذكر ما جاء في النص السابق وزاد – وله بكل خطوة مائة حجة ومائة عمرة وعتق مائة رقبة في سبيل الله وكتب له مائة حسنة وحط عنه مائة سيئة﴾ [٢١٧]. بل ومضوا في غيهم فقالوا إن الأنبياء والملائكة تـ زور قبور أئمتهم، ولما لم يجدوا منكِرا لهذا التخريف، اجترءوا على الله وقالوا إنه –جل جلاله–يزور قبور أئمتهم، ففي "البحار" للمجلسي: ﴿ أن قبـ ر أمير المؤمنين يزوره الله مـ ع الملائكـ ة ويـ زوره الأنبيـ اء ويـ زوره المؤمنون﴾ [٢١٨]. وللزيارة عندهم مناسك وطقوس : فيغتسـ لون قبـ ل دخول المشهد ، ولابد للزائر من استقبال الضريح وإن اضطره ذلك إلى استدبار القبلة ، ثم يتكئ على الضريح ويقبله ، ويصلى ركعتين! أي يعتبر قبر الإمام قبلته وإن كانت الكعبة خلفه . وهم يجعلون من هذه المشـ اهد والمزارات وسيلة للتكسب والعيش. واسمع ما شهدوا به على أنفسـ هم: جاء في رسائل إخوان الصفا – وهي من تأليف الشيعة الإسماعيلية – أن "من الشيعة من جعل التشيع مكسباً، وجعلوا شعارهم لزوم المشاهد وزيارة القبور " [٢١٩]. ويصف لنا ابن جبير الرحالة الشهير التماس الناـ اس المـ دد

---

٢١٧ – المجلسي : "البحار" : ﴿٩٧/١٣٧–١٣٨﴾ .

٢١٨ – المجلسي : "البحار" : ﴿٩٧/٢٥٨﴾ .

٢١٩– ﴿رسائل إخوان الصفا ج ٤ ص١٩٩﴾.

والعون من قبر الحسين وكأنه يصفهم الآن، يقول:" وشاهدنا من اس تلام الناس للقبر المبارك –يقصد قبر الحسين – وإحداقهم به وانكب ابهم علي ه وتمسحهم بالكسوة التي عليه وطوافهم حوله م زدحمين داع ين ب اكين متوسلين إلى الله سبحانه ببركة التربة المقدسة ومتضرعين ما يذيب الأكباد ويصدع الجماد والأمر فيه أعظم ومرأى الحال أهول". وحقيقة الأم ر أن الطواف حول القبور والتماس البركات من الأضرحة وطل ب الغ وث والمدد من الموتى لهو عين الوثنية التي جاء الإسلام ليقوضها.

وعكف المبطلون على عبادات مبتدعة ما أنزل الله بها من سـ لطان ولم يزاولها السابقون ممن صح دينهم. فالشيعة يحتفلون باستشهاد الحسين ويمارسون طقوسا عجيبة تتسم بالوحشية والقسوة، فيضربون أنفس هم – وأبناءهم حتى الرضع منهم –بالسلاسل والخناجر والسيوف حزنا عل ى الحسين الذي مات منذ أكثر من ثلاثة عشر قرنا، علما بأنهم هم من تخلوا عنه بعد أن وعدوه بالنصرة والعون. ولم يحدث أن ضرب أحـ د م ن الصحابة نفسه بالسلاسل حزنا على ميت وقد استشهد فيهم صحابة أجلاء، بل ومات فيهم النبي ولم يضرب أحد نفسه بالخناجر حزنا عليه. وكـ ذلك الاحتفال بالموالد للمشايخ بدعة فلم يحتفل أحد من الصحابة بمولده أو بمولد النبي. وإنما استحدث المبطلون الاحتفال بالمولد النبوي حتى يرفع الحرج عن الاحتفال بموالد مشايخ الصوفية.

أما عن تقديس الأموات في الفكر الصوفي فحدث ولا حرج، فيبدون المشاهد فوق قبور مشايخهم ويتخذونها مساجد تُشد إليه الرحال ويتوجه إليها الناس من كل حدب وصوب. وانظر كيف يحج مئات الألوف من الصوفية إلى أضرحة أحمد البدوي وأبي الحسن الشاذلي وعبد القادر الجيلاني وغيرهم. وشاع بين المسلمين اتخاذ قبور مشايخهم مساجد، وساقهم ذلك إلى ما يمكن اعتباره شركا بالله إذ يتوجهون بالدعاء للمقبورين ويستغيثون بهم ويطلبون منهم قضاء حوائجهم بدلا من الله تعالى، وهل يختلف ذلك عن شرك الجاهلية عندما كان المشركون يتوجهون إلى أوثانهم بالدعاء والاستغاثة وطلب قضاء حوائجهم. وانظر المدافع المزعومة لزيارة قبر الحسين، يقولون: أيما مؤمن أتى قبر الحسين عارفا بحقه في غير يوم عيد كتب له عشرين حجة وعشرين عمرة مبرورات مقبولات، وعشرين حجة وعمرة مع نبي مرسل أو إمام عادل. ومن أتاه في يوم عيد كتب له مائة حجة وعمرة ومائة غزوة مع نبي مرسل أو إمام عادل!!﴾ [٢٢٠]. واستبدل الشيعة الحسينيات بالمساجد، وهي أماكن لإقامة التعازي والنياحة على الموتى واللطم في بعض المواسم، وهي للسمر وتناول الطعام والشراب والتدخين.

---

٢٢٠ – فروع الكافي ٤/٥٨٠ –٥٨١ باب فضل زيارة الحسين عليه السلام

أما المساجد فمهجورة إذ لا يقيمون فيها الجمع أو الجماعات، في حين يتوسعون في بناء المزارات والمراقد والمقامات.

ولما كانت المزارات والأضرحة وسائل للارتزاق، لم يتورعوا عن اختلاق أضرحة وهمية: فتجد ضريحا لجعفر الطيار الذي لم يزر العراق قط وقد استشهد في معركة مؤتة . واختلقوا مرقدا للإمام الباقر والمعروف أنه مدفون في المدينة المنورة، وغير ذلك من المراقد الموهومة كمرقد النبي شعيب وقد مات في مدين في الشام .

الباب الثاني

الشيعة والانحراف العقائدي والسلوكي

- الفصل الأول: كلام عن الشيعة
- الفصل الثاني : الولاية والوصاية
- الفصل الثالث: العصمة
- الفصل الرابع :حكاية الإمام المنتظ ر: مول ده وغيبته ورجعته
- الفصل الخامس: سـ ب الصـ حابة ولعـ ن أم المؤمنين
- الفصل السادس: نكاح المتعة

- **الفصل السابع: البداء**
- **الفصل الثامن: التقية**
- **الفصل التاسع: الخُمس**
- **الفصل العاشر: التقريب بين الشيعة والسنة**

كلام عن الشيعة

هل الشيعة مسلمون أم كفرة؟ وإن كانوا مسلمين فما هو وجه مخالفتهم أهل السنة والجماعة؟ وهل هذه المخالفة في مسائل فقهية تتعلق بالنظر في التفاصيل التي يجوز الاختلاف بشأنها أم تتعلق بأمهات التصور الإسلامي؟ وإن كانوا على غير الإسلام فما هي أدلة مفارقتهم للدين؟ وما علاقتهم الحقيقية بالإسلام والمسلمين على مر التاريخ، وهل كانوا عونا للدين أم حجر عثرة في طريق المد الإسلامي إلى أوروبا والعالم؟ وهل التشيع ملة إسلامية أم أنها كما يقول البعض من أن " الحركة الشعوبية تفسر عادة كرد فعل للروح الفارسية الآرية ضد الإسلام السامي "[٢٢١]. وهل بدأ الخلاف السني الشيعي خلافا سياسيا ثم انقلب مصادمة عقائدية كما يظن البعض؟ أم أنه خلاف ديني في المبتدأ وإلى يوم الدين؟

وهل الشيعة يؤلهون أئمتهم ويرون في زيارة أضرحتهم ثوابا يفوق أجر الحج إلى بيت الله الحرام ويرون الطواف حول قبورهم كالطواف

٢٢١- تراث الإسلام- تصنيف شاخت وبوزورث – الجزء الأول

حول الكعبة[٢٢٢]. وهل يأكلون الطين المأخوذ من مشاهد أئمتهم بغ رض العلاج؟ وهل يبيحون الزنا ويسمونه "نكاح المتعة" ويرون الإيمان بـ ه ومقارفته أصلا من أصول الدين ومنكره منكر للدين، وأن ممارسة هذا الزنا يطفئ غضب الرب، وأن المتمتعة من النساء – الزانية – مغف ور لها، وأن نكاح المتعة من أعظم أسباب دخول الجنة ومجاورة الأنبياء فيها، ومن لا يقترف هذا الزنا يأتي يوم القيامة مقطوع العضو. وهل يبيح ون اللواط ومضاجعة الرضيعة والبكر والمتزوجة وإع ارة الف روج[٢٢٣]، وهل لا يصلون الجمع والجماعات، وهل يحرّمون الجهاد حتى يظه ر إمامهم الغائب، وهل يؤمنون بتحريف كتاب الله ويزعمون تنزيل كتب إلهية على أئمتهم بعد القرآن الكريم، و هل يرون أن الإمامة أعلى مقام ا من النبوة والأئمة عندهم كالأنبياء ولهم صلاحيات إلهية ، وهل يفسرون عبادة الله بأنها طاعة الأئمة وأن الشرك بالله طاعة غيرهم معهم، وه ل يكفّرون الصحابة الأطهار ويرمونهم بالردة عن الإسلام ، وهل يلعن ون أمنا عائشة زوج الحبيب المصطفى، وهل لهم اعتقادات ف ي الإمام ة والعصمة والتقية والرجعة والغيبة والبداء؟ وكلها اعتقادات مغايرة للملـ ة

٢٢٢– الكافي ١/٢٨٧ كتاب الحجة باب:ما يفصل به بين دعوى المحق والمبطل

٢٢٣– أنظر فصل زواج المتعة للرجوع إلى المراجع الشيعية

والدين . الجواب عن كل ما تقدم هو: نعم، وهذا ما سنفصله في الصفحات التالية مشفوعا بالحجج والأدلة بإذن الله تعالى.

والشيعة – ابتداء – صرّحون بأنهم لا يعبدون رب أهل السنّة، ولا يؤمنون بنبوة محمد ، واقرأ ما يقوله أحد كبار علمائهم وهو يقول: " إننا لم نجتمع معهم – أي مع أهل السنة – على الله و لا على نبي و لا على إمام، وذلك أنهم يقولون: إن ربهم هو الذي كان محمد نبيه، و خليفته بعده أبا بكر، ونحن – أي الرافضة – لا نؤمن بهذا الرب و لا بذلك النبي، إن الرب الذي خليفة نبيه أبو بكر، ليس ربنا و لا ذلك النبي نبينا [٢٢٤].

ولما كان المعتقد الشيعي يدور كله حول فكرة انفراد علي بن أبي طالب وأبنائه بحكم المسلمين، اقتضى الأمر بالضرورة إضفاء صفات ربانية وقدرات إلهية عليه وآله، وغالوا كثيرا في تصوير تلك القدرات حتى ساووا بين الأئمة وبين الله، فيقولون إن الحسن رضي الله عنه كان يعرف سبعين مليون لغة [٢٢٥] ، وإن الله يعطي الإمام جميع اللغات ومعرفة الأنساب والآجال والحوادث. وأن للأئمة علم ما كان وعلم ما يكون وأنه لا يخفى

٢٢٤– نعمة الله الجزائري – الأنوار النعمانية

٢٢٥– الكليني – الكافي ٣٨٥/١

عليهم شيء، وأنهم يحيون ويميتون[٢٢٦].

يقول الله تعالى: "وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا " ٢٢٧، في زعم الشيعة أن أئمتهم يقولون: "نحن واللهِ الأسماء الحسنى التي لا يقبل الله من العباد عملا إلا بمعرفتنا، بنا أثمرت الأشجار وجرت الأنهار، وبنا ينزل غيث السماء وينبت عشب الأرض، وبعبادتنا عُبِدَ الله، ولولانا ما عُبِد" [٢٢٨]، وقولهم، أي الأئمة،:" نحن لسان الله، ونحن وجه الله، ونحن عين الله في خلقه[٢٢٩]. ويزعمون أن الله خلق جميع الأشياء وفوض أمورها إليهم، فهم يحلون ما يشاءون ويحرمون ما يشاءون، ولن يشاءوا إلا أن يشاء الله[٢٣٠]. و أن الدنيا والآخرة للإمام، يضعهما حيث يشاء ويدفعهما إلى من يشاء " [٢٣١]. وقالوا: إن الله سيجمع لنا ولشيعتنا الدنيا والآخرة ويدخلهم جنات النعيم ويدخل عدونا الجحيم [٢٣٢].

٢٢٦–الكافي ٤٢٦/١ كذلك انظر في المجلد نفسه ٢٠٤ و٢١٧ و٢٢٥

٢٢٧–الأعراف ١٨٠

٢٢٨–الكافي ١١١/١ كتاب التوحيد: باب– النوادر

٢٢٩– الكافي ١١٢/١ كتاب التوحيد: باب النوادر

٢٣٠–الكافي ٣٦٥/١ كتاب الحجة. باب مولد النبي ﷺ ووفاته

٢٣١– الكافي ٣٣٧/١ كتاب الحجة. باب أن الأرض كلها للإمام

٢٣٢– الكافي ٣٩٤/١–٣٩٥ كتاب الحجة. باب مولد جعفر بن محمد

وقالوا: " أي إمام لا يعلم ما يصيبه وإلى ما يصير، فليس ذلك بحجة لله على خلقه" [٢٣٣].

ويرى الشيعة أن أكبر آيات هذا الكون – على اتساعه وعظمته – هي علي بن أبي طالب فزعموا أن عليا قال في تفسير الآية الكريمة:" عَمَّ يَتَسَاءلُونَ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ "٢٣٤. قال: ما لله عز وجل آية هي أكبر مني، ولا لله من نبأ

أعظم مني " [٢٣٥]. لذا كان عليهم الزعم بأن الملائكة في السماوات العلى تدين بولاية علي بن أبي طالب : فنسبوا إلى أبي جعفر قوله « والله إن في السماء لسبعين صفا من الملائكة وإنهم ليدينون بولايتنا» [٢٣٦]. وإذ يرى الشيعة أن الأئمة ضروريون لتعليم الناس دينهم ، فما القول في ما يدين به الناس منذ اختفاء آخر هؤلاء الأئمة في السرداب منذ أحد عشر

---

٢٣٣ – الكافي ٢٠٢/١ كتاب الحجة باب أن الأئمة يعلمون متى يموتون وأنهم لا يموتون إلا باختيارهم –ص٢١

٢٣٤– النبأ ١ ، ٢

٢٣٥– الكافي ١٦١/١ كتاب الحجة ← باب أن الآيات التي ذكرها الله في كتابه هم الأئمة

٢٣٦–الكافي ٣٦٢/١ كتاب الحجة. باب فيه نتف وجوامع من الرواية في الولاية

قرنا، أضل الناسُ خلال هذه المدة إذ غاب عنهم الإمام الـ ذي يعلمهم دينهم؟ وبعد أن علّمنا النبي الإسلام، هل من معلم أخر يأتينا بجديد؟ وهل يحتاج النهار إلى شاهد بعد طلوع شمسه؟ ومختصر أصل عقيدة التشيع هي الاعتقاد بإمامة علي بن أبي طالب بالنص الجلـ ي أو الخفـ ي، وأن الإمامة لا تخرج عنه وعن أولاده، وإن خرجت فبظلم أو تقية منه ومن أولاده.ويرون أن الإمامة لا تناط باختيار العامة بل هي من أركان الدين، لذا فإنهم يعتبرون منكر الإمامة كافرا! وإيمان المرء أو كفره منـ وط، لا بمعرفة الله، وإنما بمعرفة علي بن أبي طالب، فيقولـ ون: "إن الله عـ ز وجل نصب عليا عليه السلام علَما بينه وبين خلقه، فمن عرفه كان مؤمنا ومن أنكره كان كافرا"[٢٣٧]. ويفسرون قوله تعالى "مَنْ جَاءَ بِالحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا "[٢٣٨]، أن "الحسنة هي معرفة الولاية"، ويفسـ رون الآيـ ة:" وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ "[٢٣٩]، بأن السيئة هي إنكـ ار الولاية وبغضنا أهل البيت"[٢٤٠]. ولما أخذ الله الميثاق علـ ى بنـ ي آدم:

---

٢٣٧ –الكافي ٣٦٣/١ كتاب الحجة. باب فيه نتـ ف وجوامـ ع مـ ن الرواية في الولاية

٢٣٨–النمل ٨٩

٢٣٩– النمل ٩٠

٢٤٠ – الكافي ١٤٢/١ كتاب الحجة باب معرفة الإمام والرد إليه

"ألست بربكم"؟ كان هذا الميثاق بشأن ربوبية الله للعالمين ، والشيعة يرون أن الله أخذ ميثاقا منله على الناس منذ الأزل حول تسليم بني الإنسان بولاية أئمة الشيعة، فيقولون: "إن الله أخذ من شيعتنا الميثاق كما أخذ على بني آدم ألست بربكم ؟ فمن وفّى لنا وفّى الله بالجنة، ومن أبغضنا ولم يؤد إلينا حقنا ففي النار خالدا مخلدا "[٢٤١].وتطور هذا الاعتقاد تبعا للتداعيات السياسية وأطماع الطامعين بين مجموعات متباينة من الفرق والمذاهب تستّر وراءها كل من أراد الكيد للإسلام، أو سعى للنفوذ السياسي أو العسكري لإنشاء دولة، وكل من أراد الارتزاق باسم الملة والدين. "وأضفى الشيعة جميعا على عليّ بن أبي طالب قداسة خاصة تأرجحت بين كونه وصيا ووليا وإماما ومهديا ونبيا وإلها"[٢٤٢]. قال الحبيب المصطفى لعلي بن أبي طالب:" يهلك فيك اثنان : محب غال ومبغض قال "وبدأ في الكوفة ظهور الشيعة بعد مقتل الحسين كفرقة دينية تضع أصول التشيع، ولم يتبلور مذهبهم النهائي إلا في عهد إمامة جعفر الصادق. وأفتى فقهاء الشيعة بوجوب أن يدفع الشيعي خمس مكاسبه إلى

---

٢٤١ – الكافي ٣٣١/١ كتاب الحجة. باب فيما جاء أن حديثهم صعب مستصعب

٢٤٢– د. علي سامي النشار–نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام –الجزء الثاني الطبعة الثالثة–ص٢٣

الإمام، ولما كان الإمام غائبا، فقالوا بولاية الفقيه، أي أن الفقيه الشيعي لـ ه صلاحيات الإمام، فصارت الأموال تدفع إلى فقهائهم. وولاية الفقيه بدعة أُضيفت إلى الفكر الشيعي بعد الغيبة الكبرى وأخذت طابعا عقائديا، فهـ ي بالمعنى الدقيق فكرة حلولية دخيلة على الفكر الإسلامي وإنما أصولها تعود إلى الفكر المسيحي الذي يرى أن الله تجسد في المسيح، والمسيح تجسـ د في الحبر الأعظم، لذا فإن سلطات الولي الفقيه سلطات مطلقة لأنه يمثل الإمام الغائب. ولم تجد هذه البدعة فرصة التطبيق إلا بعـ د أن تـ ولى السلطة في إيران الشاه إسماعيل الصفوي،" وهو من أسرة صوفية وكان ثمة قيادات صوفية قوية توجهه إلى مآربها، وتحركت جحافل الصـ وفيين بين المدائن الإيرانية تنشد الأشعار والمدائح – وهي من أدوات الصـ وفية حتى الآن– في محبة آل البيت حثا للناس على اعتناق الملة الشيعية، وتم إعمال السيوف في رقاب من رفض التشيع"[٢٤٣]، حتى استتب الأمر للشاه إسماعيل الصفوى وتحولت إيران قسرا إلى الملة الشيعية بآليـ ة التحـ ول الصوفي – الشيعي . وللصوفية دوما دور بارز في نشر التشيع، فالتشيع هو الوعاء الذي استقبل عناصر التحريف والتخريف،وتم فيه إعادة إنتـ اج هذه العناصر لتخرج على الناس في صورتين أساسيتين هما: التشـ يع

٢٤٣–العلامة الدكتور موسى الموسوي – الشيعة والتشيع ، وهو عالم شيعي آب إلى الإسلام الحنيف

والتصوف،والعلاقة بينهما علاقة عضوية، فهما وجهان لعملة واحدة، أو قل إن التصوف هو ابن التشيع وهو دائما كان طليعة التحولات الصـ وفية شيعية وذلك ما سنقدم عليه الأدلة في هذا الكتاب.

والشيعة يحرمون الجهاد: جاء في كتبهم أن" كل راية ترفع قبـ ل قيام القائم _ أي الإمام المنتظر_ فصاحبها طاغوت يعبد من دون الله عز وجل" ٢٤٤. ولم يسجل لهم التاريخ رمية سـ هم أو ضـ ربة سيف في سبيل الله إلا إذا كانت في حروب من أجل غايات دنيوية أو كانت في حروب ضد أهل السنة من المسلمين ، فمـ ؤازراتهم لأعداء الإسلام أجلّ من أن تُحصر، فكانوا عونا للصليبيين والتتار، وهم أرباب التآمر بليل على الرموز والأبطال المسلمين فهـ م مـ ن اغتالوا الوزير نظام الملك بطعنة خنجر بيد شيعي إسماعيلي وبـ أمر مباشر من كبيرهم حسن الصباحي، وهم من دبروا لاغتيال صلاح الدين الأيوبي انتقاما منه لقضائه على دولتهم الإسماعيلية في مصر.

والتشيع ظاهرة مركبة، وتتباين طوائف الشيعة في ما بينها تباينا شديدا – تماما مثلما تتباين طوائف الصوفية وطرقهم– وتقاقم هـ ذا

٢٤٤– محمد يعقوب الكليني – الكافي ٨–٢٩٥ ، الحر العاملى – وسائل الشيعة ١١– ٣٧

التباين بمرور الوقت بدءا من عصر الإسلام الأول وحتى الآن، لذا يجوز القول بأن لكل عصر نوعا من التشيع، ويختلف هذا التشيع بحسب كل طائفة. وأهم طوائف الشيعة في وقتنا الحاضر هم الشيعة الاثنا عشرية،وهم من يقولون بإمامة اثني عشرة إماما أولهم علي بن أبي طالب، وآخرهم محمد بن الحسن العسكري وهو شخص موهوم لم يوجد قط إلا في خيالهم، ويؤمنون بغيبته في سرداب في سامراء منذ كان طفلا في الخامسة من عمره، وينتظرون رجعته منذ حوالي أحد عشر قرنا ليملأ الأرض عدلا بعد أن ملئت جورا. وعدد أتباع هذه الفرقة يزيد على ثمانين مليونا، ويعيشون في العراق وإيران والهند وباكستان،كما يوجدون بأعداد أقل في سوريا ولبنان والكويت والبحرين والقوقاز. أما الشيعة الإسماعيلية، وهم من قالوا بإمامة سبعة أئمة،أولهم علي وآخرهم إسماعيل بن جعفر الصادق،فيبلغ عددهم حوالي ١٧ مليونا، وهم طوائف عدة، منها: البوهرة وتوجد في الهند واليمن، وطائفة النزارية وتوجد في الهند وباكستان وشرق أفريقيا وسوريا، والأغاخانية . أما ثالث فرق الشيعة المعاصرة،فهي فرقة الزيدية وتوجد في اليمن.كما توجد فرق

شيعية غالية أخرى في لبنان وسوريا وشمال فلسطين والعراق وإيران.

وكانت مصر خالية تقريبا من الشيعة، وكذلك شمال أفريقيا، لولا أن ثمة مدا شيعيا يزحف في خفاء إليها مرة أخرى بعون ومباركة من دوائر خارجية[٢٤٥]

والكثيرون من الشيعة يخلعون على أنفسهم لقب"سيد" إثباتا لانتسابهم إلى آل البيت، وكل من يولد منهم في يوم عاشوراء أو يموت من جراء إحدى الممارسات العاشورية فهو "سيد" ويورث أبناؤه هذا اللقب من بعده، تماما مثل ما يدعي الصوفية انتسابهم إلى آل البيت ويسمون أنفسهم "الأشراف"، وهان النسب النبوي الشريف حتى ادعاه مثل أبي يزيد البسطامي.

و عند التشكك في هوية شخص ما ، يكون الفيصل هو الاطلاع على بطاقة هويته وصحيفته الجنائية التي تسجل سوابقه أعماله،

٢٤٥-للشيعة الآن في مصر دعاة وأتباع يحاولون تشكيل حزب سياسي وأعلنوا أنهم ممثلون في الطرق الصوفية بمصر!!! ويمكن مراجعة التفاصيل في جريدة "الغد" ، العدد ٣١ بتاريخ ٢ نوفمبر ٢٠٠٥ ، وجريدة حديث المدينة العدد الصادر في ٢٨ سبتمبر ٢٠٠٥

والأخذ بما فيهما من بيانات بصرف النظ ر عم ا يدعي ه ه ذا الشخص.وهذا هو عين ما ينبغي علينا عمله لمعرفة حقيق ة ملـ ة الشيعة والصوفية. فهما فئتان تزعمان مزاعم كثيرة تبغي ان مـ ن ورائها التبرؤ مما هما عليه من باطل. وليس أمامنا غير أن نطلـ ع على بطاقة هوية كل منهما، ألا وهي الكتب التي يسـ جلان فيه ا أفكارهما ومبادئهما ومللهما المبتدعة. وكذلك نطلع على الصـ حيفة الجنائية لهما: ألا وهي تاريخ هاتين الطائفتين وأفعالهما وممارساتهما طوال أكثر من ألف عام والغايات التي قصدوها والوسـ ائل التـ ي اتخذوها لبلوغ تلك الغايات . والتاريخ هو المعلم الذي لا يكذب،وليس بعد الأحداث من شاهد صادق. وكان الشيعة قد رأوا أن سكوتا تسلم به خير من منطق تندم عليه، فحبسوا مـ ا فـ ي كتـ بهم إلا علـ ى خاصتهم، وليس من سكت فأحسن بسكوته، قدَر علـ ى أن يـ تكلم فيُحسن، فما إن تكلموا بما في كتبهم حتى ذاع باطلهم وظهر كذبهم بعد أن سمحوا بنشر بعض كتبهم بعـ د الثـ ورة الإيرانيـ ة فـ ي سنة١٩٧٩، وكما قال الشاعر العربي:

وفي الصمت ستر للعيـ ي وإنمـ ا
صحيفة لـب المرء أن يتكلما ويـ رى الشـ يعة أن ديـ نهم

وعقيدتهم قوامها على أربعة كتب أولها كتاب "الكافي"لمحمد يعقوب الكليني ، والثاني كتاب "من لا يحضره الفقيه" للصدوق،ثم كتاب "التهذيب" للطوسي، وكتاب" الاستبصار" للطوسى أيضا. وهذه الكتب الأربعة هي الصحاح عندهم التي تحوى ملتهم وأصولهم الفكرية، وقد مرت على تلك الأصول الأربعة أكثر من تسعة قرون والفقهاء وغيرهم يتلقونها بالقبول والاعتناء بحيث لا يطعن فيها أحد عن ويعتبرونها فوق مستوى الشبهات. ويرون أن " أحسن ما جمع منها الكتب الأربعة التي هي مرجع الإمامية في أصولهم وفروعهم من الصدر الأول إلى هذا الزمان ، وهي متواترة ومضامينها مقطوع بصحتها والكافي أقدمها وأعظمها وأحسنها وأتقنها "[٢٤٦]. ولهم أيضا بعض الكتب الأخرى الهامة منها: "علل الشرائع"للصدوق، وغير ذلك. ويزعم الشيعة أن بحوزتهم كتبا ورثوها عن أئمتهم وبها علم الأولين والآخرين، منها: الجامعة، وهي صحيفة طولها سبعون ذارعاً بذراع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيها كل حلال وحرام، وكل شيء يحتاج الناس إليه حتى الأرش في الخدش"

---

٢٤٦ – عبد الحسين شرف الدين– المراجعات ٣٣٥ مراجعة رقم ١١٠. طبع دار صادق ببيروت.

[٢٤٧]. ولديهم الجفر، وهو جلد ثور مملوء علما، وهـ و "طبعتـ ان: الجفر الأبيض والأحمر، الأبيض به زبور داود، وتوراة موسى، وإنجيل عيسى، وصحف إبراهيم عليهم السلام والحلال والحرام. و الجفر الأحمر وبه أخبار السلاح، فهو وعاء فيه سلاح رسـ ول الله صلى الله عليه وآله، ولن يخرج حتى يقوم قائمهم و إنما يفتح للـ دم يفتحه صاحب السيف للقتل . وكذلك لديهم "صحيفة ذؤابة السيف" وهي صحيفة صغيرة كانت في ذؤابة سيف رسول الله صـ لى الله عليه وآله!فيها الأحرف التي يفتح كل حرف منها ألف حرف. وقال أبو عبد الله: فما خرج منها إلا حرفان حتى الساعة[٢٤٨].

و غالى الشيعة في محبة آل البيت النبوي تسترا ونفاقـ ا، إذ لـ م يخذل آل البيت غيرُ هؤلاء الشيعة، فقد سبق لهم أن وعدوا علي بن أبي طالب بالنصرة والمؤازرة ولكنهم تخلوا عنه، مثلما تخلوا عـ ن ابنه الحسين، وكذلك خذلوا زيد بن علي زين العابدين، وكذلك فعلوا مع ابنه يحيى، ووصفهم الشاعر في ذلك بقوله: قلـ وبهم معـ ك

---

٢٤٧ – انظر: «الكافي» ﴿٢٣٩/١﴾

٢٤٨ – «بحار الأنوار» ﴿٥٦/٢٦﴾

وسيوفهم عليك. وقالوا لكل من وعـ ـدوه بالنصـ ـرة مثـ ـل قـ ـول المعاصرين لنا من العوام، إذ يعدون بالقول:" بالروح والدم نفديك يا فلان، وما إن يحين وقت التضحية والوفاء بالوعد، حتى ينفضـ ـوا من حول هذا "الفلان". وكما كذبوا في محبة آل البيت، فإنهم صدقوا في كراهية المسلمين وسموهم " الناصبة "وهو وصف لكل من رضى ببيعة الخلفاء الراشدين قبل على رضـ ـوان الله علـ ـيهم أجمعين، ويعتبرون الناصبة ألعن الكفار على الإطلاق. وألزم الشيعة أنفسهم بقاعدة شرعية أصلية في دينهم تقول ﴿الرشد في خلافهـ ـم﴾ أي في خلاف الأمة الملعونة أي أهل السنة والجماعة. بل إنهـ ـم يعتبرون السني " الناصبي" نجسا يجب التطهر منه بعد ملامسـ ـته! عن خالد القلانسي قال "قلت لأبي عبد الله: ألقى الذميَ فيصـ ـافحني. قال: امسح يدك بالتراب وبالحائط. قلت: فالناصبي؟ قال: اغسـ ـلها"[٢٤٩]. بل يرون أن الناصبي مخلوق أدنى بحكم مادة خلقه. عن أبي عبد الله أنه قال: "الطينات ثلاث: طينة أنبياء والمؤمن من تلك الطينة إلا أن الأنبياء هم من صفوتها، هم الأصل ولهم فضلهم والمؤمنون

---

٢٤٩ – ﴿الكافي ٤٧٥/٢ كتاب العشرة: باب التسليم على أهل الملل﴾

الف .رع م .ن ط .ين لازب. وطين .ة الناصـ .ب م .ن حم .أ مسنون". ٢٥٠وتشبه هذه العنصرية ما يزعمه اليهود لأنفسهم م ن تفوق وتفاضل للعرق اليهودي، والخسة والدناءة لغيرهم ، فيصـ ف التلمود غير اليهود بأنهم "حيوانات في صورة إنسان، وه م حمي ر وكلاب، بل الكلاب أفضل منهم، لأنه مصرح لليهودي في الأعياد أن يطعم الكلب، وليس مصرحاً لـ ه أن يطعم الأجنب ي". وتميـ ز اليهودية أرواح اليهود عن سائر الأرواح بأنها جزء من العزة الإلهية عزيزة عند يهوه – اسم الله عندهم– بينما الأرواح غير اليهودي ة تشبه أرواح الحيوانات، وأنّ اليهودي عند" يهوه" أهم من الملائكـ ة، وينص التلمود على " أن الله خلق الأجنبي على هيئة إنسـ ان فقـ ط ليكون لائقاً لخدمة اليهود الذين خلقت الدنيا ومن فيها مـ ن أجلهـ م" ٢٥١. والعنصرية وزعم التفوق العرقي يقول به المبطلون ممـ ن يغررون بأتباعهم بدعوى هذا التفوق المزعوم، حتى إن الشيخ حسن أحد أبناء مؤسس الطريقة الصوفية العدوية، أوهم أتباعه أنهم مـ ن

---

٢٥٠ – الكافي ٢/٢ كتاب الإيمان والكفر باب طينة المؤمن

٢٥١ – كتاب العنصرية والإبادة الجماعية في الفكـ ر والممارسـ ة الصهيونية–د. غازي حسين

عنصر خاص مغاير لبقية البشر وأنهم يمتازون بنبـ ـل أرومـ ـتهم، وأفهمهم أن بقية البشر أنجاس قذرون لا يجوز لهـ ـم مخـ ـالطتهم "٢٥٢، في حين أن أتباعه من اليزيدية كانوا لا يغتسلون ومحـ ـرم عليهم استخدام الحمامات والمراحيض، وإذا لم تستحي فافعـ ـل مـ ـا شئت.

ويرى الشيعة أن أداء فريضة الحج لا تتم بغير زيارة أضـ ـرحة أئمة الشيعة، فينسبون إلى الإمام جعفر الصادق أنه قال: " إذا حـ ـج أحدكم فليختم حجة بزيارتنا لأن ذلك من تمام الحج، وعـ ـن الإمـ ـام محمد الباقر أنه قال: تمام الحج لقاء الإمام ،.... وإنما أمر الناس أن يأتوا هذه الأحجار فيطوفوا بها، ثم يأتوا فيخبرونا بولايتهم ويعرضوا علينا نصرتهم ". فالشيعة ترى أن الدين كله يتمحور حول الإقـ ـرار بالولاية للأئمة ، حتى إنهم يزعمون أن "تعيين" سيدنا على جاء من السماء، قال أبو عبد الله:" والله ما جاءت ولاية علي مـ ـن الأرض ولكن جاءت من السماء مشافهة " [٢٥٣].

٢٥٢-د. سهير محمد علي : اليزيدية

٢٥٣-﴿الكافي ٣٦٨/١ كتاب الحجة. بـ ـاب مولـ ـد النبي ﷺ ووفاته﴾

وبعض الموصوفين بأنهم من "الفقهاء" يدافعون عن الشيعة ويذهبون مذاهب شتى في تبرير أباطيلهم،فيشككون في التـ اريخ والمؤرخين الذين كتبوا عن القرامطة والفـ اطميين والأغاخانيـ ة والدروز وغيرهم من فرق الشيعة. وإذا أمكن التشكيك في التاريخ بالقول بأن المنتصر هو من يكتبه ، أو أن الظروف الاجتماعيـ ة والسياسية والاقتصادية هي الأم التي تلد الحوادث، يبقى الرجوع إلى كتب ومرجعيات الشيعة أنفسهم فهي خير ما يدينهم. ولو كان التماس المعذرة التاريخية أو التعلة السياسية مقبولا من أجل ملاينة الباطل أو مهادنته، لما أدان الله تعالى قبول الخلف لأضاليل السلف وهي موروث ثقافي تكوّن في ظل ظروف سياسية وتاريخية مـ ا، جعلته مقبولا في حينه لأسلافهم. ولكن العقيدة أمر لا يمكن التنازل عنه – أو بعضه– تحت الضغوط السياسية أو غيرها. ومن هؤلاء "العلماء" من يحاول إضفاء شكل المدافعة العلمية فيزيـ ف أشـ باه البراهين كأن يقول بأن التصادم السني الشـ يعي وراءه تزييـ ف حقائق التاريخ. وذلك أمر قد يضلل بعض من يعرفون جانبا مـ ن

الحقيقة دون سواه. وسيبقى الباطل يناطح الحق ما دامت هناك مصالح ومرتزقة. وإذا ما رأى الناس أن "علماءهم" قد انتهوا إلى نتائج ما، اعتبروها نتائج نهائية لا يجوز المساس بها أو حتى إعادة النظر فيها إذ يظنون أنه تم بلوغ سقف المعرفة فيتم كبح الفضول المعرفي وهو المعبر الوحيد للتوصل إلى الحقيقة، فتكسد معارفهم وتتعطل عقولهم. وعند التضييق على الشيعة عند مناقشة أباطيلهم يحاذرون الاستدلال بكتبهم لعلمهم ببطلانها وتهافت حججها، فيعمدون إلى كتب أهل السنة للإيهام بأنهم يرجعون إليها، ولكن غايتهم الحقيقية هي صرف أهل السنة عن إلجائهم إلى كتب الشيعة .

قال حنيفة بن اليمان: كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله إنا كنا أهل جاهلية وشر فقد جاء الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير من شر قال نعم. قال فقلت: فهل بعد ذلك الشر من خير قال نعم. قال قلت:فهل بعد ذلك الشر من خير قال:نعم وفيه دخن. قلت:وما دخنه؟ قال قوم يستنون بغير سنتي ويهتدون بغير هدي تعرف منهم وتنكر، قلت: فهل بعد ذلك الخير

من شر قال: نعم دعاة إلى أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها. قال قلت: صفهم لي يا رسول الله قال هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا [٢٥٤]. **ويقول الشيعة:" إن الله خلق محمدا صلى الله علي وسلم، وعليا وأحد عشر من ولده من نور عظمته، فأقامهم أشباحا في ضياء نورهم يعبدونه قبل خلق الخلق ويسبحون الله ويقدسونه**[٢٥٥]. **ولا شك أن هذا يدق أبواب عقيدة الحلول في الله. ويقولون :" إن الأئمة مخلوقون من نور خلق الله منه محمدا** [٢٥٦].

والشيعة يستغيثون بغير الله – شأنهم في ذلك شأن الصوفية– ولا يستحون من طلب العون من سواه حتى أثناء أداء الصلاة ، فيأمرهم علماؤهم أن: " قل في آخر سجودك:يا جبرائيل يا محمد يا جبرائيل يا محمد اكفياني ما أنا فيه" [٢٥٧]. وإن لم ير بعض فقهائنا أن

---

٢٥٤ – الفتن –نعيم المروزي

٢٥٥– الكافي ٤٤٦/١ كتاب الحجة. باب ما جاء في الاثني عشر والنص عليهم

٢٥٦– الكافي ٣٣١/١ كتاب الحجة. باب فيما جاء أن حديثهم صعب مستصعب

٢٥٧ –الكافي ٤٠٦/٢

ذلك شرك، فما في الدنيا شرك. وأما عن العلاج بطينة القبر المعجونة فمن خبايا علومهم الغريبة ولا عجب أن يتخذ المستشرقون والمنصرون وأعداء الإسلام من مثل هذا الهراء مجالاً فسيحاً لتشويه وجه الإسلام على المستوى العالمي ووصمه بكل نقيصة.

أما عن غرام الشيعة والصوفية بالطين المأخوذ من مقابر مشايخهم وأئمتهم فحدث ولا حرج: فاليزيدية من- الصوفية - يصنعون من تراب جدران مرقد شيخهم "الشيخ عدي" كرات صغيرة في حجم البندقة يبتلعها العروسان لضمان ديمومة الزواج. والشيعة يعتقدون أن طينة قبر الحسين تشفي من كل داء٢٥٨ ! يقول أبو عبد الله: "حنكوا أولادكم بتربة الحسين".كما يقول : فإذا تناولت - من الطين _ فقل: اللهم إني أسألك بحق الملك الذي قبضها، وأسألك بحق النبي الذي خزنها، وبحق الوصي الذي حل فيها أن تصلي على محمد، وعلى آل محمد، وأن تجعله شفاء من كل داء، وأماناً من كل خوف، وحفظاً من كل سوء.

٢٥٨- نقل محمد النعمان الحارثي الملقب بالشيخ المفيد في كتابه المزار عن أبي عبد الله

وسئل أبو عبد الله عن المفاضلة بين طين قبر حمزة وطين قبر الحسين ، فقال: " المسبحة التي من طين قبر الحسين تسبح بيد صاحبها من غير أن يسبح " ٢٥٩. ذلك هو ما آل إليه حال إسلامنا الحنيف الذي يعد فيه أكل الوحل وطين الأرض –وهو ما تعافه الكلاب – قربى إلى الله، ولله الأمر من قبل ومن بعد.

وتتاوب الشيعة– وهم محسوبون زورا وبهتانا من أحبة آل البيت، والصوفيون – وهم محسوبون زورا وبهتانا من أهل السنة – تتاوبوا تشويه صورة الإسلام الحنيف بأن دسوا فيه الخرافات والأباطيل حتى نفر منه كل عاقل. وتشويه الإسلام بالباطل والخزعبلات هدف أساسي لكل من عادى الإسلام فقصدوا كلهم جميعا إلى أن يكون "التخريف" مكوِّنا أساسيا في التراث الديني الإسلامي حتى يفسدوه على أهله ويصدوا باقي طلاب الهدى عنه.

والشيعة يقيمون احتفالات سنوية في العشر الأوائل من محرم للنياحة ولطم الوجوه وشق الجيوب وضرب الصدور والظهور بالجنازير والسيوف ، ويلبسون السواد ويذرفون غزير الدمع حزناً

٢٥٩– كتاب المزار، للشيخ المفيد، ﴿ص: ١٢٥﴾

على استشهاد الحسين. وإن تعجب فاعجب لمن يجزع على هذا النحو لمن مات منذ أكثر من ألف سنة وهو الآن في جنة الخلد منعم مع الشهداء ولن يجديه نفعا ما يفعلون. وإن كان الحزن لموته مقتولا ، فهم من خذلوه وانفضوا عنه بعد أن وعدوه بالنصرة والمؤازرة، وقد سبق و قُتل أبوه غيلة ، بل إن معظم الطالبيين ماتوا بالسيف أو السم ولم يجزع عليهم أحد مثل هذا الجزع . وإن كان الحزن لفراقه، فقد فارقنا من هو عندنا أعز وأكرم من الحسين : إنه الحبيب المصطفي صلى الله عليه وسلم. و البويهيون الشيعة هم أول من أشاعوا اللطم في عاشوراء وابتدعوا مواكب العزاء عام ﴿٣٥٢ هـ﴾ . ولن تعدَم من ينبهك إلى أن هؤلاء الشيعة يشهدون بالشهادتين و يصلون و يحجون ويحذرك من رميهم بالكفر، مع أن أبا بكر الصديق قد حارب المرتدين لمنعهم الزكاة مع أنهم كانوا يشهدون أن لا إله إلا الله و أن محمداً رسول الله، ويؤدون الصلوات و يصومون و يحجون إلى بيت الله الحرام.

ومن حين لآخر يمن الله على بعض الشيعة بالهداية ، ويفضحون ما صنعه فقهاؤهم من إفك ويعودون بفضل الله إلى الإسلام الحنيف، ويؤلفون الكتب التي يكشفون بها ما كانوا عليه من

باطل٢٦٠. "يصف السيد شريعتي – وهو شيعي معاصر – التشيع الصفوي بأنه تشيع الشرك والجهل والخرافة و لا يمكن اعتباره نهجا دينيا بل هو تحريف مقصود قام به السلاطين الصفويون، وكأمثلة على المعتقدات التي يصل بعضها إلى حد الشرك بالله يذكر إمكان دخول الشيعي الجنة مهما عمل من سيئات شريطة أن يشفع له الأئمة في الأرض ﴿أي رجال الدين﴾ وذلك – طبعا – مقابل دفع بعض الأموال والنذور. كما ينتقد بعض مراسم الاحترام للقبور والأضرحة المذهبة فهي تشبه مراسم العبادة ويقصد منها إخافة الناس وإذلالهم وإعطاء هيبة مبالغ فيها لرجال الدين وهكذا يصبح تراث الأئمة وقبورهم وسيلة لتكوين فئة فوقية مسيطرة على الجماهير بقوة الدين. وهذه الفئة تستثمر تلك الهيبة الدينية لفرض ما تعتقده حلالا وحراما ولإرهاب كل صاحب فكر ولاحتكار التفكير

٢٦٠– منهم الدكتور موسى الموسوي ، وله كتاب بعنوان" الشيعة والتشيع" . والسيد حسين الموسوي من علماء النجف ، وله كتاب بعنوان" لله ثم للتاريخ" ، وكثيرون لم يعلنوا عن أسمائهم الحقيقية خشية الاغتيال ، وكلهم كانوا من كبار فقهاء وآيات الشيعة المعاصرين .وهذه الكتب متاحة في الأسواق،وعلى شبكة الأنترنت لمن يرد الاطلاع عليها .أما السيد شريعتي فتم اغتياله بنسف المنصة التي كان يحاضر من عليها .

أصلا. وهؤلاء القائمون على شئون الدين المـ دعون تمثيـ ـل الله، رجال دين صفويون لا علاقة لهم بالتشيع العلوي، ويقول: إننـ ـي واثق بأن إسلام الغد لن يكون إسلام رجال الدين، وإن إسلامنا بدون رجال الدين هؤلاء سيرجع أصيلا سليما"[٢٦١]. انتهى كـ ـلام السـ يد شريعتي الذي لم يمهله من ضاقوا به فاغتالوه بنسف المنصة التـ ـي كان يتحدث من عليها.

الفصل الثاني

الولاية والوصاية

صدرت فتوى من الأزهر الشريف تعتبر الملة الشيعية الاثنى عشرية ﴿الجعفرية﴾ مذهبا خامسا لأهل السنة والجماعة، وأجازوا التعبد به، ويرى

٢٦١ – هكذا تكلم شريعتي لفاضل رسول ٦٣–٦٥

الكثيرون من فقهائنا أن لا خلاف بين أهل السنة والشيعة فالخلاف – في نظرهم – في الفروع وليس في الأصول[٢٦٢] . فاقرأ واحكم :

يرى الشيعة أن الإمامة تثبت لمن ادعاها من أهل البيت، ومع ذلك لم يثبتوا إمامة زيد بن علي مع أنه ادعاها ، لأنه خالفهم ، وهو من سماهم الروافض. و في المقابل أثبتوا الإمامة لمهديهم الغائ ب الذي لم يزعمها والذي لم يكن قد بلغ بعد الحلم ، مع أنهم ي رون أن الإمام لا يكون إلا بالغاً[٢٦٣]. كما أنهم ادعوا إمامة محمد بن علي الملقب «بالجواد» ولم يكن قد بلغ الحلم عن د وف اة والـ ده علـ ي «الرضا».

وعللت الشيعة ثبوت الحق الإلهي لعلي بن أبي طالب وذريت ه في الخلافة بعدد من الأدلة منها آية التبليغ، فقالوا إن النبي لما ن زل بغدير خُم، في مكان بين مكة والمدينة، أثناء عودت ه م ن حج ة الوداع، قام في الناس وخطب فيهم وأعلن أن علي بن أبي طالب: أخي ووصيي وخليفتي والإمام من بعدي.

٢٦٢– انظر نص الفتوى في الملحق رقم ١ بالصفحة٤٧٧

٢٦٣ – انظر: «الفصول المختارة» للمفيد، ﴿ص١١٢ . ١١٣﴾

وأبلغهم أن الله تعالى أنزل الآية الكريمة: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي القَوْمَ الكَافِرِينَ﴾٢٦٤، والصحيح أن هذه الآية قد نزلت في عام الحديبية عند رجوع النبي إلى المدينة، ولم تنزل في حجة الوداع، وبين الحديبية وحجة الوداع أربعة أعوام ٢٦٥.

وما بالهم إذ أثبت التاريخ والواقع عكس ما زعموا أن النبي قال به من خلافة عليّ بعده، في حين أن الذي صار خليفة هو أبو بكر الصديق فعمر بن الخطاب فعثمان بن عفان. وإذا كان علي رضي الله عنه يعلم أنه خليفة من الله منصوص عليه، فلماذا بايع أبا بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم؟! فإن

كان ذلك عن عجز فعجزه ينفي صلاحيته للإمامة، وإن كان عن علم وإغضاء فذلك عصيان لله وأمره. وبقبول علي بن أبي

٢٦٤–المائدة ٦٧

٢٦٥ – يذكر النبهاني في كتابه "الخلافة" أنه في الوقت الذي نزلت فيه هذه الآية كان سيدنا علي متغيبا في اليمن .

طالب التحكيم في موقعة صفين يكون قد تنازل عـ ـن إقـ ـراره بالولاية والوصاية.

وأين كان ألوف الحجيج ممن صحبوا النبي في حجّه، ألم يكونوا شهودا على قول النبي – بوصاية علي– أم لم يسمعوه ،أم سـ ـمعوا ونسوا، أم تراهم سمعوا ولكن تواطأوا كلهم جميعا على مخالفـ ـة نبيهم في ما أوصى به من خلافة عليّ وأبنائه، وحاشاهم أن يفعلـ ـوا وفيهم الصحابة الكرام ممن تربوا في مدرسة النبوة. وكيف يبايعون الخلفاء الراشدين الثلاثة قبل عليّ وهم يعلمـ ـون –جـ ـدلا –بهـ ـذه الوصاية؟ كذلك كان فيهم من المهاجرين من شهد الله لهم بالصدق إذ يقول: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِـ ـن دِيَـ ـارِهِمْ وَأَمْـ ـوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُـ ـمُ الصَّادِقُونَ " ٢٦٦، وهؤلاء الذين شهد الله لهم بالصدق، رضـ ـوا بخلافة أبي بكر وعمر وعثمان. وإن كان الأمر وصـ ـاية مـ ـن الله بخلافة عليّ وأبنائه، ما كان هؤلاء الصادقون ليرضوا بغير علـ ـي وأبنائه. والله يشهد بعدالتهم لما قال: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَـ ـطًا

٢٦٦– الحشر ٨

لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾٢٦٧، والشهادة لا تُطلب إلا من العدول . وكيف يمكن تفسير مبايعة علي بن أبي طالب للخلفاء الراشدين الثلاثة قبله، ألا يُعتبر ذلك مخالفة صريحة للنبي وللأمر الإلهي. ومن جهة أخرى ، كيف يؤثم الشيعة المسلمين لأنهم بايعوا الخلفاء الراشدين الثلاثة، قبل على، وقد بايعهم علىّ نفسه؟ ولا معنى لذلك غير تأثيم عليّ، الأمر الذي يهدم الأمر برمته، أي الزعم بالوصاية لعلي وعصمته. وإن زعم الشيعة أن قبول علي بن أبي طالب لخلافة من سبقوه من الراشدين كان حقْنا لدماء المسلمين،فما قولهم في ما سُفك من دماء في حروب الجمل وصفين وغيرهما؟ ويزعم الشيعة أن النبي قال: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه . وإن كان هذا الحديث صحيحا، فهو دعوة إلى مناصر علي ومحازرة الخروج عليه وليس دعوة إلى تنصيبه ونسله من بعده ولاة للمسلمين للأبد كما يرى الشيعة. فليس حتما أن يكون ابن الصالح صالحا، ألم يكن ابن النبي نوح عاصيا؟ وتلك سنن الله في خلقه لا تتخرق لأحد

٢٦٧– البقرة ١٤٣

حتى ولا لسيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ورضي عنه وأرضاه.

قال النبي صلى الله عليه وسلم لعلي بن أبي طالب: لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق. و يفسرون هذه الحديث بأنه توصية لعلي بالإمامة، وهذا يحمّل الكلام فوق ما يقصده النبي، فهل كل من يحبه الناس تصح له الولاية؟ قد يحب الناس من لا تتوافر لديه مقومات الشخصية القيادية، وإن ولوه مع ذلك سارت أمورهم إلى بوار. وكم من الصحابة أحبهم الناس فهل وجبت لهم جميعا الولاية والحكم؟ وقال النبي لعمر:" لو كان نبي بعدي لكان عمر"، وهي تزكية لعمر أشد وضوحا وأكثر دلالة مما قيل في عليّ. والتساؤل الذي يطرح نفسه في هذا المقام هو : أليس من الغريب والمنافي للمنطق السليم أن يُفرد النبي الجهد لتفاصيل الكثير من الأمور الهامشية — إذا ما قيست بأمور الحكم والخلافة فقد تعرض مثلا إلى أمور الطهارة وآداب قضاء الحاجة– ثم يفوته الإعلان عن تلك الوصاية؟ ألم يكن من المعقول والواجب أن يعلن النبي عن تلك الوصاية على الملأ جهرا وتأكيدا وتفصيلا كما فعل مع غيرها من الأمور الأقل شأنا وعلى النحو الذي يمنع الشكوك التي اكتنفت هذا

الأمر منذ وفاته وإلى الآن؟ والمرء المحايد يجد صعوبة، بل استحالة في تصديق ذلك، فالحبيب المصطفى لم يسكت عن أمور سهوا أو غفلة – حاشاه – إنما لحكمة وغاية، فهو لم يذكر مثلا تفاصيل نظام الحكم والخلافة، إذ علم أن مصالح الناس تتغير وفقا لظروفهم، ولو أشار عليهم بنظام محدد لظنوا أنه من الدين وليس لأحد تبديله وإن تطلب الأمر التغيير، مما لا يناسب الواقع ومتغيراته في الأزمنة المقبلة، والقاعدة الشرعية تقول بإجمال ما يتغير وتفصيل مالا يتغير. ومن جهة أخرى، فمسألة الوصاية تلك – لو صحت جدلا– فإنها تُحسب على سيدنا علي ولا تُحسب له،فلو كان صَدَرَ إليه الأمر النبوي بولاية الحكم والخلافة ثم لم يصدع به و تهاون في تنفيذه بقبول خلافة غيره من الصحابة ومبايعة ثلاثة خلفاء قبله، يكون إذن قد خالف النبي وعصاه، الأمر الذي ننزه عليا أن يفعله، إذ يقوض هذا العصيان مسألة عصمة علي والأئمة من بعده، فالعصمة لا تكون مع العصيان والمخالفة لكلام النبي. لذا نرى أن الشيعة بافتراء مسألة الوصاية هذه قد أساءوا إلى سيدنا على من حيث أرادوا الإحسان. فالله لم يجعل النبوة أو العصمة أمرا يتوارثه الأبناء والأحفاد . والإمامة ليست منصبا إلهيا، فالإمام علي

نفسه يقول:" وإن تركتموني فأنا كأحدكم ولعلي أسمعكم وأط وعكم لمن وليتموه أمركم، وأنا لكم وزيرا خير لكم مني أمير ا، ويق ول دعوني والتمسوا غيري "٢٦٨.

ولماذا يختص الله تعالى نبي الإسلام بتوريث الخلاف ة ف ي نسله؟ و لماذا لم يحدث ذلك لأنبياء الله الآخرين وهم كُث ر؟ ولا يقولن قائل إن سليمان ورث النبوة عن أبيه داود أو إن إسـ ماعيل ورث النبوة عن إبراهيم – صلوات الله عليهم جميعا – فتلك نبـ وة يختار الله لها من يشاء، وهي غير الخلافة وحكم الناس. فالله لـ م يجعل الخلافة والحكم أمرا يتوارثه الأبناء والأحفاد، ولـ و أراد الله تعالى انتقال الحكم أو توريث الخلافة والولاية في عقب النبي الكريم لأبقى على الذكور من أبنائه . أليس من الأَولى أن يكون إخبار الله تعالى للنبي بوصاية سيدنا علي بن أبي طالب وبتوارث الإمامة في عقبه موثقة في القرآن أو منصوصا عليها في السنة وأن يكون ذلك علنا ومؤكدا وعلى رؤوس الأشهاد . والمسألة كلها تتعارض مـ ع إخبار الله لنا باكتمال الدين وتمام الملة. وكيف يوصي النبي بالإمامة

٢٦٨– نهج البلاغة جـ .١ ، ص ١٨١ ، ص١٨٧

للاثنى عشر إماما، في حين لم يتولها منهم إلا سيدنا عل ي وحـ ده، والباقون لم يحكموا – باستثناء ستة أشهر تولى فيها الخلافة الحسـ ن بن علي وتنازل بعدها لمعاوية – وزعم الشيعة أن آخر أئمتهم قد اختفى في سرداب منذ أكثر من ألف سنة ، ولم يمت وسوف يعود في آخر الزمان ليحكم الدنيا بالعدل بعد أن ملئت جورا، ومـ ازالوا ينتظرون إمامهم عند باب السرداب ، ولم يعد ولن يعود. أجل لقد قال الحبيب المصطفى أنه – صلى الله عليه وسلم– مدينة العلم و أن علي بن أبي طالب بابها. ولكنه قال أيضا إن أبا عبيدة بن الجـ راح أمين هذه الأمة، وما زعم أحد من أبناء ابن الجراح وجوب الـ نص بولايته بمقتضى أمانته، ولم يقل أتباعه بأنهم أحق بالإمامة بزعم أن "الأمانة" أَولى من "الباب" .

و يذكر المقريزي٢٦٩: أن ابن سبأ هو من أحدث في زمـ ن علي رضي الله عنه القول بوصية الرسول صلى الله عليه وسـ لم لعلي، وأحدث القول برجعته بعد موته إلى الحياة الدنيا.

٢٦٩– الخطط ﴿٢/٣٥٦–٣٥٧﴾ ، والمقريزي معروف بتوجه شيعي

ويرى الشيعة أن الحكم لو كان بيد عليّ وذريته لأكل الناس من فوقهم ومن تحت أرجلهم لبنا وعسلا. والتاريخ يشهد بخلاف ذلك، فمدة خلافة عليّ دامت حوالي خمس سنوات مضت كلها في صراعات دموية راح ضحيتها ألوف من المسلمين ، في حين لم يتجاوز عدد شهداء المسلمين في جميع غزواتهم مع الحبيب المصطفى عدة مئات من الشهداء . ويقول الشيعة إن النبي صلى الله عليه وسلم حين خرج إلى غزوة تبوك خلف علي بن أبي طالب على النساء والأطفال في المدينة، في حين قلّد محمد بن مسلمة رعاية شؤون المسلمين وإدارة الحكم في المدينة، فقال له علي: أتخلفني في النساء والصبيان، فقال له النبي : أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي. وليس في هذا الكلام ما يفيد اقتصار الإمامة و الخلافة على سيدنا علي بن أبي طالب وإلا صح ذلك دليلا لكل من استخلفهم النبي في غزواته وجازت لهم الخلافة والحكم ومنهم أبو سلمة بن عبد الأسد، وزيد بن حارثة، وابن أم مكتوم، ومحمد بن مسلمة وغيرهم ، والقياس هذا غير صحيح لأن موسى لم يكن حاكما بل كان نبيا ولم يستخلف هارون في الحكم وإنما استخلفه في القيام بواجبات النبوة، فهارون

نبي وليس من سائر الناس، والحكم شيء والنبوة شيء آخر. ولـ و كان موصى باستخلاف علي من الله بعد النبي لعهد إليه النبي بإدارة الحكم في جميع الغزوات التي تخلف فيها بدلا من إسنادها إلى غيره.

ويحكي الشيعة أن سيدنا علي بن أبي طالب قد تصدق وهـ و يصلي، إذ أعطى خاتمه لأحد السائلين،ويرون في ذلـ ك "ثبـ وت النص على سيدنا علي بالخلافة بعـ د الرسـ ول بـ نص القـ رآن الكريم.ففي الآية ٥٥ من سورة المائدة: " إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّـ هُ وَرَسُـ ولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُـ ونَ " ، ويرون أن الآية نزلت في حق علي باتفاق المفسرين حيث أعطى السائل خاتمه وهو راكع في صلاته"٢٧٠. وما أشد تهافـ ت هـ ذه الحجة، فحدوث ذلك الأمر يطعن في خشوع سـ يدنا علـ ي أثنـ اء الصلاة، والخشوع شرط صحتها. ولو كانت المسألة صدقة بخـ اتم تثبت الخلافة، فما أحق الخلفاء الراشدين بها، فأبو بكر تبرع بكل ماله ولما سأله النبي ما تركت لعيالك،قال تركت لهم الله ورسوله، وكذلك عمر بن الخطاب تبرع بنصف ماله، وعثمان بن عفان تبرع بقافلة

٢٧٠– محمد جواد مغنية– مع الشيعة الإمامية– ص١٠١

كاملة من ثلاثمئة بعير وألف دينار لتمويل جيش العسرة، أين ذل ك كله من خاتم دفعه صاحبه زكاة وليس تبرعا؟ ومن جهة أخ رى فالبنية اللغوية للآية المذكورة تفند ما ذهب إليه الشيعة من أنها تعن ي ولاية علي ّ، ﴿فكلمة "الذين" يُقصد بها الجم ع لا المف رد، أي ليس المقصود بها سيدنا علي.كذلك فإن كلمة "إنما" للحص ر،ف إذا خصت الولاية لمن يدفع الزكاة وهو راكع فغي ره لا، وإن ك ان الحصر هنا يشمل علي بن أبي طالب،فلا تجوز الولاية لغيره ممن في عقبه.كذلك لم تكن الزكاة واجبة عل سيدنا علي لأنه كان فقي را حتى أنه لم يجد غير درعه يدفعها مهرا لزوجته فاطمة والتي كانت تسأله خادما يساعدها في شؤون المنزل،ولكنه لم يجد ما يعينه عل ى ذلك. والله لا يثني على عبده إلا إذا فعل محمودا،وإعطاء الزكاة في حال الركوع مكروه إن لم يكن محرما، وحمد الزكاة يك ون ف ي المبادرة بها لا في انتظار الفقير الذي يطلبها ﴾٢٧١. والمعن ى الصحيح للآية المذكورة كما يراه الألوسي في روح المعاني: "وه م راكعون" حال من فعل الفعلين ، أي يعملون ما ذك ر م ن إقام ة

٢٧١- عثمان خميس-من محاضرة للرد على كتاب المراجعات﴿بتصرف﴾

الصلاة وإيتاء الزكاة وهم خاشعون ومتواضعون لله تعالى" .

ويذكر محمد بن يعقوب الكليني– محدثهم الكبير الذي عرض كتابه على الإمام جعفر الصادق فأقره ومدحه – " أن أبا جعفر قال: بُنـ ى الإسلام على خمس: الصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، والولاية، ولم يناد بشيء ما نودي بالولاية يوم الغدير"[٢٧٢] . ورووا عن أبـ ي عبد الله أنه قال: ولايتنا ولاية الله التي لم يبعث نبياً قط إلا بهـ ا"[٢٧٣] وزعموا أن علي بن أبي طالب قال: إن الله عرض ولايتي علـ ى أهل السماوات وعلى أهل الأرض، أقر بها من أقر، وأنكـ ر مـ ن أنكر، أنكرها يونس ﴿عليه السلام﴾ فحبسه الله في بطـ ن الحـ وت حتى أقر بها"[٢٧٤].

وحِرص الشيعة على مسألة الولاية شديد فلن تتحقق مساعيهم الارتزاقية والعدائية للإسلام وأهله،بالأمور التعبدية من صلاة وزكاة، وإنما بالسلطة والولاية والنفوذ. ويقصرون معرفة الله وعبادته على

٢٧٢– الكافي في الأصول" باب دعائم الإسلام ص٢٠ ج٢ ط إيران

٢٧٣– بصائر الدرجات" باب٩ ج٢ ط إيران سنة ١٢٨٥هـ وأيضاً "كتاب الحجة من الكافي للكليني ص٤٣٨ ج١ ط إيران

٢٧٤– بصائر الدرجات" ص١٠ ج٢ ط إيران

من عرف الإمام من الشيعة! وينسبون إلى جعفر أنه قال:" إنما يعرف الله عز وجل ويعبده من عرف الله وعرف إمامه منا أهل البيت، ومن لم يعرف الله عز وجل ولا يعرف الإمام منا أهل البيت، فإنما يعرف ويعبد غير الله "[٢٧٥]. ويزعمون أن الله أخذ ميثاق النبيين على ولاية علي وأخذ عهد النبيين بولاية علي"[٢٧٦] .

أما عن التخريف: فيقولون إن الولاية ليست فقط عهد النبيين وميثاقهم بل هي الأمانة التي عُرضت على السماوات. ويقولون: " ما من نبي جاء قط إلا بمعرفة حقنا وتفضيلنا على من سوانا"٢٧٧. ولا يخفى ما في هذا القول من عنصرية شديدة ما جاء الإسلام إلا ليقوض دعائمها وهي تفاضُل الناس بحكم العرق والمولد. والشيعة يزعمون فضلهم على خلق الله بزعم الانتساب إلى البيت النبوي،في حين أن النبي نفسه لم يقل بفضل التميز على الناس بحكم العرق وقال في أكثر من مقام بما ينفي شبهات التمايز بالأعراق،كما أن الله لم يثبت له هذا الفضل إذ أرسى القاعدة الأبدية في قرآنه: " إِنَّ

٢٧٥– كتاب الحجة من الكافي، باب معرفة الإمام ص١٨١ ج١ ط طهران

٢٧٦–"بصائر الدرجات" باب٩ ج٢ ط إيران ١٢٨٥هـ

٢٧٧–الكافي ٣٦٢/١ كتاب الحجة. باب فيه نتف وجوامع من الرواية في الولاية

أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُم "٢٧٨، وليس أغناكم أو أكـ رمكم نسـ با . ويغالي الشيعة في إثبات الفضل الموهوم لأئمتهم فيقولون : "والله إن في السماء لسبعين صفا من الملائكة وإنهم ليـ دينون بولايتـ ا" [٢٧٩]. ويقولون:" إن ولاية علي عليه السلام مكتوبة في جميـ ع صـ حف الأنبياء. ولن يبعث الله رسولا إلا بنبوة محمد ﷺ ووصية علـ ي " [٢٨٠]. وكيف يكون أمر الوصاية لعلي بهذه الأهمية بحيـ ث يكـ ون مكتوبا على ظهور الملائكة منذ الأزل ومع هذا لم يرد ذكرها بآيـ ة واحدة في القرآن الكريم.

عن أبي جعفر قال: " لو أن رجلاً قام ليله وصام نهاره وتصدق بجميع ماله وحج جميع دهره ولم يعرف ولاية الله فيواليه ويكـ ون جميع أعماله بدلالته إليه، ما كان له على الله جل وعز حـ ق فـ ي ثوابه ولا كان من أهل الإيمان "٢٨١.وفي هذا الكلام تقويض للملة إذ يختصرون الدين كله في مجرد الاعتراف بالإمامة، فلا قيمة في

٢٧٨- الحجرات ١٣

٢٧٩- الكافي ٣٦٢/١ كتاب الحجة. باب فيه نتف وجوامع من الرواية في الولاية

٢٨٠- الكافي ٣٦٣/١ كتاب الحجة. باب فيه نتف وجوامع من الرواية في الولاية

٢٨١- الكافي ١٦/٢ كتاب الإيمان والكفر باب دعائم الإسلام

نظرهم للصلاة والصوم والزكاة والحج- وهي أصـ ـول الإسـ ـلام وأركانه – دون الاعتراف بالإمامة. ويواصلون هـ ـذه المـ ـزاعم فيقولون:"نزل جبريل على النبي،فقال: يا محمـ ـد السـ ـلام يقرئـ ـك السلام، ويقول خلقت السماوات السبع وما فيهن، والأرضين السـ ـبع ومن عليهن، وما خلقت موضعا أعظم من الركن والمقام، ولـ ـو أن عبدا دعاني هناك منذ خلقت السماوات والأرضين ثم لقيني جاحـ ـدا لولاية علي عليه السلام ، لأكببته في سقر"٢٨٢، بل ويرى الشيعة أن الله هو الذي سمى عليا بأمير المؤمنين! سئل أبو جعفـ ـر: لـ ـم سمي علي بن أبي طالب أمير المؤمنين؟ قال: الله سماه، وهكذا أنزل في كتابه " وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم وأن محمدا رسـ ـولي وأن عليـ ـا أميـ ـر المؤمنين ﴾ "[٢٨٣].

والشيعة يلوون معاني آيات القرآن الكريم كي توافق مـ ـراميهم في إثبات الولاية لأئمتهم، وانظر ما يرونه في قول الله تعـ ـالى: "

٢٨٢- بحار الأنوار-محمد باقر المجلسي ج٢٧ ص١٦٧، أمالي الصدوق -ابن بابويه القمي ص٣٩٢

٢- أصول الكافي كتاب الحجة : جـ ١ ص ٤٧٩ .

لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ "٢٨٤ ، فيفسرونه على أنه استخلاف الأئمة ٢٨٥، في حين أن المراد هو استخلاف المسلمين والتمكين لهم في الأرض . وأئمة الشيعة لم يتمكنوا من الخلافة غير خلافة علي بن أبي طالب – نحو خمس سنوات – وخلافة ابنه الحسن – ستة أشهر – كما تقدم، وهذا يعود بالطعن على الأئمة– لو أخذنا بتفسيرهم– لأن الآية تشترط الإيمان والعمل الصالح وتحقيق عبادة الله وحده من غير شرك لتحقيق الاستخلاف فكأنما يقول الشيعة لأئمتهم: لم يستخلفكم الله لأنكم لم تحققوا الشرط في الآية.

ويفسر الشيعة الآية الكريمة: " قُلْ لا أَسْأَلُكُم عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ المَوَدَّةَ فِي القُرْبَى" ٢٨٦بأنها توصية المسلمين بالحسن والحسين رضي الله عنهما،وهذا غير صحيح، لأن الآية من سورة الشورى وهي كلها مكية وقد نزلت قبل أن يتزوج علي بفاطمة فزواجهما كان بالمدينة في العام

٢٨٤– النور ٥٥

٢٨٥–الكافي ١/١٥٠ كتاب الحجة باب أن الأئمة عليهم السلام خلفاء الله في أرضه

٢٨٦–الشورى ٢٣

الثاني من الهجرة وقبل ميلاد الحسن والحسين، إذ وُلدا في العامين الثالـ ث والرابع من الهجرة.

وكيف يكون الإسلام دينا إنسانيا للعالم كافة شرقه وغربه شماله وجنوبه، لأسوده وأبيضه ، ثم نتحدث عـ ن عنصـ رية وطائفيـ ة واضحتين.كيف نتحدث عن وجـ وب أن يكـ ون حـ اكم الأمـ ة الإسلامية من نسل علي بن أبي طالب أو قرشيا أو حتى عربيـ ا، وهي الأمة الإنسانية التي يفترض نظريا أنها تمتد لتشمل العالمين. إن الإسلام نظام لا يتفاضل فيه أحد على أحد بالعرق أو الجنس أو اللون، وإنما بالتقوى، أي يحكم المسلمين مسلم صح إسلامه ومشهود له بالتقوى ويمتلك القدرات الإدارية التي تمكنه من قيادة الأمة. ولما كان ذلك الحُكم هو الممكن الوحيد عقلا وشرعا فكيف يمكن الحديث عن توارث إمامة أو خلافة في دين عالمي ارتضـ اه الله تعـ الى للإنسانية جمعاء. فماذا لو توافرت شـ روط التفـ وق والأفضـ لية والخيرية لقوم من اسكتلندا أو السويد مثلا مع انتفاء هـ ذه الشـ روط والصلاحيات عن المسلمين العرب، أيكون من الواجـ ب نتصـ يب حاكم الأمة الإسلامية من البدو المتخلفين لمجرد أنهم من العرب أبناء

المسلمين الأوائل؟ وكل كلام يصطدم مع عالمية الإسـ ـلام يكـ ـون كلاما مرفوضا.

العصمة

صدرت فتوى من الأزهر الشريف تعتبر الملة الشيعية الاثنى عشرية ﴿الجعفرية﴾ مذهبا خامسا لأهل السنة والجماعة، وأجازوا التعبد به، ويرى الكثيرون من فقهائنا أن لا خلاف بين أهل السنة والشيعة فالخلاف – في نظرهم في الفروع وليس في الأصول فاقرأ واحكم ٢٨٧:

المسلمون جميعا يجلُّون علي بن أبي طالب–كرم الله وجهه–كما يجلون الصحابة أجمعين، ويحبونه فوق ذلك لأنه ابن عم نبينا الحبيب صلوات الله وسلامه عليه وللدور العظيم الذي اضطلع به في خدمة الإسلام. وليس يعني ذلك القول بعصمته فلم تكن العصمة إلا لنبي، وحتى عصمة الأنبياء لم تكن إلا في ما يتعلق بالتبليغ عن الله، وهم في ما عدا ذلك بشر عاديون.

لذا نختلف مع الخميني زعيم الثورة الإيرانية وإمام الشيعة الاثنى عشرية إذ يقول: "إن من ضروريات مذهبنا أن لأئمتنا مقامنا لا

٢٨٧– انظر نص الفتوى في الملحق رقم ١ في الصفحة رقم ٤٦٩

يبلغه ملك مقرب ولا نبي مرسل،ولا نتصور فيهم السهو والغفلة"[٢٨٨].

وسرعان ما يتهافت الزعم بهذه العصمة عند الاستدلال بالأحداث،وما أشق مهمة المدافع عنها إذ يتعذر عليه تبرير مبايعة علي بن أبي طالب للخلفاء الراشدين الثلاثة الذين سبقوه، ألا يعتبر الشيعةُ بيعتهم باطلة ولا حق لهم فيها؟ والإقرار بالباطل دليل على انتفاء العصمة.كذلك تنازل الحسن بن علي – مع كثرة أنصاره –عن الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان في حين رفض الحسين أخوه – مع قلة أنصاره– مبايعة يزيد بن معاوية واستُشهد دفاعا عن موقفه المغاير لما ذهب إليه أخوه، وإن كان أحدهما على صواب، فالآخر غير ذلك، الأمر الذي تنتفي معه العصمة المزعومة.كذلك فإن زيد بن علي زين العابدين خرج على هشام بن عبد الملك فهُزم وصُلب،كذلك كان مصير ابنه يحيى، في حين أن جعفر الصادق آثر المهادنة ومسالمة العباسيين. فأي الطرفين على صواب من قاتل أم من هادن؟ وصواب أحدهما يخطئ الآخر، وخطؤه ينفي عصمته. وينسبون إلي جعفر الصادق أنه قال:"كنا عند الله– وليس عنده

---

٢٨٨ –الخميني– الثورة الإيرانية في ميزان الإسلام –نقلا عن الدكتور مصطفى الجداوي–نظرية الشيعة

أحد سوانا – لا ملك مقرب ولا غيره، ثم بدا له خلق السماوات والأرض، فخلق ونحن معه﴾ ٢٨٩ . ولا يخفى ما في هذا القول – وكثير مثله – من باطل وكذب ينفي العصمة المزعومة عمن يقوله.

وإظهار الحق للشيعة من كتبنا ﴿نحن أهل السنة﴾ يسير، وأيسر منه إثبات ضلالهم من كتبهم ، إلا أننا سنطلب الحق عقلا لا نقلا، أي دون الاستعانة بكتبنا أو كتبهم، وذلك على طريقة من يلقي بسيفه أرضا بعد أن يتبين له جهل خصمه باستخدامه، فآثر مصارعته باليدين من باب إتاحة كل الفرص العادلة لهذا الخصم.

يرى الشيعة– عدا الإمام زيد ومن والاه – أنه لا حق للأمة في اختيار من يحكمها، وأن الإمامة واجبة على الله، وسند الشيعة في ذلك هو أن نصب الإمام لطف واللطف واجب على الله،فيكون نصب الإمام واجبا على الله، هكذا وببساطة. ولأن الإمام يجب أن يكون معصوما والعصمة لا يعلمها إلا الله فوجب نصبه من الله. وفاتهم أن من يجب عليه أمر يأثم بتركه، ومن كان هذا شأنه فهو من المكلَّفين،ولا تصح عبادة المكلَّف. ومادام الله قد أوجب الإمامة على نفسه فما على الإمام إلا الامتثال لأمر الله وقبول هذا "التعيين"، وهو الأمر الذي لم يحدث، فقد استلم الأئمة

٢٨٩– انظر الوافي

للأمر الواقع ولجأوا إلى التقية وهادنوا حكامهم من الأمويين والعباسيين، عدا بعضهم مثل الحسين وزيد وابنه يحيى ومحمد النفس الذكية وأخيه إبراهيم. ولا يسع المرء إلا أن يتساءل كيف يمكن التوفيق بين القول بوجوب نصب الإمام على الله في حين أن آخر هؤلاء الأئمة –حسب زعمهم– قد اختفى في سرداب سامراء منذ أكثر من أحد عشر قرنا؟ كذلك لم يتول الخلافة أحد من آل البيت العلوي غير علي كرم الله وجهه وابنه الحسن، أما مؤسسو الدولة الصفوية والدولة الفاطمية والقرامطة فمن المحتالين المتاجرين بالدين.

وهل كان الله يوجب على نفسه أمرا ثم لا يقوم على إمضائه؟ ويرى الشيعة الإمامية أنه "يجب على الله ﴿!!﴾ أن ينصب إماما للناس، وأن الاختيار في هذا التنصيب لله وحده" [٢٩٠]، وإذا كان نصب الإمام المعصوم واجبا على الله، فكيف لا يمضي الله هذا الواجب وتركهم بلا إمام منذ أكثر من ألف سنة، أي منذ اختفاء آخر الأئمة الاثنى عشر محمد بن الحسن العسكري – بحسب زعمهم– في السرداب. وعندما أوجب الشيعةُ على الله نصب الأئمة، في حين لم يمكنهم فعلا من نصب الخلافة،كان معنى ذلك سقوط حجة الله على العباد، بل والقول بقيام الحجة لهم على الله فإن من لم يقم بما وجب عليه، لا يمكن أن يطالب غيره

٢٩٠– محمد جواد مغنية– مع الشيعة الإمامية– ص٩٨ ، ٩٩

بشيء من التكاليف والواجبات. ولما خلا القرآن من أي دليل على هـ ذا الوجوب، فالمعنى إذن يكون إما أن العباد هم الذين أوجبوا على الله نصب الأئمة، وهذا لا يجوز منطقيا أو شرعا، وإما المقصود أنهم قد اسـ نتنتجوا وجوب هذا النصب بالعقل-كما يزعمون- وهذا خطأ آخر فالله خلق العقل ليكون حجة على عباده، لا أن يكون حجة عليه تعالى. وإذا كان الله قـ د أوجب على نفسه نصب الأئمة وعصمتهم للتمكين لهم في الأرض لهداية الخلق، فما القول في أن وقائع التاريخ تقول بعكس ذلك، فهـ ؤلاء الأئمـ ة المعصومون كـ انوا مقهـ ورين ومضـ طهدين،وطـ اردهم الأمويـ ون والعباسيون،وشهدت أحداث التاريخ بالتمكين للحكام الظلمـ ة المسـ تبدين وأئمة الجور، أليس معنى ذلك استحالة وقوع ما أوجبه الله علـ ى نفسـ ه وإثبات حدوث نقيضه . وإذا كان الشيعة يرون أن الأئمة معصـ ومون، وأنهم الأحق بحكم الناس وهداية الخلق إلى الصلاح والرشاد، فبم يفسرون أن عهد علي بن أبي طالب نفسه لم يحقق ذلك، ودخل فـ ي صـ راعات طويلة دامية لم يكن محقا في بعضها، منها قبول التحكيم والانخداع بمكيدة عمرو بن العاص في موقعة صفين. ولمّا كان المعصـ وم لا يكـ ذب، والتقية استتار ومداراة، بل ويراها البعض كذبا ونفاقا، فكيـ ف يتفـ ق أن يكون الإمام معصوما ويأخذ بالتقية في الوقت نفسه، فالحديث بالتقية فيـ ه مخالفة للواقع، ولا يجوز للمعصوم أن يأخذ بالكذب فكلامه بمثابة الوحي.

وحسب الرؤية الشيعية يكون المعصوم دائما في مقام التشريع وتتسع دائرة هذا التشريع لتشمل السياسة أيضا، أي نظرية الحكم والدولة الدينية ﴿ولاية الفقيه﴾ . ويقيس الشيعة عصمة علىّ والأئمة على عصمة النبي، في حين أن مبدأ القياس في حد ذاته لا يأخذ به الشيعة –إلا إذا أعوزتهم الحجة–كما أن استخدامهم للقياس في هذا الموضع بعينه غير جائز، لأنه قياس في ما لا يصح فيه القياس إذ تعوزه أوجه الشبه وشروط المقايسة.

ويقول الشيعة بوجوب عصمة أئمتهم لأن الإمام قيم على الشريعة وحافظ عليها من الزيادة أو النقصان ، وفاتهم أن خليفة المسلمين يقوم على تطبيق الشريعة لا تبليغها، فتبليغها قد حصل بالنبي، والقول بخلاف ذلك طعن في النبي وتقويض للملة. أما حفظ الشريعة من الزيادة أو النقصان فقد تكفل به الله نفسه بحفظ القرآن وعاء الشريعة الإسلامية، ولو صح القول بدور الأئمة الشيعة في الحفاظ على الشريعة من النقص أو الزيادة، فضلا عن تبليغها، لبرز سؤال هام: فما قولهم إذن في الحفاظ على الدين بعد اختفاء المهدي المنتظر في السرداب إذ انقطع عن العباد والبلاد، كما أن التبليغ لا يكون إلا عن وحي من الله.

والنبي الكريم ليس معصوما من الخطأ في ما خلا الوحي والتبليغ. قال الله تعالى:﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى﴾[291]، أي أن العصمة تكون في ما يخص شأن الوحي فقط. أما في أمور الدنيا– لا الدين– يجوز عليه، صلوات الله عليه وسلم، ما يجوز على غيره من السهو والخطأ. وقد ثبت تراجع النبي المصطفى عن بعض اجتهاداته ونزل على رأي بعض الصحابة في غزوات بدر وأحد، وعوتب على أخذ الفداء من أسرى بدر، وعلى إذنه للمنافقين بالتخلي عن القتال، وغير ذلك من اجتهادات دنيوية بعيدة عن أمور الدين والعقيدة. والعتاب لا يكون إلا لمن أخطأ. وقد قال الله له:﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِيْنًا لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾[292]،وقال له الله تعالى معاتبا:﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[293]،وقد أوردت النصوص القرآنية أحوال عدد من الأنبياء وقد شاب سلوكهم بعض ما يمكن اعتباره ضمن دائرة السهو والخطأ. لذا فقول الشيعة بعصمة أئمتهم يضع هؤلاء الأئمة في منزلة أفضل من الأنبياء، بل وفوق منزلة سيد الخلق نفسه،صلوات الله وسلامه عليه،وهذا

٢٩١– النجم– ٣، ٤

٢٩٢– الفتح ١ ، ٢

٢٩٣–التحريم ١

غير مقبول عقلا أو شرعا. "ويرى الشيعة أن الإمام معصوم من الذنوب كلها صغيرها وكبيرها ولا يسهو ولا ينسى ولا يلهو بشيء من أمر الدنيا "[٢٩٤]، وهذه العصمة تمتد من وقت ولادتهم إلى وفاتهم، ويقول المجلسي في كتابه بحار الأنوار: "إن أصحابنا الإمامية أجمعوا على عصمة الأئمة أجمعين من الذنوب الصغيرة والكبيرة عمدا أو خطأ ونسيانا من وقت ولادتهم إلى أن يلقوا الله عز وجل"[٢٩٥]، مع أنه قد جاء في نفس الكتاب أن الإمام موسى الكاظم يقول: رب عصيتك بلساني ولو شئت وعزتك لأخرستني، وعصيتك ببصري ولو شئت لأكمهتني، وعصيتك بسمعي ولو شئت لأصممتني. ولما سئلوا عن هذا التناقض أجابوا بأن كلام الكاظم ليعلّم الناس، في حين أن دعاءه هذا كان عند سجوده في الليل وليس عنده من يعلمه، فأجابوا بأنهم كانوا يستغفرون عن اشتغالهم بالمباحات من المأكل والمشرب والنكاح، وهي أمور يعدونها خطيئة ويستغفرون الله منها،وهذه مخالفة صريحة للدين، إذ لا ذنب في المأكل والمشرب والنكاح، فهي أمور فعلها الأنبياء والصالحون والناس جميعا ولا تستقيم الحياة بدونها، وليس في إتيانها ما يوجب الاستغفار.

٢٩٤- ميزان الحكمة -ج١ص١٧٤

٢٩٥- المجلسي-بحار الأنوار ج٢٥ ص٣٥١،٣٥٠

وقيل مرة للإمام الرضا٢٩٦ : " إن في الكوفة قوما يزعمون أن النبي لم يقع عليه السهو في صلاته، فقال: كذبوا –لعنهم الله– إن الذي لا يسهو هو الله الذي لا اله إلا هو" [٢٩٧]. فالقول بنفي السهو عن النبي يسهل القول بنفيه عن أئمة الشيعة تمهيدا للقول بعصمتهم في ما بعد. والنبي الكريم لم يدّعِ العصمة المطلقة لنفسه، وهو من قال أنتم أعلم بأمور دنياكم . وعصمة الأنبياء ضرورة لازمة لصيانة الوحي،فما وجه وجوبها للأئمة ؟ أَلِنسخ ذلك الوحي بوحي جديد؟ وفي حين أن عصمة النبي خاصة بـ الوحي والرسالة فقط، إلا أن الشيعة يرون العصمة "مطلقة" لأئمتهم.

وعن الصدوق أنه قال: " اعتقادنا في الأنبياء والرسل والأئمة أنهم معصومون، مطهرون من كل دنس، وأنهم لا يذنبون لا صغيرا ولا كبيرا، ولا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ومن نفى عنهم العصمة في شيء من أحوالهم فقد جهلهم، ومن جهلهم فهو كافر" [٢٩٨]. ويقولون:" إننا نعتقد أن الإمام كالنبي، يجب أن يكون معصوما من جميع الرذائل والفواحش، ما ظهر منها وما بطن، من سن الطفولة إلى الموت

---

٢٩٦ – وهو الإمام الثامن من أئمة الشيعة الاثنى عشرية

٢٩٧ – المرجع نفسه جزء ٢٥ ص ٣٠٥

٢٩٨ – إبراهيم الموسوي الزنجاني : عقائد الإثني عشرية : ١٥٧/٢ منشورات الاعلمي – بيروت .

عمدا وسهوا، كما يجب أن يكون معصوما من السهو والخطأ والنسـ يان، بل نعتقد أن أمرهم أمر الله تعالى، ونهيهم نهيـ ه، وطـ اعتهم طاعتـ ه، ومعصيتهم معصيته، ووليهم وليه، وعدوهم عدوه، ولا يجوز الرد عليهم، والراد عليهم كالراد على رسول الله، والراد على الرسول كالراد عـ ى الله تعالى" [٢٩٩].

٢٩٩ – محمد رضا المظفر : عقائد الامامية : ص ٩١ ط دار الصفوة – بيروت .

حكاية المهدي المنتظر: مولده وغيبته ورجعته

صدرت فتوى من الأزهر الشريف تعتبر الملة الشيعية الاثنى عشرية ﴿الجعفرية﴾ مذهبا خامسا لأهل السنة والجماعة، وأجازوا التعبد به، ويرى الكثيرون من فقهائنا أنه لا خلاف بين أهل السنة والشيعة فـ الخلاف – في نظرهم – في الفروع وليس في الأصول [٣٠٠]. فاقرأ واحكم:

حينما وُلد المهدى المنتظر كانت الملائكة تهبط وتصعد وتسلم عليه وتتبرك به وطار به روح القدس ليعلمه العلم مدة أربعين يوماً، وكان مكتوباً على ذراعه الأيمن "جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا ٣٠١. ولما خاف على نفسه من القتل اختفى في سرداب منذ أكثر من ألف سنة، وسوف يعود في آخر الزمان لينبش قبرَي أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب ويصلب جسديهما، ويقيم حد الزنا على أمنا الطاهرة السيدة عائشة زوج الحبيب المصطفى، ويعمل القتل في المسلمين ويقيم شريعة داوود نبي اليهود.

٣٠٠–انظر نص الفتوى في الملحق رقم ١

٣٠١–انظر الطوسي – كتاب الغيبة ص ٢٤٠

اشترط الشيعة الاثنا عشرية أن تكون الإمامة في الأعقاب بعد الحسين بن علي، وقالوا بعدم جواز انتقالها إلى أخ أو عم أو ابن عم وهكذا. ولما خيبت الأقدار ظنهم بوفاة الإمام الحادي عشر الحسن العسكري سنة ٢٦٠ هجرية ولم يكن له عقب، شكل ذلك للشيعة مأزقاً خطيراً إذ سيستحيل القول بلزوم الأئمة لحركة الأكوان والخلق، و ستستمر الحياة مع غيابهم ودون حاجة إليهم وبذا تسقط دعواهم ، وكانوا قد اختلقوا أوصافاً للإمام منها عدم موته حتى يكون له خلف من ذريته ليتولى الإمامة من بعده، وأن الإمام لا يغسله إلا إمام هو أكبر أولاده. ولما مات الحسن العسكري من دون ولد انهدمت دعاواهم من القواعد، ولم يكن ليخرجهم من هذا المأزق غير الزعم بأن الإمام الحادي عشر كان له ولد وأسموه محمدا وقالوا إنه الإمام الثاني عشر ، وشهد رجل اسمه «عثمان بن سعيد» بأن للعسكري ولداً اختفى وعمره أربع سنوات. ولما صعب عليهم مواصلة الكذب، إذ كان عليهم إدارة شؤونهم في ظل إمام مزعوم لا وجود له إلا في خيالهم ، فزعم الملأ من المعاصرين للقائلين بوجود الإمام الثاني عشر، أنه غائب في سرداب خوفا على حياته، وهو إمام موهوم ليس له وجود وهو من صنع خيال المنتفعين باسمه ممن جمعوا زكوات بسطاء الشيعة وهي خُمس أموال الشيعي المخدوع . ولو كان الخوف على الحياة مبررا للاختفاء لاختفى كل الأنبياء والرسل، وكيف

يخشى إمامهم القتل وهو كسائر أئمتهم- بزعمهم- يعلم متى يكون موته. وهو يموت باختياره، ويعلم أنه يعيش إلى أن ينزل عيسى عليه السلام، وأنه لن يموت حتى يملأ الأرض عدلا.

قال الطوسي: "لا علة تمنع من ظهوره إلا خوفه على نفسه من القتل، لأنه لو كان غير ذلك لما جاز له الاستتار" [٣٠٢]. وعكف الوجهاء من المؤسسة الدينية الشيعية، ممن نصبوا أنفسهم نوابا للإمام، على جمع الزكوات التي فرضوها على الناس ومقدارها خمس دخل الشيعي﴿٢٠بالمئة﴾، وانحصر دور هؤلاء النواب في جمع المال نيابة عن الإمام،دون أن يكون لهم أي دور سياسي أو تعليمي. وكانوا يزعمون أنهم يسلمون هذه الأموال إلى الإمام الغائب في السرداب، ولم يفكر أحد فيما يمكن أن يفعله الإمام الغائب بهذه الأموال في سردابه. وبمرور الوقت تعذر تنسيق الأمر بين هؤلاء النواب الذين بلغ عددهم ٢٤نائبا – لم يقر الشيعة إلا بأربعة منهم فقط واعتبروا الباقين كذابين- وانتهى الأمر بهم إلى القول بأن الإمام غاب غيبته الكبرى وسيظهر يوما ما:" بعد ستة أيام، أو ستة أشهر، أو ست سنين "[٣٠٣]، وهو حي يرزق منذ أكثر من ألف سنة خارقا بذلك ناموس الطبيعة الذي لم ينخرق لأحد من قبل، ولو

٣٠٢- الغيبة ص ٢٠٣

٣٠٣- الكافي ٢/ ٢٧٣ – والغيبة للطوسي ١٦٧

كان الله ليمد عمر أحد لحاجة الناس إليه لمد في عمر الحبيب المصطفى عليه وعلى آله الأطهار الصلاة والسلام، وهذا ما قال به إمامهم ﴿علي الرضا﴾[٣٠٤].

ومنذ ذلك الحين ينتظرون غائبهم عند باب السرداب، و منهم جماعة ترابط بأسلحتها أمام هذا السرداب تنادي عليه، و يفعلون هذا في العشر الأواخر من شهر رمضان ويتوجهون إلى المشرق وينادونه بأصوات عالية .

وفكرة الإمام أو المعلم أو المسيح المنتظر يؤمن بها الكثيرون من أتباع الديانات العالمية: فالمسيحيون بانتظار عودة المسيح، واليهود ينتظرون المسيح المنتظر، وكذلك الهندوس ينتظرون "كريشنا" أو "الكي"، والبوذيون يستعدون لمجيء البوذا الخامس ﴿البوذا "مايتريا"﴾. والرجعة قال بها الحلاج إذ زعم أنه سيرجع بعد موته بأربعين يوما ، وغيره كثيرون، إذ كان يعز على اليد الخفية، التي تقف وراء مساعي التحريف ، أن ينهار تدبيرها وينفض من حولها أنصار الباطل ممن نجحت في حشدهم، فكان يتم الترويج لفكرة رجعة من يقضي من عملائها حتى يتسنى الإبقاء على وحدة من تم جمعهم من المغفلين من الأنصار والأتباع.

٣٠٤–انظر الكشي ص ٤٥٨

ومن ألوان تقديس الأموات، الاعتقاد بأن الميت وليا كان أم نبيا لابد أن يرجع إلى الدنيا .وهذا ما يقول به المتصوفة .وأنه متى أراد أن يعود إلى بيته عاد وكلم أهله وذويه، وتفقد اتباعه ومريديه. فالشيخ حسن أحد ورثة مشيخة الطريقة العدوية "وعد أتباعه –بعد أن أسقطوا عنهم التكاليف الدينية، وبموجب اعتقاده في الرجعة والحلول –وعدهم بأن شيخهم الأكبر "عديا"، سيرجع إليهم على فترات متتابعة، ويظهر بينهم، ويحل فيهم لينظر أحوالهم، ويدير شؤونهم، ويجمع شمل طائفتهم ، وأنه سيحملهم يوم القيامة في طبق على رأسه، ويدخل بهم الجنة، دونما حساب أو عقاب "[٣٠٥]. وينكشف إيمان الصوفية بالرجعة في اعتقادهم بإمكان مقابلة الرسول بعد موته يقظة وأنه يحضر بعض اجتماعاتهم الصوفية وأنه مازال يعطي بعض المعلومات والتشريعات لمن يشاء من العباد.

ولم يقتصر القول بالرجعة على الأمور الجسام ، وإنما ادعاها الصوفية لأحدهم من أجل فض بكارة زوجته: يحكي عبد الوهاب الشعراني بعض كرامات أحمد البدوي الصوفي المعروف فيقول": لما دخلت بزوجتي وهي بكر، مكثت خمسة شهور لم أقربها، فجاءني أحمد البدوي وأخذني وهي معي، ففرش لنا فرشا فوق ركن القبة التي على يسار الداخل إلى المقام، وطبخ لى حلوى، ودعا الأحياء والأموات إليه!! وقال لي أزل بكارتها

٣٠٥– الدملوجي : اليزيدية ، د. سهير محمد علي : اليزيدية

هنا، فكان الأمر تلك الليلة"[٣٠٦]. أي أن الله بعث أحمد البدوي من موته، خرقا للقوانين والنواميس، ليصنع الحلوى للشعراني ويشهد فضيحة زوجته. أي أن رجعة الصوفي أحمد البدوي كانت لمشاهدة أمر لا يقره الدين ، ويمنعه الحياء.

وما أعجب القول بغيبة الإمام المنتظر، ذلك الذي يختفي تاركا أمته ويغيب في السرداب مدة قرون وقرون مستترا عن أنصاره وأعدائه، مما فتح الباب أمام من يمكنه اصطناع الوسائل لادعاء أنه الإمام المنتظر فيتجمع الناس خلفه سعيا لتحقيق أغراض سياسية وأهداف ارتزاقية. وهذا يفسر كيفية تأسيس جميع الدول الشيعية تقريبا كدولة القرامطة والدولة الإسماعيلية التي تسمت باسم الدولة الفاطمية وكذلك الدولة الصفوية، وكلها تأسست بطريقة واحدة تماثلت فيها الوسائل والغايات.

وكيف يستقيم منطقيا التوصية بالإمامة والحكم، تلك التوصية التي زعموا أنها أمر أساسي من الدين، ثم بعد ذلك يغيب هذا الإمام هاربا في سرداب؟كيف يستقيم ذلك مع التشديد على أهمية الإمام في حياة الأمة وتهيئته لحكمها ، وبعد ذلك يفر ويقضي عمره وفوق عمره مختفيا غائبا منتصلا من المسؤوليات التي أنيطت به بحكم هذا " التعيين" الإلهي مع غرابة القول باختفاء شخص ما - فضلا عن أن يكون هو الإمام الذي

٣٠٦– الشعراني الطبقات الكبرى

أعدته السماء ذلك الإعداد الخاص قرونا طويلة - دون موت في مغ ايرة صريحة وتناقض مباشر مع نواميس الطبيعة . ولا يرى الشيعة غراب ة في القول بغيبة المهدي المنتظر وطول عمره ، إذ يقيسونه بعمْر سـ يدنا نوح الذي لبث ٩٥٠ سنة بنص القرآن. ولكن الله مد في عمر نوح مـ ن أجل الدعوة إلى الله لا من أجل الاختفاء والاستتار وكان يعـ يش بـ ين الناس غير مستتر. وكيف يكون الواجب على الإمام رعاية شؤون البلاد والعباد ثم يغادرهم دون سابق إنذار ودون سبب معروف أو معقول لمـ دة ذاق فيها المسلمون الهوان والمذلة،وإذا لم يخرج هذا المختفي وقت شد دة المسلمين فمتى يكون ذلك؟

ولما استحال الجواب عقليا وأوقعوا أنفسهم في مأزق، قالوا مستغربين ممن يحاول طلب الحكمة من وراء جميع الأحكام الربانية والمصـ الح الإلهية! وصدق الحكماء لما قالوا : لا تعدم خرقاءُ علة ، أي أن العلل يسيرة قد تحسنها الخرقاء . وللإقناع بوجوب غض الطرف عـ ن مثـ ل علامات الاستفهام هذه دون طلب إجابات عنها، يقيسون ذلك بالحكمـ ة المجهولة وراء تقبيل الحجر الأسود مع أنه لا ينفع ولا يضـ ر، وسـ بب فرض صلاة المغرب ثلاث ركعات والعشاء أربعا، ولـ م يبـ ق إلا أن يسألوا ولماذا الطول أطول من العرض، ولماذا يطير الطـ ائر ويعـ وم

السمك وينبح الكلب، إنه اللجج بعد أن ضلت العقول[٣٠٧]. "وتزعم السبئية أن المهدي المنتظر إنما هو علي بن أبي طالب نفسه دون غيره "[٣٠٨]. ويعللون غيبة إمامهم بأنه يخشى على نفسه القتل، وإن كانت غيبته لأنه لا يأمن على نفسه ، فما باله لم يخرج في الأزمنة التي كانت الغلبة والتمكن فيها لدول شيعية كالدولة الصفوية أو الدولة الفاطمية أو دولة القرامطة؟

وزعموا أن: " دعاءه مستجاب حتى لو أنه دعا إلى صخرة لانشقت نصفين، ويكون عنده سلاح رسول الله وسيفه ذو الفقار"[٣٠٩]، وأنه " يملك أيضاً ألواح موسى وعصاه وخاتم سليمان كما يملك الاسم الذي لا يؤثر فيه الرماح والسهام "[٣١٠]. فمزيف هذا الباطل لم يكن ليعلم أن السيوف والرماح لن تبقى هي السلاح حتى آخر الزمان وإلا استبدلها

٣٠٧- للمزيد من التفصيلات يمكن الرجوع إلى كتاب محمد عبد الحسين آل كاشف الغطاء: كيف يتحد المسلمون، أو كلمة في الإصلاح لابد منها

٣٠٨- البغدادي-الفرق بين الفرق-ص١٤٣

٣٠٩ - الخصال، لابن بابويه القمي ص١٠٥ و١٠٦ ط إيران

٣١٠ -الكليني

بالصواريخ وأسلحة الليزر. ومن يملك هذه الأسلحة مما يخاف ومم ن يستتر، رحم الله من احترم عقله.

ويرون أنه لا محل لاستكار وجود المهدي المنتظر بين ظهرانيه ا دون أن نعرفه، فشأنه فى ذلك شأن يوسف الذي لم يعرفه إخوته حت ى عرفهم بنفسه.

و الكليني ﴿كبير محدثي الشيعة﴾، يسمى أمّة محمد صلى الله عليه وسلم، أشباه الخنازير والأمة الملعونة لعدم إيمانهم بغيبة المهدي"[٣١١]، مع أنه نفسه ذكر في كتابه رواية تثبت بطلان القول بأنه كان للحسن العسكري ولد، يقول: لما دُفن الحسن العسكري أخذ السلطان والناس في طلب ولده ، وكثر التفتيش في المنازل والدور، وتوقفوا عن قسمة ميراثه حتى تبين بطلان حمل جارية له شكوا في حملها، فقُسم ميراثه بين أم ه وأخي ه جعفر" [٣١٢]. ولم يُعرف للمولود المزعوم أم: تارة يقولون إنه ا جاري ة اسمها سوسن أو نرجس أو صيقل أو مليكة أو خم ط أو حكيم ة أو ريحانة –لاحظ الدقة– وقيل: هي أمَة سوداء، وقيل: هي ام رأة حـ رة اسمها مريم. ولم يُعرف له تاريخ ميلاد محدد، فقالوا : وُلد بعد وفاة أبيه بثمانية أشهر، أو وُلد قبل وفاة أبيه سنة ٢٥٢، أو سنة٢٥٥، أو سنة ٢٥٦،

٣١١–الكافي ٢ / ٢٧٢ – البحار ١٥٤/٥٢

٣١٢– الكليني – الكافي ١ / ٥٠٣

أو سنة ٢٥٧، أو سنة ٢٥٨. كذلك اختلفوا في طريقة حمله ومولده: فقالوا حملته أمه في بطنها كما يحمل سائر النساء، أو حملته في جنبها لـ يس كسائر النساء – إذ يعتقد الشيعة أن الأئمة تحملهم أمهاتهم فـ ي الجنـ ب ويولدون من الفخذ الأيمن[٣١٣] _ وولدته من فرجها كسائر النساء، أو مـ ن فخذها على غير عادة النساء.واختلفوا في مكان اختفائه، قالوا: في طيبة، أو جبل رضوى بالروحاء، أو سامراء.

وِ زعموا في رواياتهم على لسان الحسن العسكري أن ابنه المهـ دي كان ينمو في اليوم الواحد مثل نمو سنة من غيره كسائر الأئمة، ولم يفسر لنا أحد فيم كانت العجلة في النمو ما دام سينتهي به الأمر إلى الاختباء في السرداب .

تلك بعض تخاريف الشيعة التى جعلت من ملتهم أضحوكة للجاهـ ل قبل العاقل، وانصرف الناس عن الإسلام إذ ظنوا أنه الملة التي يعتنقهـ ا هؤلاء المخرفون. ولما لم تتحقق النصرة المأمولة للشيعة وأذ نزل بهـ م الأمويون والعباسيون الهزائم تلو الهزائم، رأى وجوه الشـ يعة والـ دوائر الخفية من ورائهم أن الزعم بإمام موهوم يغيب اليوم ويعود يوما ما، هو الوسيلة الوحيدة لشد أزر أتباعهم وتعليق قلوبهم بأمل موهوم حتـ ى لا ينفرط عقدهم. وغيبة الإمام واستتاره والحيلولة بينه وبين قيادة الأمـ ة،

﴿٣١٣﴾ «إثبات الوصية»، المسعودي، ﴿ص١٩٦﴾.

يصادم القول بضرورة دوره في تسيير الكون ويضع القائلين بهذا الرأي في مأزق صعب، فكيف يكون الإمام ضروريا، وكذلك غيبته؟ فهم يقولون إن الأرض لو خلت طرفة عين من حجة، لساخت بأهلها "[٣١٤].

وكل فرق الشيعة، التي بلغت نحو سبعين فرقة تكذب هذا الأمر وتتكر القول بالإمام المنتظر ٣١٥ ، وقالوا إنه ليس هناك ولد بعد الحسن العسكري. والفرقة التي اختلقت فكرة وجود ولد للحسن العسكري هي الفرقة التي كانت تمني نفسها بقيام دولة لها وراحت تمني الأتباع والأنصار بقرب ظهور القائد الذي سيقودهم، وحددوا لهم الموعد تلو الآخر ، وما من إمام يظهر، فزادوا في المدة، ولم يظهر، وهكذا حتى جعلوها غير محددة .

وزعموا أن علي بن أبي طالب قال: تكون له – أي للمهدي – غيبة وحيرة، يضل فيها أقوام ويهتدي آخرون، فلما سئل: كم تكون الحيرة؟ قال:

---

٣١٤ – الكافي ﴿ ١ / ١٧٩﴾

٣١٥ – من هذه الفرق : الزيدية والإسماعيلية والفطحية والكيسانية والبترية والجارودية والمختارية والكربية والهاشمية والراوندية والخطابية والناوسية والقرامطة والواقفة والنميرية وثلاث عشرة فرقة أخرى كلهم خالفوا الاثني عشرية في هذه العقيدة

ستة أيام أو ستة أشهر أو ست سنين٣١٦. وانظر هذا القول الذي يزعمون أنه صادر عن من يعلم الغيب وعنده ميراث العلم النبوي.

واختلاق هذه الرواية كانت ضرورية في وقتها لاحتواء اضطراب الناس وشكوكهم ، واستثمرها نواب الإمام إذ كانوا يجمعون الأموال لتوصيلها إليه كما زعموا، ومضت المدد المحددة ولم يظهر الإمام ثم قالوا بأنه غاب غيبته الكبرى وسيعود آخر الزمان، وعللوا ذلك بأنه لا يريد مساكنة النواصب – أي أهل السنة والجماعة – فقد ذكر المجلسي أنه قال:" لا أجاور قوماً غضب الله عليهم ولعنهم، ولهم الخزي في الدنيا والآخرة، ولهم عذاب أليم " ٣١٧.

والتحريف الذي طال الإسلام على يد الشيعة ومن بعدهم الصوفية، كان وراءه جماعات كثيرة ترتزق من وراء إحداث هذا التحريف ورعايته. فاليد الخفية التي تخطط لتدمير الإسلام تعطي جانبا من المكاسب لكل العاملين لإحداث هذا التزييف بحيث تستمر جهود التقويض بفعل بقاء جماعات المنتفعين واستمرار حرصهم على تأمين هذه المكاسب. و موت الحسن العسكري دون عقب كان مفاجأة لكل دوائر التآمر، وعلى جامعي خمس دخل الشيعي أن يفقدوا هذه الأموال الطائلة بعد أن غاب

٣١٦– الكافي ١ / ٣٣٨

٣١٧– المجلسي – بحار الأنوار ٥٢ / ١٢

إمامهم المزعوم، صحيح أنه موجود – بزعمهم – ولكن كيف يتسنى لهم مواصلة نهب أموال السذج من أتباعهم. وتفتقت أذهان شياطين التدبير بفكرة عجيبة، وهي تعيين نائب للإمام، لماذا؟ لكي يعلمهم دينهم؟ كلا وإنما ليجمع الأموال من الشيعة ويقوم بنفسه بتسليمها إلى الإمام الغائب في سردابه، ولم يسأل عاقل نفسه وماذا يفعل الإمام بهذه الأموال الطائلة وهو في محبسه؟ وتنافس الناس في ادعاء النيابة عنه من أجل المكاسب المالية الهائلة والمكانة الدينية الرفيعة التي سيحوزها . ولذلك ادعى النيابة عن المهدي أربعة وعشرون محتالا، رضي الشيعة الاثنى عشرية بأربعة منهم فقط٣١٨.

٣١٨– وهؤلاء النواب الأربعة الشرعيون في نظر الشيعة الاثنى عشرية هم : عثمان ابن سعيد العمري وولده الحسين بن عثمان العمري و الحسين بن روح النوبختي وعلي بن محمد السيمري . وهناك آخرون مدعون للنيابة وهم : الحسن الشريعي ، محمد بن نصر النميري ، أبو هاشم داود بن القاسم ، إسحاق الأحمر ، حاجز بن يزيد ، حسين بن منصور ، محمد بن غالب ، أبو دلف الكاتب، القاسم بن العلاء ،أحمد بن هلال العبرتائي ، محمد بن صالح الحمداني ، محمد بن إبراهيم بن مهزيار ، أحمد بن إسحاق الأشعري ، محمد بن صالح القمي ، الحسن بن القاسم بن العلاء ، محمد بن علي بن بلال ، محمد بن جعفر بن عون ، جعفر بن سهيل الصيقل ،القاسم بن محمد بن علي ،

ولما كانت الفريسة كبيرة والمائدة حافلة، كان من الصعب أن يستأثر البعض وحدهم بالغنيمة، فكان لابد أن يظهر من يدعي أنه "نائب" "النائ ب" الإمام. واسمع ما قاله محمد بن على الشلمغاني وهو الوكي ل للنائ ب الثالث الحسين بن روح والذي انشق عنه وادعى النيابة لنفسه ق ال: م ا دخلنا مع أبي القاسم الحسين بن روح في هذا الأمر – يعنى النياب ة ف ي جمع الأموال من الناس – إلا ونحن نعلم فيما دخلنا فيه، لقد كنا نتهـ ارش على هذا الأمر كما نتهارش الكلاب على الجيف [٣١٩].

وبعد موت الحسن العسكري انقسم الشيعة إلى عشرين فرقة غشيتهم الحيرة واتهموا بعضهم البعض بالكذب، ولعن بعضهم بعضا، ونقلوا في وجوههم، كما ذكر ذلك المجلسي في الأنوار النعمانية ، فمنهم فرقة قالت إن الحسن العسكري هو المهدي ولم يمت، وفرقة قالت: العسكري مات ثم عاش وهو المهدي، وفرقة قالت: الإمامة لجعفر وأبطلت إمامة الحسن، وفرقة قالت: الإمام بعده أخوه جعفر، و فرقة قالت بإمامة محمد بن عل ى الهادي وأبطلت إمامة الحسن، وفرقة قالت: للحسن ولد اسمه محمد ولد في

محمد بن على الشلمغاني ، وهؤلاء كلهم كذابون في نظر الشيعة الاثنى عشرية ماع دا الأربعة الأوائل .

٣١٩- تطور الفكر السياسي ص ٢٢٦

حياة أبيه، وفرقة قالت: ولد له بعد موته بثمانية أشهر. وهكذا افترقوا حتى قالت الفرقة الإمامية " الاثنى عشرية": لله حجة من ولد الحسن العسكري. ولأن الأمر كله مختلق ومكذوب فكان من السهل على المتأمل فيه أن يكشف زيفه، لذا أفتى فقهاؤهم بتحريم البحث في أمر إمامهم المنتظر، أو ذكر اسمه، أو السؤال عن مكانه ، وقالوا بعدم جواز طلب ما ستر عنهم فليس للعباد أن يبحثوا في أمور الله . هكذا ظنوا أنه بإمكانهم تعطيل العقول.

وإن كان هذا الاستتار واجبا على الإمام المنتظر فلمَ لم يكن كذلك على أسلافه من الأئمة، وإن كان مستحبا فهو استحباب على حساب الواجب وهو الدعوة إلى الله والقيام على شؤون الدين، فهم يقولون بضرورة وجود إمام في الأرض لديه علوم الشريعة، ويرجع الناس إليه في أحكام الدين . وللشيعة آليات ابتدعوها للإفلات من التناقضات التي يتورطون فيها: منها القول بالبداء والتقية .عن أبي جعفر أنه قال: إذا حدثناكم عن الحديث فجاء على ما حدثناكم به، فقولوا: صدق الله، وإذا حدثناكم الحديث، فجاء على خلاف ما حدثناكم به، فقولوا: صدق الله تؤجروا مرتين!!

وعندما كانت تهب الثورات الشيعية، كانت تدعو للرضا من آل محمد، دون تحديد شخص باسمه، المهم أن يكون "رضا"، أي رضياً مقبولاً

ومن آل محمد دون اشتراط أن يكون من أولاد الحسين بن علي. وممن خرج في ذلك الوقت، وتبعته الشيعة أبو هاشم عبد الله بن محمد بن علي بن أبي طالب سنة ٩٨، وزيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب سنة ١٢٢، عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب سنة ١٢٨ خرج بثورة، محمد بن عبد الله بن الحسين بن الحسن بن علي بن أبي طالب الذي يقال له النفس الزكية سنة ١٣٠، وهذا أشهر من عرف أنه المهدي المنتظر.

وكان اختفاء المهدي في زمن الخليفة المعتمد أحمد بن جعفر، والذي امتدت خلافته٢٣ سنة من ٢٥٦ – ٢٧٩ هجرية ، كانت الحالة السياسية خلالها في فوضى ، وكان الحسن العسكري أبو المهدي قد توفي سنة ٢٦٠ أي أن المهدي عاش ١٩ سنة من خلافة المعتمدكان الظرف فيها ملائما لخروج الإمام المنتظر ، وحدثت خلالها أحداث جسام على الصعيد الشيعى، وما أنسبه ظرف لظهور الإمام الغائب: فحدثت ثورة الحسن زيد العلوي، وخروج القرامطة " الشيعة" ، وثورة المادراني في الري وأقام فيها دولة "شيعية"، وثورة الإسماعيلية " الشديعة" في اليمن

وأقاموا دولتهم هناك، وثورة البويهين " الشيعة"وسيطرتهم عل ى بغ داد، وغير ذلك من أحداث مثلت شواغل للعباسيين ٣٢٠.

الرجعة الميمونة:

عقيدة الرجعة من العقائد ذات الأصل اليهودي المدسوسة ف ي مل ة الشيعة. فما قال الشيعة بإمامة أحد من علي بن أبي طالب، إلى الحس ن العسكري إمامهم الحادى عشر إلا واعتقدوا رجوعه بعد موته مثلما قالوا برجعة إمامهم الثاني عشر من غيبته الكبرى . والغاية وراء هذه الرجع ة الموهومة ليست بالأمر الجلل الذى يتناسب مع انخراق نواميس الحي اة والموت. فالغاية هى جلوس هؤلاء الأئمة – الواحد تلو الآخ ر– عل ى عرش الحكم مدة ما ثم يموتون بعدها، وبعد ذلك تقوم القيام ة. وتك ون رجعة هؤلاء الأئمة بعد ظهور الإمام الغائب الثاني عش ر، أي الإم ام المنتظر، ليملأ الأرض عدلا بعد أن ملئت جورا. ويرون أن ذلك تعويضا لهم عن الحيلولة بينهم والعرش في حياتهم بفعل الغاصبين. ولن تقتص ر الرجعة على أئمتهم بل قالوا أيضا برجعة نفر من الصحابة الأطهار ك ي

٣٢٠– كثورة الزنج بالبصرة ، واستقلال الأندلس تحت حكم عبد الناصر الداخل ، وثورة بني الأغلب في الشمال الأفريقي ، و ثورة يعقوب بن ليث الصفار في فارس والروم ،

يقتصوا منهم إذ حالوا بين الأئمة والحكم، وخصوا بذلك الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم أجمعين. كما قالوا برجعة أم المـ ـؤمنين عائشـ ـة زوج رسول الله ليقيموا عليها الحد!

يقول الدكتور موسى الموسوى– وهو شيعي هداه الله إلى الحق فلحق بأهل السنة والجماعة– يقول:"والذين كانوا وراء فكرة الرجعة ووضـ ـعوا الروايات لإثباتها لم يقصدوا منها رجعة الأئمة بقدر ما كـ ـانوا يقصـ ـدون رجعة الأعداء حسب زعمهم وذلك للانتقام منهم لأن هذه الفكرة كانـ ـت توطد دعامة التفرقة بين الشيعة والفرق الإسلامية الأخرى تفرقة لا لقـ ـاء بعدها، ولو أن الذين كانوا وراء فكرة الرجعة كانوا مخلصين لأئمة الشيعة لما صوروهم بهذا المظهر الراغب في الحكم حتى أن الله سيعيدهم إلـ ـى هذه الدنيا الفانية مرة أخرى ليحكموا فيها بعض الوقت وهم أئمة لهم جنـ ـة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين، والإمام علي يقـ ـول:"والله إن دنياكم هذه لأهون عندي من ورقة في فم جـ ـرادة تقضـ ـمها"[٣٢١]. أمـ ـا المستشرق المجري جولد تسيهر، فهو يرى أن فكرة المهـ ـدي و عقيـ ـدة الرجعة عند الرافضة " الشيعة" قد تأثرت بالديانة اليهودية والنصرانية، و أن الغلو في عليّ إنما صاغه عبد الله بن سبأ اليهودي، ويقـ ـول: "إن الفكـ ـرة

٣٢١–الشيعة والتصحيح:الصراع بين الشيعة والتشيع–د. موسى الموسوي ، حفيد الإمام الأكبر السيد أبو الحسن الموسوي الأصبهاني

المهدية التي أدت إلى نظرية الإمامة والتي تجلت معالمها في الاعتقاد بالرجعة ينبغي أن نرجعها كلها إلى المؤثرات اليهودية والمسيحية، كما أن الإغراق في تأليه علي الذي صاغه في مبدأ الأمر عبد الله بن سبأ، حدث في بيئة سامية عذراء لم تكن قد تسربت إليها بعد الأفكار الآرية ومنها جعلهم أئمتهم فوق البشر، وفوق الأنبياء والرسل، بل آلهة يعلمون أعمار الناس وآجالهم، ولا يخفى عليهم خافية، ويملكون الدنيا كلها، ويغلبون جميع الخلق، ويرتعد الكون من هيبتهم وشدة بأسهم، يدين لهم الملائكة كما دان لهم الأنبياء والرسل، ولا يضاهيهم أحد" [٣٢٢].

والسؤال الآن: ما هي المهام الموكولة إلى الإمام المنتظر والتي كانت سببا في انخراق قانون الطبيعة له بأن بقي حيا مئات السنين غائبا عن الناس؟ يقولون: سيأتي بقرآن جديد، ولم يقل لنا أحد ما الحكمة من قرآن جديد في نهاية الزمان، ولا سيما أنه سيحتكم إلى شريعة النبي داوود نبي اليهود. "وسوف يعمل القتل في قريش، وسيسرف في قتل ذراري قتلة الحسين وسيهدم المساجد، وبعد أن يخرج من السرداب يذبح جميع خصومه من السياسيين، ويعيد إلى الشيعة حقوقهم التي اغتصبتها الفرق الأخرى عبر القرون" [٣٢٣] ، "ويقيم خمسمائة من قريش فيضرب أعناقهم،

٣٢٢-. العقيدة والشريعة في الإسلام ﴿ص ٢٠٥﴾

٣٢٣-أوائل المقالات للمفيد ، ص:٥١

ثم يقيم خمسمائة فيضرب أعناقهم، ثم خمسمائة حتى يفعل ذلك ست مرات ". عن أبي جعفر قال: لو يعلم الناس ما يصنع القائم إذا خرج لأحب أكثرهم ألا يروه، مما يقتل من الناس، أما إنه لا يبدأ إلا بقريش فلا يأخذ منها إلا السيف ولا يعطيها إلا السيف حتى يقول كثير من الناس ليس هذا من آل محمد، لو كان من آل محمد لرحم" [٣٢٤]. "وتزعم التوراة أن يهوه –الله عند اليهود– أعطى إبراهيم ونسله أرض كنعان من النيل إلى الفرات، وأن ظهور المسيح المنتظر يحقق حلم اليهود بسيادتهم على أرض الميعاد المزعومة وعلى الشعوب التي أهانت اليهود. وسيجعل المخلص اليهود سادة على جميع شعوب العالم، ويحوِّل الأغيار –غير اليهود– عبيداً وخدماً لليهود. وهذا المخلص يجب أن يكون من أسرة داود ومقره القدس، ويجب أن يكون مالكاً لأسباب القوة ويتمتع بمهابة السلطان " ٣٢٥، كذلك فإن الإمام المنتظر يهودي التوجه، إذ سيحتكم – لا إلى القرآن – وإنما إلى شريعة داوود. هل ثمة فرق بين ما زاعم اليهود ومزاعم الشيعة؟

٣٢٤– بحار الأنوار ٥٢/ ٣٥٤

٣٢٥– د. غازي حسين –العنصرية والابادة الجماعية في الفكر والممارسة الصهيونية

ويزعمون في كتبهم أن المهدي المنتظر عند خروجه سينبش قبري الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ويصلبهما على شد جرة [٣٢٦]، ويقيم الحد على أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها. يقولون: أما لو قام قائمنا، وردت إليه الحميراء، حتى يجلدها الحد وحتى ينتقم لابنة محمد فاطمة [٣٢٧]. وقال المجلسي: إذا ظهر المهدي فإنه سيحيي ﴿!﴾ عائشة أم المؤمنين ويقيم عليها الحد [٣٢٨].

ويبعثه الله نقمة: قالوا: إن الله بعث محمداً رحمة، وبعث القائم نقمة، يقتل ذراري قتلة الحسين: قيل للرضا: يا ابن رسول الله ما تقول في حديث روي عن الصادق أنه قال: إذا خرج القائم قتل ذراري قتلة الحسين بفعل آبائها، قال: هو كذلك، قلت: وقول الله تعالى "ولا تزر وازرة وزر أخرى " قال ذراري قتلة الحسين يرضون بفعال آبائهم ويفتخرون بها [٣٢٩].

٣٢٦-الأنوار النعمانية ٢ /٨٥ ، وأوائل المقالات للشيخ الملقب بالمفيد، ص:٩٥

٣٢٧-﴿ بحار الأنوار ٥٢ /٣١٤

٣٢٨- حق اليقين، لمحمد الباقر المجلسي، ص٣٤٧

٣٢٩- بحار الأنوار ٥٢ /٣١٥

ويأتي بقرآن جديد ، فعن عليّ أنه قال: كأني أنظر إلى الشيعة، قد بنوا الخيام بمسجد الكوفة، جلسوا يعلمون الناس القرآن الجديد ٣٣٠.

ويهدم المسجد، يزعمون أنه: إذا قام القائم سار إلى الكوفة فهدم بها أربعة مساجد. ولا ينفرد الشيعة بمقولة عودة إمامهم ليملأ الأرض عدلا بعد أن ملئت جورا، فاليزيدية أيضا يعتقدون أن "يزيد بعد أن نشر الديانة اليزيدية صعد إلى السماء، وأنه سيعود مرة أخرى، ويملأ الأرض عدلا بعد أن ملئت جورا، ويرفع من شأن اليزيدية ، وينتقم لها من أعدائها ".[٣٣١]

٣٣٠- الأنوار النعمانية ٢ / ٩٥

٣٣١-صديق الدملوجي-اليزيدية ص١٦٤-د.سهير محمد علي-اليزيدية

سب الصحابة ولعن أم المؤمنين

الثابت عن الشيعة في كتبهم أنهم يرمون الصحابة كلهم بالردة والكفر، ولم يستثنوا منهم إلا قلة كأبي ذر، وبلال، والمقداد، وسلمان رضي الله عنهم جميعا. ورأيهم في الخلفاء الثلاثة الراشدين:" أنهم لم يكونوا إلا غاصبين جائرين مرتدين عن الدين، لعنة الله عليهم وعلى من اتبعهم في ظلم أهل البيت من الأولين والآخرين "[٣٣٢].

يقول النبي صلى الله عليه وسلم: لا تسبوا أصحابي فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه. ويقول الشيعة:"إن لله خلف هذا النطاق زبرجدة خضراء منها اخضرت السماء، ووراء ذلك سبعون ألف عالم كلهم يلعنون أبا بكر وعمر"[٣٣٣]. ويقولون في الحض على سب الشيخين: " نحن معاشر بني هاشم نأمر كبارنا وصغارنا بسبهما والبراءة منهما" **٣٣٤.**

٣٣٢-كتاب بحار الأنوار للمجلسي ٣٨٥/٤

٣٣٣- كتاب بصائر الدرجات المنسوب إلى جعفر

٣٣٤- رجال الكشي ص١٨٠

ويرى الشيعة أن الخلفاء الراشدين الثلاثة أبا بكر الصديق وعمر بـ ن الخطاب وعثمان بن عفان رضي الله عنهم،مغتصبون للخلافة، لاعتقادهم أن النبي أوصى بالإمامة لعلي وبنيه من بعده، لذا فهم يلعنـ ون الصـ حابة على المنابر،كما يلعنون من قاتل أو ظاهر على قتال علي بن أبي طالب، فيلعنون أم المؤمنين عائشة والزبير بن العوام وطلحة بـ ن عبيـ د الله ، إذ قاتلوه يوم موقعة الجمل. وعندما آلت الخلافة إلى عليّ لم يأت بما يخالف الخلفاء الراشدين قبله، ولم ينكر على أحد منهم شيئاً، بل كان يقول: «خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر وعمر»، ولم يخرج للناس قرآناً غيـ ر الـ ذي عندهم، ولم يرد فدك ﴿ وهي أرض رأت فاطمـ ة أنهـ ا تـ ؤول إليهـ ا بالميراث، ولكن أبا بكر منعها استنادا إلى قول النبي بأن الأنبياء لا تورث ﴾، ولم يفضح "كفرهما" بعد أيلولة السلطة إليه، فقد رأى كيف فـ تح الله على أيديهما البلاد والأمصار، وكيف عز بهما الإسلام. وروى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال:كنا نقول والنبي صلى الله عليه وسلم حي: أفضل هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي فيبلغ ذلـ ك النبي صلى الله عليه وسلم فلا ينكره. والشيعة يرونهم مغتصبين لحـ ق علي في الخلافة، في حين أن سيدنا علي نفسه يرى فضلهم، وكان يقول: خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر ولو شئت لسميت الثالث ". ولما مات عمر رضي الله عنه أقبل عليه سيدنا علي باكيا وقال: .. والله مـ ا

أحد من عباد الله أحب أن ألقى الله بصحيفته من هـ ذا المسـ جى بـ ين أظهركم. كما كان يقول في عثمان : أشهد أنه من الذين قال الله في حقهم: " إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون ". كما مدح أصحاب رسول الله بقوله: لقد رأيت أصحاب محمد فما أرى أحداً يشبههم منكم، لقد كانوا يصبحون شعثاً غبراً، وقد باتوا سجداً وقياماً، يراوحـ ون بـ ين جباههم، ويقفون على مثل الجمر من ذكر معادهم ، إذا ذكر الله همـ ت أعينهم حتى تبتل جيوبهم، ومادوا كما يميد الشجر يوم الريح العاصـ ف خوفاً من العقاب ورجاء للثواب"[٣٣٥]. وقال الحبيب المصفى: ما طلعـ ت الشمس ولا غربت بعد النبيين والمرسلين على أفضل من أبي بكـ ر[٣٣٦]. وهو أحق خلق الله بالخلافة بعد النبي صلى الله عليه وسلم لفضله وسابقته وتقديم النبي صلى الله عليه وسلم له في الصلاة على جميـ ع الصـ حابة رضي الله عنهم، وإجماع الصحابة على تقديمه ومبايعته ولـ م يكـ ن الله ليجمعهم على ضلالة. ثم من بعده عمر رضي الله عنه لفضله وعهد أبي بكر إليه.وكانت امرأة قد جاءت إلى النبي لتسأله أمرا من الأمور،فأجابهـ ا وطلب منها أن ترجع إليه متى أرادت، فقالت: " أرأيت إن جئت فلم أجدك،

٣٣٥– نهج البلاغة" ص١٤٣ خطبة علي رضي الله عنه ط دار الكتاب بيروت ١٣٨٧هـ

٣٣٦ – رواه أبو الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم

كأنها تزيد الموت. قال: " إن لم تجديني فأتي أبا بكر. وقال صلى الله عليه وسلم في عمر رضي الله عنه: "إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه" [٣٣٧]. وقال فيهما: "أبو بكر وعمر سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين إلا النبيين والمرسلين" [٣٣٨]. وقال عليه الصلاة والسلام في عثمان رضي الله عنه: "لكل نبي رفيق ورفيقي يعني في الجنة عثمان" [٣٣٩]. ولما كان ذلك رأى النبي في صاحبيه أبي بكر وعمر لك أن تعجب من قول الشيعة إن مهديهم المنتظر سينبش قبريهما ويصلب جسديهما الطاهرين على شجرة بعد جلدهما.

قال رسول الله ﷺ: " يظهر في أمتي في آخر الزمان قوم يسمون الرافضة يرفضون الإسلام" [٣٤٠]. أما الحديث الذي أشار له الكليني فهو ما قاله علي أبن أبي طالب: قال رسول الله عليه الصلاة و السلام " ألا أدلك على عمل إن عملته كنت من أهل الجنة، وإنك من أهل الجنة ؟ سيكون بعدنا قوم لهم نبز يقال لهم الرافضة فإن أدركتهم فاقتلهم فإنهم مشركون"، ثم قال علي: سيكون بعدنا قوم ينتحلون مودتنا

٣٣٧- رواه الترمذي

٣٣٨- رواه الترمذي ورواه ابن ماجة عن علي رضي الله عنه

٣٣٩-رواه الترمذي

٣٤٠- أخرجه أحمد ورواه علي بن أبي طالب

يكذبون علينا ، آية ذلك أنهم يسبون أبا بكر و عمر رضي الله عنهما.وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا ظهرت البدع و سـ بّ أصـ حابي فليظهر العالم علمه، فمن لم يفعل ذلك فعليه لعنة الله و الملائكة و النـ اس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً. وكان اليهودي عبد الله بن سبأ أول من أظهر الطعن على أبي بكر وعمر وعثمان والصحابة، وزعم أن الإمام عليا نفسه أمره بهذا. ولما بلغ الأمرُ عليا استدعى ابن سـ بأ وسـ ألـه فأقر، فأمر بقتله، ولكن ابن عباس نهاه عن ذلك خشية أن يقال إن عليا يقتل أتباعه وخوف الفتنة في وقت انعقد فيه العزم على محاربة أهـ ل الشـ ام، واكتفى سيدنا علي بنفيه إلى المدائن التي أصبحت في ما بعد من مراكـ ز الشيعة. وطعنوا في خالد بن الوليد، كما طعنوا في كل من طلحة والزبير بن العوام وهما من المبشرين بالجنة. وينسبون إلى أبي جعفر ﴿البـ اقر﴾ أنه قال: نزلت هذه الآية في طلحة والزبير، وأصحاب الجمل { إِنَّ الَّـ ذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلا يَدْخُلُونَ الجَنَّـ ةَ حَتَّى يَلِجَ الجَمَلُ فِي سَمِّ الخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي المُجْـ رِمِينَ "[٣٤١]. واسـ مع قول الله تعالى في الصحابة الأطهار الذين وصـ فهم الشـ يعة بـ الردة :" وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ المُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُـ وهُمْ بِإِحْسَـ انٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَـ ا الأَنْهَـ ارُ

٣٤١- تفسير القمي" ص٢٣٠ ج١

خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الفَوْزُ العَظِيمُ"٣٤٢. وقال: وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ المُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ "٣٤٣.

ومن لا يجد حجة للدفاع عن باطله يعمد إلى أسلوب تبادل الاتهامات وإسقاط باطله على الآخرين. فالشيعة يرمون أهل السنة بأنهم يبغضون آل البيت النبوي،وذلك محض كذب مفضوح، فأهل السنة ينزلون آل البيت والصحابة منزلة كريمة في قلوبهم.ويشهد سيدنا عليّ نفسه بضلال شيعته وتخاذلهم عنه. والشيعة الذين يتاجرون بمحبة سيدنا علي ويتباكون على النكبات التي حلت به وبآله وأبنائه،يتناسون أن هذه النكبات والهزائم كانت بسبب تخاذلهم إذ وعدوه وآله بالنصرة والمؤازرة، ولما جد الأمر تقاعسوا عن مؤازرته. ويذم علي بن أبي طالب رضي الله عنه شيعته ويقارنهم بأنصار معاوية فيقول: "أما والذي نفسي بيده، ليظهرن هؤلاء القوم عليكم، ليس لأنهم أولى بالحق منكم، ولكن للجهاد فلم تنفروا، وأسمعتكم فلم تسمعوا، ودعوتكم سراً وجهراً فلم تستجيبوا، ونصحت لكم فلم تقبلوا، شهود كغياب، وعبيد كأرباب! أتلو عليكم الحكم فتفرون منه، وأعظكم بالموعظة البالغة فتفترقون عنها، وأحثكم على جهاد الأعداء

٣٤٢- سورة التوبة الآية١٠٠

٣٤٣- سورة الأنفال الآية٧٤

لإسراعهم إلى باطل صاحبهم، وإبطائكم عن حقي. ولقد أصبحت الأمـ م تخاف ظلم رعاتها، وأصبحت أخاف ظلم رعيتي. أيها القـ ـوم الشـ ـاهدة أبدانهم، الغائبة عنهم عقولهم، المختلفة أهواؤهم، المبتلى بهـ م أمـ ـراؤهم. صاحبكم يطيع الله وأنتم تعصونه وصاحب أهل الشام–يقصد معاوية بـ ـن أبي سفيان– يعصي الله وهم يطيعونه، لوددت والله أن معاوية صـ ـارفني بكم صرف الدينار بالدرهم، فأخذ مني عشرة وأعطاني رجلاً منهم!

يا أهل الكوفة، منيت منكم بثلاث واثنتين: صم ذوو أسماع، وبُكم ذوو كلام، وعمي ذوو أبصار، لا أحرار صدق عند اللقاء، ولا إخوان ثقة عند البلاء! تربت أيديكم! يا أشباه الإبل غاب عنها رعاتها! كلما جمعت مـ ـن جانب تفرقت من آخر، والله لكأني بكم فيما إخالكم: أن لو حمس الـ ـوغى وحمي الضراب قد انفرجتم عن ابن أبي طالب انفـ ـراج المـ ـرأة عـ ـن قبلها"[٣٤٤] .ذلك كان رأي علي بن أبي طالب في الشيعة الذين يتهمون أهل السنة والجماعة بأنهم ظلموا آل البيت ولم ينصروهم.

يقولون ": من لعن الجبت ﴿أي الصدّيق﴾ والطاغوت ﴿أي الفاروق﴾ لعنة واحدة كتب الله له سبعين ألف ألف حسنة، ومحى عنه ألـ ـف ألـ ـف سيئة، ورفع له سبعين ألف ألف درجة، ومن أمسى يلعنهما لعنة واحـ ـدة كتب مثل ذلك، قال مولانا علي بن الحسين: فدخلت على مولانا أبي جعفر

٣٤٤–"نهج البلاغة" ص١٤١، ١٤٢

محمد الباقر، فقلت: يا مولاي حديث سمعته من أبيك قال: هات يا ثمالي، فأعدت عليه الحديث قال: نعم يا ثمالي! أتحب أن أزيدك؟ فقلت: نعم يا مولاي، فقال: من لعنهما لعنة واحدة في كل غداة لم يكتب عليه ذنب في ذلك اليوم حتى يمسي، ومن أمسى لعنهما لعنة واحدة لم يكتب عليه ذنب في ليلة حتى يصبح، قال: فمضى أبو جعفر، فدخلت على مولاي الصادق، فقلت: حديث سمعته من أبيك وجدك، فقال: هات يا أبا حمزة! فأعدت عليه الحديث، فقال حقاً يا أبا حمزة، ثم قال عليه السلام: ويرفع ألف ألف درجة، ثم قال: إن الله واسع كريم" [٣٤٥]. وسئل عليه الصلاة السلام "من أحب الناس إليك؟ قال: عائشة، قيل: من الرجال قال: أبوها "، ويقول: لو كنت متخذا من أمتي خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا. ولكن الشيعة يسبون أبا بكر الصديق ويعللون كراهيتهم له بأنه منع السيدة فاطمة الزهراء ابنة النبي الكريم إرثها في أرض فدك، وهي أرض كانت للنبي ورأت أنه يحق لها أن ترثها غير أن النبي قال إن الأنبياء لا تورث، لذا منعها أبو بكر. ويزعم الشيعة أنهم يحبون النبي وآل بيته، في حين أنهم يجاهرون بعداوتهم لأحبابه وأصحابه وأزواجه. وانظر

٣٤٥- "أجمع الفضائح" للملا كاظم، و"ضياء الصالحين" ص٥١٣ ، " والحديث عن أبي حمزة الثمالي - وهو يكذب على زين العابدين

ما جاء في كتبهم[٣٤٦] من دعاء يسمونه دعاء صنمي قريش، يلعنون فيه أبا بكر وعمر، يقولون فيه:" اللهم صل على محمد وآل محمد والعن صنمي قريش وجبتيهما وطاغوتيهما وإفكيهما ﴿وابنتيهما﴾* اللذين خالفا أمرك وأنكرا وحيك وجحدا إنعامك وعصيا رسولك وقلبا دينك وحرفا كتابك وأحبا أعداءك وجحدا آلاءك وعطلا أحكامك وأبطلا فرائضك وألحدا في آياتك وعاديا أولياءك ووواليا أعداءك وخربا بلادك وأفسدا عبادك. اللهم العنهما وأتباعهما وأولياءهما وأشياعهما ومحبيهما وأنصارهما فقد خربا بيت النبوة وردما بابه ونقضا سقفه وألحقا سماءه بأرضه وعاليه بسافله وظاهره بباطنه واستأصلا أهله وأبادا أنصاره وقتلا أطفاله وأخليا منبره من وصيه ووارث علمه وجحدا إمامته وأشركا بربهما، فعظم ذنبهما وخلدهما في سقر وما أدراك ما سقر لاتبقي ولاتزر ، اللهم العنهم بعدد كل منكر أتوه وحق أخفوه، ومنبر علوه ومؤمن أرجوه ومنافق ولوه، وولي آنوه وطريد آووه، وصادق طردوه، وكافر نصروه،

---

٣٤٦ – هذا الدعاء جاء في كتاب ﴿تحفة عوام مقبول ﴾ ﴿٣٤٦﴾، وأيضاً في كتاب المصباح للكفعمي﴿٣٤٦﴾ وأيضاً في كتاب بحار الأنوار للمجلسي ج٨٢ ص ٢٦٠، وكتاب الصلاة باب آخر في القنوتات الطويلة . ط دار احياء التراث العربي – بيروت .

وإمام قهروه، وفرض غيروه، وأثر أنكروه وشر آثروه ودم أراقوه وخبر بدلوه، وكفر نصبوه، وإرث غصبوه وفيء اقتطعوه وسحت أكلوه، وباطل أسسوه، وجور بسطوه ونفاق أسروه وغدر أضمروه وظلم نشروه، ووعد أخلفوه، وأمان خانوه، وعهد نقضوه، وحلال حرموه، وحرام أحلوه، وبطن فتقوه وجنين أسقطوه، وضلع دقوه وصك فرقوه وشمل بددوه وعزيز أذلوه وذليل أعزوه وحق منعوه وكنب دلسوه وحكم قلبوه وإمام خالفوه، اللهم العنهما بكل آية حرفوها، وفريضة تركوها وسنة غيروها ورسوم منعوها وأحكام عطلوها وبيعة نكثوها ودعوى أبطلوها وبينة أنكروها وشهادات كتموها ووصية ضيعوها، اللهم ألعنهما في مكنون السر وظاهر العلانية لعنا كثيرا أبدا دائما دائبا سرمدا لا انقطاع لأمده ولانفاد لعدده لعنا يعود أوله ولا يروح آخره لهم ولأعوانهم وأنصارهم ومحييهم ومواليهم والمسلمين لهم والمائلين إليهم والناهضين باحتجاجهم والمقتدين بكلامهم والمصدقين بأحكامهم ﴿قل أربع مرات﴾ اللهم عذبهم عذابا يستغيث منه أهل النار آمين رب العالمين ".

و أعداء الإسلام كلهم جميعا يتفقون على بغض وكراهية الشيخين، فالصدّيق هو من أفشل خطة تدمير الإسلام الغض بحركة الردة التي تهددت الإسلام بالاستئصال في مهده، فهو وحده من قرر – رغم مخالفة كل الآخرين له – محاربة المرتدين، وبذلك يعود إليه وحده الفضل في

شن حرب استئصال المرتدين، وهو من أمر بغزو بلاد الروم، والفاروق هو الذي قلص بلاد الروم وقوض بلاد الفرس. فالدور الذي اضطلع به الشيخان جوهري ولولاهما لتغير التاريخ ولكان الإسلام أثرا بعد عين، لذا ما من عدو للإسلام إلا نقم عليهما: اليهود والروم والفرس والشيعة،ونقمة الشيعة على الفاروق أشد ، إذ بنوا قبة فخمة على قبر أبي لؤلؤة المجوسي الذي اغتال سيدنا عمر،و يحتفلون بمقتله عند مقام أبي شجاع وهو الاسم المرموز به لأبي لؤلؤة.

وسب الصحابة ليس ممارسة قديمة يعزف عنها المعاصرون، فهذا رأي فقيه شيعي معاصر يرى أن سب الصحابة من باب الاجتهاد يقول: " إن الشيعة ترى جواز المس من كرامة الخلفاء أو الطعن فيهم!!! وقد يتجاوز البعض إلى السب والقدح. ولو رجعنا إلى حكم العقل والشرع لم نجده مقتضيا للعداء بين السنة والشيعة، وهذا لا يكون موجبا للكفر والخروج عن الإسلام، بل ذلك من قبيل المعصية التي لا تستوجب قطع رابطة الأخوة الإسلامية، وقد لا يدخل هذا في المعصية ولا يوجب فسقا إذا كان ناشئا عن اجتهاد واعتقاد، فإن للمخطئ أجرا وللمصيب أجرين!!

" ٣٤٧. ويعنى ذلك أن من يسب صحابة النبي يكون له أجر المجتهد! وجاء في نفس الكتاب المذكور –وهو بقلم مجموعة من فقهاء السنة والشيعة– رأي شيعي آخر يفند القول بأجر من يسب الصحابة، يقول:" حيث يكون ظلم ومظلوم، لا يجوز أن يبرر الظلم بإعطائه اسم الاجتهاد، وإلا كان للظالم أجر على ظلمه، كما للمجتهد أجر على اجتهاده، وفي هذا مغالطة وانحراف٣٤٨. ولا يسع المرء إلا أن يتساءل: هل يكون الاجتهاد في استنباط الأحكام للمستجدات التي لم يرد بها نص، أم كان في السب والشتم ، علما أن شتم المسلم فسوق وعصيان . ويستطرد السيد كاشف الغطاء ناصحا بوجوب التقارب بين السنة والشيعة دون النظر إلى مواطن الخلافات العقيدية التي يجب تمحيصها قبل أي كلام عن التقريب، يقول:" ومن اللازم على كل فرقة من المسلمين، من الشيعة وغيرهم ﴿ لاحظ تجنب وصفنا بأهل السنة، فهم ينكرون ذلك ويصفوننا بلفظ النواصب أي من ناصبوا أهل البيت النبوي بالعداء ﴾ أن يوصدوا باب المجادلات المذهبية وما يثير الحفائظ والعصبية، فإنها إن لم تكن محرمة

٣٤٧– هذا كلام الفقيه الشيعي محمد الحسين آل كاشف الغطاء ، وقد ورد في الكتاب الصادر عن المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية،بعنوان " دعوة التقريب تاريخ ووثائق " ، رقم إيداع٩٤٦٦ –١٩٩١–انظر ص ٥٧

٣٤٨– هذا كلام الفقيه الشيعي محمد تقي القمي، دعوة إلى التقريب ص١٤٦

بنفسها ومضرة بذاتها، فهي من أعظم المحرمات في هذه الظروف التي أحاط بنا فيها أعداء الإسلام من كل جانب ٣٤٩.

يقول صاحب كتاب مفتاح الجنان: " اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد، والعن صنمي قريش وجبتيهما، وطاغوتيهما، وابنتيهما – ويعنون بذلك أبا بكر و عمر وعائشة وحفصة " [٣٥٠]. وفي يوم عاشوراء يُؤتى بكلب ويسمونه عمر، ثم ينهال الشيعة عليه ضرباً بالعصي ورجماً بالحجارة حتى يموت، ثم يأتون بسخلة ﴿عنزة صغيرة﴾ ويسمونها عائشة، ثم ينتفون شعرها، وينهالون عليها ضرباً بالأحذية حتى تموت" [٣٥١]. كما أن الشيعة يحتفلون باليوم الذي قتل فيه الفاروق عمر بن الخطاب ويسمون قاتله أبا لؤلؤة المجوسي: بابا شجاع الدين " [٣٥٢]. وفي تفسير القمي عند قوله تعالى: ﴿﴿ وَيَنْهَى عَنْ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ ﴾﴾ ٣٥٣

٣٤٩–كاشف الغطاء ، دعوة إلى التقريب ،ص ٥٩

٣٥٠– مفتاح الجنان، ﴿ص: ١١٤﴾. انظر: دعاء صنمي قريش في آخر الكتاب صفحة ٦٧

٣٥١– تبديد الظلام وتنبيه النيام للشيخ إبراهيم الجبهان –ص:٢٧

٣٥٢– عباس القمي ﴿الكنى والألقاب﴾ ٢/٥٥

٣٥٣–النحل:٩٠

، قالوا: ﴿الفحشاء أبو بكر، والمنكر عمر، والبغي عثمان﴾ ٣٥٤، ثم يأتي من يقول لنا إن من سب صحابة النبي له أجر المجتهد، ولله الأمر من قبل ومن بعد.

٣٥٤- تفسير القمي، ص٢١٨

نكاح المتعة

مواقَعة الأنثى ﴿ أي أنثى: امرأة متزوجة، أو عذراء، أو حتى رضيعة، مجوسية أو مشركة أو فاجرة أو زانية ﴾ مرضاة للرب، ومن يقارف ذلك له أجر وثواب،ومن لم يفعل فقد أثم ! فالله – في زعمهم– قد أباح لهم الزنا تعويضا لهم عن تحريم الخمر، تعالى الله عما يصفون ، وفي شريعتهم من يجحد نكاح المتعة فهو كافر مرتد.

يجوّز الشيعة الاثنا عشرية معاشرة الفاجرة والزانية والمجوسية والمشركة بل والمتزوجة،ويعتبرون ذلك مرضاة للرب ومأجور عليها كل من اقترفها، ووضعوا حديثا ونسبوه إلى النبي يقول: "من تمتع مرة أمن سخط الجبار، ومن تمتع مرتين حُشر مع الأبرار، ومن تمتع ثلاث مرات زاحمني في الجنان"[٣٥٥]، فمقارفة هذا الزنا ينتهي بصاحبه إلى الجنة ومجاورة الأنبياء فيها[٣٥٦]. وقالوا إن من خرج من الدنيا ولم يتمتع ﴿ أي يتزوج زواج

٣٥٥– كتاب من لا يحضره الفقيه ٣ :٣٦٦ ،تفسير منهاج الصادقين ٢ :٤٩٥

٣٥٦– كتاب من لا يحضره الفقيه ٣ :٣٦٦

المتعة﴾جاء يوم القيامة وهو أجذع – أي مقط وع العضـ و [٣٥٧]، والمنكوحة بهذا الزواج مغفور لها ويسمون ذلك

"زواج المتعة " أو " متعة النساء" وهو نكاح المرأة لأجل محدود ثـ م إخلاء سبيلها بانقضائه. ويصح عندهم هذا الزواج بـ أن يقـ ول الرجـ ل لامرأة: متعيني نفسك بكذا من الدراهم مدة كذا، فتقول له: متعتك نفسي ، أو يقول لها:أتزوجك متعة كذا وكذا يوما، بكذا وكذا درهما، نكاحا غيـ ر سفاح على كتاب الله!! وسنة نبيه!! –إذا لم تستحي فاصنع ما شـ ئت– وعلى أن لا ترثيني ولا أرثك وعلى أن تعتدي خمسة وأربعين يوما، وقال بعضهم: حيضة [٣٥٨]. و " يجوز أن يشترط عليها وعليه الإتيان لـ يلا أو نهارا وأن يشترط المرة أو المرات مع تعيين المدة بالزمان [٣٥٩]. و يجوز أن يتمتع الرجل بشرط مرة واحدة [٣٦٠]. وأدنى ما يُدفع لامرأة المتعة لقاء التمتع بها هو كف من بر. وانظر كيف هانت المرأة في نظرهم وهي الأم والأخت والابنة . سئل أبو عبد الله ﴿ الإمام جعفر الصادق ﴾ : ما أدنى ما يتزوج الرجل به المتعة؟ قال: كف من بر يقول لها: زوجيني نفسـ ك

٣٥٧– تفسير منهاج الصادقين ٢ :٤٩٥

٣٥٨ الوسائل ١٤/ ٤٦٧ح٤

٣٥٩– السرائر ٢/٦٢٣ وتحرير الوسيلة ٢/ ٢٦٠

٣٦٠– الوسائل ١٤/ ٤٧٩–٤٨٠باب ﴿٢٥﴾

متعة، على أن لا أرثك ولا ترثيني . كما يبيح الشيعة الجعفرية اس تعارة الفرج أي استعارة فروج النساء بينهم. و هذا مختلف عن زواج المتع ة، فهو "استعارة" بالمعنى الحرفي!

وقد أحلت بعض الفرق الشيعية شيوع النساء – مث ل القرامط ة – ولكنهم لم يزعموا أنه زواج، وإنما انفرد بهذا الزعم الشيعة الجعفرية ﴿ الاثنا عشرية ﴾ دون غيرهم إذ أباحوا هذا الزنا وأسموه زواجا خلافا لجميع طوائف المسلمين

والشيعة . "ونكاح المتعة عند من أباحه أن يتفق الرجل والمرأة عل ى مدة معلومة فإذا انقضت المدة بانت منه بلا طلاق، ولم تكن عليها عدة ولم يلحق به ولد إن كان منها، ولم يجب لها عليه نفقة، ولم يتوارثا، وهذا ه و الزنا المتعارف الذي لاشك فيه[٣٦١]. ويرون أنه بإمكان الرجل أن يتـ زوج بمن شاء من النساء ولو بأكثر من ألف امرأة [٣٦٢]. ويمكن الـ زواج م ن المرأة وإن كانت متزوجة! أو طفلة صغيرة لم تبلغ الحلم بحيث لا يق ل عمرها عن عشر سنين [٣٦٣]. أو التمتع بالبكر ولو من غي ر إذن وليه ا

٣٦١– دعائم الإسلام للقاضي المغربي ٢٢٩/٢

٣٦٢– الاستبصار للطوسي ٣ :١٤٣ ، تهذيب الأحكام ٧ :٢٥٩

٣٦٣– الاستبصار للطوسي ٣ :١٤٥ ، الكافي في الفروع ٥ :٤٦٣

ومن غير شهود أيضا [٣٦٤]، وقالوا بإباحة الإتيان من الدبر [٣٦٥] ويزعم الشيعة أن علة إباحة نكاح المتعة هو أن الله شدد عليهم بتحـ ريم الخمـ ر، فكانت إباحة المتعة عوضا عن تحريم الخمر، فزعموا أن أبا عبـ د الله قال: إن الله تبارك وتعالى حرم على شيعتنا المسكر مـ ن كـ ل شـ راب وعوضهم عن ذلك بالمتعة [٣٦٦]، أي أحل لهم الزنا مقابل تحـ ريم الخمـ ر .صدرت فتوى من الأزهر الشريف تعتبر الملة الشيعية الاثنى عشـ رية ﴿الجعفرية﴾ مذهبا خامسا لأهل السنة والجماعة، وأجازت التعبـ د بـ ه، ويرى الكثيرون من فقهائنا أن لا خلاف بين أهل السنة والشيعة فالخلاف –في نظرهم –في الفروع وليس في الأصول [٣٦٧].

يقول الله تعالى { وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ العَادُونَ }٣٦٨، وهذا يبطل بصورة قطعية نكاح المتعة، فلم يطلـ ق

٣٦٤– شرائع الأحكام لنجم الدين الحلي ٢ :١٨٦ ، تهذيب الأحكام ٧ :٢٥٤

٣٦٥–: الاستبصار للطوسي ٣ :٢٤٣ ، تهذيب الأحكام ٧ :٥١٤

٣٦٦ – أخرجها العاملي في وسائله ٤٣٨/١٤ وانظر هذا الحديث في صحيح من لا يحضره الفقيه للبهبودي ص٢٨٨

٣٦٧–انظر نص الفتوى في الملحق رقم ١.

٣٦٨– المؤمنون ٥،٦،٧

النكاح إلا على زوجة أو ملك يمين، وامرأة المتعة ليست بزوجة، ونكـ اح المتعة لو كان زواجا صحيحا لتعلقت به أحكام الزواج الواردة في القرآن كالطلاق، والإرث، والعدة،والعدد، والنفقة. ووفقا لما يزعمون أنه فقـ ه أئمتهم المعصومين، فإنهم يعدون المنكوحة متعة امرأة "مستأجرة" [٣٦٩]. ولا يجمع المسلم بين أكثر من أربع زوجات، ولكـ ن يمكـ ن للشـ يعي الجعفري أن يتمتع بأكثر من ألف من النساء فهن في ملته "مسـ تأجرات، "فيزعمون أن جعفر الصادق قال: تزوج منهن ألفا فإنهن "مستأجرات". وما دامت امرأة المتعة مستأجرة، فلا ترث. سأل أحدهم أبا عبد الله: كيف أقول لها إذا خلوت بها؟ قال: تقول: أتزوجك متعة،لا وارثـ ة ولا موروثة كذا وكذا يوماً [٣٧٠]. ويزعمون أن أبا جعفر قـ ال إن امـ رأة المتعة ليست من الأربع لأنها لا تطلق ولا ترث و إنما هي مسـ تأجرة، وصاحب الأربع نسوة يتزوج منهن ما شاء بغير ولي ولا شهود. ولمـ ا كانت إحدى آليات من وقفوا وراء التحريف والتخريف هو تبنى الـ رأي ونقيضه معا وربما في كتاب واحد وعلى لسان نفس الفقيه ' فإنك تجد في كتب جميع فرق الشيعة من ينكر هذا النوع من الزواج، فعن أبـ ي عبـ د

٣٦٩- انظر وسائل الشيعة الى تحصيل مسائل الشريعة "كتاب النكاح باب ﴿٤﴾ ١٤/ ٤٤٦ –٤٤٧ .

٣٧٠– الوسائل باب ﴿١٨﴾ باب صيغة المتعة وما ينبغي فيها من الشروط ! ح١

الله﴾ جعفر الصادق إمام الاثني عشرية ﴾ في المتعة قال: ما يفعله عند إلا الفواجر [٣٧١]، وهو من ساقوا على لسانه ظلما وبهتانا أحاديث إباحة المتعة. و يجوزون لرجل المتعة أن ينكح المشركة ﴿الزرادشتية﴾، واليهودية، والنصرانية [٣٧٢]، والمجوسية [٣٧٣]. و يجوز أن يتمتع بالبكر دون أن يفتض بكارتها!! فيزعمون أن أبا عبد الله يقول: لا بأس أن يتمتع بالبكر ما لم يفض إليها كراهية العيب على أهلها. وقال له أحدهم: جارية بكر بين أبويها تدعوني إلى نفسها سرا من أبويها فأفعل ذلك؟ قال: نعم واتق موضع الفرج، قال: قلت: فان رضيت بذلك، قال: وإن رضيت فانه عار على الأبكار. وسأله آخر عن التمتع بالأبكار فقال: هل جعل ذلك إلا لهن فليستترن وليستعففن!! أي يستعففن عن الفاحشة بالفاحشة .

وسأله ثالث عن التمتع من البكر إذا كانت بين أبويها بلا إذن أبويها قال: لا بأس ما لم يفتض ما هناك لتعف بذلك ، و " للبالغة الرشيدة أن تمتع نفسها، وليس لوليها اعتراض بكرا كانت أو ثيبا على الأشهر ويكره أن

---

٣٧١ –ابن إدريس في سرائره ص٤٨٣ والوسائل ١٤/٤٥٦ ، وبحار الأنوار ١٠٠/٣١٨

٣٧٢– باب حكم التمتع بالكتابية الوسائل ١٤/ ٤٦٢ح٤

٣٧٣ – المصدر السابق ح٥

يتمتع ببكر ليس لها أب فان فعل فلا يفتضها وليس بمحـ رم [٣٧٤]. وقـ ال الطوسي: ولا بأس أن يتزوج الرجل متعة بكرا ليس لها أب من غيـ ر ولي ويدخل بها فان كانت البكر بين أبويها وكانت دون البالغ لم يجز لـ ه العقد عليها إلا بإذن أبيها وأن كانت بالغا وقد بلغت حد البلوغ وهو تسـ ع سنين إلى عشر جاز له العقد عليها من غير إذن أبيها إلا أنه لا يجوز لـ ه أن يفضي إليها والأفضل ألا يتزوجها إلا بإذن أبيها على كل حال [٣٧٥]. ولا نفقة ولا عدة لامرأة المتعة [٣٧٦].

و يجوز في زواج المتعة اشتراط عدم الفض! سئل أبو عبد الله عن " رجل جاء إلى امرأة فسألها أن تزوجه نفسها فقالت: أزوجك نفسي على أن تلتمس مني ما شئت من نظر والتماس وتنال مني ما ينال الرجل مـ ن أهله إلا أن لا تدخل فرجك في فرجي وتتلذذ بما شـ ئت! فـ إني أخـ اف الفضيحة، قال: ليس له إلا ما اشترط [٣٧٧]. وعن علي بن أبي طالـ ب: "

---

٣٧٤ الشرائع ٣٠٦/٢و تبصرة المتعلمين في أحكام الدين ص١٥١ و انظر الجـ واهر ٣٠/ ١٨٦ والنهاية للطوسي ص٤٩٠

٣٧٥ النهاية للطوسي ص٤٩٠

٣٧٦ الوسائل باب انه لاتفقة على الرجل في المتعة ١٤/ ٤٩٥-٤٩٦ ح١

٣٧٧ – الوسائل باب جواز اشتراط الاستمتاع بما عدا الفرج ! في المتعة فيلزم الشرط ، وانظر الوسائل ٤٥/١٥ باب ٣٦

أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم نهى عن متعة النساء يوم خيبر.إن غير المسلم يقارف الزنا والدعارة، ولكنه يعرف أن ذلك مخالف للخلق الكريم، ولا يرضاه لأهله. ترى ما قول غير المسلمين في دين يحض على مقارفة الزنا، بل يثيب خير الجزاء من ينزو على البكر والمتزوجة والرضيعة.

جاء في مجلة " الشراع " الشيعية: أن رفسنجاني انتقد وجود ربع مليون لقيط في إيران بسبب زواج المتعة، وأنه هدد بإلغائه بسبب مشاكله [٣٧٨].

وقد وُصفت مدينة " مشهد " الشيعية الإيرانية حيث شاعت ممارسة المتعة بأنها: " المدينة الأكثر انحلالا على الصعيد الأخلاقي في آسيا [٣٧٩]. ومن العجيب أن تجد في كتب الشيعة الاثني عشرية شهادة عليّ بن أبي طالب بتحريم نكاح المتعة. يروى شيخهم الطوسي في كتابيه الاستبصار والتهذيب عن عليّ أنه قال: حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم

٣٧٨– انظر مجلة " الشراع " العدد ٦٨٤ السنة الرابعة ص٤

٣٧٩ -انظر المتعة لشهلا حائري ص ٣٩

خيبر لحوم الحمر الأهلية ونكاح المتعة[٣٨٠] كذلك يقول الشيعة الزيدية : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نكاح المتعة عام خيبر. [٣٨١]

وقد زعم الشيعة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليا رضي الله عنه تمتعا والعياذ بالله . فقد روى شيخهم المفيد في كتابه " المتعة " قال: يروي الفضل الشيباني بإسناده إلى الباقر أن عبد الله بن عطاء المكي سأله عن قوله تعالى { وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا } ٣٨٢، فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم تزوج بالحرة متعة فاطلع عليه بعض نسائه فاتهمته بالفاحشة! فقال: إنه لي حلال إنه نكاح بأجل فاكتميه فأطلعت عليه بعض نسائه. [٣٨٣] وانظر أعزك الله أن هناك فتوى صادرة عن الأزهر تجيز التعبد بالملة الشيعية الجعفرية وتعتبرها مذهبا خامسا لأهل السنة والجماعة ! وروى ابن بابويه القمي – الملقب عندهم " بالصدوق!! – في الفقيه، قال الصادق :" إني لأكره للرجل أن

---

٣٨٠ –التهذيب ١٨٦/٢ ، والاستبصار ١٤٢/٣ وانظر الوسائل كتاب النكاح ٤٤١/١٤ ح٣٢

٣٨١ – الروض النضير شرح مجموع الفقه الكبير ٤/ ٢٣

٣٨٢– التحريم ٣

٣٨٣– انظر خلاصة الإيجاز في المتعة "ص ٢٤–٢٥والوسائل ٤٤٠/١٤ ح٢٢ من كتاب النكاح ، من أبواب المتعة.

يموت وقد بقيت عليه خلة من خلال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يأتها فقلت: فهل تمتع رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال: نعم و قد رأ هذه الآية { وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا } إلى قوله { ثيبات و أبكارا }"[٣٨٤].

سأل رجل ابن عمر – رضي الله عنهما – عن متعة النساء فغضب وقال: ما كنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بزناة ولا مسافحين ثم قال: والله لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ليكونن قبل يوم القيامة المسيح الدجال وثلاثون كذابا أو أكثر من ذلك [٣٨٥]. ويزعم الشيعة الجعفرية أن النبي لم يحرم نكاح المتعة وإنما عمر بن الخطاب هو من فعل ذلك، والحقيقة أن عمر رضي الله عنه نهى عنه لنهي الرسول صلى الله عليه وسلم عنه. فالشيعة يدعون أن المتعة

---

٣٨٤ -الوسائل ١٤/٤٤٢و الفقيه ٢/١٥١وجواهر الكلام ٣٠/ ١٥١–١٥٢؛وكاشف الغطاء في " أصل الشيعة وأصولها " ص ١٧٧والفكيكي في كتابه " المتعة" تحت عنوان " تفسير آية متعة النساء" ص ٤٧وهامش كتاب " المحجة البيضاء " للكاشاني ٣/ ٧٦٥–٧٧

٣٨٥ – أخرجه سعيد بن منصور في سننه ﴿٨٥١﴾ ص٢٥٢ ، وأبو يعلي الموصلي في مسنده ١٠/ ٦٩، وأحمد ٢/٩٥واسناده حسن....انظر الفتح الرباني للساعاتي ١٦/١٩١ وانظر مسند أحمد ٨/٥٨ شرح ووضع الفهارس أحمد شاكر .....

استمرت بعهد الرسول و أبي بكر و جزء من عهد عمر ، وأن عمر هو الذي حرم المتعة.

وعندما أراد بعض المسلمين الجدد ممارسة المتعة لجهلهم بتحريمها أعلن عمر مجددا تحريمها ، فهو لم يحرمها وإنما عاود الإعلان عن حرمتها لمن لم يكن يعرف من المسلمين الجدد. والثابت عن عمر أنه قال: ما بال رجال ينكحون هذه المتعة وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها ألا و إني لا أوتى بأحد نكحها إلا رجمته.

وكان اليهود والفرس وغيرهم في ما قبل الإسلام يمارسون هذا النوع من النكاح وقد تسرب إلى المجتمع الجاهلي في الجزيرة، فنكاح المتعة كان معروفا في أول أيام الإسلام، إذ عرفه العرب عن اليهود والفرس كما قلنا،ولم يكن النبي ليحرمه بنفسه من دون أن يأمره الله بذلك وفي التوقيت الذي يقرره الله، فقد كان القرآن يربي أمة ويعالجها من أوضار ترسخت فيها لآماد طويلة، وما كان النهي عن المخالفات التي درجوا عليها ليثمر ما لم تحظ نفوسهم ببعض الإيمان الذي يعينهم على الصدع بالأمر. فالتدرج في التحريم وتوقيت هذا التحريم أمران مهمان،وقد تم تحريم الخمر بالتدريج حتى يألف العرب الامتناع عنها، كما تأخر توقيت تكسير أصنام الكعبة حتى فتح مكة. وانتظر النبي أمر الله في تحريم المتعة ، وهذا الانتظار ليس من قبيل الإباحة بل هو عفو حتى

تخرج النفوس من جاهليتها ، وهو من قبيل الترك حتى تستأنس القلوب بالإيمان ويترك العرب عادات الجاهلية وهم من شاع بينهم اتخاذ الأخدان ومقارفة جميع أنواع الزنا . وحان تحريمه لما نزلت الآيات الكريمة : ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ العَادُونَ ﴾[٣٨٦]، وهذه الآيات الثلاث مذكورة في القرآن الكريم مرتين: مرة في سورة المؤمنون، الآيات٥،٦، ٧ ، ومرة في سورة المعارج الآيات ٢٩، ٣٠، ٣١ ﴾. فالأصل في الفروج الحرمة و التحليل استثناء ، فما سكت عنه فهو حرام، فقوله تعالى: "لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ " هذا هو الأصل، أي الحرمة " إلا " هذا هو الاستثناء ومحله "أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم"، هذا هو المستثنى من التحريم، وهو نوعان من النكاح ما عداهما حرام، ثم يحرم الله ما عداهما بقوله الصريح "فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ العَادُونَ " فكل فرج دونهما حرام . فلو كانت المتعة حلالاً لذكرها كأن يقول: ﴿ وليستمتع﴾ لا أن يقول ﴿وليستعفف ﴾. وفي سورة النساء جاء قوله تعالى ﴿فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاع ﴾، وهذا هو الزواج الدائم ، ثم قال: فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ ٣٨٧، فجعل

٣٨٦- المؤمنون /٥-٧ ، المعارج/٢٩-٣١.

٣٨٧- النساء/٣

مجال التخيير محصوراً في الأفراد ونكاح الأمة، ولو كانت المتعة مشروعة لجعلها موضعاً للاختيار فهي إذن حرام.

ثم جاء قوله تعالى بعد ذكر محرمات النكاح ﴿وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَاءَ ذَلِكُمْ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً – إلى قوله – "وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَن يَّنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم " [٣٨٨].

وانظر كيف لا يتورعون عن تحريف آيات القرآن من أجل إثبات ضلالهم: يروى شيخهم القمي في تفسيره ما نصه بالحرف: "فمن استمتعتم به منهن إلى ﴿أجل مسمى﴾– مزيدة وليست من القرآن– فآتوهن أجورهن فريضة "قال الصادق – حسب زعمهم : فهذه الآية دليل على المتعة [٣٨٩]، أي زادوا عبارة ﴿إلى أجل مسمى﴾ لإثبات باطلهم بإباحة نكاح المتعة، ويرون أن ذكر لفظ "الاستمتاع" بدلا من "الزواج"، ولفظ "الأجور" بدلا من "المهور" يدل على جواز المتعة، لأن الأجر غير المهر وإتيان الأجر بعد الاستمتاع، ولكن ما لا يجب إغفاله حتى نفهم مراد الآية الكريمة هو أن صدرها يتحدث عمن يباح نكاحهن من النساء المحصنات، وذلك بعد أن ورد في الآية التي قبلها المحرمات

٣٨٨– *النساء/٢٤، ٢٥*

٣٨٩ – القمي في تفسيره ١/ ١٣٦

من النساء فكأن الآية إذن في النكاح، ومعناها فإذا استمتعتم بنكاح النساء ممن يحل نكاحهن فادفعوا إليهن مهورهن، والمهر في النكاح يسمى أجرا. قال تعالى: " يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ " ٣٩٠، أي مهورهن، وكون المهر إنما يكون قبل الاستمتاع لا يعارضه باقي النص لأنه على طريقة التقديم والتأخير وهو جائز في اللغة ويكون المعنى فآتوهن أجورهن إذا استمتعتم بهن أي إذا أردتم ذلك كما في قوله تعالى: " إذا قمتم إلي الصلاة فاغسلوا ... " أي إذا أردتم القيام للصلاة. ولو كان نكاح المتعة مباحا في المجتمع الإسلامي إبان عهد النبي لصرح الله به في كتابه ولذكر مشروعيته، وفصل أحكامه كما هو حال الزواج من الحرائر والإماء، فمن غير المعقول أن يسكت القرآن عن هذا الأمر العظيم في حين ورد فيه ذكر نكاح الإماء ثماني مرات والله يعلم أن هذا النوع من الزواج سيزول بإلغاء الرق.

ويزعم الشيعة أن جعفر الصادق قال :" إن المتعة من ديني ودين آبائي، فالذي يعمل بها يعمل بديننا، والذي ينكرها ينكر ديننا بل إنه يدين

٣٩٠– الأحزاب ٥٠

بغير ديننا، وولد المتعة أفضل من ولد الزوجة الدائمة، ومنكر المتعة كافر مرتد[٣٩١]. ولله الأمر من قبل ومن بعد.

٣٩١- منهج الصادقين، للملا فتح الله الكاشاني، ﴿ص: ٣٥٦﴾

البداء

يقول الله تعالى ﴿لا يعلم الغيب إلا الله﴾، ويزعم الشيعة أن أئمتهم يعرفون الغيب بمقتضى العلم اللدني الذي أودعه الله فيهم. وكانوا يتنبئون لأتباعهم بما سيأتي به الزمان، غير أن الأحداث تأتي على غير ما يقولون به،فتسبب لهم ذلك في الحرج،وتهدد عصمتهم المزعومة وعلمهم اللدني المكذوب. ولم يكن أمامهم من بد سوى أن يثبتوا لأنفسهم العلم وينفوه عن الله –تعالى الله عما يصفون– وقالوا إن الله يقضي الأمر ثم يبدو له في ما بعد أن الصواب في غير ما قضى به فيبدله، هذا ما يُعرف عندهم بالبداء، وانظر كيف يكون الاجتراء على الله.

وإليك هذه الرواية التي تثبت معنى "البداء" بأنه علم ما لم يكن يعلمه الله.كان الإمام جعفر الصادق قد نص على ولاية ابنه إسماعيل الذي مات في حياة أبيه،ولما كان من عقائد الشيعة الإمامية علم الإمام بغيب السماوات والأرض،فقد سئل جعفر الصادق عن موت إسماعيل على غير ما قال به من انتقال الإمامة إليه،فأجاب بأن الله بدا له في إمامة إسماعيل،أي أن الأمر داخل في نطاق البداء، أي بدا لله أن يموت إسماعيل ولا يكون إماما،أي تغيرت مشيئته وفقا لما جد على علمه مما كان يجهله –تعالى الله

عما يصفون "[٣٩٢]، الأمر الذي جعل بعض الشيعة يرفضون إمامة جعفر الصادق نفسه، ومنهم زعيم فرقة السليمانية سليمان بن جرير الذي قال لأصحابه:﴿إن أئمة الشيعة وضعوا لشيعتهم مقالتين لا يظهرون منهما من أئمتهم على كذب أبدا، وهي القول بالبداء، وإجازة التقية﴾.

ويصف الله نفسه بقوله:{ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَالِمُ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ } [٣٩٣]، وبقوله: { وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا }[٣٩٤].

أما عن البداء فأول ما نُسب إلى المختار الثقفي، وانتشر القول به في مجتمع الكوفة في عهده وعلى أيدي أتباعه،وكان لا يفرق بين النسخ والبداء، في حين أن النسخ هو تكميل وليس إبطالا كما يدعون، والنسخ يكون لإحلال حكم مكان آخر لمقتضى التدرج في سن الأحكام،ولم يحدث أن كان النسخ لإبدال حرام بحلال، فالنسخ غير البداء الذي يقول به الشيعة بمعنى نفي العلم عن الله إذ يُضطر إلى تغيير قضائه لعلمه بشيء طرأ على علمه ، تعالى الله عما يصفون. وقد دفع اتهم أن علم الله تعالى حضوري لا يتصف بالمضى والاستقبال.ويقول الصوفية النقشبندية مثل ذلك من نفي العلم عن الله فينفون عنه تعالى علمه بالغيب ويثبتونه لمشايخهم ، يقول صاحب الرشحات نقلا عن أولياء النقشبندية : "إن الله

٣٩٢- فرق الشيعة للنوبختي ص٨٤ ط النجف

٣٩٣-سورة الحشر الآية ٢٢

٣٩٤- سورة الطلاق الآية ١٢

الرشحات نقلا عن أولياء النقشبندية : "إن الله تعالى ليس عالماً للغيـ ـب" ونسب السرهندي أصل هذا القول إلى ابن عربي [٣٩٥]. وحكى الكوثري عن أبي الحسن الشاذلي أنه قال: "أطلعني الله على اللوح المحفوظ، فلـ ـولا التأدب مع جدي رسول الله لقلت هذا سعيد وهذا شقي" [٣٩٦]. والقول بالبداء فكرة يهودية الأصل مثل أفكار الوصاية والغيبة والرجعة والتقية.

وقال الشيعة علي لسان جعفر: "كان القتل قد كتب علـ ـى إسـ ـماعيل مرتين فسألت الله في دفعه عنه فدفعه". هل من المعقول أن يغير الله آجال الناس بعد أن أكد في قرآنه أنهم لا يستأخرون سـ ـاعة ولا يسـ ـتقدمون؟ أيناقض الله نفسه من أجل إسماعيل؟ وإذا كان ذلك ممكنا لماذا لم يطلـ ـب الحبيب المصطفى من الله أن يمد في أعمار أحبابه مثل حمزة وخديجة، أم أن جعفر الصادق أكرم عند الله من سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم؟ وفي حين يثبت الشيعة لأئمتهم العلم المطلق الجامع الشامل،إلا أنهم ينفونه عن الله بالقول بالبداء! وينسبون إلى أبي عبد الله قوله: ما عظّم الله بمثل البداء" [٣٩٧]. وقال أبو الحسن: " إن لله تبارك وتعالى علمين: علما أظهـ ـر

٣٩٥– رشحات الحياة ١٥٣ المكتوبات الربانية للسرهندي ١٠٦

٣٩٦– إرغام المريد شرح النظم العتيد لتوسل المريد برجال الطريقة النقشبندية ٣٩

٣٩٧ – كتاب الكافي ١١٣/١ كتاب التوحيد: باب البداء

عليه ملائكته وأنبياءه فقد علمناه، وعلما استأثر به فإذا بدا لله في شيء أعلمنا ذلك وعُرض على الأئمة الذين كانوا من قبلنا "[٣٩٨].

٣٩٨ – الكافي ١٩٩/١ كتاب الحجة باب أن الأئمة يعلمون جميع العلوم التي خرجت إلى الملائكة والأنبياء.

التقية

التقية هي الإدهان والمنافقة والمصانعة، وهي آلية هامة للشيعي إذ يظهر بها خلاف ما يبطن، ويستتر بها ويناور، فيضمن سرية مخططاته وكتمان بواطنه، وتتيح له التسلل إلى العقل والضمير المسلم في خبث ويسر، إلى درجة أنهم يعتبرونها من الدين ويرون أنه لا دين لمن لا تقية له، بل يرون أن عدم الأخذ بالتقية يكون كترك الصلاة، بل هو الخروج من الملة والمروق من الدين! فها هو صدوقهم وشيخ محدثيهم ابن بابويه القمي يقول في رسالته المعروفة "الاعتقادات": التقية واجبة، من تركها كان بمنزلة من ترك الصلاة"، ويزعمون أن "تسعة أعشار الدين في التقية، ولا دين لمن لا تقية له" [٣٩٩]. وبذلك يكون الكذب مما يتقرب به الشيعي إلى الله تعالى،الأمر الذي لا تجيزه الأديان السماوية، ويستنكره الضمير الإنساني.

---

٣٩٩ – الكافي في الأصول، باب التقية ص٢١٧ ج٢ ط إيران، ص٤٨٢ ج١ ط الهند

والتقية من باب من كتم سره كان الخير بيده، وينسبون إلـ ـى جعفـ ـر الصادق قوله: "نحن شهداء لله في خلقه على عبـ ـاده، ولولانـ ـا لسـ ـاخت الأرض بمن فيها، ونحن أمان لأهل السماء،كما أننا أمان لأهل الأرض، يغفر الله للمؤمن من كل ذنب إلا ترك التقية"! والتقية علي مستوي الفرقة والطائفة هي طور الكمون الذي لا تكون فيه فرصة الظهور الآمن متاحة، أي فرصة الدعوة جهارا للأفكار الباطلة، وما إن تتاح الظروف المناسـ ـبة تخرج الجماعة من هذه التقية. أما تقية الفرد فهي محض نفاق إذ يُظهر خلاف ما يبطن، وتهيئ له التظاهر بالتقوى والإيمان، فيتيسر له الاندساس بين صفوف المؤمنين فيبث الأضاليل وهم يجهلون حقيقته، كما تمكنـ ـه من التنصل من آرائه التي زعم صحتها وثبت بطلانها في ما بعد وذلـ ـك بدعوى أن التقية اضطرته إليها.والأخذ بالتقية آلية يهودية يحض التلمـ ـود عليها إذ جاء فيه:" كلما كان من الخطر التحدث عن شيء بصراحة،تكلم عنه تحت ستار علامة معروفة لدى المخاطبين وحـ ـدهم" ٤٠٠. قـ ـال سليمان بن جرير زعيم فرقة السليمانية والذي كان من الإمامية وانشـ ـق عليهم بسبب قولهم بالبداء والتقية: "لما كثرت على الأئمة مسائل شيعتهم في العبادات من حلال وحرام، أجابوا عن تلك المسائل، وحفـ ـظ عـ ـنهم شيعتهم ما سألوه وكتبوه ودونوه. ولم يحفظ الأئمة تلك الأجوبة لتقادم العهد

١– التلمود–محمد صبري

وتفاوت الأوقات،لأن مسائلهم لم ترد في يوم واحد ولا في شهر واحد، بل في سنين متباعدة، فوقع في أيديهم في المسألة الواحدة عدة أجوبة مختلف ة متضادة وفي مسائل مختلفة أجوبة متفقة،فلما وقفوا على ذلك م نهم ردوا إليهم هذا الاختلاف وأنكروه عليهم وسألوهم عنه، قالت لهم أئم تهم:إنم ا أجبنا بهذا التقية ولنا أن نجيب بما أجبنا، وكيف شئنا، لأن ذلك إلينا ونح ن نعلم بما يصلحكم وما فيه بقاؤنا وبقاؤكم وكف عدوكم عن ا وع نكم "، ويتساءل سليمان: "فمتى يظهر من هؤلاء على كذب،ومتى يعرف لهم حق من باطل" [٤٠١].

ويقولون: التقية واجبة من تركها كان بمنزلة من ترك الصلوات، و لا يجوز رفعها إلى أن يخرج القائم ﴿أي الإمام المنتظر﴾، فمن تركها قب ل خروجه فقد خرج عن دين الله تعالى وعن دين الإماميـ ة، وخ الف الله ورسوله والأئمة٤٠٢. وسُئل جعفر الصادق عن قول الله عز وج ل { إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُم }٤٠٣ قال: أعملكم بالتقية" [٤٠٤]، وقال: التقية

٤٠١- النوبختي – فرق الشيعة – –ص ٦٥،٦٦

٤٠٢- ابن بابويه القمي في رسالته "الاعتقادات"

٤٠٣- الحجرات ١٣

٤٠٤- الاعتقادات للصدوق" باب التقية، ط إيران ص١٢٧٤

من ديني ودين آبائي، ولا إيمان لمن لا تقية له "[٤٠٥]، وإن تسعة أعشار الدين في التقية، ولا دين لمن لا تقية له"[٤٠٦]. وإن " التقية من دين الله، قيل: ومن دين الله؟ قال: أي والله من دين الله"[٤٠٧]. ونسبوا إلى رسول الله كذباً أنه قال: مثل مؤمن لا تقية له كمثل جسد لا رأس له"[٤٠٨]. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"إن الأحاديث ستكثر عني بعدي كما كثرت عن الأنبياء من قبلي فما جاءكم عني فاعرضوه على كتاب الله فما وافق كتاب الله فهو عني قلته أو لم أقله.

ونسبوا إلى علي بن أبي طالب أنه قال: التقية من أفضل أعمال المؤمن يصون بها نفسه وإخوانه من الفاجرين"[٤٠٩]. في حين أنهم يثبتون قوله: لا يجد عبد طعم الإيمان حتى يترك الكذب هزله وجده"[٤١٠]، وقوله: الإيمان أن تؤثر الصدق حيث يضرك على الكذب حيث ينفعك" [٤١١].

٤٠٥- الكافي في الأصول" باب التقية ج٢ ط إيران ص٤٨٤ ج١

٤٠٦- الكافي في الأصول ص٢١٧ ج٢ ط إيران، ص٤٨٢ ج١ ط الهند

٤٠٧- أيضاً ص٢١٧ ج٢ ط إيران، ص ٤٨٣ ج١ ط الهند

٤٠٨- تفسير العسكري ص١٦٢ ط مطبعة جعفرى الهند

٤٠٩- تفسير العسكري ص١٦٢ ط مطبعة جعفرى الهند

٤١٠ - الكافي في الأصول" باب الكذب

٤١١ -نهج البلاغة

ونسبوا إلى الحسين أنه قال: لولا التقية ما عرف ولينا من عدونا"[٤١٢]. وما أحرى الحسين –لو صدقوا – أن يأخذ بالتقية اتقاء لشر أعدائه عندما تكالبوا عليه، ولكنه جالدهم بسيفه حتى الموت. وقالوا أيضا "يغفر الله للمؤمن كل ذنب ويطهره منه في الدنيا والآخرة ما خلا ذنبين ترك التقية وترك حقوق الإخوان" [٤١٣].

والحرص شديد من قِبل مفكري الشيعة للإبقاء على سرية عقيدتهم من أجل الحفاظ على ذلك الخلط والتناقض مخفيا مستورا، فتلافيهم ما فرط من صمتهم أيسر من إدراكهم ما فات من منطقهم، وحفظ ما في الوعاء يكون بشد الوِكاء . ويحذرون إبداء صريح ديانتهم وإظهار حقيقتها، فيفرضون التقية والاستتار كي لا ينكشف للعوام والأتباع من" مؤمنيهم" ما بملتهم من الخلط والضلال فينقلبون إلى الحق، فيخسر زعماؤهم الأنصار والأموال والأخماس. والاستتار والتخفي إنما هما دوما من شأن من يدبر الأمر بليل ويتآمر ويكذب، وما يستتر وراء غامض الأرض إلا البائل أو المتغوط. والتقية كذلك أصل من أصول المعتقد اليزيدي –

٤١٢– تفسير العسكري" ص١٦٢ ط مطبعة جعفرى الهند

٤١٣–"تفسير العسكري" ص١٦٤ ط مطبعة جعفرى الهند

فاليزيدية [٤١٤] والشيعة في ذلك سواء – ويؤدون طقوسهم العبادية في خفاء، ويتظاهرون بغير معتقدهم الأصلي.

وكانت التقية وسيلتهم للخروج من مأزق ثبوت مدح آل البيت والأئمة للصحابة الأطهار ممن يسبونهم على المنابر، فاضطروا إلى زعم أن أئمتهم ما مدحوا من مدحوا إلا من باب التقية أي رموا أئمتهم بالكذب لإثبات صوابهم في سب الصحابة. ولا يدري أحد ما الحكمة في سرية دين ما، فما كانت الأديان إلا لهداية الناس، ولم يخفِ النبي ولا غيره من الأنبياء دياناتهم، وإنما أبلغوها للناس وإلا ما الغاية منها إن كانت سرية؟ وقد انخدع السذج من عوام الشيعة تحت ستار حب أهل البيت، فأكثرهم لا يعرفون حقيقة دينهم لأن زعماءهم يأمرون بكتمان الملة، وأفهم وهم أن العزة في كتمانها والذلة في إذاعتها، وزعموا أن جعفر الصادق قال لأحد شيعته: يا سليمان إنكم على دين من كتمه أعزه الله ومن أذاعه أذله الله[٤١٥]. والشيعة القائلون بتحريف القرآن، يأخذون بالتقية: إذ يقولون بالتحريف تارة وينكرونه تارة أخرى من باب التقية، فهذا فقيههم ابن بابويه القمي يقول: "من نسب إلينا القول بالتحريف فهو كاذب" ، وهو نفسه يروي في كتابه "الخصال" حديثاً مكذوبا على النبي يقول فيه: "يجيء يوم القيامة ثلاثة

٤١٤– –فرقة تعبد يزيد بن معاوية ، وتعبد الشيطان

٤١٥ – الكافي في الأصول" للكليني

يشكون: المصحف، والمسجد، والعترة، يقول المصحف يا رب حرفوني ومزقوني "الحديث" [٤١٦].

وعن الإمام الخامس المعروف بالباقر أنه قال: وأي شيء أقر لعيني من التقية، إن التقية جنة المؤمن" [٤١٧]. وينسبون إلى أبي عبد الله أنه قال:" لا والله ما على وجه الأرض شيء أحب إلى من التقية" و " والله ما عبد الله بشيء أحب إليه من الخبء، قلت: وما الخبء؟ قال: التقية "[٤١٨].

وقد يحتج الشيعة بقوله تعالى ﴿ إِلاَّ أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾ ٤١٩ بأن ذلك حض على التقية، ولكن بالرجوع إلى بداية الآية وفيها:" لا يَتَّخِذِ المُؤْمِنُونَ الكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ المُؤْمِنِينَ وَمَن يَّفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ "، فالاستثناء بعد التحريم يدل على الجواز لا على الوجوب. والآية نص في أن التقية رخصة عند دفع الضرر كالإكراه والتعذيب. ولكن صارت هذه الرخصة عند الشيعة من أركان الدين حتى يصير تاركها لا إيمان ولا دين له!

---

٤١٦ – "الخصال" لابن بابويه القمي، ص٨٣ ط إيران ١٣٠٢هـ

٤١٧– الكافي في الأصول" باب التقية ص٢٢٠ ج٢ ط إيران

٤١٨– الكافي ٢/ ، ١٧٢–١٧٤ كتاب الإيمان والكفر باب التقية

٤١٩–آل عمران ٢٨

قال جل ذكره:" وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُون" ٤٢٠، ألا يصح ذلك على القول بالتقية؟

٤٢٠– البقرة ١٤

الخُمس

قال نابوليون بونابرت مفسرا غوامض ما يحدث بين النـ اس بـ أن " فتش عن المرأة"، وهذا ممكن إذا كان الأمر يخص الأفراد والآحاد مـ ن الناس، أما غوامض ومغاليق الأحداث الكبار بـ ين الأمـ م والطوائـ ف والجماعات، فيجوز القول " ابحث عن الدينار والدولار"، فالمـ ال غايـ ة يسعى إليها من يسعى ولكن الوسيلة إليه مخفية ومسـ تترة وراء النوايـ ا الحسنة أو الدين. فالدول تنهب المستعمرات والهدف المعلن هو تعميرهـ ا وتمدينها. وتدمر الأخضر واليابس سعيا وراء النفط والثروات وما يعلـ ن على الملأ هو فرض الديموقراطية ،كذلك كان كهنة المعابد مـ ن قـ ديم يستترون وراء الدين ويفرضون على الناس تقديم القرابين والذبائح إلـ ى أصنامهم إرضاء للآلهة، والأصنام لا تأكل الذبائح ولكن الكهنة يفعلـ ون. والاحتيال باسم الدين قديم وزاوله المحتالون منذ فجر التـ اريخ. "وفقهـ اء "الشيعة يرون أن أفضل أعمال الشيعي هو تسليم أمواله إلـ يهم: يـ روى الكليني عن أبي عبد الله أنه قال: ما من شيء أحب إلى الله من إخـ راج الدراهم إلى الإمام وإن الله يجعل له الدرهم في الجنة مثـ ل جبـ ل أُحـ د

٤٢١، وفي رواية: درهم يوصل ود الإمام أفضل من ألف ألف درهـ م فيما سواه من وجوه البر ٤٢٢. وهم يوجبون على الشيعي تسليم خُمس ممتلكاته إلى الإمام! يستوي في ذلك الغني والفقير. ويجب هذا الخمـ س على ما لا تجب عليه الزكاة. فللزكاة نصاب معلوم وقيمة معلومـ ة، ولا زكاة على أدوات الإنتاج أو المسكن أو السيارة وما شابه، والخمس غيـ ر ذلك إذ يجب دفع خمس قيمة كل ما يملكه الشيعي ! ومن الأمـ وال مـ ا يوجبون دفع خمسه مرتين مثل الأموال المحرمة كالمال المسروق والربا، مرة للتحليل ومرة بعد التحليل [٤٢٣]! والزكاة لا تجب علي الفقير، والخمس مفروض على جميع الشيعة فقيرهم وغنيهم . ولما كان الإمام متغيبا فـ ي السرداب، أوجبوا دفع هذه الأموال إلى نائبه، ومن يكون هذا النائب؟ إنـ ه الفقيه ، فبالقياس اعتبروا الفقيه بديلا عن الإمام الغائب، مع أن القياس قي الفقه الجعفري غير معتبر ولا يقيمون له وزنا، ولكن الغاية تبرر الوسيلة. والزكاة أوجبها الله تعالى على جميع أغنياء المسلمين دون استثناء، أمـ ا الخمس المزعوم فغير واجب على" السيد " وهو من يزعم الانتساب إلى

---

٤٢١ – اصول الكافى ٥٣٧/١

٤٢٢ – المرجع السابق ٥٣٨/١

٤٢٣ – انظر هذه الفتاوى فى رسالة الخمس للسيد محمد صادق الصدر ومنهاج الصالحين للخوئى فى موضوع الخمس

البيت النبوي ، ولا على "الفقيه" . وهو نفس الفقيه الذي يفتيهم بجواز دف ع مبلغ من المال عوضا عن ما قصروا فيه م ن العب ادات المفروض ة كالصلاة والحج ، "وكل من كانت عليه مظلمة أو تقصـ ير ف ي حـ ق شرعي، يدفع مبلغا من المال مقابل كل مظلمة فيغفر له بـ ذلك ويسـ مونه ﴿رد المظالم﴾ "٤٢٤.وذلك لا يختلف في جوهره عن صكوك الغفران التي ابتدعها الأحبار والرهبان في أوربا في القرون الوسطي.

والخمس غير الزكاة المفروضة، فالزكاة حق للفقراء وأوجه صـ رفها حددها القرآن. أما ﴿الخُمس ﴾فهو حق خاص بطبقة معينة هم ﴿السادة﴾ أي من ينتسبون إلى البيت النبوي، و ﴿الفقهاء﴾ وكبار رجال الدين فهـ م من شرعوا هذا الحق، وهم من حصدوا ثماره. ولما كان هذا الخمـ س يمثل عبئا كبيرا على الشيعي، فقد تم إغفال وتناسي أداء الزكاة. "وكان هذا الخمس لا يجبى في ما خلا من الأزمنة، وإنما كان ينكر على أنه حـ ق للإمام الغائب ولم يكن لفقيه أن يطالب به أو يجبيه، ويمكن لصاحبه أن لا

٤٢٤– الإمام الشيعي محب الدين عباس الكاظمي – سياحة في عالم الشيعة والتشيع ..الحوزة العلمية أسرار وخفايا

يخرجه أصلا فإن أخرجه –وذلك ليس بواجب عليه– فإما أن يدفنه في الأرض أو يوصي به إلى من يثق به لحين ظهور ﴿المهدي﴾ "٤٢٥.

وابتدعوا الخمس بليْ معنى الآية الكريم: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي القُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾٤٢٦. ويوم الفرقان المقصود هو يوم معركة بدر والخمس الذي تشير إليه الآية هو خمس الغنائم أي الأموال المغنومة من الكفار المحاربين، لذا فالخمس ليس إلا في الغنائم خاصة، أما أموال المسالمين من الكفار فلا يحل أخذها، فضلا عن أن تكون تلك الأموال هي أموال المسلمين.

٤٢٥– بتصرف من سياحة في عالم الشيعة والتشيع – الإمام الشيعي محب الدين الكاظمي–و انظر : النهاية فى مجرد الفقه والفتاوى للطوسى ٢٠٠

٤٢٦– الأنفال ٤١

التقريب بين الشيعة والسنة

يقول الشيعة:"إننا لا نجتمع مع أهل السنة على إله ولا على نبي ولا على إمام وذلك أنهم يقولون: إن ربهم هو الذي كان محمد نبيه، وخليفته بعده أبو بكر، ونحن لا نقول بهذا الرب ولا بذلك النبي؛ بل نقول: إن الرب الذي خليفة نبيه أبو بكر ليس ربنا ولا نبيه نبينا .

يرى البعض تجنب محاولات تقريب السنة والشيعة، ومحاذرة تسليط الضوء على أوجه الخلاف بينهما، وذلك اتقاء للفتنة والمهارشة بينهما. والمقصود بمساعي تقريب أهل السنة والشيعة، هو رأب الصدع العقائدي بين هاتين الطائفتين وليس مجرد إزالة الجفوة بينهما. ولا يكون هذا الاقتراب من ملة إلى أخرى، وإنما المقصود هو اقتراب كل منهما ﴿سنة وشيعة﴾ إلى دين الله الحق المسطور في قرآنه الكريم. وعلى الطرفين – سنة وشيعة – أن يُقرّا ابتداءً أن الشيء لا يكون حقا باعتقاد من اعتقد أنه حق، كما أنه لا يبطُل باعتقاد من اعتقد أنه باطل، وإنما يكون الشيء حقا بكونه صحيحا ثابتا سواء اُعتقد أنه حق أو اعتقد أنه باطل.

والأمور ثلاثة: أمر تبين رشده فوجب اتباعه، وأمر تبين غيه فوجب اجتنابه، وأمر اختلف فيه، فوجب رده إلى الله تعالى. وأمامنا الميزان الحق الذي تُرجع إليه الأمور وتُصحح به الأقيسة والمعايير، إنه القرآن الكريم الذي تعهد الله نفسُه بحفظه من التحريف، والسنة المطهرة. قال عز وجل: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً "٤٢٧. وويل لمن يدله القرآن على الحق فيخالفه إلى الباطل، فيكون كالراعي الأحمق الذي يتحول بماشيته بعيدا عن الكلأ والماء إلى المعاطش والمجادب.

وليس المقصود بتقريب السنة والشيعة هو الوقوف في نقطة وسط بينهما أو المزج بين أفكارهما، فهذا يعني، من جهة، تنازل صاحب الحق عن بعض حقه، ومن جهة أخرى،إقرار صاحب الباطل على بعض باطله، وذلك يكون من باب الوقوع على الباطل في حين أن المقصود هو طلب الحق. والهدف الأسمى لجهود التقريب هو تصويب ما ألحقه أعداء الإسلام بالدين من تحريف، وتفنيد ما دسوه فيه من تخريف، والقضاء المبرم على الخصومة التاريخية بين السنة والشيعة بسبب الصدام العقائدي البيّن، تلك الخصومة التي حالت وتحُول، ضمن عوامل أخرى، دون

٤٢٧–النساء ٥٩

وحدة البلاد الإسلامية وجرّت علـ ـي المسـ ـلمين النكبـ ـات والمصـ ـائب وأضرمت نيران الحروب بينهم، وصدت أمم الأرض عـ ـن اعتنـ ـاق الإسلام إذ لم تر فيه إلا دينا شابته الخرافات والأباطيل، وانقسم أتباعه شيعا وأحزابا يضرب بعضها أعناق بعض ويكفر بعضها البعض الآخر. ولذا يجب الاتفاق– إن صحت العزائم– على نقطة بداية للحوار البنّاء يُتفق فيه على الأصول والثوابت والمصالح المشتركة في مواجهة المخاطر التـ ـي تتهدد الأمة والتي يتعين على الجميع،سنة وشيعة، التنبه إليها. ويجب فـ ـك الحصار المضروب على عقولنا بفعل الأفكار السائدة الموروثة التي تسللت إلى عقولنا فشلّت فعاليتها فسلمنا بها دونما تمحيص.

ولنا في الحبيب المصطفى أسوة عند محاورة المخالفين لنا في الملـ ـة، فقد علّمه ربنا تعالى أن يقول للمشركين:" وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِـ ـي ضَلَالٍ مُّبِينٍ " ٤٢٨. فهي ملحوظة منطقية لا ينكرها عاقـ ـل وتصـ ـلح نقطة بداية مناسبة للتأمل وإعادة تقييم المواقع وهي أنه مادام هناك تبـ ـاين واختلاف ومفارقة، فمن الحتمي أن يكون هناك هدى وضلال. ويراعَى تجنب تحقير المخالفين أو رميهم بالسفه حتى لا تأخذهم العزة بـ ـالإثم، الأمر الذي يمضي بهم إلى التمسك بما هم عليه من باب المكابرة، فلـ ـيس على ظهر الأرض إنسان إلا وهو معجب بعقله لا يسره أن له ما لغيره.

٤٢٨–سبأ ٢٤

لذا يجب ممارسة الحوار الهادئ العقلاني بين المعتدلين من علماء الطائفتين على أن يتم مراجعة ما في كتب الطائفتين على القرآن والسنة ونبذ ما يتعارض معهما وإقرار ما يوافقهما. والهدف الرئيسي لمساعي تقريب السنة والشيعة هو فتح الطريق أمام عموم الناس والبسطاء من الشيعة كي يعودوا إلى الله كما عاد أسلافهم الأوائل في مصر وشمال أفريقيا بعد سقوط الدولة الفاطمية الشيعية التي دامت حوالي القرنين من الزمان. والأمر المؤكد أن الأغاليط والأباطيل التي تشكل عماد عقائد الشيعة والصوفية،هي باطل لا يعلم حقيقته عموم الناس من البسطاء، فمن يعلم حقائق هذا الباطل هم الزعماء الدينيون ممن يرتزقون بهذا الباطل ويكتسبون من تحريف الدين، ويسيّرون الناس كالأنعام ويحتالون عليهم باسم الدين والملة،وينهبونهم باسم الإسلام والعقيدة. فالغاية هي تبصرة البسطاء الذين يجهلون دينهم الحنيف، وإنقاذهم من براثن الدجالين المتاجرين بالدين.

يقول رسول الله:انصر أخاك ظالما أو مظلوما، قيل يا رسول الله نصرته مظلوما فكيف أنصره ظالما؟ فقال تكفه عن الظلم فذلك نصرك إياه. ويجب أن لا نسمح لأعدائنا باستثمار الصدع بين السنة والشيعة،حتى وإن كان الشق فاصلا بين الحق والباطل،ويجب الحيلولة دون زيادة الفجوة اتساعاً،وعلينا رأب الصدع الذي يقسم الأمة إلى حق وباطل . ومن غايات

الدعوة إلى التقريب قطع الطريق على أعدائنا لإفشال خططهم الرامية إلى ذبحنا بسيوفنا، والحذر الحذر كل الحذر من الوقوع فرائس سهلة في الفخاخ التي ينصبها لنا أعداؤنا فننقلب على بعضنا البعض نزهق الأرواح ونسفك الدماء، وهو أمر نجيده نحن المسلمين ومن لا يصدق عليه بقراءة التاريخ. وما نقول به من مصالحة بين السنة والشيعة، إنما هي دعوة إلى الهدى كالتي كانت بين النبي وقريش في فجر الدعوة الإسلامية، إذ عرض عليهم الحق وألح في العرض، فاستجاب له الأسياء والعقلاء دون السفهاء ومن قضت مصالحهم بالبقاء على شركهم. وينبغي على المسلم الغيور على دين الله أن يقوم بتبصرة عامة البسطاء ممن لا يد لهم في إحداث التحريف أو اصطناع الباطل، فذلك من صنع كبرائهم وفقهائهم المستفيدين من النفوذ الديني والمكاسب المادية وإنما العامة مجرد مقلدين وتوابع وأدوات يسخرها زعماؤهم للوصول إلى السلطة وبيت المال، وهؤلاء البسطاء لهم علينا حق التبصرة والهداية.

وهنالك سببان يدفعاننا إلى رأب الصدع الذي أحدثه الشيعة بالدين الحنيف، أولهما أن الشيعة محسوبون على الإسلام وما يقارفونه من مخالفات يحسبها الآخرون من غير المسلمين على أنها من الإسلام فينصرف العقلاء عن هذا الدين . وثانيهما أنه مادام الشيعة على غير ما عليه أهل السنة والجماعة، فتجب علينا تبصرتهم بالإسلام الحنيف،

وخاصة أن العوام والبسطاء لا علم لهم بصحيح الدين، فقد قاسى عامة الناس في المجتمعات الإسلامية من الجهل والأمية إذ أعـ وزهم النظـ ام التعليمي الراسخ،فلم يعرف المسلمون المدارس إلا أيام الوزير نظام الملك وأيام صلاح الدين الأيوبي وقبل ذلك اقتصر التعليم على المساجد في مـ ا يشبه نظام الكتاتيب. وحتى في أيام العز العلمي للمسلمين فـ ي العصـ ر العباسي، لا يصح اعتبار المجتمع كله مستنيرا فقد كانت هذه النهضة من صنع الخاصة وللخاصة، وبقي البسطاء من الناس يقاسون الأميـ ة إلـ ى جانب الفقر والقهر. وحتى في المجتمعات الإسلامية المعاصرة، تجد بين من تلقوا قسطا وافرا من التعليم، من يؤمنـ ون بالخرافـ ات والشـ عوذة وكرامات الشيوخ ، وما شابه ذلك، فضلا عن ما يعتقده الأميون والجهلة. وبالنظر إلى مدى انتشار العقائد الفاسدة في القرن الحادي والعشرين،يسهل إدراك سهولة حدوث ذلك في القرون الخوالي، حيث كان العقل الشـ عبي في المجتمعات الإسلامية السابقة سهل الاختراق،شأنه في ذلك شـ أن أي مجتمع آخر يفتقد النظام التعليمي ويقاسي الأمية والجهـ ل. وإذا ضـ ربنا صفحا عن دعوة المخالفين لنا من الشيعة، نكون قد فرطنا وتقاعسنا عـ ن الأمر بالمعروف.

وإذ ندعو الشيعة لإعادة النظر في ما شاب عقيدتهم من تحريف، لا تتحقق الموضوعية والأمانة مع النفس إن لم نتوجه بالدعوة نفسها إلى أهل

السنة وندعوهم إلى التخلص مما حاق بإسلامهم من ضلال على أيدى الصوفيين، فالدين عند الله الإسلام،لا التشيع أو التصوف، ولم يصنف المسلمون أيام النبي صوفية أو شيعة.

ومن اللافت للنظر التهوين من التباين العقائدي بين السنة والشيعة، ومحاولة اعتباره مجرد اختلاف مذهبي مع أنه في حقيقة الأمر يصل إلى حد التصادم والمغايرة، لأن الاختلاف المذهبي يكون في الفروع وليس الأصول ولا سيما الأصول الخاصة بالمفاهيم العقائدية، فليس الخوض في تناقضات عقائدية مخرجة من الملة –كما هو الحال مع كفريات الشيعة والصوفية – كالكلام عن الاختلافات المذهبية بين طوائف أهل السنة. فالاختلاف محمود إذا كان تنوعا لوجهات نظر وتحركا في مواقع مختلفة داخل دائرة الحقيقة، ولكنه مذموم إذا تحول إلى خلاف وتناقض وغادر دائرة الحقيقة وانفلت بعيدا عنها. وحقيق بنا الاكتراث بآراء الآخرين وإن غايرت آراءنا، ولكن لا يجوز فعل ذلك إن كانت هذه الآراء مخالفة لصحيح الدين وغير منطقية ولا سند لها سوى الهراء والخيال، كأن يقول الشيعة:" إننا لا نجتمع مع أهل السنة على إله ولا على نبي ولا على إمام وذلك أنهم يقولون: إن ربهم هو الذي كان محمد نبيه، وخليفته بعده أبو بكر، ونحن لا نقول بهذا الرب ولا بذلك النبي، بل نقول: إن الرب الذي

خليفة نبيه أبو بكر ليس ربنا ولا نبيه نبينا "[٤٢٩]. فبمثل هذا الكلام ينتفي حسن النية وصدق العزم علي التقارب مع أهل السنة . ومع دعاوى التقريب يركز البعض على أدبيات الحوار وأخلاقيات الجدال وقبول الآخر، وكأن المسألة دعوة لتوخي اللين والسماحة في قبول غلو الآخر وانحرافه، بحيث يبدو الأمر في نهاية المطاف في صورة المشكلة الأخلاقية ، أو المشكلة الإجرائية، في حين أن حقيقة الصراع والخلاف تقع في دائرة الإيمان والكفر والحق والباطل.

والفخ الخطير هو الدفع باتجاه "قبول الاختلاف "باعتباره تنوعا اجتهاديا، وأن يكون هذا " التقريب" وسيلة لإضفاء الشرعية على "التبشير" بمعتقدات كل من الطرفين بين جموع الطرف الآخر. فقد تم إنشاء دار للتقريب بين المذاهب الإسلامية، ومقرها في القاهرة في سنة ١٩٤٧ لم يتعرض فيها أحد لتسوية وتصفية المصادمات العقائدية، وإنما تم الاتفاق بين الطرفين على تدريس علوم كل منهما في المعاهد الدينية للآخر، وفعلا تدرس الآن علوم الشيعة في الأزهر الشريف بعدما صدرت فتوى من فضيلة شيخ الأزهر الأسبق الشيخ محمود شلتوت بجواز التعبد بالمذهب الجعفري _ الاثنى عشرى– باعتباره مذهبا خامسا لأهل السنة

٤٢٩– الأنوار النعمانية: ﴿٢٨٧/٢﴾ – نعمة الله الجزائري

[٤٣٠]! في حين لم يدرس الشيعة في معاهدهم الدينية شيئا عن عقيدة أهل السنة كما جرى الاتفاق.

والحث على قبول ما نتفق عليه والإغضاء عن ما نختلف فيه، إنما هو من الكلام الذي يمر عليه الناس ولا يعطونه حقه من التأمل، فهذا من قبيل الحق الذي يراد به باطل. فالتقريب بين السنة والشيعة دون تسوية الخلاف وتصحيح التناقضات، إنما يعني التستر على هذا الصدام العقائدي الصارخ، وهو تقريب يقوم على مجرد جهود توفيقية لا تتعدى حدود الأقوال لا الأفعال، ويكون ذلك غمطا للحق وإقرارا بالباطل، وما أشبهه عندئذ بمحاولة امتطاء جوادين في وقت واحد: أحدهما غاد، والآخر رائح.

وهنالك طريقان لا ثالث لهما في مسألة الصدع السني الشيعي، أولهما: ترك الأمر على ما هو عليه وغض الطرف عن التباين الشديد وتجاهل التناقض العقائدي الواضح بينهما. وإذا مضينا في هذا الاتجاه يبقى الأمر على ما هو عليه، أي يبقى إلى جوار الحق باطل يخالفه ويثير حوله

---

٤٣٠ –انظر تفاصيل الفتوى في الملحق رقم ١ ، وقد تضمنها كتاب صدر عن المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية باسم ﴿ دعوة التقريب ﴾ بقلم مجموعة من كبار رجال الدين السنة والشيعة ، تحدثوا كلهم جميعا عن مزايا وحدة المسلمين ووجوب نبذ الخلافات بينهم ، ولم يبذلوا أي محاولة جادة لتمحيص معتقدات الشيعة في ضوء القرآن والسنة ، فالمعلوم أن ما يخالف القرآن والسنة مرفوض

المشاكل ويفض الأنصار من حول هذا الحق ويحول دون وصولهم إليه بفعل هذا الباطل. والطريق الثانية: هي مواجهة هذا الأمر بشجاعة وصدق عزيمة من الطرفين في وقفة تاريخية حاسمة وإجراء مناقشات ودراسات هادئة لا يظن فيها المبطل أنه سيتم ازدراؤه إذا ما اعترف بالحق فالمسألة ليست شخصية وإنما أمر دين وعقيدة. ولو كان الأمر فعلا لدى الشيعة مسألة حق يدافعون عنه عن اقتناع وليس مسألة عداوة وارتزاق، لما ترددوا في طرح الأمر للمناقشات الموضوعية. وكما لا يصح الانخداع بالنظر إلى دموع التمساح، وإنما يجب النظر إلى فكيه، كذلك يجب محاذرة الانخداع بما يطلقه الشيعة من دعاوى التقريب بين السنة والشيعة، ويجب النظر في كتبهم وتمحيص أباطيلهم التي تتسف الإسلام من القواعد .

والدعوة المخلصة لتقريب السنة والشيعة إنما هي دعوة إلى أسلمة العوام والبسطاء الذين ضللهم أئمتهم وزعماؤهم وشيوخهم المستفيدون من هذا الضلال. فهؤلاء البسطاء يجهلون ولا يعلمون، وواجبنا الأخذ بيدهم وتبصرتهم بما هم عليه من باطل وما يعتقدونه من أغاليط يتوهمونها الحق، ويجب ألا نفقد حماستنا وندع هؤلاء البسطاء يتيهون في عالم الجهل يمارسون دور الفريسة والضحية لمصاصي الدماء ممن يجمعون المال منهم بدعوى أنها الزكاة الواجب دفعها إلى أئمتهم، ويفسقون

ببناتهم ويزنون بنسائهم باسم زواج المتعة. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الرجل من بني إسرائيل كان إذا رأى أخاه على الذنب نهاه عنه تعذيرا فإذا كان من الغد لم يمنعه ما رأى منه أن يكون أكيله و خليطه و شريكه فلما رأى الله ذلك منهم ضرب قلوب بعضهم على بعض و لعنهم على لسان نبيهم داود و عيسى ابن مريم ذلك بما عصوا و كانوا يعتدون". وقال: "و الذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهين عن المنكر و لتأخذن على يد المسيء و لتأطرنه على الحق أطراً أو ليضربن الله قلوب بعضكم على بعض أو ليلعنكم كما لعنهم! " والله تبارك و تعالى مع علمه بأن فرعون لن يؤمن لموسى، إلا أنه أمره أن يبلغه ليقيم عليه الحجة، لذا فإن تبصرة الشيعة والصوفية وردهم إلى حظيرة الإسلام فرض كفاية علينا إن لم يفعله بعضنا أثِمنا جميعاً. ويرى بعض "الفقهاء" أن الوقت قد حان لغض الطرف عن التصادم العقيدي السني – الشيعي بزعم أنه استغرق أجيالا كثيرة ولم ينته الأمر إلى نتيجة مقبولة، وأن حجم أدبيات هذه الخلافات فاقت نظيرتها الإسلامية/غير الإسلامية. ومعنى ذلك هو القول بعبثية هذا الجدال، ووجوب إسقاطه للتفرغ لمناهضة أعدائنا أولا، ولا يكون ذلك إلا بالحفاظ على وحدة الصف. والسؤال الآن إلى أي مدى يمكن التضحية بسلامة العقيدة من أجل وحدة الصف؟ ويود المضللون صرف الأنظار عن حقيقة الصدع العقيدي السني/ الشيعي، ويتعللون بأن

الظرف غير مناسب بسبب تضافر قوى الإلحاد على المسلمين، مما يجب معه محاذرة شق الصف، ويرون أنه قد حان وقت تهدئة الخلافات وملاينة الاختلافات. وكلها دعاوى زائفة ظاهرها الحق وباطنها الباطل، فمتى سلم المسلمون من العداوات حتى نتعلل بعدم ملاءمة الظروف؟

ولما عبد بنو إسرائيل العجل وجاءهم موسى وأخذ بلحية أخيه اعتذر له هارون قائلا:" قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي "٤٣١، فقد رأى هارون ترك بني إسرائيل على ما هم عليه من عبادة العجل حتى يعود أخوه موسى ليرى ما يصنع مع قومه وخشي أن يفرق بين بني إسرائيل. ولكن موسى كان يعرف أن تفريق الناس بالتوحيد خير من بقائهم على الشرك مجتمعين. والشيعة يكرهون المسلمين ويظاهرون عدوهم عليهم، ولما صارت مقاليد الأمور إليهم ونجحوا في تأسيس دول شيعية، دخلوا في حروب طاحنة مع المسلمين أزهقت فيها الأرواح وتقلص بها المد الإسلامي في بلاد العالم وخصوصا أوروبا، ونجم عنها إنهاك الدولة العثمانية ثم سقوط العالم الإسلامي في نهاية المطاف فريسة للاستعمار، وهم يستبيحون دماء المسلمين منذ القرامطة، وهم من بدأ التعدي بسب الخلفاء الراشدين وأم المؤمنين عائشة وأم المؤمنين حفصة،

٤٣١- طه ٩٤

بل ولعنوهم من فوق منابرهم. ويهوّن الشيعة من شأن الاختلاف الشيعي/السني بزعم أن هنالك اختلافات بين المذاهب السنية الأربعة، والأمر على عكس ما يتوهمون فالخلافات المذهبية عند السنة هي تباين "فقهي" في الفروع وليس الأصول كما سبق قوله، فلا خلاف البتة في المسائل المتعلقة بالعقيدة مثلا. والأمر يدور في مسائل هذا الخلاف الفقهي بين الأحوط والأيسر بحسب اختلاف طبيعة الدليل في نظر ونظر، وبحسب ما يتوافر للفقيه من معلومات تخص طبيعة وزمان ومكان المسألة الخلافية.

أما الخلاف الشيع/ السني فهو خلاف في المسائل العقائدية التي لا يجوز الخلاف حولها بأي حال، فالكثير من الثوابت العقائدية لدى الشيعة غريبة على الإسلام الصحيح الذي أعلن الله كماله وتمامه دون أي إشارة إليها ، مثل ما زعموه لأئمتهم من العصمة والوصاية والغيبة والرجعة وما أضفوه عليهم من قداسات ترفعهم فوق مقام الأنبياء، وما أعطوهم من صلاحيات لا تكون لغير الله ولا يقول بها إلا مشرك، وما رموا الله به من باطل أسموه البداء، وغير ذلك من مفتريات كما سبق بيانه. واختلفت طوائف الشيعة فيما بينها على أمور عقائدية أخرى مثل القول بتحريف القرآن وغيبة الإمام المنتظر ورجعته، إذ يعتقدها البعض وينكرها البعض الآخر، فالشيعة الاثنا عشرية " المذهب الجعفري" ينفردون بالقول بولادة

وغيبة ورجعة الإمام المنتظر محمد بن الحسن العسكري الإمام الثاني عشر، وهم وحدهم يجيزون الزنا باسم زواج المتعة.

وهنالك أمور هامة يجب تسويتها قبل الشروع في أي محاولات لتقريب السنة والشيعة ﴿ تقريبهما من الإسلام الحنيف كما جاء في القرآن والسنة، وليس للتقريب بين السنة والشيعة ﴾ ، إذ يجب علي القوم تحديد موقفهم مما يصفونه بمصحف فاطمة، أو مصحف علي أو أي مصحف آخر يزعمون أنه المصحف الحقيقي المخفي مع إمامهم المنتظر وكذلك يتوجب عليهم الاتفاق على ما يجب اعتباره السنة النبوية المقبولة ، فالشيعة لا يقبلون من السنة إلا ما كان عن أهل البيت؛ ولا يقبلون ما روي عن الصحابة وهو معظم السنة المقبولة لدى أهل السنة . والأحاديث النبوية المعتبرة لدى أهل السنة تم انتخابها وتمحيصها والقطع بصحة الصحيح منها واستبعاد الموضوع منها وفقا لمعايير دقيقة وصارمة بحسب "علم مصطلح الحديث" الذي أخذ به أهل السنة منذ زمن الصحابة، وذلك خلافا لما عليه الحال بالنسبة للأحاديث المنسوبة إلى آل البيت. والسنة التشريعية عند أهل السنة هي كل ما ثبت –قولا أو فعلا – عن النبي الكريم، في حين أنها تتسع عند الشيعة لتشمل أقوال وأفعال أئمتهم إذ يرونهم معصومين ويوحَى إليهم ولديهم العلوم الإلهية.

واختلف مع من يقول بوجوب إبعاد الأمر برمته عن موضوع الكفر

والإيمان، وإحلال "المعايشة" مكان التقريب وإقامة هذه المعايشة على أساس المواطنة لا الملة والدين. ومنهم من يرى البعد عن اعتبار الاعتقاد أساسًا للاجتماع على مستوى الدولة، واعتبار الاجتماع الإسلامي اجتماع أمة لا اجتماع ملة . وهنا خلط ظالم : فاحتواء المجتمع الإسلامي لغير المسلمين وتمتعهم في ظله بحقوقهم كاملة أمر يشهد به العدو قبل النصير، والأمر مختلف فالمساواة في الحقوق بين هؤلاء "المواطنين" لا تعني التساوي بين أديانهم، والقول بالتوفيق بين الأديان، أو عالمية الأديان والمساواة بين الملل فمحض هراء ، فالملح لا يتحول إلى سكر بمجرد الكتابة على بطاقة علبته أنه سكر. ودعوة تقريب السنة من الشيعة بدعة خطيرة يراد بها إعطاء الكفر والضلال والإلحاد صفة الشرعية واسم الإسلام . وكيف يكون التقريب بين فريقين يصرح أحدهما بأنه لا يؤمن برب ونبي الفريق الآخر؟

وتجد من ينصح بضرورة الانصراف إلى مقاومة أعداء الوطن أولا بدلا من الانزلاق إلى الخلافات مع من يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله. ومثل هذا نرد عليه بأن الشيعة –كما تقدم– لا يؤمنون بربنا ونبينا كما قال فقيههم نعمة الله الجزائري في كتابه الأنوار النعمانية، والنبي الكريم حارب اليهود مع أنهم يشهدون أن لا إله إلا الله، ولم يشرع صلاح الدين في قتال الصليبيين وتحرير القدس إلا بعد أن فرغ من

تقويض الدولة العبيدية الشيعية ﴿ التي يسمونها الدولة الفاطمية تمويها وخداعا ﴾. وقد يقول قائل: ومالك لا ترى ما يراه بعض مشايخنا من قبول الدعوة إلى التقارب مع الشيعة أأنت أكثر منهم علما؟ ونرد بأن الأمر أمر عقيدة من خالفها فهو ضال مهما قيل بعد ذلك من معاذير، والحق أحق أن يتبع، إنما يعرف الحق فيعرف رجاله. و من أطاع "العلماء" و الأمراء في تحريم الحلال أو تحليل الحرام فقد اتخذهم أرباباً من دون الله كما فعل اليهود و النصارى من قبل. يقول الله رب العزة في سورة البقرة: {إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ النَّارَ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُاْ الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴿١٧٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ " ﴾﴾.

واستكر المقولة الشهيرة: أن نتّفق على ما يجمعنا ويعذر بعضنا بعضاً فيما نختلف فيه ٤٣٢. فإذا عذرنا الشيعة فيما نختلف فيه معهم من سب

٤٣٢– تأسست في القاهرة دار التقريب بين المذاهب الإسلامية» في ١٩٤٧م وقد أصدرت جماعة التقريب مجلة باسم "رسالة الإسلام " صدر العدد الأول منها سنة ١٣٦٨هجرية ١٩٤٩م ، وتوقفت في شهر رمضان سنة١٣٩٢ هجرية أكتوبر ١٩٧٢م بعدما صدر منها ستون عددا اهتمت فيها بأدب التقريب بين المذاهب، وكانت الأهداف

الصحابة مثلا، والاعتقاد بردتهم، فما القول فيما نقلوه إلينا م ن صد حيح الدين، وما القول في تكذيب الشيعة لله الذي أعلن بـ راءة أمن ا عائشـ ة ويرمونها بالفاحشة، فيكذبون القرآن ومكذبه كافر. وإذا كان الشيعة يؤمنون بتحريف القرآن فلن يؤمنوا أبداً. ألم تسمع قول الله تعالى: {أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَ ا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ}. كيف يمكن العذر فيما نختلف فيه، مواطن الخلاف يا سادة في أمور العقيدة وكليات التصور الإسلامي .كيف نعذر من يقول بتأليه الأئمة إذ يعلمون الغيب، ويعرفون متى يموتـ ون، ويفعلـ ون مـ ا يشاءون، ويشاركون الله في إدارة وتصريف شؤون الكون،كيف نعـ ذر من يبيح الزنا ،كيف نعذر من لا يصلي الجمعة والجماعة. أمـ ا عـ ن القاعدة المشهورة للإمام الشّافعي في الاجتهاد والتي يقـ ول فيهـ ا:"رأيـ ي صواب يحتمل الخطأ ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب"، إدراكاً منـ ه

المعلنة للدار بريئة ومغربة ، وظاهرها الحق وباطنها الباطل . وكان هدف الجماعة عـ دم استغلال الفوارق المذهبية ، والاختلاف بين المسلمين في شـ ق صـ فوفهم ، وإضـ عافهم بالتناحر، كما كانت دعوتهم إلى التقريب بين المذاهب في قراءة المشتركات بينهم، وعـ دم السعي إلى إلغاء بعضها على حساب بعض ، فهي بعبارة أخرى تسعى إلى إبقاء المسلمين كل على مذهبه ، وعدم جمعهم على مذهب واحد.

لإمكان تعدّد الصواب وتقديراً للرّأي المخالف، فهي صحيحة فقط في دائرة الظنّيات التي تحتمل الاجتهاد، ولا يصح اعتبارها في أمور العقيدة، فلا اجتهاد مع نص.

وإذا كان الشيعة لا يكفّرون الصحابة ﴿كما يزعم بعضهم تقية﴾ فلماذا لا يسمون أبناءهم بأسمائهم وأسماء أمهات المؤمنين؟ ولماذا يواصل الشيعة طباعة الكتب التي تحتوي على الطعن في الصحابة وتحريف القرآن؟

والشيعة يؤمنون باستباحة أموال ودماء أهل السنة:قيل لأبي عبد الله: "ما تقول في الناصب ﴿أي السني﴾؟ قال: حلال الدم ، فإن قدرت أن تقلب عليه حائطاً أو تغرقه في بحر لكي لا يشهد به عليك فافعل، قلت: فما ترى في ماله؟ قال: خذه ما قدرت "[٤٣٣]. ويكفر الشيعةُ أهل السنة، ويرون أن كفرهم أنكر وأغلظ من كفر اليهود والنصارى فكفرهم أصيل ولدوا عليه خلافا –في نظرهم – لأهل السنة فهم كفار مرتدون، وكفر الردة أغلظ بالإجماع، ويسوق الشيعة هذا الهراء موجبا وتبريرا لتعاونهم مع اليهود والنصارى لاستئصال شأفة المسلمين، وهو الأمر الذي تشهد به صفحات التاريخ إذ تعاونوا مع النصارى زمن الحملات

٤٣٣– المحاسن النفسانية، ص١٦٦ ، رواه الصدوق في العلل مسنداً إلى داود بن فرقد

الصليبية، والتتار، وكل القوى الاستعمارية في العصر الحديث "[٤٣٤]. ففي ظل الدولة الشيعية الفاطمية استولى الصليبيون على فلسطين و بوجود الدولة الشيعية الصفوية في إيران وإشعالها الحروب مع الدولة العثمانية تم انحسار المد الإسلامي في أوروبا بعد اضطرارها إلى سحب جيوشها الفاتحة التي كانت على مشارف فيينا عاصمة النمسا بسبب هجوم إيران الرافضية عليها، وأدى ذلك في نهاية الأمر إلى إضعاف وسقوط العثمانيين .

إن البرهان على بطلان مكونات المعتقد الشيعي هو أنها مبتدَعة في أزمان لاحقة لعصر النبوة الذي اكتمل فيه الدين وتمت العقيدة، وأنها مخالفة للإسلام الحنيف نقلا وعقلا. فابن سبأ هو أول من قال بالإمامة والوصاية [٤٣٥]، وأول من قال بحصر الأئمة في عدد محدد هو: شيطان الطاق واسمه محمد بن علي الأحول[٤٣٦]. وأول من قال بعصمة الأئمة هو هشام بن الحكم ، و أول من قال بغيبة الإمام محمد بن

٤٣٤-وسائل الشيعة، للحر العاملي ﴿٧-٤٢١﴾ ، والكلام عن الفضيل بن يسار، التهذيب ٧/٣٠٣﴾

٤٣٥-رجال الكشي/١٠٨-١٠٩ ، النوبختي في فرق الشيعة/٢٢ ، القمي في المقالات والفرق/٢٠

٤٣٦-رجال الكشي/١٨٦

الحسن العسكري هو عثمان بن سعيد العمري٤٣٧. وأول م ن ق ال بولاية الفقيه هو علي بن عبد العال الكركي العاملي بـ أمر م ن الش اه الصفوي ٤٣٨، ولم تظهر بدعة أخذ خُمس أموال الشيعى وتسـ ليمها لنائب الإمام أو الفقهاء إلا بعد القرن الخامس ٤٣٩ ، وأول من تكل م بالجفر هم الخطابية أتباع أبي الخطاب الأسدي ٤٤٠.

٤٣٧–الغية للطوسي/٢٥٨

٤٣٨–[الشيعة والتصحيح للموسوي/٩٦].

٤٣٩–الشيعة والتصحيح للموسوي/٦٦

٤٤٠– الإمام الصادق لأبي زهرة

الباب الثالث

التصوف والانحراف العقائدي والسلوكي

- الفصل الأول:كلام عن الصوفية
- الفصل الثاني: خلية الشيخ والمريد
- الفصل الثالث: الطرق الصوفية
- الفصل الرابع: الأذكار والأوراد
- الفصل الخامس: كرامات المشايخ
- الفصل السادس: الصوفية والجهاد

كلام عن الصوفية

نستهل بأقبح ما يُستهل به حديث، بيت شعر من نظم الحلاج يقول فيه:

كفرتُ بدين الله والكفرُ واجبٌ.. لديّ وعند المسلمين قبيح وكان بهاء الدين نقشبند مؤسس الطريقة الصوفية النقشبندية يردد دائما هذا الشعر معجبا [٤٤١].

وكان قد أنكر عليّ أحدُهم انتقادي للصوفية والمتصوفين، ولما سألته هل قرأ كتب الصوفية؟ أجاب بالنفي، فسألته: هل قرأ ما كتبه الآخرون عن الصوفية؟ أجاب أيضا بالنفي، فتعجبت ممن يقطع برأي بشأن ما يجهله ولا يعلمه؟ وذلك هو عين الحال مع الكثيرين ممن يتصدون للدفاع عن الصوفية والمتصوفين دون علم أو كتاب مبين.

فبعد أن انشطر الكيان الشيعى من أمة الإسلام وبنات له دول نزعاه: القرامطة و الفاطميون والصفويون، تبنين صعوبة تحويل المسلمين جميعا إلى المعتقد الشيعي، فدبر أعداء الإسلام وابتدعوا

٤٤١– الأنوار القدسية ١٣٤ الحدائق الوردية ١٣٤ مكتوبات السرهندي ٢٨٢

الصوفية ونوعوا مذاهبها وطرقها وشيوخها، وهي ربما اختلفت في أعين الغافلين، ولكن حقيقة الأمر أن التصوف ليس سوى الوجه الآخر للتشيع، بل يصح القول إن التصوف هو ابن التشيع، سواء في الغايات والمقاصد أو في الأساليب والوسائل، وكلاهما فرع نبت من أصل واحد، وهذا ما سنقيم عليه الدليل والبرهان في الصفحات التالية.

وأولَّ مَن أسَّس التصوف هم الشيعة، فالضلال الصوفي هو حركة تطويق المسلمين ممن هم على غير التشيع للمضي بهم في طريق الانحراف عن الإسلام الحنيف، واليهود والفرس هم من كانوا وراء هذا التدبير، فمعلوم أن الكثير من مشاهير الصوفية كانوا من أصول فارسية أمثال إبراهيم ابن أدهم ومعروف الكرخي، وشقيق البلخي، وحاتم الأصم، وسهل التستري وأبي يزيد البسطامي والحلاج والسهروردي، وكان رواد الفكر الصوفي جميعهم بلا استثناء في القرن الثالث والرابع الهجريين من الفرس ولم يكن فيهم عربي قط.

وكان أول ظهور مصطلح التصوف والصوفية في الكوفة بسبب قربها من بلاد فارس والتأثر بالفلسفة اليونانية بعد عصر ترجمة التراث العلمى اليوناني إلى اللغة العربية في العصر العباسي الأول، ثم بسلوكيات رهبان أهل الكتاب. وأول من عُرف بالصوفي هو أبو هاشم الكوفي﴿ت١٥٠ هجرية﴾ ويُنسب إلى الشيعة الأوائل ويسميه الشيعة

مخترع الصوفية. و يذكر بعض المؤرخين أن عبدك "عبد الكريم" المتوفى سنة ٢١٠هجرية هو أول من تسمى بالصوفي، و كان من طائفة نصف شيعية تسمي نفسها صوفية تأسست بالكوفة. بينما يذكر الملطي[٤٤٢] أن عبدك كان رأس فرقة من الزنادقة، وتجدر ملاحظة التداخل بين التشيع والتصوف والزندقة وهي علاقة يمكن رصدها بيسر فى معتقداتهم وسلوكياتهم على الدوام ، ولمن لا يصدق عليه بالنظر إلى ما آل إليه حال المسلمين بفعل التشيع والتصوف، وإلى تكدير صفو منابع الإسلام الحنيف بفعلهما. "يتساءل المستشرق جولد تسيهر مندهشا – ونحن معه –: كيف استطاعت نزعة النسك والتصوف هذه أن تصادف قبولا واستحسانا في مجتمع ديني شارف أوج عظمته، وبلغ أقصى ما يصبو إليه من توسع وفتح؟ "[٤٤٣]. وركب الصوفية لاحقا موجة الزهد والتقشف ادعاء وزعموا الانتساب إلى طبقة الزهاد، فقد كان للتصوف أثره في جذب الناس إليه، و اتسع لشيوخ الصوفية مجال التسلط على أتباعهم ومريديهم، واستغلالهم باسم الدين استغلالا شيطانيا خبيثا أحالهم في أيدي شيوخهم شخوصا بلا إرادة كالأموات في يد الغاسل. ومن ينظر إلى الوسائل والغايات لدى الشيعة والصوفية يجد تطابقا مذهلا لا ينكره غير

٤٤٢– صاحب كتاب التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع

٤٤٣– جولد تسيهر – العقيدة والشريعة الإسلامية

الغافل. إنه مروق تام من الدين الحنيف الذي بلّغه الحبيب المصطفى عن رب العزة، ويسهل معاينة هذا المروق وهذه المغايرة بالنظر إلى المسلمين جميعا نظرة شاملة بكل طوائفهم ومللهم ونحلهم، لا بالنظر إلى ما أدين به أنا أو ما تدين به أنت وحسب، فشمول نظرة المعاينة وعموم الفحص والانتقاد يظهران بيسر أن حجم المباينة والمفارقة هائل ضخم لا يمكن تصديق أنه لم يحدث بفعل فاعل، وفاعل مريد يحدوه القصد. وكما للحق أقوام فللباطل أقوام، والبصائر الزائغة عن الحق أكثر من الثابتة عليه. فبينما يرى الشيعة أنهم ينتسبون إلى علي بن أبي طالب وينسبون إليه أسرار العلم الباطني، "يرى الصوفية أيضا – وهم في مجموعهم ينسبون أنفسهم إلى أهل السنة والجماعة– أن الإمام علي كرم الله وجهه رأس سندهم وقمة سلسلتهم وإليه نهاية الطريق. ووضعوا على لسانه آثارا وسننا كثيرة، ونسبوا إليه أسرار العلم الباطني" [٤٤٤].

وفي الوقت الذي ينسب فيه الشيعة كل معتقداتهم إلى أئمتهم المنسوبين إلى أهل البيت النبوي، ويزعمون أن معتقداتهم مستمدة من القرآن والأحاديث النبوية خاصة ما نسبوا أسانيدها إلى علي بن أبي طالب، يمضي الصوفية بعيدا في زعمهم فيقولون إن آل البيت أنفسهم كانوا من الصوفية، إذ يزعمون أن "ممن نطقوا بعلوم الصوفية وعبروا عن

٤٤٤– د. علي سامي النشار– نشأة الفكر الفلسفي الإسلامي ج٢ ص٣٣

مواجيدهم ونشر مقاماتهم ووصف أحوالهم قولا وفعلا بعـ د الصـ حابة رضوان الله عليهم: علي بن الحسين زين العابدين وابنه محمد بن علـ ي الباقر وابنه جعفر بن محمد الصادق بعد علي والحسن والحسين رضى الله عنهم "[٤٤٥]. و زعم كل المحتالين ممن أسسوا الدول الشيعية: دولـ ة القرامطة والدولة الفاطمية والدولة الصفوية، زعموا الانتساب إلى آل البيت النبوي حتى أغروا الناس باتباعهم إذ ظنوا أنهم يجاهدون في سـ بيل الله، وبعد أن استتب الأمر إلى أصحاب هذه المزاعم، وبعد حيـ ازة العـ رش وبيت المال انقلبوا فسقة فجرة. ولما كان ادعاء الانتساب إلى البيت النبوي يُكسِب الأنصار والأعوان ، زعم جميع أصـ حاب الطـ رق الصـ وفية وغيرهم –كلهم جميعا تقريبا– أنهم من سلالة البيت النبوي الشريف. ومن فاته هذا النسب زعم الانتساب إلى الصحابة مثلما يـ زعم أصـ حاب الطريقة النقشبندية أن شيخهم النقشبندي من سلالة سيدنا أبي بكر الصديق. ويسقط الصوفية عن أنفسهم التدبير، فلا خيار لهم، إذ يرون أن لا حـ ق لهم في الخيار فالله يختار لهم. ولا يتدبرون أمرا من أمـ ورهم إذ تركـ وا ذلك لإرادة الله. ويرون الاستسلام المطلق للأقـ دار، فـ الإرادة عنـ دهم مكابرة. يقول الشعراني:" لا يبلغ الرجل إلى منازل الصديقين حتى يترك

٤٤٥– *محمد الكلاباذي أبو بكر– كتاب التعرف لمذاهب أهل التصوف*

زوجته كأنها أرملة، وأولاده كأنهم أيتام، ويأوي إلى مزابل الكـ ـلاب "[٤٤٦]. ويوم تخلى المسلمون عن الاختيار والإرادة أصبحوا كغثاء السيل يفعل بهم أعداؤهم ما يشاءون، وإذ لم يعضوا على إسلامهم الحنيف بضرس قاطع آل أمرهم إلى ما هم عليه الآن من هوان.

ويتوسل الصوفية بالعاطفة للتأثير في العامة، وهم يحذرون غير هـ ـذه الوسائل، فليس لهم التوسل بالعقل والمنطـ ـق وإلا قوضـ ـوا أنفسـ ـهم بأنفسهم. لذا نرى الصوفية يلجأون إلى استثارة المشاعر باستخدام الغناء والموسيقى والرقص إلى غير ذلك مما يضعف حظ العقـ ـل والمنطـ ـق ويفسح المجال لتأجيج المشاعر وإلهاب العواطف. وللآن تجد التواشـ ـيح والإنشاد الديني مكانا في مساجدنا، كما يمارس فيها الرقص" الـ ـديني "! المسمى بحلقات الذكر والسماع . وقد أنكر الله على المشركين التصـ ـفيق والصفير أثناء طوافهم بالبيت ، وهم لم يستخدموا فيه آلـ ـة منظمـ ـا يفعـ ـل الصوفية إذ ينقرون على الدفوف وينفخون في المزامير.

و استخدام الموسيقى في الشعائر الدينية أسلوب قديم عرفه البـ ـدائيون ومارسه السحرة والمشعوذون للاستيلاء على مشاعر المتعبـ ـدين، بـ ـل وتُستخدم إلى الآن في دور العبادة للأديان المعاصرة. فبقدر ما يتم شغل وإبهار حواس الإنسان الخمس بقدر ما يمكن السـ ـيطرة عليـ ـه بـ ـالوهم

٤٤٦- الشعراني – الطبقات الكبرى

والعاطفة دون العقل. فيستخدمون المعازف والموسيقى والطبل والزمـ ر ﴿حاسة السمع﴾ والبخور ﴿الشم﴾، أما عن إبهار العيون فقد تفننوا فيه : فيبدأ بالملابس الموشاة بالذهب والأزياء المبهرة التي يرتديها رجـ ال الدين ، وانتهاء بالأبنية الفخمة الضخمة للمعابـ د ودور العبـ ادة لتعميـ ق الإحساس بالروعة والرهبة في النفوس، فأعظم وأضخم الكنائس كانت في القرون الوسطى، وأضخم المساجد كانت في العصر المملوكي، وأكبـ ر وأضخم ما عُرف من معابد في العالم القديم هي المعابد الفرعونيةوهـ ي عصور تطلّب الأمر فيها إنكاء الشعور الدينى. وقد يمضي الأمـ ر مـ ن أجل السيطرة بالحواس على ما لا يمكن السيطرة عليه بالعقل والمنطـ ق فيحدث ذلك– مثلا– بتشريع البغاء المقدس في بعض الديانات الوثيـ ة القديمة، إذ تمارس بغايا المعبد الزنا مع المتعبدين من أجل إرضاء الآلهة . والزهد يختلف عن التصوف، واستفاد الصوفية من إجلال الناس للزهاد ، فركبوا موجة الزهد بهدف اكتساب احترام الناس لهم." والزهد في نشأته لم يلق ما لاقاه التصوف من إنكار مما يدل على اختلاف طبيعتيهمـ ا إلـ ى درجة لا يقبل معها أن يكون أحدها حركة انتقالية للآخر، فقد بدأ التصوف بالشطح أو إعلان الكفر الصوفي مما أدى إلى اضطهاد رواد الصـ وفية بينما حظي رواد الزهد بإعجاب العامة."٤٤٧وعلىما يبدو من تشـ ابه

٤٤٧– د. أحمد صبحي منصور– العقائد الدينية في مصر المملوكية بين الإسلام

ظاهري بين الزهد والتصوف إلا أن الخلاف جوهري بينهما، فالزهد بدعة سلوكية ما أنزل الله بها من سلطان، خلافا للصوفية وهي بدعة عقيدية تصطدم مباشرة مع الإسلام الحنيف. والزهد المبتدع الذي نعنيه هنا هو تعذيب النفس بالزهد في الطعام، وتحريم تناول اللحوم، وعدم الزواج والسياحة في القفار والصحاري، إذ تغير مفهوم الزهد في الكوفة والبصرة في القرن الثاني الهجري على نحو مصادم للدين ومغاير للسنة النبوية وذلك على أيدي كبار الزهاد أمثال: إبراهيم بن ادهم، ومالك بن دينار، وبشر الحافي، ورابعة العدوية . وتخاذل الفقهاء عن نصرة دين الله وآثروا السلامة أو الارتزاق ، فهاهو "حجة الإسلام " أبو حامد الغزالي يقول في كتابه ﴿المفصح بالأحوال﴾: إن الصوفية هي يقظتهم يشاهدون الملائكة وأرواح الأنبياء، ويسمعون منهم أصواتا، ويقتبسون منهم فوائد، ثم يترقى بهم الحال من مشاهدة الصور إلى درجات يضيق عنها نطاق النطق" [٤٤٨]. وانتشرت ظاهرة التصوف الذي ضرب بجذوره في عقل الأمة كلها تقريبا، وأصبحت هذه الملة معتقدا بديلا للإسلام الحنيف، حتى إن من دعا إلى العودة إلى الإسلام الحنيف قوبل بحرب ضروس من المتصوفة والعوام على حد سواء. ويسمي

والتصوف ص٢٧

٤٤٨– المفصح بالأحوال ، ونقلا عن عبد الكريم الخطيب – التصوف والمتصوفة

الصوفيون أنفسهم بالعارفين بالله، والتسمية "بالعارف" بدعة صوفية تخفي وراءها كيدا خفيا للشريعة، فالغاية عندهم المعرفة وحدها لا العبـ ادة ، أي معرفة أن الله هو عين الخلق– كما يفترون – وليس المقصود بالمعرفـ ة العلم الذي يتم تحصيله بالدراسة، وإنما يزعمون أن العلم لـ دني يـ أتيهم مباشرة من الله تعالى دون درس أو تحصيل وإنما بالكشف،وهـ و فيمـ ا يرون هو الاطلاع على ما وراء الحجاب من المعاني الغيبية، ويرون أن الكشف يُنال بجذبة إلهية. ويتحصلون على معارفهم بالأخذ مباشرة مـ ن النبي يقظة أو مناما، أو الأخذ من الخضر عليه السلام– صاحب موسى– وعن طريق الإلهام والتلقى من الله مباشرة، وبذلك جعلوا مقام الصـ وفي فوق مقام النبي حيث يعتقدون أن الولي يأخذ العلم مباشرة عـ ن الله دون واسطة، الأمر الذي لم يتح للنبي الكريم إذ كان جبريل يبلغه كلام ربـ ه. وما هو العلم الذي أورثه لنا الصوفية، إنهم لم يتركوا من شيئ غير أوراد وأدعية وأنكار، وهل أضافت هذه الأوراد إلى القرآن والسـ نة شـ يئا؟ إن كانت قد أضافت فقد نقص تدين السابقين من الصحابة والتابعين، وإن لـ م تضف، فما أغنانا عما لا قيمة له مما لم يكن عليـ ه السـ لف الصـ الح. ويزعمون تلقى المعارف عن طريق المعراج – فلم يتركوا شيئا للنبي إلا زعموه – وذلك بعروج روح الولي إلى العالم العلوي لتحصيل المعارف والأسرار! بل من أصحاب الطرق الصوفية من ادعى عروجه بشخصه

لا بروحه فقط ، مثل: التيجاني وعبد الكريم الجيلي ولم يغادروا للباطل غاية إلا قصدوها، وقد فتقوا ما رقعه الدين ووضعوا ما رفعه. وانتشر التصوف في معظم العالم الإسلامي، و نشأت فرقهم في مصر والعراق وشمال غرب أفريقيا وفي غرب ووسط وشرق آسيا وبعض البلاد في أوروبا كالبوسنة. وتهتم مراكز الاستشراق والمؤسسات الأكاديمية في الجامعات الغربية والشرقية بالتصوف وهو اهتمام يدعو إلى الريبة، فما قصدوا به إلا بيان الجانب السلبي من ممارسات المسلمين حتى يتمكنوا من نسبة هذه الممارسات المنحرفة إلى عقيدة الإسلام نفسها. وفي الإسلام لا تثبت عقيدة إلا بالقرآن والسنة، ولكن للمتصوفة وسائلهم الخاصة لإثبات عقائدهم كما أسلفنا. وهم يفسرون القرآن تفسيرا باطنيا لووا فيه معانيه ، ويزعمون أن لكل حرف في القرآن معنى لا يطلع عليه إلا الصفي المتبحر المكشوف عن قلبه. غير أن بعض الحمق أهون من بعض، إذ يعتقد المتصوفة في الله عقائد شتى منها "الحلول" الذي يعني أن الله يحل في مخلوقاته فيعلم الصوفي الغيب كما يعلمه الله سبحانه. ومنها "الاتحاد" بمعنى اتحاد الصوفي بالله حتى يصل الفرد منهم في زعمهم إلى مقام الألوهية، وانتهى بهم الأمر إلى القول "بوحدة الوجود" التي تعني نفى الثنائية بين الله وخلقه وأنه ليس هناك موجود إلا الله فليس غيره في الكون، وما هذه المخلوقات – حتى أحقرها – سوى الله، تعالى الله عما يصفون. وهم

يرون أن الحقيقة واحدة ولكن تعددت مظاهرها فالجنة والسعير، والأنبياء والشياطين، والإيمان والكفر، والطهارة والنجاسة، والشرك والتوحيد، ذات واحدة . ويستوي في نظرهم موسى وفرعون، بل فضَّل شيخهم الأكبر ابن عربي، فِرعون على موسى لأن فرعون علم الحقيقة التي يدعيها الصوفية —حيث قال ﴿أنا ربكم الأعلى﴾ . والصوفية يعتقدون أن طلب الجنة أو الفرار من النار منقصة تشين الصوفي، والغاية عندهم هو الفناء في الله، والاطلاع على الغيب، والزعم باكتساب "صلاحيات "إلهية يشاركون بها في إدارة شؤون الكون والخلق. "يتحدث الشعراني عن أحد الأولياء إذا شاوره إنسان في شيء، قال: أمهلني حتى أسأل جبريل، ثم يقول له بعد ساعة: افعل أو لا تفعل حسب ما يقول له جبريل بزعمه! وعن ولي آخر يدعي أن الله لا يحدث شيئا في العالم إلا بعد أن يعلمه بذلك على سبيل الاستئذان! وولي آخر من المجاذيب تبعه جماعة من الصبيان يضحكون عليه فقال: ياعزرائيل إن لم تقبض أرواحهم لأعزلنك من ديوان الملائكة، فأصبحوا موتى أجمعين! ومن قصصهم المستغربة أن وليا من أوليائهم كان يختم القرآن ٣٦٠ ألف ختمة في اليوم والليلة! ويزعمون كرامات تتعلق بحياتهم الخاصة فيتحدثون عن ولي مكث أربعين سنة لم يأكل ولم يشرب، وآخر ينام سبع عشرة سنة! وآخر يقول لعصاه التي يتوكأ عليها: كوني إنسانا، فتكون إنسانا فيرسلها تقضي له

الحوائج ثم تعود كما كانت! وأن أحد أوليائهم أمر الشمس بالوقوف فوقفت، حتى قطع المرحلة الباقية من سفره، ثم أمرها بالغروب فغربت واظلم الليل في الحال "[٤٤٩]! وأي امرئ في الناس أحمق ممن يقول مثل ذلك أو يصدقه! وإن حاولت إفهام العوام مدى ما في هذا القول من استحالة ومغايرة لطبيعة الأشياء يكون نصحك لهم كالماء في أصول الحنظل، كلما ازداد ريا زاد مرارة. و يستدل الصوفية على وجود باطن يغاير الظاهر، بقصة الخضر عليه السلام التي وردت في القرآن في سورة الكهف، وجعلوا الخضر مصدرا للإلهام والتشريع، ونسبوا إليه الكثير من علومهم ،ومعظمهم زعم مقابلته والتلقي عنه. "و تحول الزنادقة من الأعاجم والملاحدة فدخلوا في التصوف، وانتسبوا زوراً إلى أهل بيت النبوة وادعوا الكرامات والكشوف والعلوم الإلهية اللدنية التي تنزل عليهم، ومن ثم سخروا الناس لخدمتهم بل وعبادتهم من دون الله أحياءً وأمواتاً، فحملت لهم الهبات والهدايا من كل حدب وصوب، وقدسهم الناس وعظموهم تعظيماً لم تعرفه الملوك ولا أبناء الملوك من الجبابرة المفسدين واستطاع هؤلاء الزنادقة المتسترون أن يقيموا إقطاعات دينية، ومماليك

٤٤٩– صور من الصوفية– أبو العزايم جاد الكريم بكير

طائفية تربعوا على عروشها، وجعلوها وراثة في أولادهم من بعدهم"[٤٥٠].

واعتزل رهبان النصارى الحياة وعاشوا في أديرة وصوامع بنوها في الصحارى بقصد التفرغ للعبادة. أما تكايا وخانقاوات الصوفية فلم تبن في حقيقة الأمر بقصد العبادة إذ لم نر تكية واحدة مبنية في الصحراء كأديرة رهبان النصارى، وإنما كانت في القرى والمدن لنشر الإفك الصوفي وإعداد المريدين إعدادا شبه عسكري من حيث النظام والطاعة المطلقة للشيوخ حتى يمكن تجنيدهم – إذا دعت الضرورة لذلك– في إحداث التحولات الصوفية الشيعية العسكرية، أو في أقل الممكنات، المثابرة على إفساد الدين. وكان على الحكومة الصوفية واليد الخفية الراعية لها، أن تهيئ الجوانب المناسبة للمريدين، فكان الإيواء في التكايا وتوفير المأكل والمشرب والكساء لكل نزلاء هذه التكنات في زمن عزت فيه الأقوات وشاع الفقر والقهر إلا على نزلاء هذه التكايا والخانقاوات والأربطة. ويذكر المستشرق نيكلسون أن أول خانقاه بنيت للصوفية كانت بالرملة

٤٥٠– تفنيد الصوفية– عبد الرحمن عبد الخالق

بفلسطين وأن الذي أنشأها كان أميرا مسيحيا ٤٥١ !! ونقصد بالحكومة الصوفية كل جهة ترعى أو تؤيد أو تمول أنشطة الصوفية، ومنها جهات ومؤسسات أجنبية دينية ومدنية – قديمة ومعاصرة – ومراكز علمية وجامعات وأساتذة كبار ومشايخ في المؤسسات الدينية الرسمية، وكلها تروج للأفكار الصوفية تحت ستار الدين والعلم، فكم نسمع عن دراسات تمولها جهات علمية ودينية أجنبية معاصرة حول التصوف أو التشيع، بل وتجند المستشرقين لدراسة أشعار ابن الفارض أو للدفاع عن أباطيل الحلاج وضلال ابن عربي. واستكملت الحركة الصوفية بنيتها العقائدية في أواخر القرن الثالث، أي بعد مرور مئة وخمسين سنة تقريباً على نشأتها، ودان بها معظم العوام وجمهور المسلمين– إلا قليلا– وغرق المسلمون في عصور الظلام والجهالة، ولم يفيقوا حتى بعد أن دق الغزو الأوروبي أبواب بلادهم ، "ولم يجد علماء المسلمين ما يجابهون به الفاتحين من الفرنسيين إلا أن يقرؤوا كتاب البخاري!! وكان ذلك في القاهرة وفي الأزهر، ثم اصطحبوا نابليون وألبسوه جبة المشيخة، وأدخلوه في حلقة من حلقات الذكر!!" [٤٥٢]. ويعتقد عامة الصوفية أن

٤٥١– د. عبد الله عبد الرازق إبراهيم – أضواء على الطرق الصوفية في القارة الأفريقية

٤٥٢- عبد الرحمن عبد الخالق –تفنيد الصوفية

إبليس هو أفضل الموحدين وأكمل العباد وأفضل الخلق لأنه لم يسجد إلا لله بزعمهم وأن الله قد غفر له ذنوبه وأدخله الجنة، وكذلك فرعون عندهم أفضل الموحدين لأنه قال {أنا ربكم الأعلى} فعرف الحقيقة لأن كل موجود هو الله. بل وينكر عبد الكريم الجيلي– قبحه الله– في كتابه الإنسان الكامل " أن إبليس مخلوق من نفس محمد صلى الله عليه وسلم٤٥٣. ولا يهم في التصوف أن تخالف الشريعةُ الصوفية ظاهرَ الشريعة الإسلامية، فالحشيش والخمر واختلاط النساء بالرجال في الموالد وحلقات الذكر كل ذلك لا يهم لأن للولي شريعته تلقاه ا من الله مباشرة فلا يهم مخالفتها لما شرعه النبي محمد فشريعته للعوام وشريعة الصوفي للخواص. وأهل وحدة الوجود في الصوفية لا شيء يحرم عندهم ، فكان منهم الزناة واللوطية ومن يأتون الحمير . ومنهم من اعتقد أن الله قد أسقط عنه التكاليف وأحل له كل ما حرم على غيره. ويفاخر أبو يزيد البسطامي علماءَ الشريعة بقوله: " أخذتم علمكم ميتاً عن ميت، وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت، حدثني قلبي عن ربي، وأنتم تقولون: حدثني فلان، وأين هو؟ قالوا: مات، عن فلان وأين هو؟ قالوا: مات٤٥٤. ويقول الجنيد: " أُحب للمبتدئ ألا يشغل قلبه بهذه الثلاث،

٤٥٣- محمود المراكبي– عقائد الصوفية في ضوء الكتاب والسنة

٤٥٤– الفتوحات المكية ج١–ص٣٦٥

وإلا تغيرت حاله: التكسب وطلب الحديث والتزوج، وأحب للصـ وفي أن لا يقرأ ولا يكتب لأنه أجمع لهمه" [٤٥٥].

وللمتصوفة حكمهم الخاص على إسناد الحديث، فعن طريق الكشـ ف يتصلون رأساً بالنبي ويصححون الحديث أو يضعفونه، وبهـ ذا ينسـ فون علم الحديث من القواعد فتتهدم السنة . ولم يكتف المتصوفة بالنهي عـ ن العلم، بل جعلوا العلم عورة يجب أن تستر وتغطى، حتى إن شيخاً يـ رى مريداً له وقد سقطت منه محبرة، فيقول له: اخف سوءتك [٤٥٦]."و هذا عبد الكريم الجيلي يكتب كتاب ﴿الإنسان الكامل﴾ زاعماً أنه أخذه من الله، وأن الله أمره بإخراجه للناس وأن كل ما فيه مؤيد بالكتـ اب والسـ نة، فيقول : ".. ثم ألتمس من الناظر في هذا الكتاب بعد أن أعلمه أنـ ي مـ ا وضعت شيئاً في هذا الكتاب إلا وهو مؤيد بكتاب الله أو سنة رسـ وله ، فإذا لاح له شيء في كلامي بخلاف الكتاب والسنة فليعلم أن ذلـ ك مـ ن حيث مفهومه لا من حيث مرادي الذي وضعت الكلام لأجله فليتوقـ ف عن العمل به مع التسليم إلى أن يفتح الله تعالى عليه بمعرفته، ويحصل له شاهد ذلك من كتاب الله تعالى أو سنة نبيه" [٤٥٧]. ويؤكد في كتابه أن

٤٥٥- قوت القلوب:٣/١٣٥

٤٥٦- عن تلبيس إبليس لابن الجوزي ص٣٧٠

٤٥٧- نقلا عن تفنيد الصوفية

كل معبود في الأرض ما هو إلا الله ،وأنه ليس في الوجود إلا الله، فهو الرب والعبد، والشيطان والملاك.

وبدأ طور آخر من أطوار التصوف في القرن الرابع الهجري وكان رائده الحسين بن منصور الحلاج[٤٥٨]، وكان محتالاً مشعوذاً وملما ببعض حيل علم الكيمياء ، وكان من خداعه أنه يدفن في الطرقات أواني فيها ماء وأخرى فيها طعام فإذا طلب أحد أتباعه ماءً قال له أحفر هاهنا وإذا طلب طعاماً قال أحفر هاهنا.

وقد ظهر المتصوفة المجاذيب في القرنين التاسع والعاشر الهجريين وفيهم من كان يتظاهر بالعته والجنون إخفاء لأهداف دينية وسياسية، أو لكي يتسنى له الهرب من الشرطة والمراقبين. ومنهم سقيم العقل مريض النفس، وهؤلاء يلقون التكريم والتقديس من عوام المسلمين ظنا أنهم مقربون إلى الله ومستجابو الدعاء. وتأثر التصوف من النصرانية بفكرة التأمل والفناء، ومن ذلك ما ذهب إليه القديس "برنار" حيث يرى أن الحياة المسيحية الصوفية تتحصر في اتباع طريق النجاة، وهو في نظره قيام

١- هو الحسين بن منصور الحلاج الفارسي ولد بفارس سنة ٢٤٤هـ ، جده زاردشتي ، صوفي متكلم وله اتصال بالقرامطة له شطحات كثيرة ، وأقوال سقيمة منها قوله "ما في الجبة إلا الله" "وأنا الحق "ولا يؤمن بفريضة الحج وكان يكتفه كثير من الغموض وقد قتل مصلوباً بفتوى من علماء عصره سنة ٣٠٩هـ .

العابد الزاهد بالبحث والتأمل في نفسه و العالم والإله ، ويبدأ بالشهود وهو الإدراك اليقيني البعيد عن أي ريب في الحقيقة، وأخيراً ينتهي إلى الغيبوبة التي تكون الروح فيها شاغرة بنفسها فتسمو إلى مرتبة الاستمتاع بالصلة الإلهية، ولعل ذلك الإحساس أصل فكرة الفناء، وهم في ذلك كأتباع الطائفة " المهاريشية "[٤٥٩] الذين يصلون إلى ذلك عن طريق ﴿التأمل التجاوزي﴾ الذي يمكنهم – كما يعتقدون – من إدراك غير محدود، فالتأملات التجاوزية تتحقق بالاسترخاء وممارسة التأمل العميق حتى يشعر الإنسان بفيض من الراحة تتساب داخله، ويصاحب تلك الحالة تلقي الإلهامات والحلول لجميع المشكلات التي تعترض طريقه، ويحقق بذلك السعادة المنشودة. وكما في الديانات الهندية يعتقدون أن جميع أشكال الحياة تنبثق من ذات واحدة وهي فكرة ﴿وحدة الوجود﴾ كما يشابهون صوفيتا في ارتداء المرقعات ولباس الخرقة واستعمال السبح الطويلة ، فالباطل بعضه من بعض. ومما يُنكر على الصوفية الاستغاثة بغير الله تعالى، فهم والعوام يدعون المشايخ والمقبورين عند

٤٥٩– "المهاريشية" نحلة هندوسية انتشرت في أمريكا وأوروبا ولأتباعها ممارسات وطقوس كهنوتية من التأمل التصاعدي ﴿التجاوزي﴾ بغية تحقيق السعادة الروحية، ولها صلة بالماسونية والصهيونية

اشتداد الكروب فيقولون: يا عدوي، ويا عبد القادر، ويا بـ دوي ٤٦٠ . والغلو يفضي إلي غلو، فطلبوا من المشايخ الجنة والمغفرة ، حتى زعم أحدهم أن شيخه يجلس عند النار فلا يدع أحداً استغاثه يدخلها. وممن وقع في ذلك البوصيري ٤٦١حيث قال: يا أكرم الخلق مالي من ألوذ به سواك عند حلول الحادث العمم، والله يقول:"﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لاَ يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ .

ويعمد أعلام الصوفية ومشايخها إلى استخدام لغة غير مفهومة وألفاظ مضخّمة حتى يتوهم الأميون وأشباه المتعلمين من أتباعهم أنها علوم مركبة فوق أفهامهم ويقبلونها دون شك أو استفسار ثقة منهم في مشـ ايخهم، أو سترا لجهلهم، أو ادعاء للمعرفة وسعة العلم. وهم يسـ تخدمون الألفـ اظ

٤٦٠– تنيع إذاعاتنا تراتيل دينية ، و" يُتغنى" في مساجدنا بتواشيح دينية فيها طلب المدد من النبي وأبي بكر وعمر وعثمان وعلي ، ومنها ما يصرح بأن النبي هو أول خلق الله ، وغير ذلك مما فيه مخالفة صريحة لصحيح الدين .

٢ – هو محمد بن سعيد البوصيري المصري . والبوصيري نسبة إلى " أبو صير " من أعمال بني سويف بمصر ، وأمه منها ، وأصله من المغرب ، وتوفى بالإسكندرية. عاش بين عامي ٦٠٨– ٦٩٦هـ . ، ١٢١٢– ١٢٩٦م . له ديوان شعر وأشهر أشـ عاره البردة . وسميت البردة بهذا الاسم –كما زعموا – لأن البوصيري أصيب بشلل نصفي ، فأنشدها فرأى الرسول صلى الله عليه وسلم في المنام فألقى عليه بردته فبرئ

المبهمة في أنكارهم وكتبهم. اسمع قولهم "المُقنع" في إثبات إمكان حـ دوث الكرامات والمعجزات للمحتالين منهم يقولون:" المستحيل هو الذي لو قدر وجوده لزم منه محال عقله ولا يلزم من تقدير وجود الكرامات محال عقله وباطل أن يكون جريان الكرامات علي الأولياء وجوبا "٤٦٢. ومن هذه الغوامض والمبهمات ما يكون بقصد استرهاب المغفلين من الأتباع بصياغة الكلام في شكل له جرس يحاكي جرس القرآن . اسمع قولهم في الحزب الكبير لإبراهيم الدسوقى:" ألم فلووا عما نووا، فعموا وصموا عما نووا، فوقع القول عليهم بما ظلموا فهم لا، أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا، وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا، يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض فانفذوا لا، لا آلا إلا آلاؤك يا الله.....، ويقولون: كدك دكدد كرده كرده ده ده ، الله رب العزة....، ويقولون: طهور، بدعق، محبيه، صوره، محبيه، سقاطيم، أحون، ق، أدم، حم، هاء، أمين " ٤٦٣. ولا توجد أخطاء طباعية فيما كتبناه. وهو كلام لا تعرف له فائدة فهو فاسد المعنى مستحيل الفحوى، ولا يعول منه على نتيجة. تلك هي أنكارهم التي شرعها لهم أربابهم من دون الله. وكفى بالمرء جهلا أن

٤٦٢– ابن عطاء الله السكندري– لطائف المنن

٤٦٣– د. عامر النجار– الطرق الصوفية في مصر– طبعة دار المعارف

يتوهم أن هذا هو الإسلام الحنيف، فشتان بين العذب والأجاج، بين النور والظلام.

ولا يقتصر خطر التصوف على أنه انحراف عقائدي وسلوكي، وإنما في تصويره الإسلام في صورة شوهاء تصرف الناس عنه. فمن يجهل الإسلام يعتقد أنه لا يختلف عن العقائد الوثنية التي يعتنقها المتوحشون في أحراش أفريقيا. وغيّب التصوف بساطة الإسلام الحنيف تحت حواجز كثيفة من التخريف والتحريف. والوثنية التي جاء الإسلام لتقويضها كانت وثنية ساذجة بسيطة انحصرت في تمثال من حجر أو من عجوة يعبده الأعرابي الساذج الذي إن سألته من خلق السماوات والأرض، يجيبك من فوره: إنه الله. ولكن الصوفية دفعت بالإسلام تجاه وثنية مركبة تصور الله في كل الموجودات من الحجر والشجر والناس وذلك هو قولهم في وحدة الوجود. وينسبون إلى مشايخهم صلاحيات إلهية ما قال بها وثنيو الجاهلية الغابرة. ووسّعت الصوفية دائرة الشرك حتى وسِعت تقديس القبور والمقبورين والأضرحة وطلب المدد والغوث من الرمم المدفونة بها، ووسعت عبادة المشايخ والأولياء ، ألم يشرّعوا لهم ملة جديدة؟ وزعموا لأنفسهم فوق مقام النبوة، ألم يدّعوا علم الغيب إذ ورثوا مفاتيحه من النبي، في حين أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن يعلم ما يُفعل به غدا . والله يقرر في كتابه الكريم أنه وحده عالم الغيب، ولكن

الصوفية يكذّبون . ومصدر عقيدة المسلم هو القرآن والسنة ولكن الصوفية يستمدون ملتهم من الكشف والفيض أي ما يكشف لمشايخهم من مكن ون العلم وما يفيض على قلوب أوليائهم من الحقائق العلوية، وما وافقهم من القرآن والسنة أخذوه وما خالفهم طرحوه وراء ظهورهم أو أوّلوه وحرّفوا معانيه.

ويتراوح اعتقاد الصوفية في الرسول صلى الله عليه وسلم بين محقِّر له إذ يجهل علوم التصوف: قال البسطامي: "خضنا بحرا وقف الأنبياء بساحله"، وبين من يغالى في تعظيمه – أي الرسول– حتى يرفعه إلى مقام الألوهية فيعتقد بعضهم أنه هو الله المستوي على العرش وأن السماوات والأرض بما ومن فيهن خلقت من نوره وأنه أول موجود وهو المستوي على عرش الله وهذه عقيدة ابن عربي٤٦٤ ومن جاء بعده.

٤٦٤- ابن عربي :هو محي الدين بن محمد بن على الطائي ، الحاتمي ، صوفي ومتكلم وفقيه وأديب ومفسر ، ولد بالأندلس سنة ٥٦٠هـ .كان يلقب بالشيخ الأكبر والكبريت الأحمر، له أراء سقيمة أنكرها عليه كثيرٌ من أهل عصره واتهموه بالزندقة وعمل بعضهم على قتله خاصة في مصر، وحرم الشيخ جلال الدين السيوطي النظر في كتبه ، له مؤلفات كثيرة منها الفتوحات المكية، وفصوص الحِكَم ، ويبني ابن عربي على وحدة الوجود وحدة الأديان ،وغير فكرة التوحيد بقوله ليس في الوجود على الحقيقة إلا الله ولا معبود في الواقع إلا الله وقد قال عن

وقارن بين هذا الخلط والتجديف وبين قول الحبيب المصطفى عليه الصلاة السلام عندما قال له أحدهم "ما شاء الله وشئت"، فقال: أجعلتنى لله عدلاً ﴿نداً﴾؟ بل ما شاء الله وحده. والحقيقة المحمدية في زعم الصوفية هي أن النبي هو أول شيء خلقه الله[٤٦٥]، ثم خلق منه الكون. والنبوة فضل يؤتيه الله من يشاء من عباده، ولكن الصوفية يزعمون أن النبوة نتيجة لممارسة الرياضة الإشراقية والمجاهدات النفسية، حتى قال الصوفي الشهير "ابن سبعين"[٤٦٦]: "لقد ضيَّق ابن آمنة – يقصد النبي صلى الله عليه وسلم – واسعاً عندما قال: لا نبي بعدي". والولي عند الصوفية هو من غُيبت خصائصه البشرية وأُعطي بدلا منها قدرات

نفسه كيف يحبس من حل منه اللاهوت في الناسوت. وكانت وفاته عام ٦٣٨هـ. بدمشق ودفن فيها وله قبر يزار في أيامنا هذه.

٤٦٥– واسمع في التواشيح الدينية التي تذيعها الإذاعات وفي المساجد من يقول وصفا للنبي: "يا أول خلق الله"

٤٦٦- ابن سبعين: هو عبد الحق بن محمد الاشبيلي المرسى القرمطي، ولد سنة ٦١٤ وتوفى سنة ٦٦٩ هجرياً، وتوفى منتحراً، قيل أنه فصد الدم من يديه وتركه ينزف حتى تصفى فمات

إلهية: فينزل المطر ويحيى الموتى ويشفى المرضى ويحافظ على العالم . وإن لم يكن ذلك هو عين الشرك فما في الدنيا شرك.

الصوفية وقولهم بالحلول والاتحاد ووحدة الوجود:

يقول الصوفية إن لا وجود لله إلا في ضمن جزئياته، فالله– بزعم القائلين بوحدة الوجود – أمر كلي موجود فقط في صورة مخلوقاته حتى الخنازير منها والكلاب – تعالى الله علوا كبيرا عما يصفون – ذلك م ا يفتريه فقهاء الصوفية ومفكروهم كابن عربي وغيره.

وتراوح ضلال الصوفية بين القول بالحلول والاتحاد وب ين وح دة الوجود. والحلول –كما يزعمون – هو حلول الذات الإلهية في ذواتهـ م وحلول الله في جميع أجزاء الكون: في البحـ ار والجبـ ال والإنسـ ان والحيوان والنبات، والحلول يعني وجود شيء داخل شيء آخـ ر دون أن

يفقد أحدهما طبيعته، فتحل الذات الإلهية في الذات الإنسانية أي حلول اللاهوت في الناسوت . ومنهم من يقصر هذا الحلول على البعض دون البعض مثلما تقول بعض فرق الشيعة بحلول الله في علي بن أبي طالب وسائر الأئمة من آل البيت. وقالوا بالاتحاد أي اتحاد ذواتهم مع الذات الإلهية، فنرى من الصوفية الجيلانية – مثلا– من يقول باتحاد الشيخ طريقتهم الجيلاني[٤٦٧] بالذات الإلهية ، ومن أشهر من قال بهذا الإفك الصوفي الشهير الحلاج الذي كفّره العلماء وصلب في سنة ٣٠٩ هجرية، وهو صاحب مدرسة الاتحاد والحلول، وهو من يقول: أرى ربي بعين قلبي، فأقول له : من أنت؟ فيقول لي: أنت!

كذلك يقول أبو الحسن الشاذلي:" الناظر للكائنات غير شاهد للحق فيها غافل. ويقول: هل في الوجود أحد سوى الملك الحق؟ [٤٦٨]".

وانتهى بهم الخلط بالقول "بوحدة الوجود" بمعنى نفي الإثنينية بين الخلق والخالق والقول بأن الله أمر كلي لا وجود له إلا في ضمن

٤٦٧– الجيلانية : تنسب إلى عبد القادر الجيلاني ٤٧٠ – ٥٦١هـ المدفون في بغداد حيث تزوره كل عام جموع كثيرة من أتباعه للتبرك به ، اطلع على كثير من علوم عصره ، وقد نسب أتباعه إليه كثيراً من الكرامات

٤٦٨– لطائف المنن– ابن عطاء الله السكندري

جزئياته. فالله-بزعمهم- موجود فقط في صورة مخلوقاته ولـ يس فـ ي الحمق أعظم من دعواهم هذه ، وفاتهم أن المؤلَّف لابد له مـ ن مؤلِّ فـ. ومن كان هذا دينهم فهم بلا دين، ومن كان هذا إيمانهم فهم كفرة.

ويحكي شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – عن ذلك فيقول: "مـ رّ شيخان منهم، التلمسانى والشيرازى، على كلب أجـ رب ميـ ت، فقـ ال الشيرازى للتلمسانى: هذا أيضا من ذاته؟ ﴿ أي مـ ن ذات الله ﴾ فقـ ال التلمسانى: هل ثمّ شئ خارج عنها "؟ ويقول الشاذلي:" إنا لا نرى أحدا من الخلق، هل في الوجود سوى الملك الحق؟ "[٤٦٩] .

وللصوفية في ذلك أقوال ومصطلحات: كـ القول بالفنـ اء بمعنـ ى الاستهلاك في الله بالكلية، حيث يختفي نهائياً شعور العبد بذاتـ ه ويفنـ ى فينسى نفسه وما سوى الله. وأول من قال بذلك في الإسلام هو الصـ وفي أبو يزيد البسطامي. ويقولون بالمقامات وهي منازل روحية يمر بها السالك إلى الله فيقف فترة من الزمن مجاهداً في إطارها حتى ينتقل إلى المنـ زل الثاني. والأحوال هي النسمات التي تهب على السالك فتنتعش بها نفسـ ه لحظات خاطفة، وغير ذلك من زخرف القول ومبهمه مما أخـ ذوه مـ ن مصادر دخيلة علـ ى الإسـ لام كالهندوسـ ية والبوذيـ ة والأفلاطونيـ ة

٤٦٩- الطرق الصوفية في مصر – د.عامر النجار

والزرادشتية، فيضلون به المغفلين والدهماء في أزمان ساد فيها الجهل والأمية. وبدءا من القرن الخامس شرع المتصوفة يصدرّحون باسم الحلاج، ويشهدون بفضله، فأشاد به أبو حامد الغزالي، وابن عربي، وغيرهما. و صور الكثيرون من المثقفين والكتاب المعاصرين الحلاج في صورة الثائر على الفساد والشهيد من أجل الدين. وما روجه الحلاج من أباطيل آمن بها الكثيرون من معاصريه، ولكنهم كتموا ما أعلنه مخافة القتل، يقول الشبلي: "كنت والحسين بن منصور – الحلاج – شيئاً واحداً إلا أنه أظهر وكتمت". وغفل المسلمون عن معرفة أعداء دينهم، مثلما هم غافلون الآن، وراح فريق منهم يعظم الحلاج وابن عربي والجيلي، وابن سبعين.. وغيرهم، بينما يكفرهم فريق آخر. وبين التعظيم والتكفير تاه المسلمون ولم تتفق كلمتهم على رأي قاطع بشأن هؤلاء المحتالين. ومثل ذلك كثير، فطائفة تكفر أخرى على مسائل معلومة الصحة لدى البعض ومعلومة الخطأ لدى البعض الآخر، وكلا الفريقين له علماؤه ومشايخه،وكلهم يرى أنه المسلم الوحيد الذي يحتكر الحق دون سواه .

ولما قرئ علي الصوفي الشهير التلمساني كتاب "فصوص الحكَم" الذي ألّفه ابن عربي وقيل له إن القرآن يخالف فصوصكم، فقال: القرآن كله شرك، وإنما التوحيد في كلامنا، فقيل له فإذا كان الوجود واحدا فلمَ كانت الزوجة حلالا والأخت حراما، فقال الكل عندنا حلال، ولكن هؤلاء

المحجوبين!! قالوا حرام فقلنا حرام عليكم. وإذا كان الوجود واحدا، فمن المحجوب ومن الحاجب؟ ولهذا قال بعض شيوخهم لمريده من قال لك إن في الكون سوى الله فقد كذب، فقال له مريده فمن هو الذي يكذب؟

تقول العرب إن الرجال أربعة: رجل يعلم ويعلم أنه يعلم فذاك عالم فتعلموا منه، ورجل يعلم ولا يعلم أنه يعلم فذاك نائم فنبهوه، ورجل لا يعلم ويعلم أنه لا يعلم فذاك جاهل فعلموه، ورجل لا يعلم أنه لا يعلم فذاك أحمق فاجتنبوه . وانتشرت عقيدة الحلول والاتحاد منذ القرن الثالث الهجري ، وقال ابن عربي بعد ذلك بوحدة الوجود، وهي فرية قال بها كثيرون قبل الإسلام، ولكن ابن عربي هو من أعطاها شكلا إسلاميا. وروج لها بعد ذلك كل رجال التصوف وأعلام هذه العقيدة كابن سبعين، والتلمساني[٤٧٠]، وعبد الكريم الجيلي وعامة رجال الطرق الصوفية المحدثين.

و عقيدة وحدة الوجود لا تجعل في النهاية فرقاً بين الزنديق والمؤمن، ولا بين الأخت والأجنبية، ولا بين الملَك والشيطان، بل ولا بين العبد والرب على حد قول ابن عربي الذي يقول:

١- العفيف التلسماني ﴿٦١٠ - ٦٩٠هـ﴾: هو سليمان بن علي الكومي التلمساني، يلقب بعفيف الدين، يقول عنه الذهبي إنه أحد زنادقة الصوفية، ويقول ابن كثير "وقد نسب هذا الرجل إلى عظائم في الأقوال والاعتقاد في الحلول والاتحاد والزندقة والكفر المحض "

العبد رب والرب عبد يا ليت شعري من المكلف؟!

إن قلت عبد فذاك ربٌّ وإن قلت رب أنى يكلف؟!

ومحيي الدين بن عربي ولد في مدينة مرسية بالأندلس واستقر به المقام في الشام. ومدينة مرسية فيما يبدو كانت بؤرة لتفريخ دعاة الإفك الصوفي، إذ نشأ بها أيضا كل من الصوفي الشهير أبو العباس المرسي، وابن سبعين . وزعم ابن عربي أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد أملاه كتبه ، وأنه نقل عن اللوح المحفوظ بلا وساطة. وانظر إلى بعض ما جاء به ابن عربي من كفريات زاعما أن النبي الكريم قد أملاه إياها وطلب منه تبليغها إلى الناس، يقول: " إن قوم هود الكافرين كانوا على الصراط المستقيم، وإن فرعون كان مؤمناً كامل الإيمان، وإن قوم نوح كانوا مؤمنين، فجازاهم الله بأن أغرقهم في بحار الوحدة، وأدخلهم نار الحب الإلهي لينتعموا فيها، وإن هارون أخطأ لأنه نهى بني إسرائيل عن عبادة العجل، وما كان العجل إلا المعبود الحق، أو صورة من صور المعبود الحق، وإن قوم نوح أصابوا في عدم تركهم وداً وسواعاً ويغوث ويعوق ونسراً ﴿ أصنام كانوا يعبدونها ﴾ لأنها مظاهر للإله الواحد، وإن النار عذوبة لا عذاب، وإنه ما من إنسان إلا مرحوم مرضي عنه، وإن الله لا يعلم شيئاً قبل وجوده، لأن وجود الشيء هو وجود العلم، بل وجود كل شيء هو ترجمة لوجود الله ، وادعى أن كل

ذلك قد نقله بلا زيادة ولا نقصان عن الرسول الذي أمـ ره بتبليـ غ ذلـ ك للناس"[٤٧١].

وهاهو ابن عربي ينفض جُبّته ويقول: ما في الجـ بُـ ـّة إلا الله.

وهو القائل في فص حكمة!!، وهو يُخاطب الله :

فأنت عبد وأنت رب لمن له فيه أنت عـ . بد

وأنت رب وأنت عبد لمن له في الخطاب عهد

والمنهج الصوفي يرى عدم جواز مقاومة الشر ومغالبة السـ لاطين لأن الله في زعمهم أقام العباد فيما أراد. يقول الشعراني: "لقد أخذ علينـ ا العهد بأن نأمر إخواننا أن يدوروا مع الزمـ ان وأهلـ ه كيفمـ ا دار، ولا يزدرون من رفعه الله عليهم، ولو كان في أمور الدنيا وولايتهاكل ذلـ ك أدباً مع الله عز وجل الذي رفعهم، فإنه لم يرفع أحداً إلا لحكمة هو يعلمها " . وبهذا المنطق ينكر الصوفية مجاهدة الكفار بالسيف فهم يـ رون أن الله قد أقام الكفار في ما أراد. ويقرر "التيجاني" أنَّ "كل ذرة في الكون إنما هي مرتبة من مراتب الحق سبحانه وتعالى، ويتجلى فيها بما شاء من أفعاله ، والخلق كلهم مظاهر أحكامه ويستوى في ذلك جميع المخلوقات فلا فرق بين المؤمن والكافر فإنهما سواء .

وماذا عن هلاوس وتخاريف الصوفية في ضوء علم النفس؟:

٤٧١- تفنيد الصوفية

لا نتفق في الرأي مع من يرى أن علم النفس والاجتماع فشلا في استكناه ظواهر التصوف[٤٧٢]، فمن الميسور لمن له دراية بمبادئ علم النفس أن يصنف الكثير من سلوكيات المتصوفين ضمن الأمراض النفسية والذهانية، فمنهم من يعاني من جنون العظمة فيظن أنه يرى الملائكة ويحادثهم ويتلقى عنهم، ومنهم من يتوهم أنه يقابل نبي الله الخضر، بل ويقابل النبي محمد صلى الله عليه وسلم ويلتقي به في اجتماعات أسبوعية. ومنهم من يحادث الميت الذي يخرج يده ليصافحه من القبر، ومنهم من يظن أن الميت يخرج من قبره ليعينه على فض بكارة زوجته ويصنع له الحلوى احتفالا بالمناسبة، ومنهم من يظن أنه صعد إلى السماوات العلى، ومنهم من يظن أنه كان مع أنبياء الله إبراهيم ونوح. وهم يعتبرون المعتوه الذي يهيم في الشوارع عاريا موصولا بالله ومحل البركات، ومنهم من يديم الحملقة في السماء ليتسمع آذان الملائكة في الملأ الأعلى﴿ ياقوت العرشي﴾. وكان الشيخ أحمد الفاروقي يقول:"كثيراً ما كان يُعرجُ بي فوق العرش وأرتفع فوقه بمقدار ما بين مركز الأرض وبينه، وقال "وأعلم أني كلما أريد العروج يتيسر لي" [٤٧٣]. وزعم أن "

٤٧٢–انظر التصوف في مصر والمغرب – للدكتورة منال عبد المنعم جاد الله– ص١٣

٤٧٣–المواهب السرمدية ١٨٤ الأنوار القدسية ١٨٢

الكعبة كانت تطوف به تشريفاً له" [٤٧٤]. ويقول الصوفية بما يمكن اعتباره من الهلاوس البصرية التي تعن للـ ذهانيين، فيقولـ ون "كـ ان الجـ ن يحضرون حلقات دروس الصوفي الشعراني، وإنهم في بعض الأحيـ ان كانوا يعابثونه ويزعجون أولاده، وقد دخل مرة في حمام فنزل معه جـ ان تمكن الشعراني من الركوب فوقه حتى أزهق روحه ونجا الحمام ومـ ن كان يدخله بعد ذلك من أذى هذا الجان المشاكس، وإن الجن أرسلوا مـ ع زعيم لهم – جاءه على صورة كلب أصفر وقفز من نافذة غرفته – أسئلة يجيب عنها، فأجاب عنها في كتاب* عنوانه: كشف الحجاب والران عن وجه أسئلة الجان". ٤٧٥ وإن لم يكن في هذا الكلام جنون، فما في الدنيا مجنون. وبعض المفكرين يعدون الشعراني من أئمة الاجتهاد بل مجـ دد القرن العاشر، وانظر كم هان الإسلام على أهله .

وكان ابن عربي يغالي في مدح نفسه ويدعى لنفسه الإحاطة التامـ ة بكل علوم القرآن والسنة والفلسفة وعلوم اليهود والنصارى ، وأن كتبـ ه كلها معصومة من الخطأ، وأنه لا يكتب شيئاً إلا عن وحي يوحى، وأنه

٤٧٤–المواهب السرمدية ١٨٥ الحدائق الوردية ١٨٠ البهجة السنية ٨٠ والحاوي للفتاوى ٢٢٠/١ للسيوطي

*–نشر هذا الكتاب بمطبعة حجازي وحققه محمد عبد الله عبد الرازق

٤٧٥–عبد الحفيظ فرغلي–عبد الوهاب الشعراني ص١٦٧

يعلم ما في اللوح المحفوظ. ويزعم الشعراني في كتابه الطبقات الكبـ رى أن شيخه الخواص يعلم ما يكتب في اللوح المحف وظ سـ اعة بسـ اعة. وزعم أحمد بن المبارك أن شيخه الأمي عبد العزيز الدباغ يعلـ م اللـ وح المحفوظ ويعلم أنه مكتوب بالخط السرياني! والصوفي الشـ هير ابـ ن سبعين[1] ٤٧٦ كان ينكر على الطائفين طوافهم بالبيت الحرام، ويصفهم بأنهم كالحمير حول المدار، ويرى أنه من الأفضل لهم لو طافوا حوله هـ و بدلا من البيت الحرام، ويظن أن النبوة مكتسبة وأنها فيض يفيض على العقل، لذا كان يمضى وقته في غار حراء انتظارا للوحي، وتوفـ ى منتحراً، قيل أنه فصد الدم من يديه وتركه ينزف حتى تصفى فمات. وكان الصوفي الشهير عبدالقادر الجيلاني يقول: قدماي هاتان على رقبة كل ولي لله تعالى من لدن آدم إلى النفخ في الصور .

و ممن ادعى ختم الولاية لنفسه الشيخ الميرغني ٤٧٧، الذي كـ ان يقول عن نفسه "من رآني ومن رأى من رآني إلى خمسة لم تمسه النار! ولا حرج على ذلك فإن الله يختص برحمته من يشاء" ٤٧٨.

١–ابن سبعين هو عبد الحق بن محمد بن نصر الاشبيلي المرسى القرمطي، ولد سنة ٦١٤ وتوفى سنـ ة ٦٦٩ هجريـ اً

٤٧٧– محمد عثمان الميرغني ختم الولاية السوداني المتوفي سنة ١٢٦٨هجرية

٤٧٨–انظر تاج التفاسير لمحمد عثمان الميرغني ص٤

وماذا عن باقي التخريف الذي اصطنعه الصوفية وزعموه من الدين؟ اسمع:

يزعم النقشبنديون ﴿أتباع الطريقة الصوفية النقشبندية﴾ أن بهاء الدين نقشبند ﴿مؤسس طريقتهم﴾ كان يقول للرجل "مُت" فيموت ثم يقول له "قم حياً" فيحيا مرة أخرى" ٤٧٩، وأنه كان يطلب المدد من كلاب الحضرة النقشبندية . ويقول إبراهيم الدسوقي ٤٨٠' وهو من أشهر الصوفية في مصر، وهو عندهم القطب الأعظم : "قد كنت أُنا وأولياء الله تعالى أشياخاً في الأزل بين يدي قديم الأزل، وبين يدي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإن الله عز وجل خلقني مِن نور رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –أي: في الأزل– وأمرني أن أخلع على جميع الأولياء، فخلعتُ عليهم بيدي –أي: ألبسهم– فقال لي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يا إبراهيم أنت نقيبٌ عليهم، أي: على الأولياء "، يقول: "فكنتُ أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم، وأخي عبد القادر، أي عبد القادر الجيلاني شيخ الطريقة القادرية – خلفي، وابن الرفاعي، أي أحمد الرفاعي شيخ الرفاعية، خلف عبد القادر، ثم التفت إليَّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقال:يا إبراهيم! سر إلى مالك –خازن النيران– وقل له

٤٧٩–المواهب السرمدية ١٣٣ الأنوار القدسية ١٣٧ جامع كرامات الأولياء ١٤٦/١

٤٨٠- كما في ترجمته من طبقات الشعراني

يغلق النيران، وسر إلى رضوان –خازن الجنة– وقل له يفتح الجنان، ففعل مالك ما أُمر به، وفعل رضوان ما أُمر به ". ونجد من حمق المسلمين من يصدق ذلك ويظنونه الإسلام.

ويقول الشيخ الجيلانى كبير الطريقة الصوفية القادرية إنه هو الواحد الصمد، وهما من أسماء الله تعالى . وأصحاب الطريقة القادرية لا ينكرون ذلك، ويقول:" أنا الذاكر المذكور ذكرًا لذاكر،أنا الشاكر المشكور شكرا بنعمه، أنا السامع المسموع في كل نعمه،أنا الواحد الفرد الكبير ٤٨١.

ولما كان كلام الأحمق أقوى الأدلة على حمقه، فاسمع إلى قول الشيخ الجيلانى من أنه قد عُرج به مع النبي الكريم صلى الله عليه وسلم في ليلة الإسراء والمعراج، وهو زعم شاركه فيه كثير من محتالي الصوفية[٤٨٢]، بل وأراد أن يكون له من الفضل ما لم يكن للنبي، فزعم أنه شهد الطوفان مع نوح، وما دام يجد من الأنصار والحمقى من يصدقونه، فلمَ لا يدعي لنفسه قدرات الله ، فزعم أنه هو الذي أمر النار أن تكون بردا

٤٨١– كتاب الفيوضات الربانية في المآثر والأوراد القادرية ص ٤٧

٤٨٢–زعم العروج مع النبي كثير من كبار مشايخ الصوفية غير أحمد التيجاني مؤسس الطريقة التيجانية ، إذ شاركه هذا الزعم الصوفي أحمد بن هلال الحساني وغيره

وسلاما على سيدنا إبراهيم إذ شهد إلقاءه في النار [٤٨٣]. وزعم أن أمره أمر الله وأنه يعلم عدد نبات الأرض وعدد أمواج البحر ويعلم عدد رمل الأرض، ويعلم علم الله ويحصى حروفه، ولا تجد عاقلا من أتباع هذه الطريقة ينكر هذا الإفك الواضح البطلان. ويقول: " إن أمري أمر الله إن قلت كن يكن وكل بأمر الله أحكم بقدرتي. وأعلم نبات الأرض كم هو نابت. وأعلم رمل الأرض كم رملة هو، وأعلم علم الله أحصى حروفه، وأعلم موج البحر كم موجة هو " [٤٨٤]. والجيلانى يزعم أنه يحمى أتباعه في الدنيا ويوم القيامة من كل شر ويدعوهم للاستغاثة به! فيقول: "مريدي لك البشرى تكون على الوفاء، إذا كنت في هم أغثك بهمتي، مريدي تمسك بي وكن واثقاً لأحميك في الدنيا ويوم القيامة أنا لمريدي حافظ مما يخافه وأنجيه من شر الأمور، وكن يا مريدي حافظاً لعهد وما أكن حاضر الميزان يوم الوقيعة" [٤٨٥] ويطلب الجيلانى من أتباعه أن يستغيثوا به

١-كتاب الفيوضات الربانية في المآثر والأوراد القادرية ص ٤٧ : ﴿قال الشيخ الجيلانى "أنا كنت في العليا بنور محمد وفى قاب قوسين عند اجتماع الأحبة ،أنا كنت مع نوح أشاهد في الورى بحاراً وطوفاناً على كف قدري. وكنت مع إبراهيم ملقى بناره وما بردّ النيران إلا بدعوتي

٤٨٤- الفيوضات الربانية في المآثر والأوراد القادرية ص٣٣-٣٦

٤٨٥- الفيوضات الربانية في المآثر والأوراد القادرية ص٤٧

ويدعوه. وقال النبي صلى الله عليه وسلم "إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله "[٤٨٦]، فدعاء أي مخلوق من دون الله كفر وضلال ، ويزعم الجيلانى أنه يحمى أتباعه من صوفيي الطريقة الجيلانية من البأساء والضراء في الدنيا وهم في رعايته يوم القيامة .

والنبى صلى الله عليه وسلم وهو أفضل الخلق لا يملك لنفسه ولا لغيره نفعاً ولا ضراً قال تعالى ﴿قُلْ إِنِّي لا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلا رَشَدًا قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴾[٤٨٧].

ويرى الصوفية أن اكتساب الصلة بالله تتم بوضع صورة الشيخ في مخيلة المريد عند ذكر الله، وهذه الصلة تسمى الرابطة. ويكون شيوخ الطريقة من الإنس أو الحيوانات أو الطيور كالجياد والقطط والصقور . قال صاحب الرشحات: "وأما الحيوانات فلنا منهم شيوخ، ومن شيوخنا الذين اعتمدت عليهم الفَرس فإن عبادته عجيبة، فما استطعت أن أتصف بعبادتهم". وزعم أن السالكين يرون الله بالطريقة التجلية فيرون الله في جميع الأشياء من إنسان ونباتات وحيوانات بل ويتجلى الله في شكل فرس[٤٨٨]. فالله عندهم يتشكل ويظهر بأشكال مختلفة. وفي الوقت الذي

٤٨٦- رواه الترمذى

٤٨٧- الجن٢١، ٢٢

٤٨٨- البهجة السنية ص٦ رشحات عين الحياة ص١٣٣ لعلي الهروي

يعتقدون فيه أن الله ظل، يعتقدون أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يرى له ظل لا بالليل ولا بالنهار لأنه نور محض [٤٨٩]. وإذا كان هذا هو الدين الذي يدين به المسلمون،أو معظمهم، ألا يحق لغير المسلمين – ممن لا يعرفون حقيقة الإسلام الحنيف– أن ينصرفوا عنه بعد تصويره في هذه الصورة الشوهاء؟

وكان الشيخ بهاء الدين نقشبند يجتمع بأرواح سلسلة المشايخ النقشبندية ويأخذ العهد والولاية والتكليف منهم في المقبرة [٤٩٠]. "ولما مات بنى أتباعهُ على قبره قبة عظيمة وجعلوه مسجداً فسيحاً، ولم يزل يستغاث بجنابه ويُكتحل بتراب أعتابه ويُلتجأ إلى أبوابهِ" ٤٩١.

والنقشبنديون يثبتون لمشايخهم العلم بالغيب في الوقت الذي نجد بعضهم يصرحون بنفي علم الله للغيب كما نقله صاحب الرشحات عن أولياء النقشبندية أنه قال: "إن الله تعالى ليس عالماً للغيب" ونسب السر هندي أصل هذا القول إلى ابن عربي. [٤٩٢] ويقول أبو الحسن الشاذلي : "أطلعني الله على اللوح المحفوظ، فلولا التأدب مع جدي رسول الله لقلت

٤٨٩–[نور الهداية والعرفان ٢٤]

٤٩٠–[المواهب السرمدية ١١٣]

٤٩١–[المواهب السرمدية ١٤٢]

٤٩٢–[رشحات الحياة ١٥٣ المكتوبات الربانية للسرهندي ١٠٦]

هذا سعيد وهذا شقي" [٤٩٣]. وقد كان للشيعة السبق في الاجتراء على الله بنفي علمه للغيب وإثباته لأئمتهم؛ حين قالوا بالبداء وهو أن الله يغير رأيه بعد أن يتبين له ما يقتضي تغيير رأيه بما خفي عليه. ويعتقد النقشبنديون أن المؤسس الأول لطريقتهم هو أبو بكر الصديق. وكان يستعمل طريقة الذكر النقشبندية بحبس النفس ولا يتنفس إلا في الصباح وكان الناس يشمون رائحة اللحم المشوي فأخبرهم النبي صلى الله عليه وسلم أن هذه الرائحة كبد أبي بكر من كثرة ذكره لله [٤٩٤].

كان ذلك طرفا من أعراض جنون العظمة والهلاوس المرضية التي يعاني منها بعض مشاهير الصوفية ومشايخها، فمنهم من كان يعاني خرف الشيخوخة، أو يقاسي من أمراض عصابية أو ذهانية، فيرى الملائكة ويقابل النبي ويصعد للسماء ويطلع على اللوح المحفوظ.

٤٩٣-إرغام المريد شرح النظم العتيد لتوسل المريد برجال الطريقة النقشبندية ٣٩

٤٩٤- إرغام المريد للكوثري ص٣٠ وانظر مجلة منار الهدى ٢٠/١٦

خلية الشيخ والمريد

قد يكون الشيخ الصوفي الولي سكيراً أو زنديقاً، أو طفلاً صغيراً، أو مجذوباً ضاع عقله أو متخلفاً عقلياً يتضاحك الصبيان منه ولكنه يكون ولياً ربانياً وعالما بأمور الغيب، ومشاهدا للحضرة الإلهية والرسولية، والخضرية ﴿نسبة إلى الخضر﴾ . وشيوخ الطريقة قد يكونون من الإنس أو الحيوانات أو الطيور كالجياد والقطط والصقور ومن مشايخ الصوفية من يزني ويلوط عياناً بياناً، ويشرب الخمر جهاراً نهاراً فالولي لا تضره معصية أبداً، فالخمر التي يشاهدها الناس خمراً ينقلب في بطن الولي لبناً خالصاً، والزانية الفاجرة التي يرى الناس الولي بصحبتها تكون زوجته. و الولي يتصرف في الأكوان ويقول للشيء كن فيكون .

التنظيم الصوفي مكون من وحدات أولية تتجمع في تشكيل مركّب هو الطريقة الصوفية. والوحدات الأولية مكونة من خلية الشيخ والمريد. والشيخ نظريا يتمتع بقدرات خارقة موهومة، وتلفه قداسة إلهية لا تجوز معه مخالفته أو عصيانه في الواقع أو الخيال. وفي المقابل يكون المريد مطيعا شيخه بلا حدود ويتعين عليه أن يكون معه كالميت في يد الغاسل. يقول أحد مشايخ الصوفية: "لو بصقت على النار لأطفأتها "، و يقول

آخر:"أعطاني الله التصريف في الخلق"، ويقول ثالث:" سبحاني ما أعظ م شأني "، ويقول آخر:" إن بطشي أشد مـ ن بط ش الله "،....ويق ول الحبيب المصطفى سيد ولد آدم:"والله إني لرسول الله لا أدري ما يُفعل بي غداً ، ويقول: اعلموا أنه لا يدخل أحدكم الجنة بعمله، قالوا ولا أنت يـ ا رسول الله، قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل" .

وفي التربية الصوفية يُطلب من المريد استحضار صورة شيخه عند الذكر ويطلب منه ربط روحه بروح الرسول الذي يزعمون أنه يف يض العلوم والأسرار على قلوب شيوخ الصوفية. والشيخ في الخلية الصوفية هو حجر الأساس، ويدور المريد في فلكه، وهو شـ به مقـ دس. يق ول الرفاعي"من تمشيخ عليكم فتتلمذوا له، فإن مد يده لكم لتقبلوها فقبلوا رجله، ومن تقدم عليكم فقدموه وكونوا آخر شعرة في الذنَب، فإن الضربة الأولى تقع في الرأس" ٤٩٥. ولا يجوز الإنكار على شيوخ التصوف أبداً ولو مع المنكر دليل. يقول أحمد بن مبارك السلجماسي فيما يرويه عن شـ يخه الجاهل الأمي عبد العزيز الدباغ: " واعلم وفقك الله أن الولي المفتوح عليه يعرف الحق والصواب ولا يتقيد بمذهب من المـ ذاهب. ولـ و تعطلـ ت المذاهب بأسرها لقدر على إحياء الشريعة وكيف لا وهو الذي لا يغيـ ب عنه النبي صلى الله عليه وسلم طرفة عين!! ولا يخرج عن مشاهدة الحق

٤٩٥– الطبقات الكبرى ص١٤١– الشعراني

جل جلاله في أحكامه التكليفية وغيرها وإذا كان كذلك فهو حجة على غيره وليس غيره حجة عليه لأنه أقرب إلى الحق من غير المفتوح عليه وحينئذ كيف يسوغ الإنكار على من هذه صفته ويقال إنه خالف مذهب فلان في كذا، إذا سمعت هذا فمن أراد أن ينكر على الولي المفتوح عليه لا يخلو إما أن يكون جاهلاً بالشريعة كما هو الواقع غالباً من أهل الإنكار وهذا لا يليق به الإنكار والأعمى لا ينكر على البصير أبداً "٤٩٦ .

ويقول أيضاً شارحاً القصيدة الرائية في آداب المريد: "فنو العقل لا يرضى سواه وإن نأى عن الحق نأي الليل عن واضح الفجر"، أي أن من له عقل سليم لا يرضي سوى شيخه ويدور معه حيثما دار وإن يبعد الشيخ في ظاهر الأمر عن الحق بعداً بيناً كبعد الليل من الفجر.

ولم يقتصر الأمر على طاعة الشيخ فيما لا فائدة منه، بل يتعداه إلى الاعتقاد أن للشيخ شريعته الخاصة، ودينه المستقل فله أن يشرب الخمر، أو يزني وليس لمريده أن يسأل عن شيء من ذلك. يقول السلجماسي أيضاً:"قال محيي الدين العربي ﴿رضي الله عنه﴾!! ومن شروط المريد أن يعتقد في شيخه أنه على شريعة من ربه ونبيه، وقد تصدر من الشيخ صورة مذمومة في الظاهر وهي محمودة في الباطن، وكم من رجل كأس

٤٩٦- الإبريز ص١٩٢، ٢٠٣

خمر بيده ورفعه إلى فيه وقلبه الله في فيه عسلاً والناظر يراه شرب خمراً وهو ما شرب إلا عسلاً " ٤٩٧.

ولما كان الأمر على ما وصفنا من التخييل للناس أن الشيخ دوما على صواب مهما غاير ظاهره ذلك، وتقبل الناس هذا الهراء دون معارضة، جاءهم من يبصق على عقولهم بصقا فيقول لهم : "كما أن طلب الحلال فرض على المؤمنين كذلك ترك الحلال فرض على العارفين" [٤٩٨] .

ولا يجوز للمريد أن يتصرف في نفسه أو ماله أو زوجته أو سفره أو إقامته إلا بإذن شيخه، ولا يجوز أن يجلس في مجلسه إلا بإذنه ، أو يرفع صوته في حضرته، أو يسأله لأن الشيخ أعلم بما في نفس مريده فلا يجوز أن يبدأ بالسؤال، وإنما ينتظر في كل ذلك ما يجود به شيخه لأنه في – زعمهم – أعلم بحاله. وإن لم تكن هذه هي العبودية فما في الدنيا عبودية. ومن آداب المريد مع شيخه أن لا يجلس بحضرته متربعاً، ولا مظهراً رجلاً له. ولا يجوز له أن يلبس لباس الشيوخ إلا إذا انتهى من مقام التربية . وهذه حقوق أعطيت للشيخ لم يجعلها الله لرسوله في النبي صلى الله عليه وسلم لم يأمر الصحابة أن لا يلبسوا لباسه، أو يتشبهوا به

الإبريز ص٢٠٢ ٤٩٧-

٤٩٨– المواهب السرمدية ١٨٥ الأنوار القدسية ٢١٣، وقائل ذلك هو الشيخ عبد الله الدهلوي

في عمامته أو قلنسوته أو يجلسوا متربعين في حضرته صلى الله عليه وسلم، بل كانوا يجلسون بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم متربعين ومضطجعين ولم يكن له صلى الله عليه وسلم زي خاص ولا مجلس خاص. وليس للمريد أن يحجب شيئاً من أسراره عن شيخه فإن كانت أسرارا مشينة تحمل شيخه عنه وزرها لدى الاعتراف بها. ولا يجوز للمريد إفشاء سر من الأسرار إلا أن يأمره الشيخ . "وقد يكون الشيخ الولي سكيراً أو زنديقاً، أو طفلاً صغيراً، أو مجذوباً شاهد الأنوار العلوية فضاع عقله أو متخلفاً عقلياً يتضاحك الصبيان منه ولكنه يكون ولياً ربانياً ويحدث الناس بأمور الغيب، ويشاهد ويطالع الحضرة الإلهية والرسولية، والخضرية ﴿نسبة إلى الخضر﴾، ومنهم من يشرب الخمر جهاراً نهاراً، ويزني ويلوط عياناً بياناً ، ويزعمون أن ما يراه الناس إنما هو تخييل وليس حقيقة، فالخمر التي يشاهدها الناس خمراً ينقلب في بطن الولي لبناً خالصاً، والزانية الفاجرة التي يرى الناس الولي بصحبتها تكون زوجته "٤٩٩. ويزعمون مناصرة الأخلاق الحميدة بينما يفسقون بالنساء والمردان ، فيوصي أحدهم أتباعه قائلا: لا تنظروا في وجود المُرد– أي الشبان الصغارلم يراهقوا بعد – مخافة الشذوذ الجنسي، أي يطلب من أتباعه "الأطهار" أصحاب مكارم الأخلاق أن يغضوا أبصارهم ولا

٤٩٩– عبد الرحمن عبد الخالق – تفنيد الصوفية – بتصرف

ينظروا إذا كان في حضرتهم صبية صغار، ومن لا يردعه دينه وعقله فالشيطان وليه. ومنهم من يأتي الفاحشة مع البهائم: يقول الشعراني في كتابه الطبقات الكبرى عن الولي الصوفي ﴿ أبي خوزة ﴾: وكان رضي الله عنه!! إذا رأى المرأة أو أمردا راوده عن نفسه وتحسس مقعدته سواء كان ابن أمير أو ابن وزير ولو كان بحضرة والده أو غيره ولا يلتفت إلى الناس.وهم يرون أن المغالاة في ممارسة الجنس من سمات الصالحين منهم، فلما وصفوا القطب الأعظم عندهم قالوا عنه: إنه كثير النكاح وراغب فيه، محب للنساء، فنكاحه لمجرد اللذة كنكاح أهل الجنة "٥٠٠. "والولي– في الفكر الصوفي – يتصرف في الأكوان ويقول للشيء كن فيكون،، ويُعهد إليه بالإشراف على أحد شؤون العالم كرعاية الكلاب أو الحيات. وكبير الأولياء يسمى القطب الأكبر أو الغوث وهو الذي يدبر شأن المُلك كله سماواته وأرضه والأولياء جميعاً في بقاع الأرض تحت أمره "٥٠١. وصنفوا مراتب للولاية، فجعلوا من نهم المجاذيب وأهل العته والجنون لأن الله جذبهم إليه وأسقط عنهم التكاليف، ومنهم من بلغ ثلث النبوة، ومنهم من بلغ نصفها ومنهم من زاد على ذلك وهو ختم الأولياء . ولهؤلاء الأولياء تظهر الآيات مثل طي الأرض،

٥٠٠- اليواقيت والجواهر ج٢ ص٧٩

٥٠١– تفنيد الصوفية ﴿ بتصرف﴾

والمشي على الماء ومحادثة الخضر. ويرى الشعراني أن القطب لا يتمكن من الاضطلاع بمهام "منصبه" إلا بعد أن يحصل مع اني الحروف المقطعة التي في أوائل السور، فإذا أوقفه الله تعالى على حقائقها ومعانيها تعينت له الخلافة وكان أهلاً لها. ويرى ابن عربي أن خصائص القطب أن يختلي بالله تعالى وحده ولا تكون هذه المرتبة لغيره من الأولياء أبداً ثم إذا مات القطب الغوث أنعم الله تعالى بتلك الخلوة على قطب آخر فهي لا تكون لشخصين في زمان واحد أبداً. وعن مكان القطب يجيبك ابن عربي قائلاً: "فإن قيل هل يكون محل إقامة القطب بمكة دائماً كما هو مشهور، فالجواب هو: بجسمه حيث شاء الله لا يتقيد بالمكث في مكان بخصوصه ومن شأنه الخفاء فتارة يكون حداداً وتارة تاجراً وتارة يبيع الفول، ونحو ذلك والله أعلم" [٥٠٢]. وينتهي الأمر بأن ينصب ابن عربي نفسه قطبا أعظم فيقول بالنص:"لا أعرف في عصري هذا أحداً تحقق بمقام العبودية مثلي وذلك لأنني بلغت في مقام العبودية الغاية بحكم الإرث لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأنا العبد المحض الخالص، وقد منحني الله تعالى هذا المقام هبة منه، ولم أنله بعمل

٥٠٢- اليواقيت والجواهر ج٢ ص٨١

وإنما هو اختصاص إلهي" [٥٠٣]. ولكي يصبح المريد نقيبا لشيخه عليه أن يترقى في مراتب النقباء: وتبدأ بنقيب خدم، ثم نقيب للقهوة ثم نقيب للطعام، ثم نقيب لمجلس الذكر، ثم نقيب للسجادةثم نقيب للشيخ، ثم خليفة ومـ ا أصبر المريد على مذلة شيخه، ببساطة هو أن مريد اليوم هو شيخ الغد. فاليوم يقوم على خدمة شيخه وتقديم الطعام إليه، وغدا سيصـ بح شـ يخا يخدمه مريد بعد الغد. وهكذا يفعلون ذلك كله باسم الدين ونشره والمحافظة عليه. أَسَمع أحدكم أن النبي الكريم أو أي صحابي اتخذ مـ ن عبـ اد الله خدما له نظير أن يتعلم دينه؟ وهل كان هناك أيام الإسلام الأولـ ى مـ ن يفرضون على الناس الإقضاء بأسرارهم وبواطن أمـ ورهم ؟ ولا أدري كيف يستقيم قول السهروردي " بأنه لابد للمريد من شيخ مرشد إلى الحق يرشده ويلقنه الذكر ويلقي في روعه النور"[٥٠٤]، في حين أن هذا المريـ د التعس مشغول بتقديم القهوة والطعام ولا وقت لديه لأن يستقبل في روعه النور. هؤلاء هم مشايخ الصوفية المظنون بهم العقل وحفظ الدين، لقد أخذ القوس غير باريها وسكن الدار غير بانيها، وللإسلام رب يحفظـ ه. ولله الأمر من قبل ومن بعد. والعجيب أن الصوفية ينكرون إيمان من لا شيخ له وكأنهم يحكمون ببطلان إيمان الصحابة والسلف الصالح إذ لم يتلق وا

٥٠٣- ﴿اليواقيت والجواهر ص٦٥،٦٦﴾..

٥٠٤ –عوارف المعارف– السهروردي ص٧٠

عن شيوخ ولم يكونوا مريدين مربوطين بشيوخ كشرط لصحة الإيمـ ـان وهي الفرية التي يقولون بها. ويرون أنه " إذا لم يكن للمريد أستاذ "شـ يخ" يأخذ منه طريقته نفسها فهو عابد هواه لا يجد نفاذا "٥٠٥. وبذلك ابتدعوا نوعا من الوصاية على الناس فحالوا بينهم وبين ربهم، وهم لا يأخـ ـذون "هديهم" من كتابه وسنة نبيه مباشرة بل أصبح الأمر مثل كهنوت القـ ـرون الوسطى. "وأراد الصوفية أن يؤسسوا لهم دولة في الباطن تحكم النـ ـاس، فبنوا هذه الدولة العجيبة الباطنية التي يتحكم فيها هـ ـؤلاء الـ ـذين سـ ـموهم بالغوث والأقطاب والأبدال والنجباء والأوتاد.. وأوهمـ ـوا النـ ـاس أن التصريف في الأرض والسماء والخلق أجمعين إنما هو لدولتهم الخفيـ ـة التي يتحكم فيها أولياء الصوفية.. هؤلاء الأولياء الذين قد يكونون أحيانـ ـاً أميين لا يعرفون قراءة ولا كتابة وأحياناً مجاذيب يصرخون ويبولون في الطرقات وأحياناً زناة وشاربي خمور قد رفعت عنهم التكاليف الظـ ـاهرة وأن منهم من يعيش طيلة عمره قذراً وسخاً لا يتطهر بماء قط أو صابون ، ومع ذلك فهؤلاء الأولياء يعلمون الغيب كله ولا يخفى عليهم شيء فـ ـي الأرض ولا في السماء ولا يعجزهم شيء" ٥٠٦ . والطريقة الصـ ـوفية تعني اتصال المريد بالشيخ وارتباطه به حيا أو ميتا وذلك بواسطة ورد من

٥٠٥–الرسالة القشيرية– ص٧– طبعة القاهرة ١٣٣٠هجرية

٥٠٦ - عبد الرحمن عبد الخالق – تفنيد الصوفية – بتصرف

الأنكار يعكف عليه المريد بإذن من الشيخ أول النهار وآخره، ويلتزم به بموجب عقد بينه وبين الشيخ، وهذا العقد يعرف بالعهد، وصورته أن يتعهد الشيخ بأن يخلّص المريد من كل شدة ويخرجه من كل محنة متى ناداه مستعينا به، كما يشفع له يوم القيامة في دخول الجنة. ويتعهد المريد بأن يلتزم بالورد وآدابه فلا يتركه مدى الحياة كما يلتزم بالطريقة عينها ولا يستبدلها بغيرها من سائر الطرق. والتصريح بضمان الجنة للمريد أمر مشهور عندهم وهو أكبر من مجرد الشفاعة يوم القيامة. يقول الشيخ التيجاني مؤسس الطريقة التيجانية: "وليس لأحد من الرجال أن يدخل جميع أصحابه الجنة بغير حساب ولا عقاب ولو عملوا من الذنوب ما عملوا وبلغوا من المعاصي ما بلغوا إلا أنا وحدي. وإذا كان الأمر كذلك فإنه لا يجوز زيارة المريد للشيخ إلا على طهارة لأن حضرة الشيخ هي حضرة الله، وكان هذا المحتال يشتغل بتزييف العملة في تلمسان، وقد عاقبه الحاكم العثماني للجزائر بالحبس، ثم النفي"٥٠٧ . ولزيارة التكية الصوفية آداب وطقوس، ففي الطريقة البكتاشية مثلا يفرض أربابها على المريد أن يغتسل قبل زيارة التكية وأن يأخذ معه هدية حتى وإن كانت ملحاً . فإذا وصل الباب سمى ولا يجوز له أن يطأ العتبة برجله لأنها

١– د. عبد الله عبد الرازق إبراهيم – أضواء على الطرق الصوفية في القارة الأفريقية

مقدسة ثم يلتحق بالخدمة التي تطلب منه، وفي وقت المجلس يجلس حسب مرتبته، ولكل شخص مرتبة خاصة، والمراتب بالأقدمية.ثم يذهب المريد بعد دخول التكية والاستراحة فيها إلى القبر الموجود في التكية، ولزيارة القبرة آداب محددة منها السلام المخصوص، ثم العودة بظهره إلى خارج الضريح. والشيخ في العادة لا يجلس مع المريدين، ولا يزار إلا إذا صدر الإذن بذلك من الشيخ، ولا يزوره المريد إلا بصحبة الدرويش المختص، وعلى المريد أن يخلع حذاءه ويدخل مطأطئ الرأس ويقف على بعد خطوات من الشيخ ويقرأ: وجهك مشكاة وللهدى منارة، وجهك لصورة الحق إشارة!!،وجهك الحج والعمرة والزيارة ، وجهك للطائعين قبلة الإمارة، وجهك القرآن الموجز. وبعد ذلك يتقدم المريد فيقبل يد الشيخ ثم يعود بظهره بضع خطوات ولا يجلس حتى يأذن له الشيخ بالجلوس[٥٠٨]! ولا يخفى أن هذا هو عين الفكر الباطني في جعل الدين هو طاعة رجل كما تقول الشيعة الإسماعيلية "الدين طاعة رجل"، وهذه العبودية الكاملة هي عين ما تهدف إليه هذه الطريقة –وسائر الطرق–حيث تجعل معاني الحج والعمرة والزيارة والقرآن هم هذا الشيخ الصوفي الباطني. وهذا التأهيل النفسي هو من باب إعداد هؤلاء المريدين والأتباع على الطاعة العمياء

٥٠٨-الرسالة الأحمدية ص٧٤

التي يتطلبها الأمر عند صدور الأوامر لإحداث التحولات الصوفية الشيعية السابقة لتكوين الدول الشيعية كما سنفصله في حينه من الكتاب.

والتقسيم إلى مريد مستعبَد وشيخ مستغِل، هو أيضا النظام المعروف لدى طائفة اليزيدية،" فلكل مريد شيخ، يقدم إليه النذور والخيرات، ويتلقى منه تعاليم دينه "٥٠٩، "فالخيرات والنذور" هي الغاية والهدف. والتصنيف الطبقي عند اليزيدية –شأنه في ذلك شأن كل الفرق التي تصطنع التحريف والتخريف – يهدف إلى الانتفاع والارتزاق، وإلى النفوذ والدينار. فقد قسموا المقامات الدينية لتحديد المنافع والأرزاق. فالأمير هو كبيرهم، ويجب أن يكون من نسل يزيد، وهو المرجع الأعلى المطاع، وله صلاحيات التشريع وهو بمقام نبي، وتتحصر الإمارة في عائلته ﴿ طبعا ﴾ شأن بقية الوظائف الدينية، ويحصل على دخله من جباية الضرائب من أبناء المذهب اليزيدي. وإليه تسلم النذور والصدقات، وهو الوارث الشرعي لمن لا وارث له، والمستأثر بمهور النساء ممن لا ولي لهن. وهو معصوم،وبه جزء إلهي، ولا يحق لأحد مساءلته، ومن يخالف أوامره يحق عليه توقيع القصاص، وهو استباحة بيته وماله. ياله من دين!

٥٠٩– هاشم البنا –اليزيديون ص٩٥

أما طبقة "الفقراء" فمهمتهم تعليم البنات والأولاد دق الـ دفوف والـ رقص الديني ٥١٠.

٥١٠– د . سهير محمد علي الفيل – اليزيدية – بتصرف

الطرق الصوفية

من الطرائف المضحكة المبكية، ما أعلنه أحد شيوخ الطرق الصوفية على رءوس الأشهاد في التلفاز من أن المغفلين من الناس – وهذا كلامه حرفيا–: هم من يظنون أن أتباع طريقته مسلمون" [١] ومع ذلك ترى الكثيرين من مشايخ المؤسسات الدينية الرسمية ينافحون عن التصوف وهم في ذلك ملكيون أكثر من الملك نفسه

إن إظهار بطلان التصوف والإعلان عن ضلاله من الأمور المسكوت عنها سكوتا مريبا، فهو بين سكوت الجاهل الـ ذي لا يعـ رف، وبين سكوت من يعلم ويغض الطرف فهو سكوت المأجور الذي يبيـ ع دينه بدنياه عملا بقول الشاعر: واقنف بنفسك حيـ ث يرجـ ى الـ درهم. والبعض يسكت من باب أن السكوت عن الأحمق جواب، وغاب عـ ن الجميع عدم جواز التماس تقويم مالا يستقيم، بالملاينة والإغضاء، فالعظم لا يعالج انحناؤه إلا بالكسر. والطرق الصوفية هي تنظيم نفعي ارتزاقـ ي

١– كان هذا في لقاء في قناة الجزيرة الفضائية

من جهة، ومحفل تآمري من جهة أخرى. و يؤسسها شيخ يزعم لنفسه مكانة دينية خاصة، أو يدعي تلقيه الوحي من الله مباشرة، أو يزعم مقابلته للنبي شخصيا وتلقيه منه العلوم والكتب والأوراد ليبلغها لأتباع الطريقة، ويقرن هذه المكانة المزعومة بقدرات موهومة لا تكون لغير الله، منها معرفة الغيب وإحياء الموتى، والزعم بمحاسبة الناس يوم القيامة وإدخالهم الجنة أو النار وفقا لهواه ، أو الزعم بمعجزات لم تكن لغير النبي مثل العروج إلى السماء . أما من حيث كونها محفلا للتآمر على الإسلام كعقيدة، وعلى المسلمين كأنصار لهذه العقيدة، فالتاريخ – وهو الشاهد الذي لا يكذب– يكفينا مؤونة سوق الحجة والبرهان على ذلك. فجميع الدول الشيعية التي ظهرت في التاريخ ظهرت بكيفية واحدة تقريبا وهي البدء بالتركيز على بث الدعوة الدينية في صورة دعوة إلى التصوف والانتصار لآل البيت النبوي، ثم تستمر جهود هذه الدعوة لمدة أجيال برعاية من الحكومة الصوفية الخفية والتي تؤدى الدور الأساسي لخدمة أعداء الإسلام كافة، وفي مقدمتهم التشيع، وسبق أن قلنا إن التصوف هو ابن التشيع، والجهود الصوفية الدعوية سبقت وتسبق التحول من التصوف إلى التشيع. ولما كانت هذه الجهود يراد بها اجتذاب العوام ومعظمهم من الجهلة، كان لابد من اصطناع جوانب ومغريات تجمعهم حول هذه الدعوات الصوفية فكان التخفف من العبادات وتيسير الزنا واللواط حتى

إتيان البهائم كما كان مشايخهم يفعلون. وكانت كفالة من يتصوف في التكايا والخانقاوات وتوفير الغذاء والكساء والمأوي، من أهم المغريـ ات للعـ وام بالتمتع بالمنافع الصوفية ولا سيما أن الناس كانوا في ضيق مـ ن العـ يش والفقر في الأوقات التي ظهرت فيها هذه الطرق بدءا من القرن الخـ امس الهجري وبعده. أما عن تواطؤ الطرق الصوفية على التـ آمر علـ ى المسلمين، فدليلنا هو تواطؤهم مع المستعمرين وتثبيت أقدامهم في بلادنا، فضلا عن عدم مشاركتهم في الحروب الصليبية أو في التصدي للتتـ ر وغير ذلك من الحروب. فهم لا ينافحون عن دين الله كما يشيعون بـ ل يسعون إلى المكاسب الشخصية الدنيوية، بدءا من جمع الأموال والهدايا من الأتباع والمريدين ، وانتهاء بتكوين الدول والممالك. " فوصل الأمـ ر ببعض الطرق الصوفية إلى حد السعي إلى تقلد السلطة السياسـ ية مثـ ل الطريقة السنوسية في ليبيا، والطريقة القادرية في دولة سوكوتو ممثلة في الشيخ عثمان بن فودي وذريته الذين نجحوا في تأسيس دولة صوفية في شمال نيجيريا وظلت تمارس الطريقة القادرية لأكثر من قرن من الزمان، كما أسس عمر الفوتي التكروي إمبراطورية كبرى في غرب القـ ارة وطبق فيها أسس الطريقة التيجانية "٥١٢. فالمسألة ليست دين يدـ افحون

٥١٢– د.عبد الله عبد الرازق إسماعيل – أضواء على الطرق الصوفية في القارة الأفريقية

عنه، أو إسلام صحيح ينشرونه، بل الغاية هي طلب الدينار ، والمطية الذلول التي توصلهم لهدفهم كانت هي الدين.

ولامتلاك عقول وأفئدة الناس، ادعى شيوخ المتصوفة الكرامات والمكاشفات، ويزعم كل واحد منهم أنه تلقى ذكرا وأورادا خاصة بطريقته من الغيب إما من الله مباشرة –وحيا أو كتابة– أو من الرسول صلى الله عليه وسلم في اليقظة أو في المنام، أو من الخضر عليه السلام . المهم لا بد أن يكون له ذكر خاص ينفرد به عن سائر الطرق الأخرى، بل منهم من يزعم أن النبي قد أطلعه على اسم الله الأعظم: "يقول الصوفي علي حرازم في حصول شيخه أحمد التيجانيي على اسم الله الأعظم وفي تقدير ثوابه، حاكياً ما أخبره به سيد الوجود ﷺ، يقول: يحصل لمن يقرأه في كل مرة سبعون ألف مقام في الجنة في كل مقام سبعون ألفاً من كل شيء في الجنة كائن من الحور والقصور والأنهار إلى غاية ما هو مخلوق في الجنة ما عدا الحور وأنهار العسل– انظر تظاهر هذا الكذاب بالأمانة العلمية إذ يستثني الحور وأنهار العسل – فله في كل مقام سبعون حوراء، وسبعون نهراً من العسل، وكل ما خرج من فيه هبطت عليه أربعة من الملائكة المقربين فكتبوه من فيه وصعدوا به إلى الله تعالى وأروه له فيقول الجليل جل جلاله: اكتبوه من أهل السعادة واكتبوا مقامه في عليين في جوار سيدنا محمد ﷺ، وهذا في كل لفظة من ذكره،

وله في كل مرة ثواب جميع ما ذكر الله به على ألسنة جميع خلقه في سائر عوالمه وله في كل مرة ثواب ما سبح به ربنا على لسان كل مخلوق من أول خلق آدم إلى آخره ﴾[٥١٣].

والطرق الصوفية يتوارثها الأبناء عن الآباء والطريقة التي تستطيع اجتذاب عدد كبير من الأتباع تصبح إقطاعية دينية عظيمة تدر على شيخها الصدقات والهبات، لذا فهم يقاتلون عن مكاسبهم بالسنان واللسان. وجميع مؤسسي الطرق يصِلون نسبهم بالرسول صلى الله عليه وسلم ويزعمون أنهم من آل بيته. ويُراد للناس الآن أن يتوهموا أن الطرق الصوفية المعاصرة طرق دينية ولكنها انحرفت – في جانب منها – عن الدين، والواقع أن هذه الطرق لم تكن دينية قط، إذ لا شيء يعزز الإسلام سوى الإسلام نفسه كما جاء في القرآن والسنة وممارسات الصحابة والتابعين. وهذه الطرق شديدة الشبه بالمحافل اليهودية الماسونية، فهي الوحدات التنفيذية للمؤسسات التابعة للحكومة الصوفية الخفية، والمحقق في الأدوار التي أدتها هذه الطرق الصوفية منذ بداية ظهورها في القرن الخامس الهجري ٥١٤ وإلى الآن يرى أنها مهام تقويضية للدين والملة،

٥١٣–كتاب جواهر المعاني وبلوغ الأماني– علي حرازم

٥١٤-وضع أبو سعيد محمد أحمد الميهي الصوفي الإيراني ٤٣٠هـ . .أول هيكل تنظيمي للطرق الصوفية بجعله متسلسلا عن طريق الوراثة، ويمثل القرن السادس

وهي وسائل يستخدمها أعداء هذه الأمة لإحكام القبضة على الإسلام والمسلمين. وهي بمثابة مخلب القط أو قل نصل الرمح الذي يرشقونه في نحر الإسلام.

ووجود المحفل، أو أي مجلس خاص، يعد ضرورة لأي جماعات باطنية ليتيح لأعضائها الاجتماع للتشاور والتآمر والتخطيط. واقرأ ما جاء في رسائل جماعة " إخوان الصفا " وهي جماعة باطنية سرية إسماعيلية: " ينبغي لإخواننا أيدهم الله حيث كانوا من البلاد، أن يكون لهم مجلس خاص يجتمعون فيه في أوقات معلومة لا يداخلهم فيه غيرهم، يتذاكرون فيه علومهم، ويتحاورون فيه أسرارهم ".وهذا هو عين ما تحققه التكية والخانقاه لأفراد الطريقة، إذ لو كان اجتماعهم بغرض العبادة لكفتهم المساجد، ومع غموض أنشطة جماعة إخوان الصفا ، إلا أنه لا يمكن تجاهل شواهد علاقتها بالماسونية . ومضى القول إن التحول الصوفي الشيعي كان آلية شديدة الفعالية في اجتذاب الأنصار والأعوان لتعزيز التجمعات الشيعة السابقة لتكوين الدول الشيعية، ولما ثبت فعالية هذه الآلية على نحو لا يتحقق بأي وسيلة أخرى، كان التفكير في تعزيز الانتفاع بهذه

الهجري البداية الفعلية للطرق الصوفية وانتشارها حيث انتقلت من إيران إلى المشرق الإسلامي، فظهرت الطريقة القادرية المنسوبة لعبد القادر الجيلاني ٥٦١هـ ..

الطريقة، وكان ذلك الاختراع الجهنمي المسمى بـ الطرق الصـ وفية. فعندما سقطت دولة الشيعية في مصر ﴿الدولة الفاطمية﴾ في سنة ٥٦٧ هجرية،احتشدت جهود فلول الشيعة لإعادة بعث دولتهم في مصر بعـ د استيلاء الأيوبيين على البلاد، واستخدم الشيعة أحدث مكائد العصر فـ ي إحداث الانقلاب الصوفي الشيعي، ألا وهو استثمار النشـ كيل الجهنمـ ي المسمى بالطرق الصوفية،وذلك بعد فشـ ل اسـ تعادة النفـ وذ بالوسـ ائل العسكرية. ومن أوائل هذه الطرق، طريقة الصوفي عبد القادر الجيلاني صاحب الطريقة المعروفة باسم القادرية أو الجيلانية، ونشأت هذه الطريقة على استحياء وحذر ولزمت الشرع دون مغايرة – في وقتهـ ا– حتـ ى تتحسس المواضع، حتى إن ابن تيمية وصف هذه الطريقة بأنها الطريقـ ة الوحيدة الصحيحة، وكان هذا شأنها الأول إذ لم يظهر بعدُ ضلالها قبل أن ينسب أتباع الجيلاني إليه فيما بعد الكثير من الكرامات، فقالوا إنه كـ ان يسير في الهواء وعلى رؤوس الناس، وكان يخاطب الجن ويهديهم ، وقد رزق بتسعة وأربعين ولداً، حمل أحد عشر ولدا منهم تعاليمه ونشروها في العالم الإسلامي، ونسبوا إليه من الأمور العظيمة ما لا يقدر عليهـ ا إلا الله تعالى من معرفة الغيب، وإحياء الموتى، وتصرفه في الكون حيـ اً أو ميتاً، بالإضافة إلى مجموعة من الأنكار والأوراد والأقوال الشنيعة : منها قوله في أحد مجالسه: ﴿ قدمي هذه على رقبة كل ولي لله ﴾، وكان يقول:

﴿ من استغاث بي في كربة كشفت عنه، ومن ناداني في شدة فرجت عنه، ومن توسل بي في حاجة قضيت له ﴾، ولا يخفى ما في هذه الأقوال من الشرك وادعاء الربوبية "٥١٥.

وفي القرن السادس الهجري ظهر طور آخر من أطوار الطرق الصوفية، ففي النصف الثاني من ذلك القرن كان الضعف قد دب في أوصال الدولة الشيعية الفاطمية في مصر إلى أن سقطت على أيدى الأيوبيين.ولما فشل الشيعة في استعادة نفوذهم في مصر بالوسائل العسكرية،لجأت القوة الخفية التي تستتر وراء الشيعية والصوفية وتوظفهما لتقويض الإسلام،لجأت إلى استحداث وسائل مبتكرة لتحقيق الغايات الشيعية ولكن في ثوب صوفي ينتصر له نظام الدولة الأيوبية الجديدة دون أن يدري، وذلك يضمن إحداث نفس الأثر التدميري في العقل والضمير المسلم، ويحقق الغايات المرجوة ولكن دون اضطرار لمواجهات مباشرة مع النظام الحاكم الجديد، فالمواجهة العسكرية لم تصبح الخيار المطروح . لذا كان على القوة الخفية المدبرة أن تلجأ للوسيلة التي سبق تنفيذها بنجاح عدة مرات وهي تكثيف النشاط الدعوي الصوفي بين الناس حتى إذا اشتد الساعد الصوفي بانتشار التصوف بين جموع الجماهير، يتم إحداث التحول الموعود إلي المذهب الشيعي بأيدي من تصوفوا ظنا منهم

٥١٥- الطرق الصوفية وانتشار البدع- د. أحمد عبد الكريم نجيب

أنهم ينتصرون لآل البيت النبوي.وهذا التحول بهذا الشكل الموصـ وف – وهو ما نسميه "بالتحول الصوفي/الشيعي" – هو بالضبط عين ما حـ دث عند تأسيس الدول الشيعية:الدولة الصـ فوية وقبلها الدولـ ة الفاطميـ ة ودولةالقرامطة.لذا كانت الخطة المرجوة لاستعادة النفوذ الشيعي في مصر هو تكثيف النشاط الصوفي الدعوي، على أن يتم إعداد المريدين الصوفيين إعدادا خاصا شبيها بالنظام العسكري. ولم يكن ذلك ممكنـ ا إلا "بـ الطرق الصوفية"، فتم الاعتماد عليها بشكل موسع. وتم ضخ أعداد كبيرة من دعاة وأقطاب التصوف إلى مصر، وجاءوا جميعا من المغرب حيث كانـ ت البؤر الدعوية للشيعة آنذاك في المغرب والأندلس، وكان المغرب دائمـ ا هو قبلة الساعين إلى تأسيس الدول الشيعية لبعدها عن الـ نزاع العباسـ ي وللأمية الدينية لأهل تلك البلاد فيسهل اعتناقهم لأي زيف يصور لهم على أنه الإسلام . والأمر المهم الآخر الذي أكد أهمية المغرب بوصفه مركز إعداد وضخ لدعاة الصوفية، هو أن المغرب كان أحد المراكز الصـ وفية اليهودية التي ظهر بها التيار الرئيسى في الفكر الصوفي اليهـ ودي فـ ي القرون الوسطى. يقول ألان أنترمان الكاتب اليهودي ": لقد أدى التراث الصوفي اليهودي المتعلق بالميركاباه ﴿المركبة الإلهية﴾ الذي حدثت بـ ه تحورات وتطورات في بابل، أدى إلى تيارين رئيسيين في الفكر الصوفي اليهودي في العصور الوسطى: التيار الأول في ألمانيا وتمثل في حركة

الأشكناز التطهريين، والتيار الثاني حدث في مكان أكثر انتحاء إلى الغرب، في شبه جزيرة أيبيريا وجنوب فرنسا "٥١٦، وشبه جزيرة أيبيريا هي الأندلس الملاصقة للمغرب. واحتضن المغرب العربي منذ البداية ميلاد دول شيعية كالأدارسة والفاطميين ،كما كان مركز ضخ هائل لأقطاب وأصحاب الطرق الصوفية ومشايخها إلى جميع أقطار العالم الإسلامي على النحو الذي لم يتحقق– في نظرنا – لمكان آخر. ولا يس من قبيل المصادفة أن يتدفق من الغرب – المغرب والأندلس – إلى باقي العالم الإسلامي، وخصوصا مصر، أعداد كبيرة من أعلام الصوفيين." فقد بلغ عددهم في مصر في القرن السابع الهجري وحده أضعاف الصوفية الذين ظهروا فيها في أي قرن من القرون السابقة أو اللاحقة حتى القرن العشرين الميلادي."٥١٧ إذ بلغ عددهم في القرن السابع الهجري وحده حوالى ٣٠ من أعلام الصوفية جاءوا كلهم – تقريبا– من المغرب والأندلس، في حين أن إجمالى من كان بمصر منهم في عشرة قرون كاملة– من الأول الهجري إلى آخر التاسع– حوالي ٩٠ صوفيا فقط٥١٨. ومن كبار أعلامهم الذين وفدوا إلى مصر من المغرب

٥١٦–ألان أنترمان – اليهود : عقائدهم الدينية وعباداتهم– ص١٨٢

٥١٧ –الطرق الصوفية في مصر– د.عامر النجار

٥١٨– لمزيد من التفاصيل يمكن الرجوع إلى كتاب حسن المحاضرة للسيوطي ،

والأندلس: محيي الدين ابن عربي، وأحمد البدوي، والمرسي أبو العباس، وأبو الحسن الشاذلي، وعبد الرحيم القناوي، وعبد الحق بن سبعين وأحمد الرفاعي. وهم مؤسسو أشهر الطرق الصوفية في مصر والعالم الإسلامي، وقد تدفقوا إلى مصر قبيل وبعد سقوط دولة الشيعة بها، بقصد بث الضلال الصوفي بين الناس حتى إذا اشتد الساعد الصوفي تمكنوا من إحداث الانقلاب الصوفي الشيعي بدعوى الانتصار لآل البيت النبوي والحقيقة أنه لاسترداد النفوذ الشيعي في البلاد. وتم توزيعهم على أرض مصر توزيعا جغرافيا دقيقا بحيث يسيطرون على أرض مصر كلها ويتسنى لدعاتهم مزاولة أنشطتهم الدعوية بيسر. والسر وراء ضخ هذا العدد الكبير من شيوخ الصوفية إلى مصر في القرن السابع الهجري بالذات هو الحاجة الماسة إلى تكثيف الجهود لاستعادة مصر مرة أخرى للنفوذ الشيعى . وعدد"الطرق الصوفية" في العالم حوالى ٣٠٠ طريقة، ما ساق الله بها خيرا، ولا صرف بها شرا وهي ابتكار يعود في أصوله إلى إيران.

وانتشرت الصوفية بين العامة بفضل الطرق الصوفية " إذ تحولت إلى تنظيم

وكتاب الطرق الصوفية في مصر للدكتور عامر النجار

اجتماعى متماسك يحل في الأحياء الحضرية على أسـ اس المهـ ن، ويحل في البوادي بين ظهراني القبائل. وباختصـ ار، تحولـ ت الطـ رق الصوفية إلى تنظيم اجتماعي ذي وظائف روحية واقتصـ ادية وسياسـ ية وحربية"[٥١٩]. ومن أوائل الطرق الصوفية التي تشكلت لخدمة ما ذكرنـ ا من الأهداف كانت الطريقة الأكبرية المنسوبة إلى الشيخ محيي الدين بـ ن عربي المعروف بالشيخ الأكبر، وقد تأثر معظـ م مؤسسـ ي الطـ رق الصوفية به، وتقوم طريقته على عقيدة وحدة الوجود والصمت والعزلـ ة والجوع والسهر. وهو من يقول: من لا شيخ له، فإن شيخه الشيطان.

وعماد العلاقة بين المريد والشيخ هي الطاعة من المريـ د ويقابلهـ ا التشدد من الشيخ ﴿ كعلاقة الجندي بقائده ﴾. وفور أخذ المريد العهد على شيخه يصبح عضوا في الجماعة التي تشبه الخلية العسـ كرية وعليـ ه أن يصدع بأوامر شيخه، "و يلزم الخلوة لا يبارحها إلا بـ إذن الشـ يخ، ولا يتصل المريدون ببعضهم البعض إلا في حضوره، وإذا خرجوا خرجوا جماعات ذاكرين الله، لا يلتفتـ ون يمنـ ة ولا يسـ رة، ولا إلـ ى وراء، ويجتمعون للصلاة والطعام والنوم والذكر وإنشاد الأشعار الصوفية. وكل ذلك ليمحو من عقولهم ما عرفوه من الإسلام، وليمهـ د عنـ دهم لديانتـ ه الجديدة. ولذا كانت طريقته الأكبرية من أخبث طرق التصوف، وأخطر

٥١٩- فالح عبد الجبار- مستقبل الثقافة العربية ﴿ سلسلة أبحاث المؤتمرات-٢﴾

الطرق بعامة لمحاربة الإسلام، ولا تقل خطورة عن مذهب الشيعة[٥٢٠].
والمتأمل في أسلوب تربية المريدين يرى أنها لا تختلف عن الحيـ اة فـ ى معسكرات الجنود، توطئة للاستفادة بهم في الجهود العسـ كرية اللازمـ ة لإحداث التحول الصوفي الشيعي كما ذكرنا. وخير مثال لما نقول، هـ و الطريقة الصفوية التي أسسها صفي الدين إسـ حاق الأردبيلـ ي سـ نة ١٢٠١ ميلادية، وبعده ورث مشيخة الطريقة ابنه الذى تم برعايته إعداد ما عُرف لأول مرة باسم "الفدائيين الصوفية"، ولم يلبث أن أسفر الأمـ ر عن الحقيقة فتحولت الطريقة الصفوية من طريقة دينية إلى طريقة صوفية سياسية، وفي نهاية المطاف– بعد أن سارت الأمور نحو استكمال التحول الصوفي الشيعي كما تدبر له اليد الخفية – تحققت الأطماع السياسية على يد اسماعيل الصفوي سنة ١٤٤٩م " فيظهر بوضوح اسـ تغلال الـ دين والتصوف لخدمة أغراض سياسية، وإدخال الـ نظم العسـ كرية عل ى الجماعات الصوفية، ومن أجل ذلك تمت مصاهرات بـ ين الصـ فويين ورؤساء الطرق الصوفية النوربخشية والنعمة الإلهية، إلـ ى أن غلبـ ت السياسة تماما فانقلب الصفويون على التصوف، وهُوجم شـ يوخ الزهـ د والتصوف، وأجلى العسكرُ الصوفيةَ عن العاصمة أصبهان، ومنعوا إقامة الأذكار، وحرموا كل ما يتعلق بالتصوف، فلم يجد الصوفية الصـ فوية إلا

٢– د. عبد المنعم الحفني – الموسوعة الصوفية – ص٤٠٩

أن يرتحلوا إلى الهند مهاجرين بطريقتهم "٥٢١. و التشيع والتصـ وف وجهان لعملة واحدة، بل هنالك طرق صوفية تجمـ ع بـ ين التصـ وف والتشيع في آن واحد مثل طريقة " الشيعة المحمدية" وهي طريقـ ة مـ ن صوفية الشيعة ممن جمعوا بين التشيع والتصوف وقالوا إنهم على مذهب أهل السنة، وكذلك الطريقة البكتاشية، والطريقة الرفاعية التـ ي يـ ؤمن أتباعها بكتاب الجفر وبالأئمة الشيعة الاثنى عشر، وإبداء الحزن يوم عاشوراء وهي معتقدات شيعية، بل ويزيدون بالاعتقاد أن أحمد الرفاعي هو الإمام الثالث عشر. وتأكد الرأي عندنا أن التصوف هو ابن التشيع، بل إن ابن خلدون يقولها في صراحة إن الصوفية نقلوا نظامهم عن التشـ يع، حتى إن الصوفية لما أسندوا لباس خرقة التصـ وف ليجعلـ وه أصـ لا لطريقتهم ونحلتهم رفعوه إلى علي رضي الله عنه. ويدلل الدكتور زكـ ي مبارك على هذه الصلة بقوله إن أهل فارس هم أكثر الناس تصوفا بـ ين الأمم الإسلامية، وهم كذلك أشد الشعوب الإسلامية تشيعا"[٥٢٢].

و لما توقفت جهود الدعوة إلى الإسلام في أزمنة الضعف والهـ وان، وتقاعس العلماء عن التصدي لمؤامرة تحريف الإسلام، روجـ ت هـ ذه الطرق الصوفية لنشر الإسلام المحرّف في أقطار الأرض ويحمد لهـ ا

د. عبد المنعم الحفني – الموسوعة الصوفية-١

٥٢٢– د.سعيد عبد الفتاح عاشور – الشيخ أحمد البدوي

الجاهلون هذا الجهد ظنا منهم أنها تخدم الإسلام، فللرفاعية انتشار ملحوظ في غرب آسيا، كما ساهمت الطريقة الجيلانية في إقامة المراكز الإسلامية التي قامت بدور كبير في نشر الإسلام في أفريقيا، ولكن أي إسلام نشروا؟ إنه أباطيلهم وتخاريفهم التي روجوا لها على أنها الإسلام الصحيح، فأضلوا الناس عن دين الله الحق بعد أن سودوا صفحة الإسلام فنفر منه العقلاء. وكانت "الحكومة الصوفية"

تلاحق مراكز الثقل السياسي والعسكري في العالم الإسلامي، وتركز أنشطتها وتحشد أتباعها ودعاتها في مناطق النفوذ . فعندما كانت بغداد هي مركز الخلافة العباسية تَركز عليها الاحتشاد والاستهداف الصوفي بالتعاون مع الاحتشاد والاستهداف الشيعي، فاستهدفتها الطرق الصوفية المختلفة كالجيلانية والرفاعية . وعندما فقدت الشيعة الإسماعيلية – الفاطميون– مصر بعد أن سيطروا عليها حوالي قرنين، وبعد أن استولى عليها الأيوبيون، خطط الشيعة لاستعادة مصر – البقرة الحلوب– وقرروا تسخير الصوفية لجمع الأنصار ومناصرة الشيعة ﴿ مثلما سبق وفعلوا عند تأسيسهم الدولة القرمطية والدولة الفاطمية وكما سيفعلون بعد ذلك عند تأسيس الدولة الشيعية الصفوية ، فتم ضخ أعداد كبيرة من مشايخ الصوفية من المغرب والأندلس إلى مصر كما سبق القول، وتم استثمار التنظيم المسمى بالطرق الصوفية لإحداث التحول الصوفي/ الشيعي، ولكن يقظة

الأيوبيين حالت دون الشيعة ورجوعهم إلى الحكم، ولم يفطن الأيوبيون – كما لم نفطن نحن حتى الآن – إلى أن التصوف في خدمة التشيع ولهما نفس الغايات والمقاصد ويحققانها بنفس الوسائل والأساليب. ولما انتقل مركز الثقل السياسي والعسكري من العباسيين في العراق إلى العثمانيين في تركيا في بداية القرن الرابع عشر الميلادي، رأت "الحكومة الصفوية الخفية" – وهي إدارة منظمة مدبرة تقف وراءها يد خفية تحدد لها الأهداف في ضوء المتغيرات والمستجدات وتخطط لها كيفية بلوغ هذه الغايات – رأت استهداف الدولة العثمانية وارثة الثقل والتأثير العسكري والسياسي الإسلامي، فكان التدبير لزرع دولة شيعية تتصدى للدولة العثمانية السُنية، ونجح سعيهم فكان إنشاء الدولة الصفوية. والآلية الشيطانية التي لم تنجح في مصر بعد سقوط الدولة الشيعية الفاطمية، نجحت في تركيا، ونعني بها جمع الأنصار تحت ستار التصوف ثم إحداث التحول الصوفي/ الشيعي بدعوى الانتصار لآل البيت النبوي ومناصرة الإسلام، فتم تحريك هذه الجموع من الناس ممن تم جمعهم تحت شعارات صوفية ليخدموا أغراضا شيعية. وتمكن الشيعة من إنشاء دولتهم الدولة الصفوية الشيعية التي حققت أهداف أعداء الإسلام والمسلمين، ودخلت في حروب طاحنة مع الدولة العثمانية السنية المذهب، الأمر الذي أوقف انتشار الإسلام في أوروبا، وأنهك الدولة العثمانية وأدى

إلى سقوطها في نهاية الأمر. ورأت "الحكومة الصوفية الخفية" غزو الدولة العثمانية بالطرق الصوفية المتاحة وقتها وهى الطرق القادرية الجيلانية والرفاعية والمولوية ، ورأت ابتداع طرق صوفية أخرى إضافية لنشر الإسلام المحرف في الولايات العثمانية التي تقع في أوروبا،فقد كان من الضروري لأعداء الإسلام أن يقيموا جدارا منيعا يفصل بين الإسلام الصحيح غير المحرف وبين الناس في أوروبا، وفعلا تم استنفار وحشد أشهر الطرق الصوفية المعروفة آنذاك لتمارس جهودها الدعوية التحريفية في البوسنة،كما نشأت في البوسنة ذاتها فرق ضالة أسسها زنادقة باسم الدين.

يذكر المؤرخ التركي أوليا شلبي أن في سرايفو سبعاً و أربعين تكيَّة لخمس طرق صوفية [٥٢٣]– لاحظ أهمية التكايا لنشر التصوف والإسلام المحرف. وسوف نعرض في عجالة إلى الطرق الصوفية الخمس العاملة في أوروبا والتي

تم إنشاؤها في البوسنة وهي أراض أوروبية، وحرصت الحكومة الصوفية الخفية أن تروّج الصورة المشوهة للإسلام لتنفير الأوروبيين من

٥٢٣– انظر : الدكتور محمد الأرناؤوط : الإسلام في يوغسلافيا ، ص: ١٧٥ نقلاً عن أوليا شلبي

دين الفطرة، فلو رأى الناس هذا الدين بلا تحريف أو دجل لاعتنقه كل ذي فطرة سليمة.

و هذه الطرق الصوفية الخمس هي [٥٢٤]:

الطريقة القادرية: أسسها عبد القادر الجيلاني الذي يـ زعم اتباعـ ه، ومعظمهم من أصحاب الحرف والمهنيين، انه أخذ الخرقة والتصوف عن الحسن البصري عن الحسن بن علي بن أبي طالـ ب رضـ ى الله عنهما، ونسبوا إليه قدرات إلهية كمعرفة الغيب، وإحياء الموتى وتصرفه في الكون حيا أو ميتا، وتنطق أوراد وأذكار هذه الطريق بكفر بواح كقولهم : من استغاث بي في كربة كشفت عنه، ومن نادني في شدة فرجت عنه ومن توسل بي في حاجة قضيت له. وانظر إلـ ى أصـ حاب الطريقـ ة القادرية كيف يفعلون إذا أصابهم هم أو غم واستغاثتهم بمشايخهم –مـ ن دون الله– لصرف الأحزان عنهم يقولون [٥٢٥] :" إذا وقع لك هم نقـ دم أحد عشر خطوة إلى جهة العراق وتقول في الأولى يا شيخ محيي الـ دين وفى الثانية يا سيدي محيي الدين وفى الثالثة يا مولانا محيي الـ دين وفـ ى الرابعة يا مخدوم محيي الدين وفى الخامسة يا درويش محيي الدين وفـ ى

---

٥٢٤ – انظر : نياز شكريتش : انتشار الإسلام في البوسنة و الهرسك : ١٦٠ .

٥٢٥- الفيوضات الربانية في المآثر والأوراد القادرية ص٣٢

السادسة يا خواجة محيي الدين وفى السابعة يا سلطان محيي الدين وفى الثامنة يا شاه محيي الدين وفى التاسعة

يا غوث محيي الدين وفى العاشرة يا قطب محيي الدين وفى الحادية عشر يا سيد السادات عبد القادر محيي الدين ويا شيخ الثقلين أغثنى ".

الطريقة المولوية:

المنسوبة إلى جلال الدين الرومي[٥٢٦] ، وقد جاءت دعوتها إلى البوسنة في صورة متطورة لها طقوس تستعمل خلالها المعازف الموسيقية . وهم أصحاب بدعة ذكر الله تعالى بلبس الطراطير والرقص والدوران وهم يرتدونها في حلقات الذكر ! وقد شاركوا في نشر الإسلام المحرف في تركيا وآسيا الغربية . ولم يبق لهم في الأيام الحاضرة إلا بعض التكايا في تركيا وحلب وفي بعض أقطار المشرق، وذلك بعد انحسار أهمية تركيا بعد فقدانها الثقل السياسي والعسكري والديني وكلها عوامل كانت قد

١- جلال الدين الرومي : هو محمد بن محمد بن محمد بن حسين بن أحمد الهاشمي المولوي ، وهو شاعر فارسي﴿ت٦٧٢هـ ./ ١٢٧٣م في قونية﴾ ، كان عالما عارفا بالفقه على مذهب أبي حنيفة ، ثم تجرد ، و هام و ترك الدنيا و التصنيف والاشتغال بالعلم.

انظر ترجمته في : الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية ١ / ١٢٣ – ١٢٥ .

اقتضت "الحكومة الصوفية الخفية" أن تولى عناية صوفية لتقويض المـ د الإسلامي خصوصا في أوروبا .

الطريقة الرفاعية٥٢٧:

ومؤسسها أحمد الرفاعي، وأشهر ما يعرف عنه زعم أتباعه أنه لما حج عام ٥٥٥ هجرية ووقف أمام قبر الرسول صلى الله عليه وسـ لم طلب منه تقبيل يده الشريفة: ويزعم أتباعه أن النبي خرج من قبره ومد له يده من بين حديد شباك القبر فقبلها الرفاعي . هكذا كان ابتلاء هذه الأمـ ة في عقلها ودينها.

الطريقة الخلوتية:

ومؤسسها يوسف الخلوتي، و قد كانت ذائعة الانتشار فـ ي ولايـ ات الدول العثمانية، و توطدت في سراييفو حيث أسس فيها زاوية وخانقاه، سنة ٩٣٨هـ ./ ١٥٣١م.

الطريقة النقشبندية٥٢٨:

٥٢٧-ومؤسسها الشيخ أحمد الرفاعي ﴿ ت٥٧٠ هـ ./ ١١٧٣م ﴾ ، جاء أبوه من المغرب ، ويصل أتباعه نسبه إلى موسى الكاظم بن جعفر الصادق إلى علي بن أبي طالب. وولد أحمد الرفاعي في قرية ﴿حسن﴾ بالقرب من أم عبيدة بالعراق

وهي طريقة تشبه الطريقة الشاذلية، انتشرت في فارس وبلاد الهند، وكانت أقل انتشارا في البوسنة عن مثيلاتها من الطرق. ويعتقد النقشبنديون أن المؤسس الأول للطريقة النقشبندية هو أبو بكر الصديق وأن شيوخ هذه الطريقة من الإنس والحيوانات كالفرس والهرة والفهد والنحلة . قال صاحب الرشحات: "وأما الحيوانات فلنا منهم شيوخ، ومن شيوخنا الذين اعتمدت عليهم الفرس فإن عبادته عجيبة، فما استطعت أن أتصف بعبادتهم" وزعم أن السالكين يرون الله بالطريقة التجلية فيرون الله في جميع الأشياء من إنسان ونباتات وحيوانات بل ويتجلى الله في شكل فرس ٥٢٩ ، تعالى الله عما يصفون –ويحكون أن شيخهم علمه أن يطلب المدد من كلاب الحضرة النقشبندية ويخدمهم بإخلاص وأنه اجتمع مرة بكلبِ وحرباء فحصل له من لقائهما بكاء عظيم وسمع لهما تأوهاً وحنيناً فاستلقى كل منهما على ظهره، ورفع الكلب قوائمه الأربع إلى السماء وأخذ يدعو الله، وكذلك فعلت الحرباء والشيخ واقفٌ يقول: آمين، يؤمِّنُ على دعاء الكلب والحرباء ٥٣٠.

٥٢٨-ومؤسسها الشيخ محمد بهاء الدين النقشبندي ﴿ت ٧٩١ هـ .﴾

٥٢٩- البهجة السنية ص٦ رشحات عين الحياة ص١٣٣ لعلي الهروي .

٥٣٠– المواهب السرمدية في مناقب النقشبندية ١١٨–١١٩، والأنوار القدسية في مناقب النقشبندية ١٣٠

وإلى جانب الطرق الخمس السالفة الذكر عرف أهل البوسنة ثلاث طرق أخرى ذاع صيتها في البلقان خاصة، و عرفت بانحرافها الشديد عن جادة الصواب و بعدها عن أصول الدين، و هذه الطرق هي: الطريقة البكتاشية، وهي فرع من الطريقة البابائية التي أسسها بابا إسحاق الذي كان شيخا للحاج بكتاش. وكان الأتراك العثمانيون ينتمون إلى هذه الطريقة وبها الكثير من الخلط والأفكار الشيعية مما يجعلها أقرب إلى التصوف الشيعي منها إلى التصوف "السني"، وقد كان لهذه الطريقة أثر بارز في نشر الإسلام المحرف بين الأتراك والمغول، وكان لها نفوذ عظيم على الحكام العثمانيين مثلما كان سلاطين المماليك في مصر يخضعون لصوفية الطرق الدسوقية والبدوية والشاذلية، إذ كانت "الحكومة الصوفية" تهدف إلى السيطرة على الحاكم حتى يتبادل معها المصالح، فيغيبون عقول الناس ويزينون لهم مظالم الحاكم على أنها قدر الله الذي لا مرد له، وأن من يمتثل لهذه المظالم فأجره على الله، ويزهّدون الناس في الدنيا فالميعاد هو الآخرة التي يوصل إليها الفقر والعوز والطاعة والاستسلام. وبذلك يأمن الحكام الظلمة ثورات الناس المطحونين، وفي المقابل يتقاضى مشايخ الصوفية أجر ذلك من توفير الحماية وإطلاق يدهم دون مساءلة. والويل لمن يعادي الصوفية، فباستطاعة أحقر شيخ من شيوخهم تأليب الجماهير ضد السلطان. و "تجمع هذه الطريقة معتقدات وثنية، وأخرى نصرانية،

إلى جانب بعض آراء الفرق الصوفية الأخرى، كالتعلق بالأضـ رحة و القبور [٥٣١]." وقدكان انتشارها في البوسنة محدوداً مقارنة بما كانت عليه في ألبانيا وكوسوفو مقدونيا، حيث انتسبت إليها الأغلبية الألبانيـ ة مـ ن السكان، ولا تزال موجودة في ألبانيا و لهـ ا أتبـ اع ومريـ دون٥٣٢. ونظراً لما عرف عن أتباع هذه الطريقة من بُعد عن الصراط المسـ تقيم، واعتقادهم في الكثير من الأمور المخالفة للعقيدة الإسـ لامية الصـ حيحة، وتشبعها بأفكار وثنية و أخرى نصرانية، فإنها تعتبر إحدى طرق الزنادقة الخارجين عن الملة. وكانت هذه الطريقة منتشرة بين الجنـ ود العثمـ انيين ممن كانوا من رقيق النصارى من الصبيان، وهم مـ ن عرفـ وا باسـ م الانكشارية، وكان شعارها: ﴿ الله. محمد.علي ﴾، والطريقة تمثل أحد أدلة المساحة المشتركة بين التصوف والتشيع، فأعلنت نفسـ ها طريقـ ة علوية، وكان دعاؤهم المأثور ﴿ ناد عليا مظهر العجائب تجده عونا لك في النوائب﴾، "وانتشرت التكايا البكتاشية في تركيا، والطريقة البكتاشية شيعية خالصة في المعتقد والأنكار والمشاعر، ويبلغ عدد المنتمين إليها اليوم ثلاثة عشر مليونا يتزعمهم ده ده بابا وهو مـ ن أسـ اتذة جامعـ ة اسـ تنبول

٥٣١- انظر : نياز شكريتش : انتشار الإسلام في البوسنة و الهرسك ، ص : ١٦٧ .

٥٣٢- انظر : الطرق الصوفية في يوغسلافيا ، ص : ١٥٧ و ما بعدها .

".٥٣٣وانتشرت في أطراف الدولة العثمانية، وكانت كسابقتها تجمع بين بعض العقائد الإسلامية و بعض عقائد الأديان الأخرى كالنصرانية، لذلك كان أتباعها في الغالب من النصارى الذين دخلوا الإسلام حديثاً، وظلـ وا متمسكين ببعض عقائدهم السابقة، كالتعلق بالمسيح عليه السـ لام وأمـ ه، وتعليق الصلبان، و تقديس نصب الرهبان. و قد وصف أحـ د الكتـ اب الغربيين أتباع هذه الفرقة فقال: "إن أفراد تلك الطائفة الذين يخلطون خلطاً عجيباً بين النصرانية و الإسلام، كانوا من الجنود الذين يعيشـ ون علـ ى الأطراف القصية للمجر و البوسنة، وهم يقرءون الكتاب المقدس باللسان السلافي، و يشربون النبيذ في شهر الصيام"[٥٣٤]. وفي سنة ١٩٢٥م صدر مرسوم الحكومة التركية بإلغاء جميع الطرق الصـ وفية ومـ ن ضـ منها الطريقة البكتاشية، فانتقل بعد ذلك مقرها الرئيسي إلى مصر. وفي عجالة نستعرض بعض أشهر الطرق الصوفية في مصر:

الطريقة الدسوقية:

ومؤسسها إبراهيم الدسوقي، ويرجعون نسبه إلى آل البيت العلـ وي، وهو أمر مشترك بين جميع الصوفيين إذ يزعمون الانتساب إلى البيـ ت

١- د. عبد المنعم الحفني – الموسوعة الصوفية

٥٣٤- نويل مالكوم : البوسنة ، ص : ٩٨ .

النبوي. ويدعي المتصوفة أن الدسوقي هو أحد الأقطاب الأربعة المدبرين لأمور الكون، وهم في ذلك سواء مع الشيعة الذين يزعمون أن أئمتهم يشاركون في إدارة وتدبير شؤون الكون،قبحهم الله من كفرة فكأن الله يحتاج إليهم في إدارة الكون الذي خلق، ولو أن واحدا منهم احتبس بوله ما أمكنه بنفسه الشفاء ولو سال مخاط أنف أحدهم ما أمكنه مسحه بإرادة منه مالم يرد الله له ذلك، ولا يجترئ على الله إلا جاهل شقي.

الطريقة الشاذلية:

نسبة إلى أبي الحسن الشاذلي﴿ ٥٩٣-٦٥٦هـ ﴾ ولد بقرية عمارة قرب مرسية في بلاد المغرب، وانتقل إلى تونس، وحج عدة مرات، ثم دخل العراق ومات أخيراً في صحراء عيذاب بصعيد مصر في طريقه إلى الحج ،حيث يحج إلى قبره سنويا مئات الألوف من أتباعه. وانتشرت طريقته في مصر واليمن وبلاد العرب و مراكش وغرب الجزائر وفي شمال أفريقيا وغربها .

و الشاذلي هو القائل: أقسموا على الله بحياتي فإن من أقسم على الله بحياتي لابد أن يبره، ويقول: إذا تجلى الحق على عبده أغناه عن نفسه، وأقام فيه لطيفة ذاتية فتجعله الفرد المكمل والغوث الجامع . وعن نسبته "الشاذلي" يقول: قلت: يا ربِّ! لم سمَّيْتَني بـ "الشاذلي" ولستُ بشاذلي؟ فقيل لي: يا علي ما سَمَّيْتُكَ بالشاذلي، وإنمَّا أنتَ الشاذُّ لي– يعني: المفرَد

لخدمتي ومحبتي! وقال: إذا عرضت لكم إلى الله حاجةٌ فتوسَّلوا إلي ه بالإمام "أبي حامد"! –أي:الغزالي– وأوصى" الشاذليُّ" أصـ حابَه بحف ظِ "حزب البحر" وقراءته بعد العصر– وهو مِن مختَرَعاته– وق ال لهـ م حفِّظوه أولادكم، فإنَّ فيه اسمَ الله الأعظم!، وفيه قول ه:"... كهـ يعص كهيعص كهيعص انصرنا فإنَّك خير الناصرين... شاهت الوجوهُ شاهت الوجوهُ شاهت الوجوهُ.... طس حمعسق مرج البحرين يلتقيان، بينهم ا برزخ لا يبغيان حم حم حم حم حم حم حم وجاء النصر فعلينا لا ينصرون. والكلام خال من الأخطاء الطباعية. والشقي هو من حـ رم نفع ما أوتي من العقل.

ويبلغ عدد الطرق الصوفية في مصر وحدها حـ والي ٧٤ طريق ة ينخرط في سلكها ما يربو على ١١ مليون صوفي "تقابي" بالإضافة إلى ملايين أخرى تدين بملة التصوف دون انضمامها إلى طريقة صـ وفية محددة، وكل طريقة لها شيخها واسم خاص بها ولها أوراد تتعبـ د بهـ ا تخالف الأوراد الأخـ رى. ومـ ن فـ رق الصـ وفية طائفـ ة تسـ مى الملامتية٥٣٥ أو الملامية، يزعمون أنهم لإخلاصهم يُظهرون خـ لاف التوحيد، ولفرط تحريهم عدم الرياء فإنهم يظهرون خلاف الاسـ تقامة ، فيُخفون الطاعات ويظهرون الفسوق.

---

٥٣٥ – لمعرفتهم ينظر كتاب الأستاذ الدكتور / عبدالفتاح الفاوي ، الملامتية .

الطريقة التيجانية:

ولها من الأباطيل والإفـ ك مـ ا لـ دى سـ ائر الطـ رق الصـ وفية الأخرى،ويزيد عليها زعمهم مقابلة النبي مقابلة شخصـ ية ، إذ يـ زعم التيجاني أنه قابل النبي وعلمه صلاة أسماها صلاة الفاتح ، وقد بدأت هذه الطريقة في مدينة فاس وصار لها أتباع في السنغال ونيجيريـ ا وشـ مال أفريقيا ومصر والسودان. ويزعم مؤسس الطريقة التيجانية[٥٣٦] أنه خاتم الأولياء جميعاً ويستأثر بمنصب الغوث الأكبر في حياته وبعـ د مماتـ ه ، وأن أرواح الأولياء منذ آدم إلى آخر ولي لا يأتيها العلم الرباني إلا عـ ن طريقه، وأن قدمه على رقبة كل أولياء الله من خلق آدم إلى الـ نفخ فـ ي الصور –لاحظ سوء الأدب – وأنه وأصحابه وأتباعه أسبق مـ ن النبـ ي دخولا إلى الجنة، وأن الله شفعه في جميع الناس الذين يعيشون في قرنـ ه الذي عاش فيه. ولم يفته الزعم أنه من نسل الحبيب المصـ طفى الـ ذي أعطاه–بحسب زعمه– ذكراً يسمى صلاة الفاتح يفضل أي ذكر قرئ في الأرض ستة آلاف مرة – أوستين ألف مرة –بما في ذلـ ك القـ رآن، واسمع ما يقول هذا الذكر المفترَى: " اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما

٥٣٦– أحمد بن محمد بن المختار التيجاني المولود سنة ١١٥٠هـ . ١٧٣٧م ونسبته إلى بلدة تسمى ﴿بني توجين﴾ قرية من قرى البربر في المغرب

أغلق، والخاتم لما سبق، ناصر الحق بالحق، الهـ ادي إلـ ى صـ راطك المستقيم، وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم" [٥٣٧]قال صاحب الرماح: " وليس لأحد من الرجال أن يدخل أصحابه كافة الجنة بغيـ ر حسـ اب ولا عقاب ولو عملوا من الذنوب ما عملوا وبلغوا من المعاصي ما بلغوا إلا أنا وحدي، ووراء ذلك ما ذكر لي فيهم وضمنه لهم صلى الله عليه وسلم أمر لا يحل ذكره ولا يرى ولا يعرف إلا في الآخرة " ٥٣٨. "وزعم أن الرسول صلى الله عليه وسلم لا يفارقه يومي الاثنين والجمعة مـ ن كـ ل أسبوع، وكل من رأى التيجاني في هذين اليومين، تكتب الملائكة اسمه في رقعة من الذهب ويكون ناجياً أبداً ومن أهل السعادة حتى ولو كان كـ افراً عند مشاهدته للتيجاني فإنه لا بد أن يموت على الإسلام، وأن هذا كرامـ ة من الله له"[٥٣٩]. ذلك هو الإسلام الذي روج له الصوفية وباهوا بفضـ لهم في نشره في غرب ووسط وشمال أفريقيا ولهم فيها أتباع يبلغـ ون عـ دة ملايين.

ويذكر عمر بن سعيد الفوتي في كتاب الرمـ اح: "إن الأوليـ اء يرون رسول الله ﷺ يقظة وإنه يحضر كل مجلس أو مكـ ان أراد

٥٣٧- أحزاب وأوراد التيجاني ، تحقيق محمد الحافظ ، نقلا عن تفنيد الصوفية

٥٣٨- رماح حزب الرحيم ص١٤٣ ج٢

٥٣٩- عبد الرحمن عبد الخالق - تفنيد الصوفية

بجسده وروحه وأنه يتصرف في أقطار الأرض في الملكوت وهو بهيئته التي كان عليها قبل وفاته لم يتبدل عن شيء وأنه مغيب عـ ـن الأبصار كما غيبت الملائكة مع كونهم أحياء بأجسادهم فإذا أراد الله أن يراه عبد رفع عنه الحجاب فيراه على هيئته التي كان هو عليها، وشيخنا –يقصد التيجاني–هو خاتم الأولياء وسيد العـ ـارفين وإمـ ـام الصديقين وممد الأقطاب والأغواث وأنه هـ و القطـ ـب المكتـ ـوم والبرزخ المختوم الذي هو الواسطة بين الأنبياء والأولياء بحيـ ـث لا يتلقن واحد من الأولياء من كبر شأنه ومن صغر فيضاً من حضرة نبي إلا بواسطته رضي الله تعالى عنه من حيث لا يشعر به ذلـ ـك الولي". ويزعم التيجاني،مؤسس الطريقة التيجانية، أنه يرى النبـ ـي ﷺ يقظة، وأن النبي ﷺ لقنه الطريقة التيجانية وأورادها و أنه أذن لـه – يقظة – في تربية الخلق وتلقينهم هذا الورد. وقد خلع علـ ـى نفسه صفات الألوهية. ولما أدعى أنه الولى الخاتم قيل له: أليس الله قادراً على أن يوجد بعدك ولياً ؟ قال: بلى، ولكن لا يفعل، كما أنـ ـه قادر على أن يوجد نبياً بعد محمد ﷺ، ولكنـ ـه لا يفعـ ـل. ويـ ـزعم التيجاني ـ والحمقى يصدقون ـ أن منادياً ينادي يوم القيامة بأعلى صوته يا أهل الموقف هذا إمامكم الذي كان منه ممدكم في الـ ـدنيا . وزعمه أن من كان منتسبا إلى الطريقة التيجانية ثم تحول منها إلى غيرها من الطرق الصوفية يموت كافرا. وأنـ ـه أوتـ ـي اسـ ـم الله

الأعظم، علمه إياه النبي ﷺ ،وأن النبي ﷺ يحضر بجسده مجـ ـالس أذكارهم وأورادهم وكذا الخلفاء الراشدون. وإن تعجب مرة لمجنون يقول مثل تلك التخاريف، فتعجب ألف مرة مـ ـن الحمقـ ـى الـ ـذين يصدقونها . ما رأي أصحاب الفضيلة شيوخنا وفقهائنا في هـ ـذا الكفر والسفه؟

الطريقة الختمية:

وكسائر الطرق الصوفية، يزعم أتباع هذه الطريقة أنهم يلتقون بالنبي يقظة ويمدهم بالأوراد والأذكار ، وترتبط الطريقة بالفكر والمعتقد الشيعي، شأنها في ذلك شأن الطريقة البكتاشية. وقد أسس هذه الطريقة محمد عثمان الميرغني ويلقب بالختم إشارة إلى أنه خاتم الأولياء، ومنـ ـه اشـ ـتق اسـ ـم الطريقة الختمية، كما تسمى الطريقة الميرغنية ربطا لهـ ـا بطريقـ ـة جـ ـد المؤسس عبد الله الميرغني المحجوب. ويدعي مؤسس الطريقة أنه خاتم الأولياء وأن مكانته تأتي بعد الرسول. ولما كان مـ ـن أمـ ـاني الحكومـ ـة الصوفية الخفية أن تنشئ لها مراكز دعوية في قلب مهد الرسالة الإسلامية في مكة، فقد بدأت هذه الطريقة في مكة والطائف، ويأبى الله إلا أن يقـ ـي مكة من هذا الضلال، وكأنما هناك بركة وعناية طاردة لهـ ـذا الإفـ ـك ، فانتقلت إلى مصر بعد أن أرست لها قواعد في جنوب وغرب الجزيـ ـرة العربية، واستقر بها المقام أخيرا في السودان. وتنادي الطريقة بفكـ ـرة

وحدة الوجود التي نادى بها ابن عربي وقالوا بفكرة النـ ور المحمـ دي، واستخدموا مصطلحات الوحدة والتجلي والاتبجاس والظهـ ور والفـ يض وغيرها من المصطلحات الصوفية، وأسبغوا على الرسول قدرات إلهية.

الطريقة البريلوية:

أسس هذه الطريقة في مدينة بريلي الهندية – أيام الاستعمار البريطاني للهند – أحمد رضا خان الذي سمى نفسه عبد المصطفى! ويقدس أتباع هذه الطريقة الأولياء وينزلون النبي مكانا غير بعيد عن المقام الإلهـ ي ، ويعتقدون أنه يتحكم في الكون. يقول مؤسس الطريقة: "أي يا محمـ د لا أستطيع أن أقول لك الله، ولا أستطيع أن أفرق بينكما، فأمرك إلى الله هو أعلم بحقيقتك".

وجرى التنافس بين الطرق الصوفية فأضفت كل طريقة على شيخها الكثير من الكرامات الوهمية والبطولات المزعومـ ة كسـ با للمريـ دين والأتباع، ولم يروا بأسا في الإكثار من الأحاديث الموضـ وعة مـ ا دام ذلك سيحقق الوفرة في صناديق النذور وأموال الأوقاف وعطايا النـ اس وأموال وهدايا المغفلين. وكانت الطرق الصوفية خير معـ ين لليهـ ود والفرس والشيعة لهدم الإسلام، وأعان شيوخها المستعمرين في مراكش وتونس والجزائر والهند والسودان ومصر وفي كل مكان مـ ن الـ بلاد الإسلامية.

ذلك هو الإسلام الذي ينشره الصوفية ، فيتوهم العقلاء والمستنيرون أن المسلمين مخلوقات غبية لا تختلف عن قبائل الهمج في أحراش أفريقيا، وأن دينهم خرافات لا تناسب سوى الحمقى والمغفلين. فلا غفر الله لكل مشارك في هذا الإفك والضلال. ولا سامح الله كل من تهاون في الدفاع عن هذا الدين العظيم.

والرجوع إلى منهج الله في كتابه والاحتكام إليه ليس نافلة ولا تطوعا، وإنما هو الإيمان أو فلا إيمان. وعلى المسلمين إن صحت عزائمهم استخلاص دينهم غضا نقيا كما أنزله الله على نبيه، عليهم بالعودة إلى منابعه الخالصة قبل تلوثها بأدران الضلال ، ففي الحق سعة، ومن ضاق عليه الحق فالباطل عليه أضيق ، ولله الأمر من قبل ومن بعد.

الأذكار والأوراد

عقد أحد الصوفية اجتماعا مع النبي وشارك في الاجتماع الخضر عليه السلام، وأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم الخضر أن يلقن هذا الصوفي أذكار الطريقة الشاذلية فلقنه إياها بحضرته. وتفاصيل محاضر الجلسة مدونة في كتاب "مفاتيح كنوز السماوات والأرض المخزونة التي أعطاها صلى الله عليه وسلم لشيخ الطريقة الإدريسية المصدونة"!! ولله الأمر من قبل ومن بعد.

الشريعة الصوفية في العبادات:

يعتقد الصوفية أن الصلاة والصوم والحج والزكاة عبادات العوام وأما عباداتهم فمخصوصة لأنهم خواص. وغاية العبادات عندهم هي ربط القلب بالله للتلقي عنه والفناء فيه واكتساب صلاحيات إلهية حتى يقول الصوفي للشيء كن فيكون، ولأن الولي الصوفي يتلقى شريعته الخاصة من الله، فلا يهم أنها تخالف شريعة العوام: فهم يعاقرون الخمر والحشيش ويفسقون بالنساء والمردان . ومع أنه من البديهي عدم جواز استحداث عبادات جديدة لم يعرفها النبي ولا المسلمين الأوائل، إلا أن كل دواعي التحريف والتخريف قد اصطنعت شعائر وطقوس عبادية لم ينزل الله بها

من سلطان. والقول بجواز مزاولة هذه العبادات المستحدثة لأنها خير وصلاح، إنما يعني أنه خير قد فات النبي الذي أتم تبليغ الرسالة، وهذا ما لا يقول به مسلم صحيح الإيمان، أو أنها بدعة وحري بنا تركها. والعبادات التي شرعها الله عبادات توقيفية فلا مجال للرأي فيها. والنبي صلى الله عليه وسلم يقول:"خذوا عني مناسككم"، ولم يقل خذوا مناسككم عن شيوخ الطرق الصوفية. ومع كل هذه المباعدة عما شرعه الله لنا من عبادات وما بلغه النبي لنا، لا يستحيي الصوفية ولا يردعهم عقل أو دين من الزعم الدائم أنهم يهتدون بالكتاب والسنة على ما في هذا القول من كذب ومغالطة .

وأتباع الطريقة الرفاعية لهم خلوة أسبوعية سنوية وتبدأ في اليوم الحادي عشر من المحرم كل عام، ومن شروطها أن لا يأكل المريد طعاماً أخذ من ذي روح، وينكر المريد في اليوم الأول﴿ لا إله إلا الله﴾ بعدد معلوم، واليوم الثاني ﴿الله الله ﴾، والثالث ﴿وهاب وهاب ﴾، والرابع ﴿حي حي ﴾، والخامس ﴿مجيد مجيد ﴾، والسادس ﴿معطي معطي﴾، والسابع ﴿قدوس قدوس ﴾، وكل ذلك بعدد معلوم . ويقول المريد بعد كل صلاة من صلوات هذا الأسبوع ﴿اللهم صل على سيدنا محمد النبي الأمي الطاهر الزكي وعلى آله وصحبه وسلم﴾ يقول ذلك مائة مرة، "وزعموا أن لهذه الخلوة فتوحات محمدية، وعنايات أحمدية لا تحصى

وأن من فعلها يشاهد من البراهين العظيمة وكان له شأن عظ يم ٥٤٠ " وهذه الخلوة بدعة وتشريع جديد لم يأذن به الله ولا رسـ وله، وفيه ا مشابهة لصيام النصارى وتقرباً من الشيعة "الرافضة "حيـ ث يخصـ ص لأدائها الحادي عشر من محرم من كل عام .

والصوفيون يقولون إن الميت وليا كان أم نبيا يستطيع أن يرجع إلى الدنيا، وهم في ذلك يضاهون بقولهم مزاعم الشيعة لأئمتهم، فالولي يرجع لتفقد أحوال الأهل والمريدين. والنبي – في زعمهم– يرجع إلى الدنيا لتلقين الصوفية الأذكار والأوراد، ويحضر اجتماعاتهم، ومـ ا كـ ان الصـ وفية يستطيعون الزعم برجعة شيوخهم ما لم يزعموا ذلك للنبي الكـ ريم، لـ ذا طالته مزاعمهم التي أساءت للإسلام قبل النبي. ولما كان ذلـ ك غـ رامهم بالرجعة فقد قدسوا الموتى والمقابر، وكان تقديسها ذريعة إلـ ى الشـ رك، حيث أدى ذلك إلى اتخاذها معابد فبنوا الأضرحة والمزارات وشرعوا لها الطقوس والشعائر، وقدسوا المدفونين فيها ونذروا لهم، وطلبوا منهم العون والمدد من دون الله ، وإن لم يكن ذلك هو عين الشرك فمـ ا فـ ي الـ دنيا شرك. ويزعم الجيلانى شيخ الطريقة الصوفية القادرية أن ضريحه بيت الله لمن جاءه زائراً، يقول: "ضريحي بيت الله من جاء زاره يهرول لـ ه

٥٤٠–الطريقة الرفاعية ص١١٥

يحظى بعز ورفعة[٥٤١]. و يتوجه أتباع الطرق الصوفية بمئات الأل وف إلى تلك الأضرحة يحجون إليها سنويا في المواعيد المقررة للموالد. فأتباع أحمد البدوي يحجون إلى طنطا سنويا، وأتباع الشاذلي يحجون إلى ضريح شيخهم في حميثراء بالصحراء الشرقية، وكذلك يفعل الصوفية كلهم جميعا في أفريقيا وآسيا، بل وأوروبا ﴿في البوسنة يحج الصوفية

إلى بلدة "آيفاتو فيتسا" التي يسمونها الكعبة المصغرة، ويسم مون ذل ك بالحج الأصغر، كذلك فإن الصوفيين من حركة الصوفية الجديدة ف ي ألمانيا يحجون إلى قرية "شنيده"[٥٤٢] الواقعة غرب الـ بلاد وتشت تهر الآن باسم مكة ﴾.

٥٤١– كتاب الفيوضات الربانية فى المآثر والأوراد القادرية ص٣٣ فى الوسيلة

١– تقع قرية شنيدة في شمال ألمانيا وتشتهر الآن باسم مكة بعد أن تحولت إلى مرك ز لطائفة جديدة ظهرت في ألمانيا منذ ثلاث سنوات أطلقت على نفسها اسم الحركة الصوفية الإسلامية وهي حركه بعيدة عن الإسلام ويتزعم هذه الطائفة أحد الهنود اسمه بـ اجوان وقد قال أحد اتباع الطائفة وهو مواطن ألماني درس الاقتصاد السياسي بأن أحد الأشخاص العرب هو الذي أقنعه بفكر الصوفية والتي تعني في رأيه الارتباط بـ الله ع ن طري ق التصعيد الروحي وممارسه الطقوس الصوفية من رقص وغناء وترديد للأناشيد والدوران أضاف الألماني الصوفي بأنه يمارس الجنس بحرية مع المتصوفات اللاتي يحضرن إلى المركز ويقمن فيه أحيانا باعتبار أن الجنس صورة من صور السمو الروحي وعند سؤال أحد الأعضاء عن مصدر تمويل المركز الصوفي أجاب بأن المركز يتلق ى توجيهات ه

وأصبحت العناية ببناء القبور وتجصيصها وشد الرحال إليها سمة من سمات المسلمين مع ما في ذلك من مخالفة صريحة ومباشرة للإسلام، فقد نهانا النبي عن البناء على القبور وعن شد الرحال إلى المساجد غير المساجد الثلاثة ﴿المسجد الحرام والمسجد النبوي والمسجد الأقصى﴾. ويقع هذا الأمر ضمن دائرة الأمور المسكوت عنها في ديننا، وهي دائرة تحتوي على أمور يتجنب مشايخنا الخوض فيها وإن فعلوا فعلى استحياء ولا يقطعون برأي جازم بشأنها، فمع تفشي ظاهرة بناء المساجد على القبور وشد الرحال إلى مساجد مشايخ الصوفية في ما يشبه الحج، لا نرى تصدي حقيقي فاعل لهذه الظاهرة، مع وضوح التحذير منها. ففي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله

ونشراته من المقر الرئيسي للحركة الصوفية الإسلامية في الخرطوم بالسودان. وقد قام مراسل جريدة المدينة، "بالسعودية "بزيارة إلى مقر هذه الطائفة ولاحظ مراسل الجريدة وجود نجمة إسرائيلية معلقة على أحد جدران المركز ولما سأل عنها قال له أحد المسؤولين بأنها ترمز إلى التصوف والتضامن واللقاء بين الأديان السماوية. ﴾عن جريدة المدينة ١٤٠٤/١/٢٨هجرية تقرير من مراسلها في بون الأستاذ احمد كمال حمدي ونشرتها مجلة الدعوة: عدد ٩١٧ – ١٧ صفر ١٤٠٤تصدر بالرياض﴾

عليه وسلم: لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد قالت رضي الله عنها: يحذر ما صنعوا. وفي الصحيحين عن أم سلمة وأم حبيبة رضي الله عنهما أنهما ذكرتا للنبي صلى الله عليه وسلم كنيسة رأتاها بأرض الحبشة، وما فيها من الصور، فقال عليه الصلاة والسلام: أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله.٥٤٣، ويقول : ... إن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك "٥٤٤. وفي أول مراحل الصوفية كثر الاهتمام بالوعظ والقصص مع قلة العلم والفقه والتحذير من تحصيلهما، وخالط الصوفيون رهبان ونساك أهل الكتاب واتخذوا دورا للعبادة غير المساجد، يلتقون فيها للاستماع لقصائد تحض على الزهد ومديح النبي صلى الله عليه وسلم، ثم تطور الأمر إلى ابتداع أنكار ما أنزل الله بها من سلطان، وعكفوا على التعبد بها بالرقص والترنح على دقات الطبول والنفخ في المزامير أو التصفيق بالكفوف، والله أنكر على المشركين ذلك إذ قال:" وَ مَا كَانَ صَلاتُهُمْ عِنْدَ البَيْتِ إِلاَّ مُكَاءً وتَصْدِيَةً فَذُوقُوا العَذَابَ بِمَا

٥٤٣- نجد الآن في بعض مساجدنا صورا لبعض المشايخ

٥٤٤– رواه مسلم في الصحيح

كُنتُمْ تَكْفُرُونَ "٥٤٥. ولما دخل الإمام الشافعي رضي الله عنه مصـ ـر قال: تركت بغداد وقد أحدث الزنادقة فيها شيئاً يسمونه السماع. والزنادقـ ـة الذين عناهم الشافعي هنا هم المتصوفة ﴿والسماع﴾ هو الغناء والمواويل التي ينشدونها. وفي الطريقة التيجانية يجلس الذاكر كجلسة التشهد مغمضاً عينيه مستحضراً صورة الشيخ أحمد التيجاني– شيخ الطريقة – ويتخيل أن عموداً من النور يخرج من قلب الشيخ ويدخل في قلبه. ولهم ذكر آخر يكون يوم الجمعة متصلاً بغروب الشمس وهو ترديد: لا إله إلا الله ألف مرة، والأفضل أن يكون معه سماع قبله أو بعده ، وهو إنشاد شيء مـ ـن الشعر بالغناء والترنم جماعة ثم يقولون جميعاً: ﴿الله حـ ـي﴾، والمنشـ ـد ينشدهم وهم قيام حتى يخلص عند تواجدهم إلى لفـ ـظ ﴿آه، آه، آه﴾ ، ويسمون هذه الحالة العمارة. ثم يصلون ﴿صلاة الفاتح لمـ ـا أغلـ ـق﴾ خمسين مرة ثم لا إله إلا الله مئة مرة . ثم صلاة جوهرة الكمال اثنتي عشرة مرة، ولأن النبي والخلفاء الراشدين الأربعة – في زعم الصوفية – يحضرون عند قراءة جوهرة الكمال في المرة السابعة منها، لذا يجـ ـب التطهر بالماء – وليس التيمم– قبل قراءتها. ومن شروطها أيضا إعـ ـداد الفراش الطاهر الذي يسع ستة أشخاص، لأن النبي صلى الله عليه وسلم يحضر ومعه الخلفاء الأربعة. واسمع إلى صلاة جوهرة الكمـ ـال التـ ـي

٥٤٥– الأنفال ٣٥

يحضر تلاوتها النبي الكريم والخلفاء الراشدون الأربعة :" اللهم صل وسلم على عين الرحمة الربانية، والياقوتة المتحققة الحائطة بمركز الفهوم والمعاني، ونور الأكوان المتكونة الآدمي صاحب الحق الرباني البرق الأسطع بمزون الأرياح المائلة لكل متعرض من البحور والأواني ونورك اللامع الذي ملأت به كونك الحائط بأمكنة المكاني، اللهم صل وسلم على عين الحق التي تتجلى منها عروش الحقائق، عين المعارف الأقوم صراطك التام الأسقم، اللهم صل على طلعة الحق بالحق، الكنز الأعظم، إفاضتك منك إليك إحاطة النور المطلسم صلى الله عليه وسلم، وعلى آله صلاة تعرفنا بها إياه "٥٤٦ . هذا هو ما آل إليه حال إسلامنا الحنيف، وما من منكر لهذا الضلال بل مباركة وانخراط في صفوف هؤلاء المحتالين . وابتدعت بعض الفرق الصوفية كفارات لإسقاط العبادات، فأتباع الطريق البريلوية يؤمنون بالإسقاط وهي صدقة تدفع عن الميت بمقدار ما ترك من صلاة أو صيام أو سائر العبادات وهي مقدار صدقة الفطر. ونشأت هذه الطريقة في الهند أيام الاستعمار الإنجليزي.ودفع فدية مقابل إسقاط العبادات غير المؤداة ابتكار شيعي، فهم يدفعون مبالغ من المال نظير عدم أداء الميت للصلاة أو الحج.

٥٤٦– أحزاب وأوراد التجاني ، ١٣ ، ١٤

الأذكار والأوراد:

قال تعالى: "وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُون "٥٤٧ . وأتباع الطريـ ق الصـ وفية الختمية يذكرون الله بأسماء ما أنزل الله بها من سـ لطان ويسـ مون الله بأسماء غير أسمائه الحسنى وقد جاء في أذكارهم كلامـ ا عجيبـ ا يتسـ م بالغموض، فهم يقولون ﴿ وليس هناك أخطاء طباعية في ما نكتـ ب ﴾ : "بسم الله الرحمن الرحيم وصلى على سيدنا برهتيه، تبتليـ هـ ط وارك، مزحل، برهشب، خوطر، قلينهود، برشا كطهير بانموا شلخ، شماهير، شمها حيرحورب النور الأعلى عبطال فلا إله إلا هـ و رب العـ رش العظيم "٥٤٨ . "وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُون ".

ويزعم مشايخ الصوفية أن النبي أملاهم الأوراد التي يعكفون عليها، وأنه أبلغهم بها وحيا أو في المنام أو شخصيا، وأوصاهم بتلاوة الأذكـ ار والعكوف عليها إذ لا يكتمل الإيمان إلا بها –قبحهم الله– وهل لم يصـ ح

٥٤٧-سورة الأعراف ١٨٠

٥٤٨– السيد محمد الحسن الميرغني في كتاب مجمع الأوراد الكبير ص ١١٦﴿ دعوة البرهتية ﴾

إيمان النبي والصحابة والتابعين لأنهم لم يعكفوا على هذه الأنكار والأوراد؟ وإذا كان الدين لا يصح إلا بها فما القول في قول الله تعالى باكتمال الـ دين وتمامه قبل القول بهذه الخزعبلات المسماة أنكارا وأورادا؟

وما أكثر الطرق الصوفية ،منها في مصر وحدها حوالي ٧٤ طريقة يبلغ أتباعها ١١ مليون صوفي، ولكل طريقة أنكارها وأورادها التي تزعم أنها تلقتها من النبي. والذكر الحقيقي كما يفهمه العقلاء هو استحضار معنى الألوهية والربوبية لله تعالى في النفس في جميع الأحـ والـ: فـ ي البيـ ع والشراء والعمل والعبادة والجهاد ومجاهدة النفس.

وإليك بعض أنكار الطريقة الرفاعية التي يلزمون بها مريديهم: على الذاكر أن يردد عدة كلمات كما يلي:

"﴿يا حق﴾ أربعة آلاف مرة، ﴿ياحنان﴾ خمسة آلاف مرة،﴿ياحليم﴾ ستة آلاف مرة، ﴿ياحي﴾ سبع آلاف مرة، ﴿ياحافظ﴾ ثمانية آلاف مرة! ثم يزيد عدد مرات ترديد الذكر حتـ ى يبلـ غ واحـ دا وأربعـ ين ألـ ف مرة!!"٥٤٩، ولا حول ولا قوة إلا بالله. أهذا هو المسلم الذي أنيطت به عمارة الأرض؟ أيبقى لهذا المعتوه وقت للدراسة أو الـ تعلم أو العمـ ل. أيستطيع هذا المخلوق التعس أن يجاهد في سبيل دينه وماله وعرضه؟ هل هؤلاء هم المسلمون الذين قال الله لهم: وأنتم الأعلون إن كنتم مـ ؤمنين؟

٥٤٩– د.عامر النجار – الطرق الصوفية في مصر

أي علو يعلوه هؤلاء الهبل! وماذا بعد إهدار الوقت في ممارسة هذه البدع إلا الخسران وبوار الأحوال في الوقت الذي يمضى غير المسلمين أوقاتهم في المختبرات والمصانع والمزارع والمراكز البحثية يعملون ويعملون كما يريد الله لخلقه المستخلفين في الأرض. والغاية م ن اس تهلاك وق ت الصوفي على هذا النحو هو شغله عن التفكير وتحويله إلى مخلوق آلي لا عقل له ولا إرادة ٥٥٠ .

ومن أنكار الطريقة الجيلانية:" يجلس الذاكر ويدير وجهه جانب الكتف الأيمن قائلا: "هاء"ويدير وجهه إلى الأيسر قائلا : "هو"، ويحتضن رأسه ضاربا في نفسه بقوله: حي، ويعود إلى عمل ذلك بلا توان"[٥٥١]. وعندهم ورد الجلالة الذي يعكفون عليه ويقرؤونه ١٧١٦٦ مرة! وبعد قراءته يقسمون بقسم يقولون في آخره كلاما غير مفهوم ننقله إلى القارئ كما هو فلا يظنن أن المكتوب به أخطاء طباعية، يقولون: وأسألك بالس ر ال ذي تدهش منه العقول، فهو من قربه ذاهل، أينتوخ ياملوخ باي وام ن أي وامن مهباش، ويرون أنها عبارات ممتزجة بحروف لا يدري معناها إلا

٥٥٠- كان "قرمط" كبير فرقة القرامطة الشيعية يكلف أتباعه بالصلاة خمسين مرة في اليوم الواحد

٥٥١- د.عامر النجار الطرق الصوفية في مصر

من أفاض الله عليهم المعرفة والأنوار."[٥٥٢] ويناجون الله قائلين:" يا أرحم الراحمين أنت رب العالمين، بحاء الرحمة وميم الملك ودال الدوام يا من هو – ولا أخطاء مطبعية– أحون قاف آدم حم هاء آمين. ويقول الصوفية إن "أحون قاف آدم حم هاء آمين"، هي أسماء من لغة الأرواح، وبها يتخاطب أهل الفتح الكبير. والمعاني في هذه اللغة تؤديها الحروف الهجائية لا العبارات، ولا يعرف هذه المعاني إلا الربانيون، وقد قال الدسوقي الصوفي الشهير: إنني أشرح في نقطة الباء سبعة أحمال بعير فتتقطع قلوب العارفين وتميل عند معرفة نقطة الباء "[٥٥٣]. كذلك فإن أذكار ﴿أحون قاف آدم حم هاء آمين كهيعص﴾ من أذكار أبي العباس المرسي[٥٥٤]. وإذا أردت أن تعرف عقل الرجل فحدثه بحديث لا أصل له، فإن رأيته أصغى إليه وقبله فاعلم أنه أحمق، وإن أنكره فهو عاقل.

أما عن ورد الظهر للطريقة القادرية –دون أخطاء مطبعية–فيقول: ﴿يا الله بصعع والباء بهبوب هبوب أو الذ ور السلام بسهسهوب سهسهوب ذي الفر الشامخ مطهطهوب هطوب يا الله يا الله كهوب

---

٥٥٢ – د.عامر النجار الطرق الصوفية في مصر – ص١٧٨

٥٥٣– الطرق الصوفية في مصر–ص١٨٠

٥٥٤–ابن عطاء الله السكندري– –لطائف المنن

كهوب كهوب بي ﴿٥٥٥. وغوامض ألفاظ الذكر المبتدع، تُوقع السامع في خبط عشواء، وتسترهبه وتعطل عقله، أو ما بقي م ن عقل ه. ولا يستحي الصوفية من الزعم أنهم على طريق الكتاب والسنة، فأي كت اب يزعمون، وأي سنة يتبعون؟

وإذا لم تستحي فافعل ما شئت، يزعم الصوفية أن التدبر في القرآن يصرف النظر عن الله. وزعموا أن الفناء في الله هو غاي ة الصوفي ويرون أن تدبر كلام الله يصرفهم عن هذه الغاية!! يقول الصوفي الشهير الشعراني في كتابه الكبريت الأحمر:" يقول الله عز وجل في بعض الهواتف الإلهية يا عبدي الليل لي لا للقرآن يتلى إن لك في النهار سبحاً طويلا فاجعل الليل كله لي وما طلبتك ، إذا تلوت القرآن بالليل لتقف على معانيه فإن معانيه تفرقك عن المشاهدة فآية تذهب بك إلى جنتي وما أعددت فيها لأوليائي فأين أنا إذا كنت في جنتك مع الحور متكئا على فرش بطائنها من إستبرق، وآية تذهب بك إلى جهنم فتعاين ما فيها من أنواع العذاب فأين أنا إذا كنت مشغولاً بما فيها، وآية تذهب بك إلى قصة آدم أو نوح أو هود أو صالح أو موسى أو عيسى عليهم الصلاة والسلام وهكذا وما أمرتك بالتدبر إلا لتجتمع بقلبك علي وأما استنباط الأحكام فلها

٥٥٥- الفيوضات الربانية والأوراد القادرية ص٨٤

وقت آخر وثم مقام رفيع وأرفع"[٥٥٦]. ولم يقل لنا أحد ما المقصود بالهواتف الإلهية؟ إذ لا وحي بعد خاتم الأنبياء. وكيف تكون هذه هواتف إلهية وهي تناقض قول الله تعالى الداعي إلى تدبر القرآن إذ يقول: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الأَلْبَابِ ﴾٥٥٧، وقال تعالى: ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ القُرْءانَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا " ٥٥٨.وليس يخفى أن المقصود هو صرف الناس بعيدا عن كتاب الله واستمالتهم إلى هجره كي يتيسر لهم استبداله بأذكارهم وأورادهم بعد أن تم لهم إقصاء المساجد واستبدالها بالتكايا والخانقاوات التي تشكل مراكزهم الدعوية. وضرب الصوفية حصارا على العقل المسلم واسترهبوا الناس من القرآن ، فزعموا أنه أسرار تستغلق على عقول العوام دون الخواص، و أن أسراره في الفاتحة، وسر الفاتحة في البسملة وسر البسملة في الباء وسر الباء في النقطة، وفاتهم – قبحهم الله – أن القرآن كله كان غير منقوط وظل كذلك حتى زمن الحجاج بن يوسف الثقفي في خلافة عبد الملك بن مروان الأموي، وكانت الباء غير منقوطة حتى ذلك الحين. ولاستكمال الحصار جعلوا السنة النبوية مجرد حكايات يرددها المنشدون في المقاهي وليالي السمر مع

٥٥٦- الكبريت الأحمر على هامش اليواقيت والجواهر-ص٢١

٥٥٧- ص ٢٩

٥٥٨- محمد ٢٤

حكايات أبي زيد الهلالي ومغامرات عنترة العبسي. وقرأوا الأحاديث النبوية للبركة دون الفهم، فالفهم محظور على غير المجتهدين ولا اجتهاد بعد الأئمة الأربعة . ولأن التصوف والتشيع وجهان لعملة واحدة، فكثيرا ما تجد أفكارهما متشابهة إلى حد التطابق. جاء في كتب الشيعة " أن جميع أسرار الكتب السماوية في القرآن، وجميع ما في القرآن في الفاتحة، وجميع ما في الفاتحة في البسملة، وجميع ما في البسملة في باء البسملة، وجميع ما في باء البسملة في النقطة التي هي تحت الباء، وزعموا أن الإمام على كرم الله وجهه قال: " أنا النقطة التي تحت الباء "[٥٥٩]. وابتدعوا أنكارا ادعوا أن النبي قد أملاها على شيوخهم. "وزعم أحدهم أنه اجتمع مع النبي والخضر –صاحب موسى– حيث أمر النبيُ الخضرَ بأن يعلم هذا الصوفي أنكار الطريقة الشاذلية، علما بأنها تتطرق بالكفر والشرك، فمنها صلاة ابن مشيش التي يقول فيها: ﴿اللهم انشلني من أوحال التوحيد، وأغرقني في عين بحر الوحدة﴾ ، وفيها أن محمدا صلى الله عليه وسلم هو أصل هذا الوجود وأول مخلوق فيه ومنه انشقت كل الأنوار وظهرت كل الموجودات "[٥٦٠]. والصوفية في أنكارهم يرددون اسم

٥٥٩– الدر المنظم – نقلا عن كتاب موسى والخضر – محمود المراكبي

٥٦٠ – عبد الرحمن عبد الخالق – تفنيد الصوفية : الباب الخاص بالحقيقة المحمدية و الذكر الصوفي

الله مفردا بقولهم "الله الله الله" أو مختصرا بقولهم "هو، هـ و، هـ و"، أو "ياهو" . وبعضهم على ذلك الاختصار بقوله: أخشى أن تقبض روحـ ي قبل أن استكمل قول "لا إله إلا الله "! وقد صنف ابن عربـ ي الصـ وفي الشهير كتابا أسماه كتاب: " الهو " وزعم بعضهم أن قول الله: {وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ }٥٦١، معناه: وما يعلم تأويل هذا الاسم الذي هو" الهـ و". وكفانا في الشهادة عليهم في حماقتهم وسخافة عقولهم ما نراه من تعبـ دهم بالطبل والزمر والتصفيق عملا يبدع ابتدعت بعد عصر النبوة والسـ لف الصالح. يقول شيخ الإسلام ابن تيميه: "ولو كان هذا – يقصـ د سـ ماع الأشعار وضرب الدفوف كعبادة – مما يؤمر به ويستحب لكان ذلك مما دلت الأدلة الشرعية عليه، ويضيف: إنما عبادة المسلمين الركوع والسجود أما العبادة بالرقص وسماع الأغاني بدعة يهودية تسربت إلى المنتسبين إلى الإسلام. والعجيب أن الصوفيين يكفّرون من ينكر عليهم هذا الهراء، ويفترون على الله أنه هو الذي أمر الناس بهذا العبث، فيقولون: "وإن من أنكر ذلك فقد كفر، لأنه عاب خيراً أمر الله به، ومن عاب ما أمر الله به فهو كافر"[٥٦٢]. " وقيل لرجل تكلم ببدعة ودعا الناس إليها: هـ ل

٥٦١-.. ﴿ آل عمران ﴾ الآية : ٧

٥٦٢-﴿الطريقة الرفاعية ص٧٨،٦٤﴾ نقلا عن تفنيد الصوفية

علمها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي، أو لم يعلموها؟ قال: لم يعلموها. قيل له: فشيء لم يعلمه هؤلاء أعلمته أنت؟ قال الرجل: فإني أقول قد علموها، فقيل له: أفوسعهم أن لا يتكلموا بها ولا يدعوا الناس إليها أم لم يسعهم؟ قال: بلى وسعهم قيل له: فشيء وسع رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفاءه لا يسعك أنت فانقطع الرجل فقال الخليفة وكان حاضرا: لا وسع الله على من لم يسعه ما وسعهم"[٥٦٣] والبدعة هي ما يصادم الشريعة بالمخالفة.

تلك كانت صورة الإسلام والمسلم لمن يراهما من خلال المنظور الصوفي: ملة كلها خرافات يؤمن بها ضعاف العقول، فضرب ذلك حصارا صارما على الإسلام الحنيف ومنع انتشاره بين العقلاء ممن يطلبون الحق ولا يجدونه، والدنيا حق وباطل ولكل أهل.

وما يفهمه المسلم عن الذِكر هو إفراد الله تعالى بالألوهية واستحضار هذا المعنى في الضمير والوجدان دائما ،وهو معنى تتوجزه عبارة:"لا إله إلا الله" التي تمثل إحدى الدعامات الأساسية للتصور الإسلامي. ولكنهم يرون أن "لا إله إلا الله " هي ذكر العامة، وأما ذكر

٥٦٣- ابن قدامة المقدسي – لمعة الاعتقاد

الخاصة: فهو الاسم المفرد " الله "ونكر خاصة الخاصة كلمة: " هـ و ".
وفي هذا قال شيخ الإسلام ابن تيميه: ومن زعم أن قول" لا إلـ ـه إلا الله" ذكر العامة وأن ذكر الخاصة هو الاسم المف رد: الله، ونكـ ر خاصـ ة الخاصة هو لفظ: "هو "، أي الاسم المضمر فهو ضال مضل. والأنكار والأوراد والسماع وغيرها مـ ن الشـ عائر والطقـ وس التـ ي ابتـ دعها الصوفية،هي عبادات مبتدعة ما أنزل الله بها من سلطان، وهي واضـ حة البطلان لأن العبادات في الإسلام توقيفية أي أنها تقتصر على العبـ ادات التي أقرها النبي الكريم وأداها هو وصحابته الكرام ليس غير، فليس لأحد أن يبتدع عبادة لم تشرع. ومن المسلمين الأوائل من أراد صيام الدهر أو هجر النساء أو قيام دائم لليل، ولكن النبي نهرهم عن ذلـ ك، إذ رفـ ض الابتداع في العبادات حتى وإن كانت غير مصادمة للشريعة. ومن لا يجد الفهم والدين الحق في القرآن والسنة وينخدع بأباطيل المبطلـ ين ويتخـ ذ أورادهم وأنكارهم وطقوسهم عوضا عنهما، يكـ ون قـ د ضـ ل فوليـ ه الشيطان. ومن يتعبد بما لم يأمره الله به أو لم يبلغه النبي الكريم فقد ابتـ دع وظن أن القرآن الكريم غير كامل وأن النبي لم يبلغ رسالته. أي أن من نهج نهج الصوفية والشيعة بأنكار وعبادات خلافا لما جاء في الإسلام أيام الرسول والصحابة والخلفاء الراشدين، فقد ضل ضلالا بعيـ دا. ومـ ن لا عقل له فلا دنيا له ولا آخرة.

والسماع والرقص والتواجد والتصفيق ليسوا من الإسلام، فأَوّل مَ نْ فعل ذلك هم أصحاب السامري ّ، لما اتخذ لهم عجلاً جسداً له خوار، قاموا يرقصون حوله ويتواجدون، فمن يفعل ذلك ممن يدعي الإس لام إنما يتأسى بعباد العجل. وكان النبي صلى الله عليه وسلم يجلس مع أصحابه وكأنما على رؤوسهم الطير من الوقار، ولم يعلم أحد أن النبي الكريم وهو المعلم الأول للمسلمين، كان يذكر الله على طريقة الصوفية، أي رقصا أو تمايلا. وما الإسلام إلا القرآن والسنة، وما سواهما فبدع يجب طرحه ا خلف ظهورنا. والحذر الحذر من المساس بثوابتنا الدينية :كالتصـ ورات العقائدية والشعائر العبادية،وإنما يجب قبولها والعمل بها كما علمناها من القرآن والسنة.

الشطح والكشف

عندما يصرح الصوفية بما يصادم الدين وينكره الناس، ويرون أنهم جاوزوا الحد الذي عنده تبدأ أفهام العوام في الانتقاد والإنكار، يسارعون بإنكار ما قالوا به وزعموا أنه من "الشطح" واعتذروا عنه بدعوى أن قائليه معذورون فيما قالوه لأنهم كانوا سكارى غائبين عن وعيهم عند نك رهم لهذه العبارات. ومن ذلك قول أبي يزيد البسطامي: "رفعني ربـ ي مـ رة فأقامني بين يديه وقال لي يا أبا يزيد إن خلقي يحبون أن يروك!! فقل ت: زيني بوحدانيتك وألبسني أنانيتك وارفعني إلى أحديتك حتى إذا رآني خلقك

قالوا: رأيناك، فتكون أنت ذاك، ولا أكون أنا هنا " ٥٦٤ ، كما قال: " أول ما صرت إلى وحدانيته فصرت طيراً جسمه من الأحدية، وجناحاه من الديمومة فلم أزل أطير إلى أن صرت في ميدان الأزلية، فرأيت فيها شجرة الأحدية" ٥٦٥، وقال: "سبحاني سبحاني" وقال أيضاً: "ضربت خيمتي بإزاء العرش"٥٦٦. ومر يوماً بمقبرة للمسلمين فقال "مغرورون" ولليهود فقال: "معذورون"٥٦٧!

وهذا صوفي شهير آخر، هو الشبلي، يقول: "لو خطر ببالي أن الجحيم نيرانها وسعيرها تحرق مني شعرة كنت مشركاً"[٥٦٨]. وقال: "إن لله عباداً لو بزقوا على جهنم لأطفأوها"[٥٦٩] وقال: أذا أعشق الله وهو يعشقني!!"[٥٧٠].ومع هذا الفحش العقلي لا يمل الصوفية من الزعم أنهم يهتدون بالقرآن والسنة، والفرق كبير بين الزعم والحقيقة. والغزالي رحمه

٥٦٤- اللمع للطوسي ص٤٦١

٥٦٥- اللمع للطوسي ص٤٦١

٥٦٦-اللمع ص٤٦٤

٥٦٧-اللمع ص٤٦٣

٥٦٨- اللمع ص٤٧٩

٥٦٩-اللمع ص٤٩٠

٥٧٠- اللمع ص٤٩١

الله دوّن للمتصوفة ما دوّن في كتابه إحياء علوم الدين. ومن ذلك ما نقله عنهم في زعمهم بالكشف حيث يقول: " فالأنبياء والأولياء انكشف لهم الأمر، وفاض على صدورهم النور، لا بالتعليم والدراسة والكتابة للكتب، بل بالزهد في الدنيا والتبري من علائقها، وتفريغ القلب من شواغلها . فمن كان لله،كان الله له، ويكون ذلك بانقطاع علائق الدنيا بالكلية، وتفريغ القلب منها، وبقطع الهمة عن الأهل والمال والولد والوطن، وعن العالم والولاية والجاه، بل يصير قلبه إلى حالة يستوي فيها وجود الشيء وعدمه ولا يزال، بعد جلوسه في الخلوة، قائلاً بلسانه: الله.. الله.. على الدوام، مع حضور القلب، حتى ينتهي إلى حالة يترك تحريك اللسان ويرى كأن الكلمة جارية على لسانه، إلى أن يمحي عن القلب صورة اللفظ وحروفه ويبقي معنى الكلمة مجرداً في قلبه حاضراً فيه، كأنه لازم له، لا يفارقه وليس له اختيار في استجلاب رحمة الله تعالى، بل هو بما فعله صار متعرضاً لنفحات رحمة الله، فلا يبقى إلا الانتظار لما يفتح الله من الرحمة، كما فتحها على الأنبياء والأولياء بهذه الطريق .٥٧١ والتصديق بأنهم يعلمون عن طريق الوحي كفر لأنه يناقض ما جاء به القرآن والحديث، من أن الوحي قاصر على الأنبياء فقط وأنه لا نبوة بعد رسول

٥٧١- إحياء علوم الدين ج٢ ص٦٦

الله صلى الله عليه وسلم ، وأما سماع صوت الملك وما شابه، فمحـ ض باطل.

ويزعم الصوفية أن الرسول صلى الله عليه وسلم يأتيهم بعد موتـ ه ليعلمهم الأوراد والأذكار. "يقول أحدهم في كتابه الذي سماه ﴿مفاتيح كنوز السماوات والأرض المخزونة التي أعطاها صلى الله عليه وسلم لشـ يخ الطريقة الإدريسية المصونة ، يقول " قال سيدي أحمد رضي الله عنه، أي أحمد الإدريسي شيخ الطريقة الإدريسية : " اجتمعت بالنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم اجتماعاً صورياً ومعه الخضر عليه السلام فـ أمر النبـ ي صلى الله عليه وآله وسلم الخضر أن يلقنني أذكار الطريقة الشاذلية فلقنني إياها بحضرته، ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم للخضر عليه السلام: يا خضر لقنه ما كان جامعاً لسائر الأذكار والصلوات والاستغفار وأفضـ ل ثواباً وأكثر عدداً فقال أي شيء هو يا رسول الله؟ فقـ ال: لا إلـ ه إلا الله محمد رسول الله ثلاثاً. ثم قال صلى الله عليه وسلم يا أحمـ د أعطيتـ ك مفاتيح السماوات والأرض وهي الذكر المخصوص والصلاة العظيمـ ة والاستغفار الكبير المرة الواحدة منها بقدر الدنيا والآخرة ، فقمت بعـ دهما وقد كسبت أنواراً وقوة محمدية ورزقت عيوناً إلهية "[٥٧٢]. هذه هي الكتب

٥٧٢– نقلا عن تفنيد الصوفية

التي يتعلم منها حمقى المسلمين دينهم، إذ تشكل كتب الضلال الصـ وفي معظم –أو كل–التراث المعرفي الديني في عالمنا الإسلامي المنكوب في عقله ، ولله الأمر من قبل ومن بعد.

ولما كانت العقول مكبلة بالجهل والأمية،كان من السهل على أعـ داء الدين من الصوفية أن يكتبوا على نحو فاضح وما من عقل ينكر . فمـ ن أجل جمع الأنصار والأتباع كان الغلو في زعم فضائل الأنكار المبتدعة ، ولما زعم التيجاني أن النبي أهداه صلاة الفاتح و أنها تعدل كل ذكـ ر تُلي في الأرض ستة آلاف مرة، ولم يجد من ينكر عليه هـ ذه الكذبـ ة، أردفها بأخرى فقال: "لقد أعطاني رسول الله صلاة تسـ مى جـ وهرة الكمال كل من ذكرها اثنتي عشرة مرة فكأنما زاره في قبره يعـ ي فـ ي روضته الشريفة! وكأنما زار أولياء الله الصالحين من أول الوجود إلـ ى وقته ذلك، وقال لي رسول الله هذه هدية مني إليك" [٥٧٣]. أما عن الكشف فهـ و الاطـ لاع عـ ى مـ ا وراء الحجـ ب مـ ن غيـ ب وكشـ ف المعانـ ي المستورة ، وهو، بزعمهم، ما يلقى في الروع إذا تجردت النفس

٥٧٣- ﴿الهدية الهادية إلى الطريقة التيجانية ص١١٠﴾- نقلا عن تفنيد الصوفية

من شهواتها. والصوفي يرى أن الكشف من العلم الإلهي اللدنى اليقيني، وهو وسيلته إلى المعارف والعلوم ويغنيه عن التحصيل والـ تعلم، وبـ ه يستنبط معاني جديدة للقرآن والسنة بزعم تلقيها مباشرة من الله تعالى.

والعشرة المبشرون بالجنة ثبتت لهم الجنة بشهادة النبي الكريم دون أن يزاولوا ما زاول الصوفية من عبادات مبتدعة أو يعكفـ وا علـ ى الأوراد والأنكار المخترعة، ودون أن يؤمنوا بالاتحاد والحلول ووحدة الوجـ ود، ودون أن يتعبدوا بمزاولة السماع ، ومن غير أن يكون لهم شيخ يتلقـ ون الدين على يديه ويدينون له بالطاعة العمياء. ترى أيـ دخلون الجنـ ة مـ ع مخالفتهم العبادات الصوفية؟ وهل ثبتت لهم الجنة مع اقتصار إيمانهم على الله ورسوله والسنة النبوية المطهرة ومن دون الإيمان بالإمامة والوصاية والرجعة والمهدي المنتظر ودون أن يدفعوا خمس أموالهم إتاوة لرجـ ال الدين . ترى أيكون دخولهم الجنة استثناء إذ لم يؤمنوا بما آمن به الصوفية والشيعة؟ لقد استراح من لا عقل له.

قال عمر رضي الله عنه :" أيها الناس قد سُنَّت لكم السنن، وفرضت لكم الفرائض، وتركتم على الجادة، إلا أن تميلوا بالناس يميناً وشمالاً. ولن يأتي آخر هذه الأمة بأهدى مما كان عليه أولها.

كرامات المشايخ

بعد هذا القدر من الحديث الصعب المحزن، يكون من المناسب تناول بعض كرامات الصوفية من باب الترويح عن النفس بـ الاطلاع عل ى بعض كرامات الصوفية المحتالين، وأخبار الحمق ى والمغفل ين مم ن يصدقونهم، فكل ما يدعيه الصوفية من كرامات إنما تحدث لمن يـ دعيها فقط، ولا يشاهدها معه أحد سواه، مع أن الكرام ات – عل ى ف رض حدوثها– إنما تكون لإثبات الفضل والتميز لمن يدعيها، وتكون برهان ا على صدقه كما كانت معجزات الأنبياء برهانا على صدقهم إذ شـ هدها الناس ولم تكن معجزات سرية: فتَحوّل عصا موسى إلى ثعبان معجـ زة رآها الناس علنا، وإحياء الميت وشفاء الأكمه والأبرص معجزات شاهدها قوم عيسى ولم تحدث سرا . لذا كان على الأنبياء الجدد مـ ن مشـ ايخ الصوفية أن يدعوا معجزات تكون لهم برهانا، فقالوا بالكرام ات. ولكـ ن المعجزات التي يزعمها مشايخ الصوفية سرية لا تشاهدها الجماهير وإنما يدعون حدوثها وعلى الناس أن يصدقوهم. وإذا كان الله يخـ رق لهـ م نواميس الطبيعة، أليس من المعقول أن يكون هذا الخرق مشهودا يـ راه

الناس، لا أن يكون مقصورا على البعض دون الـ بعض؟ ألـ يس مـ ن المنطقي أن تكون هناك غاية معقولة وضرورية لهذا الخرق للناموس؟

إن معظم الكرامات المزعومة للصوفية تتراوح بين المشي على الماء أو الطيران في الهواء أو طي المسافات، وما الغاية وراء المشي على الماء وما الهدف من طيران الشيخ في الهواء؟ فكلها غايات تافهـ ة لا تسـ تحق خرق الناموس من أجلها. وإذا كان من الممكن طي المسافات لمجانيـ ب الصوفية وشيوخها من باب تكريم الله لهم لرفعة مكانتهم عنـ ده –كمـ ا يزعمون– أمَا كان النبي الكريم أحق بهذا التكريم إذ هاجر من مكة إلى المدينة وهو يركب الجمل عدة أيام دون أن يطير أو تطوى له الأرض، فهل النبي أدنى مكانة عند الله من الشيخ الصوفي؟ رحـ م الله امـ رءا احترم عقله. والعاقل يعرف أن من كان في جهة فهو منقطع عن غيرها، ولكن مشايخ الصوفية يتواجدون في أكثر من مكان في وقت واحد، بـ ل ويحج أحدهم وهو قاعد في داره. وقد قيل ما حد الحمق؟ فأجيب بأنـ ه سؤال عما ليس له حد.

ولابد لأنبياء الصوفية الجدد أن يربطوا أكاذيبهم بطرف خفي مع شيء مقدس، فيزعمون أن كراماتهم تثبت صدق النبي نفسه! يقول الصوفي عطاء الله السكندري:" إن جحد الكرامة في الولي جحد لقدرة الله العزيـ ز القدير" ، فكل كرامة لولى هي معجزة لذلك النبي الذي يتبعه هذا الـ ولي،

فلا تنظر إلى التابع، ولكن انظر إلى عظيم قدرة المتبوع"٥٧٤ . وقـ الوا "إن من لم يصدق بهذه الكرامات فقد كفر"[٥٧٥]. فهؤلاء الأولياء "لو نقص منهم واحد في زمان ما أرسلت السماء قطرهـ ا، ولا أبـ رزت الأرض نباتها "[٥٧٦] . وكان يغني الصوفية مؤونة رميهم بالسـ فه والكـ ذب أن يحدثوا على الملأ كرامة من هـ ذه الكرامـ ات لترصـ دها كـ اميرات المصورين وعيون الصحفيين فينقلب المعترض عليهم في الحـ ال إلـ ى موال لهم وليتهم يفعلون، فأكون أول من يتصـ وف ويلـ بس الخرقـ ة ويطالب بحصته من المال السحت من صناديق النذور.

والشيخ الصوفي والولي والقطب مدعو نبوة، فهم يسندون إلى أنفسهم أدوارا ما ينبغي أن تكون لغير الأنبياء. فالتبليغ عن رب العزة هي مهمة النبي وغاية النبوة. وادعى هؤلاء الأولياء أنهم يتلقون تعاليم دينهم مـ ن الله مباشرة ، فهم الأنبياء الجدد للإسلام المحرّف، ويصدقهم المغفلـ ون. وإذ يصعب عليهم التصريح بأنهم أنبياء بعد النبي الخاتمقـ الوا إنهـ م أوليـ اء وأقطاب وأغواث،إلى آخر هذه المسميات التي ما أنزل الله بها من سلطان والتي لم يعرفها الصحابة أو السلف الصالح. ومارسوا من خلالهـ ا أدوار

٥٧٤– ابن عطاء الله السكندري – لطائف المنن

٥٧٥–نفس المرجع السابق

٥٧٦–ابن عطاء الله السكندري– لطائف المنن

الأنبياء وزعموا أنهم يبلغون عن الله، ويرون أن من الكرامات " الاستماع من الله والفهم عنه "[٥٧٧] بل قالوا إن النبي في خدمة مساعيهم الدعوية إذ يزوّدهم بالكتب والأنكار، بل مضوا في غيهم فزعموا أن النبي معهم ويلتقي بهم يومي الإثنين والخميس من كل أسبوع، وقال أبو الحسن الشاذلي أنه لقي الخضر في صحراء عيذاب "[٥٧٨]. إنهم يدينون بملة جديدة ليست هي الإسلام الحنيف، اسمع إلى أبي الحسن الشاذلي يقول عند موته:"والله لقد جئت في هذا الطريق بما لم يأت به أحد"[٥٧٩]. ويمضى الصوفية في ضلالهم ويتطاولون في غيهم، ويزعمون أن الله تعالى يتحاور مع مشايخهم وذلك في اجتراء قبيح على الله –تعالى علوا كبيرا عما يصفون. يحكي الصوفي أبو الحسن الشاذلي حوارا مزعوما دار بينه وبين رب العزة، يقول: " قلت يوما وأنا في مغارة: إلهي متى أكون لك عبدا شاكرا؟ فإذا عليّ يقول لي: إذا لم تر منعما عليه غيرك، فقلت: إلهي كيف لا أرى منعما عليه غيري وقد أنعمت على الأنبياء والعلماء والملوك؟ فإذا عليّ يقول لي: لولا الأنبياء لما اهتديت، ولولا العلماء لما

٥٧٧–ابن عطاء الله السكندري–لطائف المنن

٥٧٨– المرجع السابق

٥٧٩–ابن عطاء الله السكندري–لطائف المنن

اقتديت،ولولا الملوك لما آمنت، فالكل نعمة مني عليك "[٥٨٠]. بل ويقول إنه صافح النبي صلى الله عليه وسلم بيده![٥٨١]. ويقول المرسى أبو العباس:" ما من ولى كان أو هو كائن إلا وقد أطلعني الله عليه وعلى اسمه ونسبه وكم حظه من الله تعالى"[٥٨٢]. هكذا استولى هؤلاء المحتالون على إسلامنا الحنيف وأفسدوه على أهله، ولا يردعهم حياء فيواصلون الزعم بأنهم يقتدون بالقرآن والسنة!

ويراد بالكرامات الموهومة دس الخرافات في تراثنا الديني والاستيلاء على عقول الدهماء التي تَحُول أميتها دون كشف الزيف، فتنساق وراء هذه الخرافات وتصدق كرامات الشيوخ وخرافات الأولياء ويسهل دفع هذه الجماهير الجاهلة إلى أي جهة يراد بها وهي خرافات تسد وتّد صدفحة الإسلام فلا يقبل عليه عاقل. والمقصود بالكرامات إبهار العوام والدهماء بمعجزات وخوارق وهمية تشابه بين أكاذيب المشايخ وبين معجزات الأنبياء، ولا يقول بها إلا نصاب محتال، ولا يصدقها إلا أحمق مغفل. وآمن العوام بأن حوائجهم لا تقضى إلا مرورا بوساطة المشايخ والمقبورين، فتوجهوا إلى الأضرحة راجين شفاعة الموتى مقابل دفع

٥٨٠-ابن عطاء الله السكندري-لطائف المنن

٥٨١-ابن عطاء الله السكندري-لطائف المنن- ص٦٢

٥٨٢-المرجع السابق

الأموال في صناديق النذور ليجمعها مشايخ الصوفية وخدم الأضـ رحة الذين يرتزقون باسم الدين ويتوارثون هذه "المناصب" الدينيـ ة الارتزاقيـ ة ويتصارعون من أجلها. وهل ثمة فرق بين هذه الأموال التـ ي يضـ عها الناس في صناديق النذور وبين القرابين التي كان يقدمها الوثنيون قربانا للآلهة وليجمعها الكهنة والسدنة.

إن الله يسيّر الكون بقانون العلة والسبب، ولكنه يملك خـ رق هـ ذا القانون في أي وقت يشاء، ولمن يشاء، وعلى أي نحو يشاء. ذلك ما حدث في المعجزات التي جعلها الله برهانا لأنبيائه. وحينمـ ا تشـ اء إرادة الله تسيير الأمور خارج قانون السببية، مثلما أرسل الطير الأبابيل للدفاع عن الكعبة، يكون له ذلك بـ" كن". وذلك أمر آخر غير الكرامات المكذوبة التي يفتريها محتالو الصوفية. واسمع الشعراني في كتابه الطبقات الكبرى –الذي يعتبر أصلاً من أصول كتبهم– وهو يحكي عن أحـ د أوليـ اء الصوفية : حُكي أنهُ نزلَ يوماً في حلقة الشيخ شبحٌ من الجو، لا يـ دري الحاضرون من هو، فأطرق الشيخ ساعة ثم ارتفع الشبح إلـ ى السـ ماء. فسـ ـألوا: فقال: هذا ملَك، وقعت منهُ هفوة، فسقط علينا يستشـ فع بنـ ا، فقُبِلتَ شفاعتنا فيه، فارتفع!

وتحدث عن شيخ آخر فقال: كان كثير التطورات، تدخل عليه بعض الوقت تجدهُ جُنديا، ثم تدخل عليه فتجدهُ سبعاً ، ثم تدخل فتجدهُ فـ يلاً ثـ م

تدخل عليه فتجده صبياً ، وهكذا، فمكث نحو أربعين سنة في خلوة مسدود بابها، ليس لهُ غير طاقةٍ يدخلُ منها الهواء! . وعن شيخ آخر يقول: " إنه سجد سجدة واحدة، فامتد سجوده سنة كاملة، ما رفع رأسه حتى نبت العشب على ظهره"٥٨٣ . ويتحدث آخر عن مناقب السيد البدوي فيقول: " إنه دعا الله بثلاثِ دعواتٍ ، فأجاب الله دعوتين وأبطل الثالثة؛ دعا الله أن يشفّعهُ في كل من زار قبره، فأجابَ الله ذلك، ودعا الله أن يكتب حجة وعمرة لكل من زار قبره، فأجاب الله ذلك، ودعا الله أن يدخله النار،فرفض الله ذلك، فسألوا البدوي: لماذا رفض الله أن يدخلك النار؟ قال: لأني لو دخلتها فتمرغت فيها تصير حشيشاً أخضر، وحق قٌ على الله أن لا يعذّب بها الكافرين" ٥٨٤. ويقول أحد الصوفية الأقطاب: "لولا الحياء من الله لبصقتُ على نارهِ فانقلبت جنة" ٥٨٥ .

ومن كراماتهم المزعومة – أيضاً – ما يذكرهُ الشعراني عن أحد أوليائهم فيقول: كان الشيخ علي وحيش – رضي الله عنه! إذا رأى شيخ

٥٨٣- قلادة الجواهر ٣٤٠

٢– محمد عثمان البرهاني في كتابهِ: تبرئة الذمة في نصح الأمة ، نقلا عن الصوفية – الوجه الآخر

٣–الصوفية – الوجه الآخر ٦١

بلد أو غيره ُ، ينزله من على ﴿الحمارة﴾ ويقول له: امسك رأسها لي حتى أفعل فيها، فإن أبى شيخ البلدِ، تسمرَ في الأرضِ لا يستطيع أن يمشي خطوة، وإن سمحَ، حصل لهُ خجل عظيم، والناس يمرون عليه"٥٨٦.

وهناك ولي آخر من المجانيب تبعه جماعة من الصبيان يضحكون عليه. فقال: يا عزرائيل إن لم تقبض أرواحهم لأعزلنك من دين الملائكة، فأصبحوا موتى أجمعين! ومن أعجب كراماتهم المدونة ما يتعلق بحياتهم الخاصة فنجدهم مثلا يتحدثون عن ولي مكث أربعين سنة لم يأكل ولم يشرب، وآخر ينام سبع عشرة سنة! وآخر يقول لعصاه التي يتوكأ عليها: كوني إنسانا، فتكون إنسانا فيرسلها تقضي له الحوائج ثم تعود كما كانت! وأن أحد أوليائهم أمر الشمس بالوقوف فوقفت حتى قطع المرحلة الباقية من سفره، ثم أمرها بالغروب فغربت واظلم الليل في الحال! ومطلوب من المسلم أن يكون مغفلا إلى الحد الذي يقبل معه هذا السفه.

وعن طريق الأوراد والأذكار يكون اتصال المريد بالشيخ وارتباطه به حيا أو ميتا، ويبرم عقد بين المريد وشيخه، وهذا العقد يعرف بالعهد، وفيه يتعهد الشيخ بان يخلّص المريد من كل شدة ويخرجه من كل محنة

٥٨٦- الطبقات الكبرى ٢/١٤٩-١٥٠

متى ناداه مستعينا به، كما يشفع له يوم القيامة في دخول الجنة. ويتعهد المريد بان يلتزم بالورد وآدابه فلا يتركه مدى الحياة،كما يلتزم بلزوم الطريقة وعدم استبدالها بغيرها من سائر الطرق. والتصريح بضمان الجنة للمريد أمر مشهور عندهم وهو أكبر من مجرد الشفاعة يوم القيامة. وإذا كان الحق في أحد هذه الأوراد ولا يجوز للمريد استبداله بغيره، فهذا ينفي – استنتاجا – أن يكون الحق في غيره، فما بال كل شيخ وكل طريقة لهما وردهما الخاص٥٨٧.

٥٨٧–قام الباحث الإسلامي الأستاذ محمود المراكبي بدراسة عدد من كتب أوراد الصوفية ، بلغت عشرين كتابا لأشهر الطرق الصوفية في مصر ، ووجدها كلها جميعا مخالفة للإسلام الحنيف مخالفات مباشرة وصريحة وكلها مخرجة من الملة. وللمزيد من التفاصيل يمكن الرجوع إلى كتاب عقائد الصوفية في ضوء الكتاب والسنة – للأستاذ محمود المراكبي

الصوفية والجهاد

الزعيمان الصوفيان الكبيران ابن عربي وابن الفارض كانا يخ ذّلان الناس عن التصدي للجيوش الصليبية، وكانا يقرران للنَّاس أنَّ الله ه و عين كلِّ شيءٍ. فلْيدع المسلمون الصليبيين، فما ه م إلا الـ ذات الإلهي ة متجسدة في تلك الصور. ولم يضرب أحدهما بسيفه ضربة واح دة ف ي سبيل الله. وأبو حامد الغزالي المعروف بحجة الإسلام لم يرم بسهم ف ي سبيل الله، بل لم يشر بكلمة واحدة للحروب الصليبية التي عاصرها.

الصوفية والجهاد ونشر الإسلام:

بينما كانت سيوف الصليبيين تحصد المسلمين حصدا وهم يهاجمون مدينة المنصورة في القرن الثالث عشر الميلادي، اجتمع كب ار مشـ ايخ الصوفية من فورهم، ليس لمقاومة جحافل الفرنجة، ولكن لقراءة "رسـ الة القشيري" وبحث واستعراض كرامات الأولياء. ولما سقط بيت المق دس في أيدى الصليبيين كان أبو حامد الغزالي الزعيم الصوفي الكبير معاصرا للأحداث ولم يشارك في جهاد الصليبيين، وعاش بعد ذلك نحو ثلاثة عشر عاما لم يشر خلالها من قريب أو بعيد إلى مجاهدة الغزاة أو الحض على

قتالهم، فقد كان مشغولا بالحديث عن مشاهدات الأولياء للملائكة ومخاطبتهم للجمادات، وتلقى العلوم اللدنية من السماء . كذلك ترك أبو الحسن الشاذلي الصليبيين يهاجمون دمياط والمنصورة ولم يتدخل أحد أقطاب الصوفية أو الغوث أو البدائل في الدفاع عن البسطاء المخدوعين ممن يصدقون أن من مشايخ الصوفية من يستطيع إطفاء النار بمرقعته، أو المشاركة في إدارة الكون، أو إحياء الموتى، وطوبى لمن احترم عقله.

وجاء في كتاب الزعيم مصطفى كامل "المسألة الشرقية": ومن الأمور المشهورة عن احتلال فرنسا "للقيروان: أنَّ رجلاً فرنساويًّا دخل في الإسلام، وسمّى نفسه "سيد أحمد الهادي" واجتهد في تحصيل الشريعة حتى وصل إلى درجةٍ عاليةٍ ، وعُيِّن إماماً لمسجد كبيرٍ في "القيروان" فلما اقترب الجنود الفرنساوية من المدينة: استعدَّ أهلها للدفاع عنها، وجاءوا يسألونه أنْ يستشير لهم ضريح شيخٍ في المسجد! يعتقدون فيه. فدخل "سيد أحمد" الضريح ، ثم خرج مهوِّلاً لهم بما سينالهم من المصائب، وقال لهم بأنَّ الشيخ ينصحكم بالتسليم لأنَّ وقوع البلاد صار محتماً، فاتبع القوم البسطاء قوله، ولم يدافعوا عن "القيروان" أقل دفاع بل دخلها الفرنساويون آمنين في ٢٦ أكتوبر سنة ١٨٨١ .

وفي المغرب عاون أتباع طريقة الشيخ أحمد التيجاني الفرنسيين على ترسيخ أقدامهم في شمال وغرب أفريقيا ، فقد كانت تسيطر على

الجزائر أيام الاستعمار، وكانت تستمد وجودها من فرنسا، وقد تزوج ت عميلة مخابرات فرنسية أحد شيوخ الطريقة، ولما مات تزوجت شقيقه، وكان الأتباع يطلقون عليها "زوجة السيدين" ويحملون التراب الذي تمشي عليه لكي يتيمموا به ، وقد أنعمت عليها فرنسا بوسام الشرق، وجاء ف ي أسباب منحها الوسام، أنها كانت تعمل على تجنيد مريدين يحاربون ف ي سبيل فرنسا كأنهم بنيان مرصوص. وحاولت الحكومة الفرنسية في زمن الانتداب نشر الطريقة التيجانية، واستأجرت بعض الشيوخ لهذه المهم ة، فقدمت لهم المال والمكان لتنشئة جيل يميل إلى فرنسا؛ لك ن مجاه دي المغرب لفتوا انتباه المخلصين من أهل البلاد إلى خطر الطريقة التيجانية، وأنها فرنسية استعمارية تتستر بالدين، فهبت دمشق عن بكرة أبيه ا ف ي مظاهرات صاخبة. كذلك كان أتباع السيد الميرغني والطريقة الختمية في السودان في عون الإنجليز وساعدوهم على القضاء على الثورة المهدية. قال الرئيس "فيليب قونداس" من المستعمرين الفرنسيين: لق د اضـ طر حكامنا الإداريون وجنودنا في أفريقيا إلى تنشيط دعوة الط رق الدينيـ ة الإسلامية لأنها كانت أطوع للسلطة الفرنسية، وأكثر تفهماً وانتظاماً م ن الطرق الوثنية أو من بعض كبار الكهان أو السحرة السود .

ويروج المتصوفة الأكاذيب بشأن اضطلاعهم بأدوار مهمة في الجهاد في سبيل الله من نوع الكرامات الخرافية على طريقة عفريت مصـ باح

علاء الدين، فهاهو الشيخ عز الدين بن عبد السلام يأمر –كما يزعمون– الريح لتكسر سفن الصليبيين في موقعة دمياط، "مما جعل تلميذه ابن أبي شامة يحمد الله الذي جعل من أمة محمد من يأمر الريح فتستجيب له "[٥٨٨].

واليوم تباشر مراكز تعليمية كبيرة في البلاد الغربية والإسلامية على السواء تنشيط الجهود لبعث التراث الصوفي [٥٨٩].

٥٨٨– ابن عطاء الله السكندري– لطائف المنن ، طبقات الشافعية الجزء الثالث

ويجري النظر في إنشاء جامعة في مصر لدراسة " علوم" التصوف [٥٨٩]-

الباب الرابع

اليد الخفية

الفصل الأول : اليد الخفية واليهود

الفصل الثاني : اليد الخفية والشيعة

الفصل الثالث: اليد الخفية والصوفية

اليد الخفية واليهود

" إذا اتّحد المسلمون في إمبراطورية عربية، أمكن أن يصبحوا لغ ة على العالم وخطراً، وأمكن أن يصبحوا نعمة له أيضاً، أمّا إذا بقوا متفرقين فإنّهم يظلّون حينئذ بلا قوّة ولا تأثير". هذا ما قاله لورانس بـ راون أح د زعماء المبشّرين في كتابه"الإسلام والإرساليات". وهو رأي يعب ر ع ن معتقد راسخ لدى جميع أعداء الإسلام منذ أن أشرق بنوره وحت ى الآن وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

لذا بدأ تآمر اليد الخفية على الإسلام مبكرا حتى قبل أن يشتد عوده. فقد أُعِد لظهور مدعي النبوة ورسول الله حي يُرزق : فظه ر الأس ود العنسي، وطليحة الأسدي، ومسيلمة الك ذاب . وبع د وف اة الحبي ب المصطفى ارتد العرب عن الإسلام باستثناء أهل مكة والمدينة والطائف. والتآمر والتدبير بليل من سمات اليد الخفية التي دبرت قتل رواد الإس لام ومؤسسيه، بدءا من دس السم للنبي، إلى قتل الخلفاء الراش دين: عم ر وعثمان وعلي، ولم يمهلهم قصر مدة خلافة أبي بك ر الص ديق، فل م يتمكنوا من قتله كما فعلوا مع باقي الخلفاء الراشدين العظام. والتدبير الخفي لم يحدث مصادفة، فلا مكان للصدفة إلا على موائد الميسر.

تآمر اليهود ﴿والروم والفرس على الإسلام﴾:

– اليهود:

عداوة اليهود للإسلام عداوة مركبة ومتعددة الجوانب، فالمسلمون حاربوا يهود بني قينقاع وبني النضير وبني قريظة وهزموهم أيام النبي. ونفذ فيهم عمر الفاروق رضي الله عنه وصية رسول الله بإخراج اليهود من جزيرة العرب ، ففعل وطردهم منها. هذا ثأرهم الشخصي، فضلا عن عداوتهم لكل نبي وكل حق. ورأوا أن المسلمين هم ورثة المكانة التي كان الله قد اختص بها اليهود أن فضّلهم على العالمين إلى أن سلبهم هذا الفضل وأورثه للمسلمين أصحاب الدين الجديد. ومنذ فجر الرسالة واليهود يناصبون الإسلام العداء، ونقضوا مواثيقهم مع النبي بل وحاولوا اغتياله . ولما كان اليهود قد مرنوا على قتل الأنبياء، فقد أجمعوا أمرهم بعد خيبر على قتل النبي وأوعزوا إلى المرأة اليهودية زينب ابنة الحارث لتهدي إلى الرسول صلى الله عليه وسلم شاة مشوية نثرت فيها السم وأكثرت من السم في كتف الشاة وذراعها بعد أن سألت وعلمت أن النبي يفضلها، وحاذرت أن تقدمها كصدقة وإنما قدمتها كهدية فهو لا يأكل من الصدقة ولكن يقبل الهدية. وبعد أن نهش النبي منها نهشة أخبرته ذراع الشاة أنها مسمومة فلفظها، غير أنه تأثر من سمها، "وقال

في مرضه الذي مات فيه: هذا الأوان وجدت انقطاع أبهري من أكلة خيبر، فكان المسلمون يرون أنه مات شهيدا مع كرامة النبوة "[٥٩٠].

ورائد التآمر اليهودي يمني اسمه عبد الله بن سبأ من أهل صنعاء ، أسلم في السنة السابعة من خلافة سيدنا عثمان ثم تنقل في بلدان المسلمين لبث أضاليله فبدأ بالحجاز ثم البصرة والكوفة و الشام فلم تفلح جهوده حتى أتى مصر فقال للمصريين فيما قال: لعجب ممن يزعم أن عيسى يرجع ويكذب بأن محمدا يرجع وقد قال الله عز وجل إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد، فمحمد أحق بالرجوع من عيسى، ووضع لهم الرجعة فتكلموا فيها ثم قال لهم بعد ذلك إنه كان ألف نبي ولكل نبي وصي وكان عليّ وصى محمد ثم قال محمد خاتم الأنبياء وعلى خاتم الأوصياء ، ثم قال بعد ذلك من أظلم ممن لم يجز وصية رسول الله، وأن عثمان أخذها بغير حق وهذا وصي رسول الله فانهضوا في هذا الأمر فحركوه وابدؤوا بالطعن على أمرائكم واظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تستميلوا الناس. وبث دعاته وكاتب أعوانه في الأمصار وكاتبوه ودعوا في السر إلى ما عليه رأيهم وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وجعلوا يكتبون إلى الأمصار كتبا يضعونها في عيوب ولاتهم ويكاتبهم إخوانهم بمثل ذلك ويكتب أهل كل مصر منهم إلى مصر

٥٩٠– الكامل في التاريخ– ابن الأثير ، المجلد الثاني

آخر بما يصنعون فيقرأه أولئك في أمصارهم وهؤلاء في أمصارهم حتى أوسعوا الأرض إذاعة وهم يريدون غير ما يظهرون . كان ذلك تـ دبير تآمري محكم ما كان يقدر عليه ابن سبأ وحده مالم تؤازره يد خفية مريدة وقاصدة ، ولو لم يكن ابن سبأ لكان سواه، فهو عميل جندتـ ه يـ د خفيـ ة وكرسته لتنفيذ خطة جهنمية موضوعة لا يقوى على تنفيذها فرد واحد، لذا لا معنى لما دار من جدل حول أن ابن سبأ شخص حقيقي أم موهـ ـوم، فهو في تقديري مجرد قطعة على رقعة شطرنج لها دور محدد شأنه في ذلك شأن من سيأتي بعده لاستكمال جزء آخر من الخطـ ـة. ولمـ ا رأت القوى المتربصة بالإسلام أنه لا جدوى من الصدام العسكري، إذ كانـ ـت نتائج حروب الردة وحروب اليهود مع المسلمين منظورة النتائج وماثلة في الأذهان لم ينسها أحد بعد، فرأوا أن المواجهة العسكرية مع المسلمين إنمـ ـا تكون كمن يتلقى الرماح بنحره، وراموا مناجزة عدوهم بالمكايدة فهـ ـي أحسن سياسة من نيل ذلك بالقتال. وتصنّع ابن سبأ مناصرة علي بن أبي طالب إذ كان لابد له من سبب مزيف يبدو مقنعا للعوام ليسـ ـتتر خلفـ ـه. وشكلت اليد الخفية المدبرة طليعة يهودية تحت قيادة عبد الله بـ ـن سـ ـبأ، ظاهرها الإسلام وباطنها الكفر، ونشرت بـ ـين المسـ ـلمين عقائـ ـد وآراء يهودية، وأحدثت الفتنة بين المسلمين، وتآمرت على الخليفة عثمـ ـان بن عفان رضي الله تعالى عنه ، حتى ينفرط عقد المسلمين ويقع بأسـ ـهم

بينهم، فيهنوا وينصرفوا عن المضي في مقارعة الباطل ومحاربة بـ لاد الكفر وأهلها، ثم تنحسر فتوحاتهم، وصدق حدسهم وصح تدبيرهم، وكان لهم ما دبروا له وزيادة، إذ سل المسلمون سيوفهم على بعضهم البعض ولم يضعوها بعدُ في أغمدتها. وغرس ابن سبأ في نفوس من أورثه م عقائده بُغض أبي بكر الصديق، والفاروق عمر بن الخطاب: فالصد يّق هو من وجه الضربة القاصمة الأولى إلى المتآمرين عندما قضى عل ى المرتدين، فلو صح تآمرهم لقُضي على الإسلام في مهده ولكفاهم ذل ك مؤونة مواصلة التآمر، كما أمر بمهاجمة بلاد الروم وفي ذلك قالت أمنا السيدة عائشة رضي الله عنها: "لما توفي رسول الله صلى الله عليـ ه وسلم ارتدت العرب، واشرأبّت اليهودية والنصرانية، وعلا نجم النف اق، وصار المسلمون كالغنم المطيرة في الليلة الشاتية لفقد نبـ يّهم حت ى جمعهم الله على أبي بكر". وعمر بن الخطاب هو من قضى على مُلك الفرس ،كما حقق انتصارات باهرة على دولة الروم. وتعدى حقد كل من عادى الإسلام إلى سائر الصحابة فهم جنود الدين الجديد الذين صد نعوا انتصاراته، وهم من نقلوا الدين إلى من بعدهم. ويظن البعض أن مجـ رد التشكيك في شخصية عبد الله بن سبأ سينقض دليل التآمر والتدبير بليـ ل للإسلام. فنرى من يقول إنه شخصية وهمية لم يكن لها وجود. وإليك ما يقوله الشيعة أنفسهم في بعض كتبهم : "كان عبد الله بن سبأ ممن أظهـ ر

الطعن على أبي بكر، وعمر، وعثمان، والصحابة، وتبرأ منهم، وقـ ـال إن علياً عليه السلام أمره بذلك، فأخذه علي، فسأله عن قوله هذا، فـ ـأقر بـ ـه، فأمر بقتله، فصاح الناس إليه: يا أمير المؤمنين! أتقتل رجلاً يدعو إلى حبكم أهل البيت، وإلى ولايتكم والبراءة من أعدائكم؟ فسيره عليّ إلى المـ ـدائن عاصمة إيران آنذاك. وتظاهر ابن سبأ بالعلم والتقوى، حتى افتتن النـ ـاس به، وبعد رسوخه فيهم بدأ يروج مذهبه ومسلكه، ومنه أن لكل نبي وصي وخليفة "[٥٩١].كما جاء في بعض كتبهم ما أبداه أحد أحفاد سيدنا علي، وهو زين العابدين علي بن الحسين – الإمام الرابع المعصوم عنـ ـدهم – مـ ـن استنكار لما روجه ابن سبأ فقال:" لعن الله من كذب علينا، إني ذكرت عبد الله بن سبأ فقامت كل شعرة في جسدي، لقد ادعى أمراً عظيماً لعنه الله، كان علي عليه السلام والله عبد الله صالحاً ، ما نال الكرامة مـ ـن الله إلا بطاعته لله ولرسوله، وما نال رسول الله صلى الله عليه وآله الكرامة من الله إلا بطاعته لله"[٥٩٢]. وكان ابن سبأ هو أول من قال بأن الله يحصل له البداء أي النسيان والجهل – تعالى الله علوا كبيرا عما يصفون.

ومكايدة اليهود للإسلام سبقتها عداوتهم للمسيحية، فهم أعداء التوحيـ ـد، وبفضل تآمرهم على المسيحية التوحيدية التي جاء بها المسيح عليه السلام

٥٩١- النوبختي– فرق الشيعة

٥٩٢- رجال الكشي– ص١٠٠

استطاعوا أن يدسوا فيها أفكار ألوهية المسيح والتثليث . ومن المدهش أن لليهود منهجا واحدا ثابتا اتبعوه في دس التحريف والتخريف في كل م ن المسيحية والإسلام. فهم يحدثون تغييرات حاسمة ومحورية بفعل كذب ة كبيرة يصطنعون لها سندا من السلطة الدينية أو السياسية فيك ون ه ذا التغيير مدعوما وقادرا على التغلب على أي معوقات تحول دون انتشاره، والناس على دين ملوكها، ثم يصطنعون جماعات من المنتفعين ممن تقوم مصالحهم على استمرار التغيير والتحريف الذي اصطنعوه ، سواء أكانوا من الملوك والأمراء، أم من رجال الدين والكهنوت. والسلطة الراعي ة للتحريف ستستفيد من حشد جموع الناس وراءها وتستخدمهم في تحقيق مآربها.فالإمبراطور قسطنطين سخرته اليد الخفية في إحداث أخطر تغيير محوري في المسيحية، فهو من قرر أن المسيح إله وليس نبيا، وذلك في مؤتمر نيقية عام ٣٢٥ ميلادية، والذي شارك فيه حوالي ألف من كبار رجال الدين المسيحي لكي يحددوا طبيعة السيد المسيح: إله أم إنسان وعلى الرغم من أن حوالي ثلثي المشاركين أقروا أن المسيح إنسان نبي ول يس إله، إلا أن الإمبراطور قسطنطين فرض رأيه أن المسيح ه و ال رب، وكان ذلك هو الرأي الذي أمضاه رجال الكنيسة حت ى الآن. وط ورد أصحاب الرأي الآخر ممن قالوا بنبوة عيسى عليه السلام. أما عن الكذبة التي تحقق سندا آخر للإفك، فهي زعم قسطنطين قبي ل إع داده الع دة

لخوض إحدى معاركه ، أنه رأى صليبا في الهواء حـ ول الشـ مس – لاحظ التوقيت الملائم لحشد الأنصار من الجنود المتدينين – "وزعم انـ ه انتصر بسبب الصليب، وأصدر بيانا بعد تنصره قال فيه: لقد كنت عـ دة الرب التي اختارها لإنفاذ مشيئته، أنا أسقف نصبني الرب علـ ى جميـ ع شؤون الكنيسة الخارجية "٥٩٣. ورؤية قسـ طنطين للصـ ليب حـ ول الشمس كما زعم " اعتبرها العلماء تواطؤا لأهدا ف سياسـ ية وتخـ دم مرحلة من المراحل"٥٩٤. " وبالرغم من أن ثمة شكا كبيرا فـ ي أنـ ه اعتنق هو نفسه المسيحية فإن الكنيسة قد اعتبرته قديسا بسبب قراره هذا الذي أعطى الدين المسيحي الشرعية ".٥٩٥ ويقـ ول المـ ؤرخ ويـ ل ديورانت:" هل كان قسطنطين حين تحول إلى المسيحية مخلصا في عمله هذا؟ وهل أقدم عليه عن عقيدة دينية، أم أن هذا العمل كان حركة بارعة أملتها عليه حكمته السياسية أغلب الظن أن الرأي الأخير هو الأصوب".

"وبولس وأتباعه من دعاة ألوهية المسيح كانوا في البداية قليـ لين قـ د وسمهم معاصروهم بالفرقة المارقة، و قد ظل الوضع كذلك حتى مجمـ ع نيقية عام ٣٢٥م، فتحكي كتب التاريخ أن عددا ممن حضروا المجمـ ع

٥٩٣– باباوات من الحي اليهودي ص٩١، نقلا عن المسيح الدجال – سعيد أيوب

٥٩٤– المسيح الدجال – سعيد أيوب

٥٩٥– تراث الإسلام – تصنيف شاخت وبوزورث

كانوا قرابة الألف شخص من مختلف الطوائف النصرانية المعروفة آنذاك و منهم ٣١٨ أسقفا على رأي بولس و قد ناصرهم الإمبراطور قسطنطين بانحيازه لرأيهم وفرض عقيدتهم على غيرهم بقوة السلطان. و منذ ذلك التاريخ فُرضت عقيدة بولس على النصارى بأنها العقيدة الصواب و م ا خالفها هرطقة، وكان الزمن كف يلا بانتشـ ارها ف ي كاف ة أرج اء الإمبراطورية الرومانية و دفع ما سـ واها من عقائـ د أخـ رى حـ . تى صـ ارت اليوم وعلى اختلاف طوائف النصـ ارى مصـ درا للعقيـ دة المعتبرة لدى المسيحيين"٥٩٦.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "و قد ذكر أهل العلم أن مبدأ الرفض – أي التشيع – إنما كان من الزنديق عبد الله بن سبأ، فإنه أظهـ ر الإسـ لام وأبطن اليهودية و طلب أن يفسد الإسلام، كما فعل بولص النصـ راني – الذي كان يهودياً – في إفساد دين النصارى "٥٩٧. و بولس، هو: قـ س يهودي اسمه الأصلي شاؤول، ولد في طرسوس، و نشأ في أورشـ ليم، كان في أول حياته من أشد أعداء المسيحية، يكيد لها، ثم تظاهر بالمسيحية و ادعى الانتساب إليها بقصد التحريف فيها، فاستطاع أن يصل إلى رتبة

٥٩٦- بولس وأثره في النصرانية- طارق محمد- دراسة

٥٩٧- ابن تيمية – مجموع الفتاوى ﴿٤٨٣/٢٨﴾

كبيرة عندهم، حتى صار من الرسل الملهمين الذين ينطقون بالوحي، فأدخل معتقدات في المسيحية؛ كالتثليث، و ألوهية المسيح وغير ذلك "[٥٩٨].

وتحريف الأديان يلزمه سلطة تتبناه ونفوذ يحميه، لذا فقد عمدت اليد الخفية إلى الزعم بادعاء ألوهية بعض أصحاب النفوذ الديني ﴿كالأئمة الشيعة أو مشايخ الصوفية ﴾، أو أرباب السلطة السياسية ﴿كالأباطرة ﴾: فزعموا ألوهية علي بن أبي طالب، ولكنه أحرق السبئية الذين قالوا بذلك ونفى زعيمهم –كما أسلفنا– ثم زعموا ألوهية جعفر الصادق الإمام السادس في سلسلة أئمة الشيعة الاثنى عشرية وروج لذلك أبو الخطاب الأسدي وفرقته "الخطابية". وكان الأمر جد خطير لأرباب اليد الخفية، إذ كان من الضروري لهم استئناف جهود محاولة استقطاب أحد أصحاب النفوذ الديني أو السياسي حتى يساند باطلهم ويمنحه الحماية والمساندة إذ لم يتحقق لهم كل النجاح المأمول بحركة ابن سبأ، وكان الهدف الأساسي هو ترسيخ ظاهرة ادعاء الألوهية أو في أقل القليل القول بادعاء النبوة لذا كانت الجولة الثانية الكبيرة والتي – في نظرنا – لم تلق ما تستحقه من

٥٩٨– انظر منهاج السنة النبوية لابن تيمية ١ / ٢٩ ، ٦ / ٤٢٨ ، محاضرات في النصرانية والمسيحية لأحمد شلبي ص ٨١ ، ص ٩٠

اهتمام من الباحثين مثلما لقيته حركة ابن سبأ، ونعني حركة أبي الخطـ ـاب الأسدي[٥٩٩]. وظهر نشاط هذه الفرقة في النصف الأول من القرن الثاني في مطلع العصر العباسي الأول في منطقة الكوفة حيث كثر اتباعها حتى تجاوزوا الألوف، وقد قالوا بتأليه الإمام جعفر الصادق، واعتبـ ـاره مـ ـن طينة أخرى غير طينة البشر إلا أن الإمام بعد أن اطلع على ضلالتهم لعن زعيمهم وتبرأ منه وأمر أصحابه بالبراءة منه. وكان أبـ و الخطـ ـاب يتقرب من الإمامين محمد الباقر وجعفر الصادق، ثم ادعى أنه مرسـ ـل من قبل الإمام الصادق ثم زعم أنه نبي، وأحل المحارم وأباح الشهوات ، وقال هو وأتباعه إن الجنة والنار إن هما إلا رجلان ليس لهمـ ـا وجـ ـود بمعنى الثواب والعقاب الأخروي . وانتهى به القول إلى أنه الله ذاته .

و لزم أنصار الفرقة الخطابية المسجد بالكوفة وتمسكوا بعبـ ـادة أبـ ـي الخطاب وتقديسهم له وزعموا أنه أعظم منزلة مـ ـن الإمـ ـام الصـ ـادق والإمام علي وأظهروا التعبد، إذ لابد من التظاهر بالتعبد والزهد لاجتذاب العوام والسذج، وكانوا يدعون الناس إلى أمرهم سرا – فالسـ ـرية مـ ـن ضرورات الفرق الباطنية التي تدعو في الظلام استتارا . وبلـ ـغ خبـ ـرهم الوالي العباسي على الكوفة عيسى بن موسى وأنهم قد أظهروا الإباحات – والإباحية من أهم الجوانب لجمع العوام – ودعوا الناس إلى نبوة أبـ ـي

٥٩٩–هو محمد بن مقلاص بن أبي زينب الأسدي الكوفي المكنى بأبي الخطاب

الخطاب. وقاتل أتباع أبى الخطاب دفاعا عنه حتى قتلوا ع ن آخ رهم وأُسر أبو الخطاب فأُتَي به إلى عيسى بن موسى فأمر بقتل ه فض ربت عنقه على شاطئ الفرات، وأمر بصلبه وصلب أصحابه فصلبوا، ثم أمر بعد مدة بإحراقهم فأحرقوا، وبعث برؤوسهم إلى أبي جعفر المنص ور فأمر بها فصلبت على أسوار مدينة بغداد ثلاثة أيام ثم أحرقت ، إلا أنه م استمروا على أفكارهم ومعتقداتهم إلى فترات متأخرة إذ كان يرعى الأمر يد خفية تدبر وتعد الأعوان والأتباع والبدائل الذين يحلون مكان من يسقط منهم أثناء تنفيذ المؤامرة. وبعد صلب أبي الخطاب كان التدبير بتقسيم فرقته الخطابية إلى خمس فرق كلها تزعم أن الأئمة آلهة، وكان عل ى رأس كل فرقة زعيمها، وهذه الفرق ه ي المعمري ة والبزيغي ة والعميري ة والمفضلية والخطابية المطلقة، وكل واحدة من هذه الفرق اس تطاعت أن تحقق لنفسها كيانا مستقلا انطلقت من خلاله لترسيخ وجودها وللهـ روب من ملاحقة السلطات العباسية. وأوغلت هذه الفرق في غيها وزعمت أن الأئمة أنبياء ثم آلهة وأن الحسن والحسـ ين وأولادهم ا أبن اء الله وأحباؤه، وأن الإمام جعفر الصادق قد جعل أبا الخطاب الأسدي وصيه من بعده وأنه علمه اسم الله الأعظم – ومعرفة اسم الله الأعظم أكذوب ة ادعاها الصوفية أيضا – ومضت هذه الفرق في زعمها إلى القول إن أبا الخطاب لم يُقتل ولم يُقتل أحد من أصحابه وإنما لبس على القوم وشـ به

لهم. ولما كان هذا الشبل من ذاك الأسد، فقد اقتفى الخطابيةُ أثر السبئية، فلعنوا أبا بكر وعمر وعثمان وأكثر الصحابة، وعدّوهم من الكفار لإخراجهم علياً من الإمامة، مع أنهم قد أخرجوا الإمامة عن أولاد علي في أزمان زعمائهم ٦٠٠. ولم تُجد دعاوى الألوهية وتجد لها أنصاراً إلا مع الحاكم بأمر الله الشيعي الذي حكم مصر في زمن الدولة الفاطمية، وأتباعه هم المعروفون بالدروز ويعيشون الآن في سوريا ولبنان.

ومزاعم الألوهية لا تكون فقط بالقول المباشر بألوهية شخص ما، ولكنها تكون بتفويض صلاحيات إلهية وقدرات مزعومة إليه، كما هو الحال مع القول في أئمة الشيعة الذين يعلمون الغيب ويسيرون الأكوان مع الله تعالى، وهي مزاعم ادعاها أيضا الصوفية لمشايخهم ومؤسسي الطرق الصوفية. فتدمير الأديان هي الغاية الأساسية التي أنشئت من أجلها "اليد الخفية" وهو الاسم الذي تغير في ما بعد في سنة ١٧٧٠ إلى "الماسونية"

٦٠٠- للمزيد من التفاصيل حول الخطابية يمكن الرجوع إلى المراجع التالية :

الشهرستاني ، ابو الفتح ، موسوعة الملل والنحل ﴿ بيروت .لبنان ، مؤسسة ناصر للثقافة ،ط ١ ، ١٩٨١ م ﴾ ، المظفري ، محمد حسين ، تاريخ الشيعة ﴿ قم .ايران ، مكتبة بصيرتي ﴾ ، البغدادي ، عبد القاهر بن طاهر ، الفرق بين الفرق ﴿ لبنان .بيروت ، دار المعرفة ، ط ١ ١٩٩٤ م

وكان أول أهدافها هو القضاء على المسيحية، وبعد ظهور الإسلام أصبح القضاء عليه هو شغلها الشاغل وهدفها الأساسي.

وكانت فكرة ادعاء النبوة والترويج لأربابها من أول أسلحة اليد الخفية للتصدي السريع للإسلام الوليد، إذ كان الرأي أن خلق "ظاهرة" لادعـ اء النبوة من عدد من المحتالين ممن يزعمون النبوة، سيفسد الأمر على نبي الإسلام إذ سيبدو وكأنه جزء من هذه "الظاهرة ". واستمر تفعيـ ل "هـ ذه الظاهرة" حتى العصر العباسي ﴿بل ظهرت بعض مـ زاعم ادعـ اءات النبوة في العصر الحديث أيضا ﴾ . ولما كانت نتائج ادعاء الألوهية على غير هوى المدبرين بليل، رأوا العدول عن فكرة ادعاء الألوهية إلى الزعم بادعاء النبوة وتجنيد أحد الحمقى والزعم بنبوته ﴿كما كـ ان الأمـ ر مـ ع الأسود العنسي أو مسيلمة الكذاب وغيرهما ﴾ فقد علم الناس أن محمـ دا هو خاتم الأنبياء ولا نبي بعده، وتم إجراء تعديل علـ ى فكـ رة الادعـ اء المباشر للنبوة، وهداهم شيطانهم إلى ما يحقق لهم الغاية التحريفية دون أن نلقى كبير مشقة، فأسندوا إلى مشايخ الصـ وفية وأقطـ ابهم الصـ لاحيات النبوية: إذ يحصلون على علوم إلهية سواء بالوحي المباشر مـ ن الله، أو بكتب يكتبها لهم النبي ويكلفهم بتعليمها للناس، وشرع هؤلاء المشايخ ما لم يشرعه النبي نفسه، وابتدعوا من العبادات ما لم ينزل الله بها من سلطان، حتى إنهم قالوا بإسقاط العبادات وترك الصلاة والصيام والزكاة والحج لمن

يكمل إيمانه – في نظرهم – الأمر الذي لم يفعله النبي مع كمال إيمانه. وأوجبوا الطاعة والتقديس لهؤلاء المشايخ والأقطاب.

أما عن حراس التحريف وحَفَظة التخريف، فهم كل من يرتزق وينتفع بهما على أي وجه من الوجوه ، فربطهما بالمنفعة والسلطة والدينار هو أوثق رباط يبقيهما، وتزيينهما بجوانب ما:كإسقاط التكاليف أو إتاحة التيسيرات الجنسية ﴿مثل إباحة شيوع النساء عند القرامطة أو إباحة الزنا وتسميته زواج المتعة عند الشيعة الاثني عشرية، أو منافع أخرى كالتميز الاجتماعي والعلمي، وذلك ضمانا لحشد الأنصار والمريدين ﴾.

الفرس:

وأما عن دور الفرس، فيذكر لنا التاريخ أن يزدجر كسرى الفرس قال في مؤتمره الذي عقده في نهاوند، قولته الشهيرة:" اشغلوا عمر بن الخطاب في بلاده وعقر داره". وبعدها بنحو ستة قرون قال مثل مقولته القديسُ لويس ملك فرنسا الذي قاد إحدى أما عن دور الفرس، فيذكر لنا التاريخ أن يزدجر كسرى الفرس قال في مؤتمره الذي عقده في نهاوند، قولته الشهيرة:" اشغلوا عمر بن الخطاب في بلاده وعقر داره". وبعدها بنحو ستة قرون قال مثل مقولته القديسُ لويس التاسع ملك فرنسا الذي قاد إحدى الحملات الصليبية فأسره المصريون، ونصح قومه بتغيير وسيلة الكيد للإسلام قائلا: "عليكم بمهاجمة الحصون من الداخل"، إذ تعذر غزو

بلاد المسلمين عسكريا، ودلت التجربة أن مقتلهم في تفرقهم وتشرذمهم على الصعيد العقائدي والعسكري، والالتفاف حولهم بالدس والتدليس والتحريف والجمعيات السرية والدعاة والمبشرين.

ولما تم فتح فارس على يد الفاروق عمر بن الخطاب، نقم أهلها على الفاروق وجنوده، ووجد اليهود فارس بيئة مناسبة لغرس بذور الفتنة فيها مما سبب انتشار التشيع في إيران وبغضهم للصحابة، وكانت المكايدة من الفرس لأنهم يرون أن لهم حقا في الأمر لأن الوحيد الذي بقي من أبناء الحسين بعد مجزرة كربلاء،كان علي زين العابدين ابن "سلافة " ابنة يزدجر كسرى الفرس، وكانت قد أُسرت هي وأختاها، ورأى الفرس أن لهم حقا في مُلك المسلمين، ولما تآمر اليهود " السبئية" على خليفة المسلمين عثمان بن عفان ، وادعوا الولاية والخلافة لعلي وأولاده، آزرهم أهل إيران نقمة على الفاروق ورفقته وأصحاب الرسول الذين فتحوا بلادهم ، وأبدى الفرس الاستعداد لمعاونة تلك الطائفة اليهودية، يقول المستشرق الإنكليزي براون: "من أهم أسباب عداوة أهل إيران للخليفة الراشد الثاني عمر، هو أنه فتح العجم، وكسر شوكته، غير أنهم أعطوا لعدائهم صبغة دينية مذهبية، وليس هذا من الحقيقة بشيء، وليس عداوة إيران وأهلها

لعمر بن الخطاب لأن ﴿عمر﴾ غصب حقوق علي وفاطمة بل لأنه فتح إيران وقضى على الأسرة الساسانية" ٦٠١.

"وينبغي أن نذكر دور الفرس في إدخالهم مُ ثُ . لُهم الدينية في التشيع المغالي الأول حين نصروا المختار ، وانضموا إلى حركـ ة أبـ ي هاشم وانضموا إلى الحركة السرية العباسية التي ورثت هذه الحركـ ة، حتى انتهى بهم الأمر إلى تأليه أبي مسلم الخرساني، مثلما فعلوا مع أئمة الشيعة من العلويين. كما ناصروا حركة عبد الله بن معاوية في فـ ارس أيضاُ وأسبغوا عليه النور الإلهي الذي سنجده في التصوف واضحاً جلياً. وهذا كله يعني أن الفرس قد بدءوا إضافة القداسة إلـ ى البيـ ت النبـ وي باعتبارها موازياً لأسسهم السياسية والدينية السابقة من تـ أليههم الملـ وك، وقولهم بالنور الذي ينتقل من ملك إلى آخر، وقولهم بالولاية لعليّ بن أبي طالب، وانتقلت هذه الولاية المقدسة مع مبالغات وغلو إلى الأئمة من بعده حتى بلغ الأمر حدّ التأليه ٦٠٢ .

تاريخ أدبيات إيران ، للدكتور براؤن ص٢١٧ ج١ بتصرف ٦٠١-

٦٠٢– الصلة بين التصوف والتشيع للدكتور كامل مصطفى الشيبي

ج١ ص ٣٧٢ – ط: دار الأندلس بيروت – بتصرف

ويقول المستشرق براون: "إن التشيع والتصوف كانا من الأسلحة التي حارب بها الفرس العرب"[٦٠٣] . وكان للفرس والجنس الإيراني الدور المميز الخاص في التصوف والتشيع، فأئمة التصوف ورواده الأوائل بلا استثناء كانوا من الفرس والموالي ولم يكن منهم عربي قط. كما ارتبط التشيع قديماً باسم الفرس حتى إنه لا يكاد يذكر التشيع إلا ويقترن ذكره بذكر الفرس. وقد كان لذلك أسبابه الخفية بلا شك. " ويرى براون أن الإيرانيين بعد رضوخهم لسيف العرب إثر حروب القادسية وجلولاء ونهاوند– بذلوا استقلالهم وشوكتهم عن يد وهم صاغرون، وسواء أشاءوا أم أبوا دخلوا الإسلام بحكم غريزة المحافظة، غير أن العرب – الذين نظر إليهم الإيرانيون بعين الاحتقار من قديم– لم يستطيعوا مع غلبتهم أن يحملوا الإيرانيين على مشاركتهم نمط التفكير والعقيدة والمنطق والآمال والمطالب الروحية، لأن التباين –شكلاً ومعنى– كان عظيماً في العنصر وطريقة المعيشة والأوضاع الاجتماعية. وعلى ذلك فإن انتهاء الصراع بهزيمة إيران أوجد انفعالات روحية وتأثيرات معنوية في الإيرانيين على شكل صراع فكري ظهر في التاريخ الأدبي والمذهبي والاجتماعي والسياسي. وكان التشيع والتصوف من أهم ردود الفعل التي

٦٠٣- Brown : A Literary History of Persia Vol. ١ P.٤١٠

أورثها هذا الصراع الفكري"٦٠٤. وهذا كله لا يمنع أن التصـ وف قـ د انتشر في سائر الأقطار الإسلامية حينئذ، و التصوف لم يخالط الزهد إلا في خراسان وعلى يد الفرس في البصرة والكوفة والشام .

أما عن تواصل واستمرار التدبير الخفي الفارسي والكيـ د للإسـ لام، فانظر هذه الرسالة السرية للغاية الموجهة من شـ ورى الثـ ورة الثقافيـ ة الإيرانية إلى المحافظين في الولايـ ات الإيرانية، نشرتها رابطـ ة أهـ ل السنة في إيران – مكتـ ب لندن – وهذه الخطة ﴿البروتوكول﴾ موجهة إلى المناطق السنية في إيران، من جهة، وموجهة إلى دول الجوار مـ ن جهة أخرى لتصدير التشيع[٦٠٥] .

– الروم :

أما عن دور الروم فقد بدأ بالفعل التآمر من جمعيات تلمودية مدعومة من الروم الذين تآكلت أجزاء كبيرة من إمبراطوريتهم بفعـ ل الجيـ وش الإسلامية ولكن بقى جزء كبير منها خلافا للفرس الذين انحطـ ت قـ واهم بانهيار إمبراطوريتهم وذوبانها في بلاد المسلمين.

٦٠٤– الدكتور كامل الشيبي في كتابه ﴿الصلة بين التصوف والتشيع﴾ نقلا عن الباحث الإيراني المعاصر الدكتور قاسم غني

٦٠٥–انظر الملحق رقم ٣

وكان سقوط القسطنطينية في أيدي المسلمين في سنة ١٤٥٣ميلادي ة كارثة زلزلت كيان الغرب المسيحي، فبسقوطها انتهى الحكم الروم اني الشرقي البيزنطي الراعي للكنيسة الأرثوذكسية. وكان على اليد الخفية أن تسارع بالبحث عن حل عاجل لوقف هذا العملاق العثم اني الإسـ لامي الكاسح

والحيلولة دون أن يتوغل في أوروبا. وفعلا لم تمض خمسون سـ نة إلا وكانوا قد نجحوا في خلق شوكة في خاصرة العثمانيين السـ نيين، ألا وهي الدولة الصفوية الشيعية. وأضرموا نيران الحرب بين الـ دولتين – العثمانية والصفوية –مما استهلك طاقتيهما واستنفد قواهما . وانتهى الأمر بانحسار المد الإسلامي في أوروبا، وفي نهاية المطاف تسبب ذلك فـ ي انهيار الدولة العثمانية السنية وأيلولة أراضيها إلى الخضـ وع للاسـ تعمار الحديث.

ولا تخفى على فطنة المتأمل ظروف نشأة الدولة الصـ فوية، فبعـ د سقوط القسطنطينية استعان الغرب المسيحي بقائد اسمه" أوزون حسـ ن" لقتال العثمانيين، وكان متزوجا من مسيحية يونانية تدعى دسبينا كاترينا، أنجبت له ثلاث بنات تزوجت إحداهن من سلطان حيـ در والـ د الشـ اه

إسماعيل الصفوي الذي توج ملكا على العرش الصفوي وهذه المرأة هي أم الشاه إسماعيل وبنت دسبينا كاترينا المسيحية اليونانية [٦٠٦].

٦٠٦– للمزيد من التفصيل يمكن الرجوع إلى كتاب الابتلاء بالتغرب – جلال آل أحمد – ترجمة الدكتور إبراهيم الدسوقي شتا – ص ٤٥

اليد الخفية والشيعة

الأصول اليهودية للتشيع:

المكونات الأساسية لملة التشيع كلها من اختلاق الشيعة، وتعـ ود فـ ي أصولها إلى اليهودية، ومن هذه المكونات: القول بالوصية والرجعة والبداء والتقية والمغالاة في الأئمة.

فعندما ألب عبدُ الله بن سبأ الناسَ على عثمان ذكر لهم أنه وجد في التوراة أن لكل نبي وصيا وأن عليا وصي محمد. وكان أيضا أول مـ ن قال بالرجعة، برجعة عليّ إلى الدنيا قبل يوم القيامة فيملأ الأرض عـ دلا بعد أن ملئت جورا. والسبئية يقولون برجعة الأموات إلى الدنيا . وكان ابن سبأ يقول إن يوشع بن نون وصي موسى، وأن عليا وصي محمـ د. وقال السبئية لعلي: أنت أنت فلما سألهم جلية الأمر قالوا لـ ه أنـ ت الله، فاستتابهم فلم يتوبوا، فأمر بحرقهم، وكانوا يصيحون: أنت الله حقا، فإنه لا يعذب بالنار إلا الله. وقالوا إن عليا إله العالمين، وأنه توارى عـ ن خلقـ ه سخطا منه عليهم.وبعد الفتنة الكبرى وجـ دت المجـ امع اليهوديـ ة و الغنوصيون في انقسام المسلمين فرصة عظيمة لإلقاء بذور الفتنة بيـ نهم، وأفرز مجتمع الكوفة والمدائن الآراء السبئية. وكما قالت اليهود: لا يكـ ون

الملك إلا في آل داود، قال "الشيعة": لا يكون الملك إلا في آل عليّ بن أبي طالب. وقالت اليهود: لا يكون جهاد في سبيل الله حتى يخ رج المسـ يح المنتظر، وكذلك يقول الشيعة لا جهاد في سبيل الله حتى يخرج المهـ دي المنتظر، فالأمر اقتفاء أثر واقتداء حذو النعل بالنعل. واليهود تسـ تحل دم كل مسلم، وكذلك الرافضة، واليهود حرفوا التوراة، وكـ ذلك الرافضـ ة يزعمون تحريف القرآن، واليهود تبغض جبريل وتقول: هو عدونا مـ ن الملائكة، وكذلك الرافضة الغرابية يقولون: غلط جبريل وأوحـ ى إلـ ى محمد بدلا من علي بن أبي طالب، لذا فهم يبغضونه لهذا السبب.

أما عن العنصرية والقول بالتفوق وسمو العنصر: ينسب الشيعة إلى جعفر الصادق القول بأن الله عز وجل خلق ماء عذباً خلق منـ ه أهـ ل طاعته وجعل ماء مراً خلق منه أهل معصيته، ثم أمرهم فاختلطا فلـ ولا ذلك ما ولد للمؤمن إلا مؤمناً ولا ولد للكـ افر إلا كـ افراً. وهـ ذا زعـ م بعنصرية الشيعة مثل قول اليهود بأنهم شعب الله المختار المميـ ز ، وأن سائر المخلوقات أدني منهم، وما خلقهم الله علي صـ ورتهم إلا ليخـ دموا اليهود."فاليهود يدعون لأنفسهم الخيرية بحكم المولد، فمن كانت أمه يهودية فهو من شعب الله المختار حتى ولو كـ ان ملحـ دا أو فاسـ قا أو قـ اتلا للأنبياء".٦٠٧

٦٠٧– محمود أحمد قناوي – المتهم الوهم – الناشر دار الإيمان

ويشترك اليهود والشيعة في عقد الآمال على المنتظر الـ ذي سـ يحيل مذلتهم عزا وتشرذمهم وحدة. فالمحور الأساسي الذي تدور حوله الفكرة التي يؤمن بها الصهاينة هي فكرة المسيح المنتظر التي قال عنه ا "بـ ن غوريون " إنّها ضمنت بقاء الشعب اليهودي على مرّ الأجيال، وخلق ت الدولة التي أصبحت أداة لتحقيق هذه الرؤيا المسيائية، ورؤيا الخلاص هذه ، أو الأمل المسيائي، هي الطابع المحوري لليهودية التلمودية . وفي أسفار التلمود يتجلّى اهتمام الربّانيين بفكرة المسيا، فتتحوّل على أيديهم إلى عقيدة أساسية تشد أزرهم وتعينهم على العمل لمواجهة جميع الصعوبات التـ ي يصادفونها . وتتراوح مدّة هذا العصر المسيائي بين أربعـ بين سـ نة، أو سبعين، أو ٣٦٥ أو ٤٠٠ سنة. وكذلك الشيعة حددوا المدة تلو المـ دة لظهور الإمام المنتظر وانتهى بهم الأمر إلى عدم تحديـ د وقـ ت مـ ا لظهوره. والمسيّا كما يرى الربّانيون ينحدر من نسل داود وسوف يسحق أعداء إسرائيل ويسترجع فلسطين. وهو كلام مشابه لمعتقدات الشـ يعة إذ يرون أن أئمتهم سيحكمون بحكم داوود! مثل اليهود وينسبون إلى جعفر قوله: " إذا قام قائم آل محمد حكم بحكم داود وسليمان " قيل لـ ه "بمـ ا تحكمون؟ قال بحكم الله وحكم داود. قيل له: ما منزلة الأئمة؟ قال كمنزلة ذي القرنين وكمنزلة يوشع وكمنزلة آصف صاحب سليمان" [٦٠٨]. وقـ د

١– الكافي ٣٢٨/١ كتاب الحجة باب في الأئمة أنهم إذا ظهر أمرهم حكموا بحكم داود

صرح عبد الله بن سبأ نفسه بأنه أخذ عقيدة الوصية من التوراة ، فقد ذكر لأهل الكوفة " أنه وجد في التوراة أن لكل نبي وصياً وأن علياً رضي الله عنه وصي محمد صلى الله عليه وسلم، وأنه خير الأوصياء كما أن محمداً خير الأنبياء"[٦٠٩]. والقول بالوصية فكرة مأخوذة من العهد القديم المحرّف ٦١٠.

"واتفقت الشيعة الإمامية على وجوب رجعة كثير من الأموات إلى الدنيا قبل يوم القيامة، وإن كان بينهم في معنى الرجعة خلاف"[٦١١]. ويقولون برجعة علي بن أبي طالب إلى الدنيا قبل يوم القيامة، و هي فكرة مأخوذة من العهد القديم المحرّف [٦١٢].

ويزعم الشيعة ما تزعمه السبئية من " ألوهية علي وعلمه الغيب وقدرته على إحياء الموتى ، وأنه كان راضياً عن ألوهيته و لكنه حرقهم بالنار لأنهم أفشوا السر، ثم أحياهم بعد ذلك"[٦١٣]. والإمام المنتظر الشيعى

٦٠٩- البغدادي في الفرق بين الفرق ﴿ص ٢٣٥﴾ عن الشعبي

٦١٠–انظر : إصحاح ﴿٣٤﴾ فقرة : ٩

٦١١- أوائل المقالات في المذاهب المختارات للشيخ المفيد ﴿ص ٥١﴾

٦١٢- إصحاح ﴿٤﴾ فقرة : ٥

٢– الضعفاء والمتروكون لابن حبان ﴿٨/٣﴾ و ميزان الاعتدال للذهبي ﴿١٦١/٤﴾ و المقالات والفرق للقمي ﴿ص ٢١﴾

والمسيح المنتظر اليهودي متشابهان في أوجه عديدة: فمسيح اليهود لـ دى عودته سيجمع حوله مشتتي اليهود من أقطار الأرض وينتظـ رهم فـ ي المدينة اليهودية المقدسة القدس، وكذلك ينتظر الإمام المنتظـ ر الرافضـ ة فيتدفقون من كل مكان إلى مدينتهم المقدسة الكوفة ٦١٤. وعند عـ ودة مسيح اليهود تكبر أجسام اليهود فتبلغ قامة الرجل منهم مائتي ذراع وكذلك تزيد قوة الشيعي أربعين مرة عند عودة إمامهم. ويبعث مـ وتى اليهـ ود ليلحقوا بجيش مسيحهم ويخرجوا جثث أعدائهم ليقتصوا منهم، ويلحـ ق الشيعة بإمامهم ويخرجوا جثث الصحابة ويعملون الـ ذبح والتقتيـ ل فـ ي قريش والعرب. ويقتل مسيح اليهود ثلثي العالم، وكذلك يقتل الإمام المنتظر ثلثي العالم !!!

وممارسة الشيعة للكذب واعتبار ذلك من الدين، هو عين ما يأخذ به اليهود فيمارس اليهود الكذب بل ورفعوه إلى مرتبـ ة الـ دين والعبـ ادة، يتقربون به إلى إلههم ويسبغون عليه الصفة الدينية لتحطيم ما تبقـ ى فـ ي النفس اليهودية من إحساس إنساني ومشاعر إنسـ انية. فـ التوراة تـ دعو اليهودي ليكون طاهراً مع اليهود ودنساً مع غير اليهود: "إن النفاق جـ ائز،

انظر بحار الأنوار ٦١٤-

وإن اليهودي يكون مؤدباً مع الكافر ويدعي محبته كاذباً، إذا خاف وصول الأذى منه إليه٦١٥.

العنصرية والإبادة الجماعية في الفكر والممارسة الصهيونية– د. غازي حسين ٦١٥-

اليد الخفية والصوفية

الأصول اليهودية للتصوف:

الحضرة الإلهية:

يقول اليهود: " إن الله على الرغم من أنه واحد إلا أنه ينطـ ـوي فـ ـي واحديته على جانب أنثوي، وإنه إن أراد أن يستأنس قليلا أو "يسعد" أطلق جانبه الأنثوي هذا، وتُعرف هذه الفكرة عندهم بـ ﴿الشـ ـخيناه﴾٦١٦، وهذا هو مفهوم الحضـ ـرة الإلهيـ ـة ﴿the divine presence﴾"٦١٧.

وانظر التماثل بين ما يقوله اليهود وما يقوله ابن عربي كبير الصوفية الذي يعتقد " أن ربه يتجلى أعظم تجلي في صورة أنثى ينتهبهـ ـا نكـ ـر! لذلك فإن مضاجعة العاشقين طوال الليل هي نوع من العبادة! والعاشـ ـق عابد لا تستغرقه اللذة بأنثى بل بالرب المتجسد في الأنوثة، فالرب ليس إلا

٦١٦- الشاخيناه بلغة المؤلف هي : the feminine aspect of the divine

٦١٧- ألان أنترمان- اليهود عقائدهم الدينية وعباداتهم – من مقدمة المترجم الدكتور عبد الرحمن الشيخ

مادة ولا يُرى إلا في مادة "[٦١٨]. وابن الفارض شاعر الصوفية الأشهر صاحب التائية وهي قصيدة مطولة حوالي ٨٠٠ بيت يخاطب الله فيها بضمير المؤنث، وله في ذلك من سخيف الأقوال ما يستنطق الأفواه بذمه، يقول: " إن لبنى وبثينة وعزة وليلى– عاشقات شهيرات – ما هن إلا الذات الإلهية تعينت في صورة الغواني العاشقات، وأن قيسا وجميلا وكثير وعامرا– عشاق أولئك النسوة –ما هم إلا الذات الإلهية تعينت في صورة هؤلاء العشاق. فمن خصائص الإله الصوفي أنه يتجلى في صورة رجل عاشق، وفي صورة امرأة عاشقة، وأنه حين يعشق فإنما يعشق نفسه، فهو العاشق والمعشوق والعشق. وبهذا لقبوه – أي ابن الفارض– بسلطان العاشقين" ٦١٩، تعالى الله علوا كبيرا عما يصفون.

الكشف والمكاشفة:

وهي معرفة حدسية فوق عقلية، وإدراك للمعاني الممثلة للحقائق الإلهية .وعلم الظاهر عند الصوفي هو علم الشريعة لأنه يخص الأعمال الظاهرة من أعمال الجوارح. أما علم الباطن فهو المتعلق بالمقامات والأحوال والتوكل، وهو العلم الذي يختص به الصفوة منهم. ولليهود

٦١٨– د.عبد المنعم الحفني– الموسوعة الصوفية – ص٤٠٧

٦١٩– برهان الدين البقاعي – تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي ﴿مصرع التصوف﴾– تحقيق عبد الرحمن الوكيل

عقيدتان سريتان: " العقيدة المتعلقة بأسرار الخلق، والعقيدة المتعلقة بالمركبة الإلهية﴿الميركاباه﴾. فالعقيدة الأولى المتعلقة بأسرار الخلق يمكن تعليمها ولا يكون ذلك إلا من خلال اتصال بين المعلم والتلميذ أي من خلال علاقة بين اثنين ﴿وهو نفس بنية خلية التعليم عند الصوفيين المسلمين، المريد وشيخه﴾. أما العقيدة الثانية المتعلقة بالمركبة الإلهية فلا يمكن تعليمها إلا للتلميذ المناسب لتلقي أمور ذات صلة بالتجربة الباطنية الصوفية. والتراث المتعلق بالمركبة الإلهية يضم سلسلة من الأساليب والممارسات التي يستطيع بها الصوفي أن يكتشف الفاصل بين العالم المادي أو البشري وعالم المركبة الإلهية، بهدف رؤية الله جالسا على عرشه السماوي، والأساليب التي يستخدمها الصوفي اليهودي للإعداد لرحلته لرؤية المركبة الإلهية هي: الصيام والاستحمام والجلوس في وضع مخصوص والرأس بين الركبتين وترتيل التراتيم الدينية وأسماء الله الباطنية﴿السرية أو الصوفية﴾، والصلوات والدعاء واستخدام أساليب التأمل بالتحديق والتفرس، التي يعد طبيعتها الحقيقية من الأمور المبهمة."[٦٢٠] والتشابه عجيب بين ما يدعيه صوفية اليهود وصوفية المسلمين فيما يتعلق

---

٦٢٠ – ألان أنترمان– اليهود عقائدهم الدينية وعباداتهم–ترجمة الدكتور عبد الحمن الشيخ ، ومراجعة الدكتور أحمد شلبي– ص١٧٥،١٧٦

بتلقي الوحي من خلال الرؤى المنامية على النحو الذي يصعب معه تجاهل وحدة المصدر. وقد" ظهرت إحدى الحركات الداعية لاستخدام الصوفية لحل المشكلات التي ظهرت في الشريعة اليهودية، وذلك بتلقي وحي إلهي من خلال الرؤى المنامية. ومثل هذه المحاولات ظهرت بشكل واضح في كتاب ﴿ أسئلة وأجوبة من الله ﴾ الذي كتبه "يعقوب هاليفي"، وصاغ فيه الأسئلة بعد أن ذهب إلى مكان منعزل، وراح يصلي ويردد أسماء الله العظمى، وأعطاه الله الإجابة في رؤاه المنامية وكانت غالبا مشفوعة بآيات من الكتاب المقدس اليهودي "٦٢١. وليس ثمة فرق بين ذلك وما زعمه كثير من صوفية المسلمين كابن عربي من تلقيه كتب من الله تتضمن تعاليم وشرائع جديدة يفسر بها الدين تفسيرات مبتدعة صوفية باطنية على غرار ما يفعله اليهود في تفسير كتابهم المقدس. وتقسيم الملة اليهودية إلى كل من اليهودية الصوفية ﴿أو القائمة على معتقدات باطنية سرية﴾ و اليهودية الأصولية ﴿ أو الظاهرية القائمة على الشرائع اليهودية الظاهرة﴾، يقابله تقسيم الصوفيين الملة إلى الحقيقة والشريعة.

القطب:

٦٢١- ألان أنترمان- اليهود ، عقائدهم الدينية وعباداتهم- ص١٨٤

يتربع القطب على قمة التنظيم الصوفي للمسلمين وهو "صاحب أعلى الدرجات في الطريقة. والقطبية لا يبلغها أساتذة الطريقة إلا بجهد جهيد. وقيل القطب هو رجل واحد وهو موضع نظر الله تعالى من العالم في الزمان الواحد، ويسمونه أيضا الغوث. ويقول التيجاني– شيخ الطريقة الصوفية التيجانية – إن الله يكرم القطب بعلم ما قبل وجود الكون وما وراءه وما لا نهاية له، ويعلمه جميع الأسماء القائم بها نظام كل ذرة من جميع الموجودات، فكأنما القطب هو العين الساهرة على العالم،والعليم بكل ما يجرى فيه"٦٢٢.ويرى الشعراني "أن القطب يحقق معنى الخلافة التي أراد الله أن يجعلها للإنسان في الأرض ﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾،وإذا مات قطب حل محله غيره،ويلي القطب الأوتاد والأبدال، والأوتاد أربعة أولياء،والأبدال سبعة أو أكثر"٦٢٣.

أما الشيعة فترى أن القطب خُلق على قلب محمد صلى الله عليه وسلم، وقيل على قلب إسرافيل عليه السلام، ويسمى أيضا قطب العالم، وقطب الأقطاب٦٢٤.

٦٢٢– د.عبد المنعم الحفني– الموسوعة الصوفية ص ٩١٤

٦٢٣– عبد الحفيظ فرغلي– عبد الوهاب الشعراني ص١٩٢

٦٢٤– د.عبد المنعم الحفني– الموسوعة الصوفية ص٩١٣

والقطب في الصوفية اليهودية "يُنظر إليه كنقطة تصل ما بين السماء والأرض، أو بتعبير آخر تصل العالم القدسي بالعالم الأرضي، إنه القناة التي يمكن من خلالها انسياب الطاقة المقدسة من السماء إلى الأرض، وهذا القطب هو الوسيلة لرفع دعوات الناس إلى السماء، وهو يملك القدرة على السيطرة على كل الأشياء الروحية والمادية..والله ينفذ كلماته، لأن الله قد جعله شريكا في عملية الخلق، وعاش بعض الأقطاب اليهود كسادة إقطاعيين تأتيهم الهبات من أتباعهم، ويفيضون من سلطانهم الروحي والدنيوي على أتباعهم العديدين،والذين يكونون تجمعات يهودية ممتدة امتدادا كبيرا "٦٢٥. كما تتماثل ممارسات صوفية اليهود وصوفية المسلمين في التركيز على الغناء والرقص واستخدام الكحول والتوباكو.

وليس من قبيل المصادفة أن تتشابه أقوال اليهود والشيعة وصوفية المسلمين، تشابها يصل إلى حد التماثل الذي لا ينكره إلا أعمى، حول القول بأن هناك شريعة وحقيقة أو ظاهرا وباطنا، والزعم بأنه لا تناقض بينهما وأنهما في واقع الأمر شيء واحد! وإذا كانا فعلا شيئا واحدا ففيم انقسامه إلى شيئين؟ فبانقسامه إلى شيئين لم يصبح واحدا. والمغزى الوحيد وراء ذلك هو إفساح المجال لتخرصات المبطلين والزعم بأنها تقع ضمن "الباطن" الذي ادعوه أو "الحقيقة "التي اصطنعوها. وما دام الأنبياء قد

٦٢٥– آلان أنتزمان – اليهود – عقائدهم الدينية وعباداتهم – ص٢٠٤،٢٠٥

جاءوا بالشريعة والظاهر، واحتاج الأمر إلى استكماله بالحقيقة والبـ اطن، فما بلّغ هؤلاء الأنبياء إذ بقى ما يطلب الاستكمال . وهنالك تشابه بين ذكر الصوفية البدعي بالرقص والزمر وما دعا إليه العهد القديم حيث جاء فيه: " ليبتهج بنو صهيون بملكهم ليسبحوا اسمه برقص بدف وعود ليرنمـ وا ، هللوا ، سبحوا الله في قدسه، سبحوه برباب وعود، سبحوه بدف ورقص، سبحوه بأوتار ومزمار، سبحوه بسنوج الهتاف ".

علاقة الماسونية بالصوفية والشيعية:

يتشابه النسق الفكري والتنظيمي لكل مـ ن الصـ وفية والماسـ ونية فكليهما تنظيم هرمي ومكون من نفس المفردات. فالنظام الصوفي يتشكل من المريد ﴿التلميذ﴾ ثم الشيخ ﴿الأستاذ﴾ ثم الوتد، وعلى رأسهم جميعـ ا القطب. والنظام الماسوني يتشكل من " التلميذ ثم زميل الصنعة ثم البنّـ اء الأعظم، ثم القوس الأعظم المقدس" ٦٢٦. وكانت التكايا والخانقـ اوات مراكز لجذب الناس واستمالتهم لاعتناق ملة التصوف إذ يتوفر فيها المأكل والملبس والأمن في أوقات كان الناس فيها يعيشون في فقر مدقع ويعانون من الظلم والقهر، وكانت بمثابة مراكز استقبال للصوفيين الوافدين علـ ى البلاد،كما كانت بمثابة نقط اتصال بين الخلايا الصـ وفية داخـ ل الـ بلاد

٦٢٦– الجمعيات السرية في العالم– د.عبد الوهاب المسيري – بتصرف

وخارجها. "وبالنسبة للماسونيين– البنائين –كان لهم إطار حركي خ اص بهم وهو المحفل، وهو بناء مؤقت يلتقي فيه البناءون حي ث يتب ادلون المعلومات والأخبار والمشروبات، كما كان بوسعهم النوم في المحفل وقت الظهيرة"[٦٢٧]. والمحفل بالتعريف الماسوني هو:" مك ان يجتم ع فيه البناءون الأحرار للعمل وليعلموا ويهذبوا أنفسهم بأسرار الفنون القديم ة، وبعبارة أعم يطلق على الأشخاص أو المكان، ويجب عل ى ك ل أخ " ماسوني " أن يكون تابعا لمحفل من المحافل وخاضعا لقانون ه الـ داخلي ولقانون العشيرة العام "٦٢٨ .كما كان لمتصوفة اليهود مراكز تسـ مى" المسفايات" وكانت منتشرة في كل البلاد التي تواجد فيها اليهود وفتحه ا المسلمون، وكما كان الصوفيون يعكفون على أورادهم وأذكارهم،ك ذلك " كان البناءون– الماسونيون– يلتزمون بمجموعة من الواجبات ضمها م ا يسمى ﴿كتاب الواجبات﴾ أو ﴿كتاب التعليمات﴾ "٦٢٩. ونظرا للتماث ل الشديد بين اليهودية والصوفية من حيث الدوافع والوسائل والغايات، وهو تماثل يصل– أو يكاد– إلى حد التداخل والامتزاج؛ أصبح من اليسير على أهل الفطنة أن يرصدوا عناصر هذا التماثل في جلاء.

٦٢٧– الجمعيات السرية في العالم– د.عبد الوهاب المسيري– بتصرف

٦٢٨– القانون العمومي للشرق الأسكوتلندي السامي– تعريب ملحم حداد وآخرين

٦٢٩– الجمعيات السرية في العالم– د.عبد الوهاب المسيري– بتصرف

ويحدثنا الدكتور عبد الوهاب المسيري عن تشابه الحركة الماسونية بكل من طائفة الدروز والطائفة الإسماعيلية وجماعة الحشاشين– وكلها جماعات شيعية– فيقول: "إن المؤرخين يرون أن الحركة الماسونية استمدت بعض أفكارها ورموزها وطريقة تنظيمها من هذه الجماعات.فشيخ الجبل، رئيس جماعة الحشاشين، الذي يمسك كل الخيوط بيديه لا يختلف كثيرا عن رئيس المحفل، وطريقة العمل السرية وتجنيد الأعضاء الجدد وفكرة الدرجات التي تتبعها الحركة الماسونية لا تختلف كثيرا عن طريقة العمل والتجنيد في هذه الجماعات "٦٣٠. ومن جوانب الانخراط في الجماعات الصوفية: اكتساب مكانة اجتماعية ودينية مرموقة، فضلا عن أوهام ادعاء اكتساب العلوم الإلهية دون درس أو تعليم وإنما بالهبة المباشرة من الله. كذلك كان الحال مع الماسونيين " إذ كانوا من فئات هامشية تود أن تحقق شيئا من الحراك والمركزية، أو كانوا أعضاء هامشيين في طبقات مركزية ويودون أن يحققوا قدرا من الحراك من خلال الانضمام إلى تجمع أكبر. وكانت الماسونية تحوي داخلها كل معالم التفكير الإلحادي الذي يسقط الإله تماما، وكانت عقلانية ذات رموز صوفية "٦٣١.

٦٣٠– الجمعيات السرية في العالم– د.عبد الوهاب المسيري

٦٣١– الجمعيات السرية في العالم– د.عبد الوهاب المسيري

والمتصوفون اليهود يفسرون التوراة بنفس الطريقة التي يفسر بها المتصوفون المسلمون القرآن إذ يقولون بالمعنى الظاهر والمعنى الباطن ويزعمون دلالات للأرقام إذ يقابلونها بالحروف الهجائية، ويستنبطون منها ما يشاءون من تأويلات مزعومة ليس لها علاقة بالنص البتة وذلك شأن من يريد تقويض العلاقة بين بنية النص ودلالته من أجل فتح الباب على مصراعيه لآلاف التأويلات للنصوص ويسمون ذلك بالإعجاز التوراتي. وكذلك كتاب "الجفر" الذي يزعم الشيعة أنه يضم أسرار الماضي والحاضر والمستقبل، إنما تقوم فكرته الأساسية على الأرقام واستنباط المعاني منها.

وفي الجمعيات الماسونية – وهي جمعيات خفية يهودية – بعد الاحتفال بقبول المنتسب إليها، يكسو الكفيلُ الماسوني ﴿ يماثل الشيخ عند الصوفية﴾ المنتسبَ الجديد ﴿ المريد﴾ مئزرا صغيرا وذلك رمز انتسابه إلى الجمعية، وذلك كما يُلبس الشيخُ الخرقةَ للمريد .

وإن صح القول بأن الأشياء ليست دائما كما تبدو، يكون التاريخ هو أصح مقام يقال فيه ذلك. " فلنا أن نتصوّر، رغم قلة الروايات وانعدامها أحياناً، حجم الدور اليهودي في حركات الردّة والتنبؤ في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وفيما بعد في " الفتنة " التي زعزعت أركان الخلافة الراشدة، التي لعب ﴿ ابن سبأ ﴾ فيها، وآخرون غيره لم تتكشف

أسماؤهم بعد، دوراً خطيراً ٦٣٢. ولن نكون مغالين إذا قلنا إن عدداً من الاضطرابات والفتن، والفرق المنحرفة، والتجمعات المذهبية المعادية للإسلام كان اليهود بعض من وقفوا وراءها وأنكوا نارها في محاولة منهم لإضعاف هذا الدين وكسر شوكته وطمس تميزّه بين المذاهب والأديان. وليس من الصعب اكتشاف التأثيرات اليهودية في الخلفيات الفكرية لبعض الدعاوى الباطلة كالحركتين البابية والبهائية.

وقد تولى الإعدادَ لجهود تحريف المسيحية، اليدُ الخفية التي تدبر وتنفذ في خفاء. ويسجل لنا التاريخ تصريح أحد كبار اليهود إذ يقول: "لما رأيت أن رجال الدجال يسوع وأتباعهم – يقصد السيد المسيح عليه السلام وأتباعه من المسيحيين – يكثرون ويجتهدون بتضليل الشعب اليهودي بتعاليمهم، مثلت أمام مولاي جلالة الملك هيرودس أكريبا، واقترحت عليه تأسيس جمعية سرية لمحاربة أولئك المضلين، وهيرودس أكريبا هو ملك اليهود من سنة ٣٧ إلى ٤٤ بعد الميلاد. ويتضح من هذا الكلام سبب نشأة هذه الجمعية لمزاولة نشاطها الهدام في مجال الدين والسياسة والفكر" ٦٣٣. وفي الزعم التاريخي للماسونيين يعترفون أن مؤسس حركتهم

٦٣٢– من مقال للدكتور عماد الدين خليل

٢– تبديد الظلام أو أصل الماسونية – تعريب عوض الخوري، نقلا عن الماسونية نشأتها وأهدافها– د. أسعد السحمراني

وجمعيتهم الخفية هو الملك هيرودس أكريبا. "والماسونية اسـ م حـ ديث للقوة الخفية التي أسسها اليهود عام ٣٧ ميلادية في الهيكل لتجهز علـ ى المسيحية والمسيحيين، وقد أخذت تلك القوة الخفيـ ة اسـ ما جديـ دا هـ و الماسونية، وذلك في مؤتمر لندن وبرئاسة أندرسون الذي عاش كرئيس كنيسة بروتستانتية في الظاهر وبالباطن يهودية "٦٣٤. وجاء على لسان أحد مؤسسي الجمعيات الخفية التي مهدت للحركة الماسونية ويدعى لاقي موسى لاقي: "في أواخر الجيل السادس للدجال يسوع – يقصد نبـ ي الله عيسى عليه السلام – الذي أتعبنا بتدجيلاته، ظهر دجال آخر ادعى التنبؤ والوحي– يقصد سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام– وأخذ ينادي بالهدايـ ة مرشدا للعرب، الذين كانوا من عبدة الأصنام، إلى عبادة الإله الحق، وسن شرائع مخالفة لديانتنا اليهودية، فمال إليه كثيرون في مدة قصـ يرة، فقمنـ ا نناهض دعوته ودينه ونصرخ بأصواتنا الخفية لتبصرة أتباعه بأنهم وإياه دجالون كسابقهم يسوع. والواجب الديني والاجتماعي والوطني يقضـ ى علينا بمناوأة تعاليمه بكل ما في الوسع، كما نناوئ تعاليم الدجال يسـ وع الذي هو علة إنشاء جمعيتنا، والمبادئ الأساسية لهذه الجمعية هي مناوأة يسوع ورجاله، وبعدهم محمد ورجاله، والاحتفاظ بالدين اليهـ ودي دون

٦٣٤– الماسونية– محمود ثابت الشاذلي ، الكشاف الفريد –خالد محمد علي الحاج ، الماسونية في العراء –د. محمد علي الزغبي

سواه " ٦٣٥. وواصلت المحافل اليهودية الماسونية بعد ذلك جهود الكيـ د للأديان، واسمع ما جاء في "إعلان محفل فرنسا الأكبر بعد اجتماعاته في تشرين الأول عام ١٩٢٢، جاء ما يلي: لنشتغل بأيد خفية نشيطة ولننسج الأكفان التي سوف تدفن جميع الأديان، فيتسنى لنا أن نبيد الإكليريكية من العالم وما ينشأ عنها من الخرافات [٦٣٦].

واليد الخفية اليهودية الماسونية تدبر بليل، وتضع السياسات وتحـ دد الغايات وتجند العملاء والخونة لتنفيذ تلك السياسات والمنافحة عنها وتلقينها للغير. "و الحكومة اليهودية الخفية المعاصرة مستترة ويديرها ٣٠٠ يهودي يطلقون على أنفسهم ﴿ حكماء صهيون ﴾ وينتخبون واحدا منهم ينصبونه ملكا عليهم وارثا لملك داود وسليمان "٦٣٧.

واسمع ما يقوله اليهود بشأن ابتكارهم لتلك السياسات، يقولون: " أي سبب أغرانا بابتداع سياستنا وبتلقين الأمميين ﴿ أي غير اليهود ﴾ إياها؟ لقد أوحينا إلى الأمميين هذه السياسة دون أن ندعهم يدركون مغزاها الخفي وماذا حفزنا على اختيار هذا الطريق للعمل إلا عجزنا ونحن " جـ نس

٢- تبديد الظلام أو أصل الماسوني –الماسونية نشأتها وأهدافها– نقلا عن د. أسعد السمحراني -

٣ – مجلة المسرة ﴿ لبنان ﴾ عدد تشرين الأول عام ١٩٢٦

٦٣٧– محمود أحمد قناوي – سطوة المرابين في مواجهة الغافلين

مشتت " عن الوصول إلى غرضنا بالطرق المستقيمة بـ ل بالمراوغ ة فحسب، هذا هو السبب الصحيح، والأصل في تنظيمنا للماسونية التـ ي لا يفهمها أولئك الخنازير من الأمميين ولذلك لا يرتابون في مقاصدها. لقـ د أوقعناهم في شرك" محافلنا "التي لا تبدو شيئا أكثر من " ماسـ ونية " كي نذر الرماد في عيون رفقائهم ".٦٣٨

وكان لابد لليد الخفية من أن تجند من رجال الدين المطلوب تقويضـ ه حتى يتم المراد باسمهم، فعلوا ذلك في المسيحية والإسلام، ولهم أعوان هنا وهناك، "فقد تمكن الماسون عام ١٦٢٠ من إشراك الأسـ اقفة ورجـ ال الإكليروس معهم وقلدوهم رئاسة محافلهم، ومنذ ذلك الحين أضيفت إلـ ى اسم رئيس المحفل كلمة "محترم" وهو لقب إكليركي لازال مستعملا حتى اليوم، وكانت الأديرة ملجأ للماسونيين في الحروب والقلاقل،ومنذ طلقـ ت بريطانيا الكاثوليكية وتحولت إلى البروتستانتية اخترقت الأفعى الماسـ ونية الكنيسة البريطانية والكنائس المماثلة في غرب أوروبا، ووضعتها تحـ ت السيطرة اليهودية "٦٣٩. ولا يخفى على أحد أنه تـ م أيضـ ا اختـ راق

٦٣٨– البروتوكول الحادي عشر– ترجمة محمد خليفة التونسي

٦٣٩– حركات ومذاهب في ميزان الإسلام– فتحي يكن ، نقلا عن الماسونية لمحمود ثابت الشاذلي

المؤسسات الدينية الإسلامية وتجنيد بعض رجالها الذين تبنوا التحريف والتخريف المدسوس في الإسلام بدعوى التصوف والتشيع.

واسمع ما يقوله أحد الماسونيين ، اسمه "حنا أبو راشد"، لـ تعلم كيف صاغوا الماسونية هلامية مطاطة لتسع الأديان ولتيسير انزلاق أتباعها إليها، يقول: "لنا أن نقول إن الماسونية يهودية لأنها كذلك في بعض طقوسها ومراسمها، ولنا أن نقول إنها مسيحية لأنها تحس على السلم والوداعة والمحبة، ولنا أن نقول إنها محمدية –يقصد إسلامية – لأنها في مجموع وصاياها وفلسفتها تأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر، وتشترط في الداخلين فيها كل فضيلة " ٦٤٠.

واليد الخفية وراء التصوف، فليس من قبيل الصدفة أن يتم تفعيل المد الصوفي في الغرب بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، إذ شغف الناس بمعرفة الإسلام وتم إنكاء فضولهم إلى معرفته، مما أدي بالكثيرين منهم إلى اعتناقه، ووفقا لبعض التقديرات المعلنة في حينها قبل إن حوالي مئة وخمسين ألفا من الأمريكيين يدخلون الإسلام سنويا، الأمر الذي مثّل خطرا اقتضى المحافل السرية الخفية أن تبادر بتفعيل أنشطة الصوفية في أمريكا ذاتها. فرأينا على شاشات التلفاز حلقات الذكر التي يترنح فيها الذاكرون وهم يصفقون، ولم تكن حلقات الذكر هذه في حواري زينهم أو

٦٤٠– نقلا عن الماسونية نشأتها وأهدافها –د. أسعد السمحراني

حارات باب الشعرية، ولكنها كانت في نيويورك حاضرة الذور والحضارة ، حتى ينصرف العقلاء وكل من ساقه الفضول نحو الإسلام، إذ يقولون ها هم المسلمون: حمقي يتعبدون بالطبل والمزمار ويترنحون كالسكارى، فهم لا يختلفون عن ملل ونحل الهمج في أفريقيا أو الوثنيات الهندية.

الباب الخامس

العقل الشعبي

* الفصل الأول: العقل الشعبي

العقل الشعبي

السؤال الآن هو: لماذا وكيف تراكم هذا الكم الهائل من التحريف والتخريف فى تراثنا الإسلامي ودينا وعقيدتنا؟ إن القوى التي دبرت لهذا التدليس استخدمت آليات ووسائط لزرعه وترسيخه في العقل والضمير الشعبي– ومنها التضليل بالاسترهاب بالقداسة والتقديس حيث يتم شل العقول وتعمية الضمائر باسم التقديس ﴿ تقديس الحاكم الإله أو ظل الله في الأرض، أو الإمام المعصوم المنحدر من سلالة السيدة فاطمة الزهراء أو سيدنا على بن أبي طالب، أو من ينتمون إلى السلالة النبوية الشريفة ويسمون أنفسهم الأشراف، أو من يزعمون الانتماء إلى سيدنا أبي بكر الصديق أو من يقولون بانحدارهم من سلالة سيدنا عمر بن الخطاب، أو تقديس شيوخ الصوفية وأقطابها ﴾ وباسم هذه القدسيات وفى ظل الجهل العام والأمية، تُفرض الأضاليل على الجهلة والمسترهبة عقولهم، فهم كالأرض الخالية ما أُلقي فيها من شيء قبلته.

وربط الأفكار الباطلة بسند روحي من شأنه تأمين الحماية لهذا الباطل وتيسير النيل ممن يتصدى له. فأباطيل الشيعة منسوبة–زورا وبهتانا – إلى البيت النبوى، وأباطيل الصوفية ابتدعها من يزعمون الاقتداء بالقرآن

والسنة النبوية. ومن يناهض الشيعة أو الصوفية يثير لـ دى الـ دهماء مشاعر الغضب لآل البيت والانتصار لله ورسـ وله. وهـ ذه الرابطـ ة الموهومة بين الباطل والسند الروحي، استغلها مؤسسو الدول الشيعية ممن ادعوا الانتساب إلى آل البيت النبـ وي إذ أُشـ يع أن المتقاعسـ ين عـ ن مناصرتهم إنما يحاربون الله ورسوله. والعوام يكرهون من يقترب مـ ن رموزهم الروحية وأعلامهم الدينية دون تمحيص أو تدبر، فالجمـ اهير تفكر بعواطفها ومشاعرها ولا عقول لها. ولتدعيم تلـ ك الرابطـ ة بينـ ى الصوفية الأضرحة ويحجون إليها في احتفالات سنوية تجـ دد مشـ اعر الانتماء إلى المقبورين فيها، ويقيمون الموالد لمشايخها، وللسبب نفسه يبني الشيعة الحسينيات ٦٤١ والمشاهد والأضرحة. وهم يغالون في ذلك إلـ ى درجة الزعم بوجود رفات بعض آل البيت الأطهار فـ ي بعـ ض هـ ذه المساجد كما هو شائع في مصر من أن مسجد السيدة زينب رضـ ى الله عنها يضم رفاتها، وأن مسجد الحسين به رأس الحسين رضى الله عنـ ه، وهي مزاعم لا صحة لها تاريخيا وقد قال بهذه المزاعم الخلفاء الفاطميون

٦٤١– أماكن للاحتفالات الدينية الشيعية

حينما جاءوا إلى مصر وأرادوا الاستحواذ على ولاء وطاعة المصريين فاختلقوا ذلك ٦٤٢.

والاسترهاب بالقدسية والتقديس يشل العقل شللا تاما، فيمسك هذا العقل عن الانتقاد والتفكير، ويفسح المجال للأفكار غير المعقولة والمعتقدات الزائفة غير المنطقية التى لا سند لها سوى التوارث نقلا عن الآباء الأولين، وينفسح الطريق أمامها فتتسلل إلى الضمير والكيان دون رقيب يتفحص الباطل أو بصير يكشف التحايل والمخادعة. فالتعامل بين طرفين يزعم أحدهما أنه مقدس بذاته ﴿الفرعون، أو الأئمة المزعومين كالحاكم بأمر الله وأئمة الإسماعيلية ﴾، أو أنه يتمتع بقدرات قدسية ﴿كاهن، أو خليفة يمثل ظل الله في الأرض، أو شيخ طريقة صوفى أو فقيه ولى﴾، يقتضي بالضرورة هزيمة عقل الطرف الآخر وإقصائه، وللطرف المقدس أن يغتال منطق الطرف الآخر. وهذه القدسية،أو الاعتقاد بها، هو الذي يجعل العاقل يسجد لوثن، ويتعبد لصنم، ويتوسل لبقرة، بل ويجعله على استعداد لبذل النفس من أجل معتقده، وليس الحديث عن كفار قريش بخفى، إذ حاربوا المسلمين ببسالة، وماتوا في سبيل شركهم. وهذه القدسية الوهمية هي التى تجعل الصدوفى يقول بحلول الله فى

٦٤٢– يراجع كتاب الأستاذ محمود المراكبي : حقيقة الضريح ، وهو دراسة تفصيلية موثقة في هذا الموضوع

مخلوقاته،حتى الحيوانات ، وهى القدسية التى يزرعها الشيخ الصوفى فى عقول مريديه، فيتوهمون أنه فعلا يتلقى علما لدنيا مباشرة من الله وأنـ ه يطير فى الهواء ويسير فوق الماء. وهى القدسية التى استرهب بها فقهاء الشيعة اتباعهم فصدقوا ألوهية سيدنا على بن أبى طالب_كرم الله وجهه– وغيره من أئمتهم، وأن مقام الأئمة فوق مقام الأنبياء،وأنهم يرجعون بعـ د موتهم. والاسترهاب بالقدسية والتقديس يفعل مفعول المخدر الذي يغيّـ ب المريض عن وعيه، فيعمل فيه مبضع الطبيب جرحا وتقطيعـ ا، فيقطـ ع لحمه ويخيط أنسجة جسمه دون أن يشعر أو يعترض. ذلك بالضبط عين ما يفعله الاسترهاب بالتقديس: قدسية شخص أو فكـ رة أو طائفـ ة أو رأي، فيتم إعطاب العقل، فلا يفكر أو ينكر أو يقيّم أو يعترض، ويصبح كالبوابة المفتوحة التي يلف منها أي داخل دون التحقق من هويته، فتتسـاب الأفكار الغريبة والآراء الشاذة التي ما كان لها أن تمر لولا الاسـ ترهاب بالقدسية والتقديس .

وما يُغرس فى وجدان الطفل الذى لم يمتلك بعدُ أدوات المنطق والنقد والفهم، يظل مؤثرا فيه حتى الممات. وإلا فما بال اليابانى المعاصر الذى يصنع الكمبيوتر ويجري البحوث الذرية، ومع ذلـ ك لا يـ زال يقـ دس الإمبراطور اعتقادا منه أنه من نسل الآلهة. أو ما بال المصرى القديم الذى صنع حضارة قامت على التقدم العلمى فى الهندسة والطب والفلك، وهـ و

يعبد الفرعون،بل لم يستنكف من عبادة الحيوانات م ن قط ط وك لاب وخنافس. إنه الموروث الدينى الذى يكتسبه الإنسان صغيرا فيترسخ ف ى وجدانه وتتوارثه الأجيال عن طريق التربية والعرف والتقاليـ د والتعـ يم. وربما جاء من يثبت أن هذا الموروث الدينى يترسخ فى الجينـ ات التـ ى تورّث سائر الخصائص البدنية والنفسية، بالضبط كما نتوارث الخوف من الزواحف من أجدادنا الذين عاشوا فى الكهوف منذ ألوف السنين.

وقليل هم من يفكرون بعقولهم فى الدين الذى يعتنقون، وإنمـ ا الأمـ ر للعاطفة والعادة والإرث الذى ورثه المرء منذ كان طفلا يتعرف علـ ى العالم لأول مرة عن طريق والديه ومن يربونه،فيلقّنونه الأمور البديهيـ ة التى يتقبلها دون تفكير، مثل أن النار تحرق، والماء يُغرق، والقطة تعض، نتعلم تلك الأشياء منذ الصغرحتى قبل أن تتفتح عقولنا ومـ داركنا، وإنمـ ا نتلقى تلك المعارف مباشرة من الأهل والمربين ثم نختزنها فـ ى الـ ذاكرة الحافظة وتؤثر بعد ذلك فى سلوكياتنا دون أن نفكر فيها، ويتلقـ ى الن اس جميعا معارفهم الدينية الأولى بنفس الطريقة، وينشأ الناس على دين آبائهم على هذا النحو.

يقول الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم:" كل مولود يولد على الفطرة فوالداه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه" . وبعد أن تترسـ خ هـ ذه الأفكار تكتسب قداسة لاتلبث أن تتحول الى تعصب يُلتمس له البـ راهين

لبيان صواب هذه الأفكار وبطلان غيرها، وحيثما اشتد التعصب اشتد الاختلاف، ونادرا ما يكون سبب التعصب هو قوة الإيمان. ولا يقتصر السقوط فى براثن التعصب أو اختلاف الرؤى على هذا النحو، على الدهماء وعامة الناس، بل قد تجد من" العلماء " من تعمى بصائرهم فلا يرون الحقائق على وجهها إما لقصور أوابتغاء مصلحة، فليس كل الفقهاء بالذين يتنزهون عن الغرض دائما.

ومن الناس من يكون دقيق التمييز، ومنهم الغبي وأعمى القلب وذلك من أسباب اختلاف العلماء في الآراء والمذاهب، فبا ختلاف إدراكاتهم تختلف معتقاداتهم. ويعز على المرء التسليم ببطلان ما يؤمن به من أفكار، ويتعذر عليه التبرؤ من آرائه التي اعتنقها طوال سنوات طويلة هي عمره، وإلا كان معنى ذلك الاعتراف بخطئه وجهله طوال تلك السنوات، وهو ما لا يقدم عليه المرء ولا يحبه. لذا قد تستمر المجادلة واللجج ليس بسبب غموض الأفكار المتجادل بشأنها وإنما بسبب مواقف المتجادلين وتمسكهم بوجهات نظرهم للأسباب المذكورة.

ولا يقتصر أثر البيئة على إجبار العقل على مهادنة الأفكار غير المعقولة وقبولها دونما رفض، بل المدهش حقا أنه يتعدى ذلك إلى التأثير فى العقل ذاته من حيث إمكان تغيير نسبة ذكائه .

ولقد تكونت مفردات المجتمع الإسلامي الأول من العرب والف رس والروم والمصريين واليهود والنصارى،منهم من بقي على ديانته، ومـ نهم من دخل في الإسلام. ولكل من هذه الأعراق لغته وثقافته وتراثه، وكـ ان لهذا المزيج المتباين أثره البالغ في تشكيل العقلية "الشعبية" التي يمكـ ن أن تتقبل الشيء وضده، وتتسع لتحتوي الحق والباطل معا، وتتسـ امح مـ ع الخطأ وتتشدد مع الصواب. وبقيت الأباطيل الصوفية والشيعية مؤثرة في ضمير المسلم لأنها وُضعت خارج دائرة العقل، وأصبحت مقدسة، فباتت فوق التمحيص والانتقاد.

وزهّدوا الناس في استخدام عقولهم لفهم النص قائلين إنه لا عقل متـ ى ثبت النص عن الشارع، أجل النص مقدس وثابت فهو مـ ن عنـ د الله، ولكن ما الداعي إلى تعطيل العقل أمام النص، وكيف يُفهم النص بلا عقل يكون هو الأداة لهذا الفهم وللعقل حدود لا يتجاوزها، وهذه الحدود هـ و أيضا _ أي العقل _هو الذي يحددها. فالفقه "وهو بمعنى الفهم" يتفـ اوت بحسب العقل الفاهم والمعطيات المتاحة، و النص نفسه ثابـ ت لا يتغيـ ر. والأمر يشبه السماء العالية يحاول كل من الطير والإنس والجن بلوغها، ولكل وسيلته، وهي عالية يسعى إليها من يسعى. والقول بتعطيل العقـ ل على أي نحو من الأنحاء إنما هي دعوة إلى الضلال والإضلال. فبالعقل يعلم الإنسان حدوده التي لا ينبغي تجاوزها، وبالعقل يعرف الإنسـ ان أن

الإيمان بالغيب من شروط الإيمان ولا جدوى من محاولة إعمال العقل في الغيبيات إذ تقع خارج نطاق قدرته. ونرى أن الدعوة إلى تعطيل العقل حتى أمام النصوص هو إفساح الطريق أمام التفسيرات الباطنية التي أخذت بها كثير من الفرق المغالية، فالعقل هو آلة فهم النص إذ يدور بتواضع في فلك النص الإلهي يستنبط منه المعاني والأحكام. ولا يقولن منصف بتحييد العقل فهو أداة الإنسان الذي يعرف أين ومتى يُعمل عقله لاستخلاص المعاني والأفكار والعبر، كما يعرف متى يقف معترفا بعجزه عن تجاوز حدوده. والحذر الحذر ممن يدّعون امتلاكهم سلطات روحية، فهم يفعلون بالناس الأفاعيل زعما أنهم مقدسون، فالقداسة ابتداء تنفي المساواة، اذ تضع الشيخ الصوفي والولي و الأئمة والآيات الشيعية على طرفي نقيض في مواجهة البسطاء والعوام، فتجرد أحدهما من حقه، وتثبت للآخر ما ليس له من الحقوق.

وكان فدائيو فرقة الاسماعيلية الشيعية يُؤمرون بطعن أنفسهم بالخناجر فلايترددون لحظة في بقر بطونهم أو نحر أنفسهم فتلك إرادة أربابهم الشيوخ ويُطلب منهم إلقاء أنفسهم من حالق، فيقفزون عن طيب خاطر. وكان المشركون يقدسون أصنام أجدادهم ويتبعون معتقدات آبائهم الأولين وينافحون عنها بأرواحهم، وقد ندد القرآن الكريم بهذا الاتباع الأعمى والقدسية الباطلة. ويجب تمحيص الأفكار لمعرفة ما إذا كانت

تحمل داخلها حقائق يقرها المنطق أم هى مجرد موروثات أ لِفناها بمرور الوقت وصدقناها مع الزمن، أو استمالنا أحد الى تصديقها، أو أجبرنا أحد على اعتناقها.

ومن دخل الإسلام من اليهود والنصارى والمجوس وغيرهم، ظلت معتقداتهم الموروثة وأفكارهم الدينية السابقة هي الفاعلة والمؤثرة، وأثاروا بين المسلمين مسائل فلسفية ما عرفها المسلمون من قبل مثل مسائل صفات الذات الإلهية والجبر والاختيار وما شابه ذلك. ومنهم من اعتنق الإسلام وأبطن غيره ليتمكن من تقويض هذا الدين الجديد الذي سلب أمتهم السيادة والعزة. ولما كان من الأدوار المنوطة بالإعلام الرسمي الحاكم، محاصرة الوعي الشعبي وإبقاؤه دون الحد الأدنى اللازم لإيقاظ الجماهير ودفعها للسير في اتجاه تغيير واقعها المزري،كان لابد من اختراق وعيها بوسيلة مستحدثة آنذاك وهي القصص والقصاصين . ومحاولات استخدام القصص والقصاصين كوسيلة دعائية بدأت أيام عمر بن الخطاب ولكنه منع القصّاص من مزاولة أنشطتهم الدعائية في المساجد.

وظهر القصص أيضا في عهد عثمان وكرهه الإمام علي حتى أخرج القصاص من المساجد لما كانوا يضعونه فى أذهان الناس من خرافات بعضها مأخوذ من الديانات السابقة بعد أن دخلها التحريف. واستُخدم القصص للدعاية أيام الفتنة الكبرى، ثم أُسند فيما بعد إلى من

يتعاطون عليه أجرا. والعقل الشعبي يساهم في تشد كيله الأدبُ الشد عبي والعادات والتقاليد والأعراف والأساطير والثقافات الموروثة. ومما يحول دون جهود إعادة النظر في المعتقد ومراجعة التدين ، الاستمساك بـ الرأي الذي ألفناه بسبب اعتقادنا بصحته لمجرد رغبتنا في أن يكون ذلك الـ رأي صحيحا، إذ يعز علينا اكتشاف أننا لم نكن على شيء . والانتصار لرأي ما، والتعصب لمذهب ما دون طرحه للفحص والتمحيص، يعني خوفنـ ا الشديد من اكتشاف ما كنا عليه من خطأ. والعامة من الناس يفتقدون الثقافة التي تعينهم على إمضاء هذا التمحيص فهي– أي الثقافة – لا تمثل لهـ م ضرورة حياتية مباشرة، وإذا ما نجحت قياداتهم في تزيين معتقد ما لهـ م، استمسكوا به إذ يتوهمون آنذاك أنهم يفكرون ويختارون بأنفسهم. وهم في ذلك – أي العامة المغرّر بهم–كالعميل الساذج الذي يجنـ ده العـ دو دون علمه،فجُل العامة ينساقون وراء المبطلين دون أن يعلموا، فحظهم من العلم قليل، وهم بسطاء منصرفون إلى كسب معاشهم دون اكتراث بـ الآراء أو الفلسفات، ويعتنقون ما يصوره لهم المبطلون أنه الدين، والعوام دوما مـ ع كل متكلم كما أن الصدى يجيب كل ذي صوت بمثل كلامه.

وهكذا تم تضليل الضمير الديني على مر القرون، وتم الاجتـ راء على ثوابت الدين على نحو يدعو إلى الاستغراب، ولكن العامةلم تستنكف هذا الاجتراء الذي حدث تدريجيا إذ تم توطئة العقل الشعبي لقبول مثل هذه

الانحرافات، ذلك ما حدث ببساطة. فالعقل الشعبي هو الذي يحُ ول دون أن يمحص الناس ديانتهم التي يعتقدون، وهو الذي يمنعهم من التحول إلى ديانة أخرى.

وليس هناك خط فاصل يمكن اعتباره العلامة الفارقة التي تميز التحول من الحق الى الباطل، فمثل هذا الخط وهمي لا وجود له في الواق ع، لأن عملية التحول هذه تمّت في وقت ليس بالقصير وبالتدريج الذي يصبح فيه التدريج غير ملحوظ، فمن كانت مطيته الليل والنهار، فإنه يُسار به ول و كان واقفا. والطريقة الممكنة لاكتشاف هذا التغيير هو قياس ما آلت إلي ه الأمور والأفكار والآراء بما جاء به القرآن والسنة. وبذا يمك ن معرف ة مقدار التحول من الصواب إلى الخطأ. وقد يكون من الضروري عندئ ذ تسليط الضوء على الملابسات والظروف التي أحاطت بهذا التحول، وهي الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية.

ولا يمكن تبرئة المؤسسات الدينية الرسمية وغير الرسـ ـمية ورجـ ـال الدين والفقهاء والوعاظ وكل من شغل نفسه أو اضطلع بمسؤولية نشـ ـر الدين والدعوة له، من تهمة التقصير الشديد في نشر الإسـ ـلام والمنافحـ ـة عنه، ولا يمكن إعفاؤهم من مسؤولية التهاون في واجبهم الأساسي وهـ و الحفاظ على مستوى فهم جيد للدين في ضمائر وعقول عـ وام النـ ـاس، فالمقياس الصحيح – فى نظري– لفعالية المؤسسات الدينية، هو درجـ ـة

فهم العوام – وليس الخواص وحدهم –لدينهم. وقد يقول قائ ل إن الـ دين الصحيح لم يبلغ قط أفهام العامة كلهم جميعا على النحو الذي نصفه لـ ذا فالمرجو من إيمان عموم الناس ضرب من المستحيل. وهذا قول متهافت فالدين المحرف قد تم توصيله إلى الناس، وما نطمع إلا في بلوغ الـ دين الحنيف مثل الدرجة التي بلغها التحريف والتخريف، أي نطلب أن تبـ ذل مؤسساتنا الدينية ما بذلته الجهات المعادية المناهضة للإسلام، علما بـ أن المتاح للمؤسسات الدينية المعاصرة من إمكانات يفوق بكثير مـ ا أتـ يح لغيرها عبر الأزمان الماضية، فالدعوة والدعاية الآن لها وسائلها التي لـ م تتح للسابقين: مثل الانترنت والكمبيوتر والفضائيات والسماوات المفتوحـ ة والتلفزيون والراديو والثورة والثروة المعلوماتية، بل وحتى الكتاب العادي الذي كان يشق على الكثيرين من القدماء إقتناؤه – إلا الموسرين مـ نهم – أصبح متاحا للجميع بعد اختراع المطبعة مما أتاح العلم لكل الناس بعد أن كان حكرا على القادرين وحدهم. كما يمكن استخدام باقي أدوات العصر من سينما ومسرح وتليفزيون فهي أدوات شديدة الفعالية والتأثير فى العامة قبل الخاصة. وما بلغته جهود التحريف بلغته في ظل أمية شاملة وجهـ ل مطبق فرضه غياب أي نظام تعليمي مؤثر إذ لـ م يعـ رف المسـ لمون المدارس إلا أيام نظام الملك وصلاح الدين الأيوبي، أمـ ا الآن فالنظـ ام

التعليمي في العالم الإسلامي أكثر فعالية وهو أقدر على التأثير في عقول الناس حتى وإن لم نرض عن مستويات الأمية الحالية.

قال المقريزي: " إن المدارس مما حدث في الإسلام، ولم تكن تُعرف في زمن الصحابة ولا التابعين،وإنما حدث عملها بعد الأربعمئة من سنّي الهجرة، وأول من حُفظ عنه أنه بنى مدرسة في الإسلام أهل نيسابور، فبنيت بها المدرسة البيهقية ". ولم تكن هناك مدارس في العصر العباسي الأول، وكان التعليم يتم في الكتّاب، أو المسجد ومجالس المناظرة. وسُرق وعي الناس عندما انصرف الفقهاء عن الدفاع عن الملة وأفتوا بالباطل وارتزقوا بالدين، وعندما غرق الناس في بحور الأمية فجهلوا دينهم، وبمرور الوقت لم يتبق لهم من هذا الدين غير بعضه. والعوام والدهماء إذا جهلوا لا يرون بالبصر أو البصيرة وإنما بعيون المصلحة التي تحدد لهم معايير الحق والباطل، ولا يجمعهم مثل الدينار ولا يفرقهم مثل العصا.

ولم تتغير كثيرا نظرة العرب في صدر الإسلام إلى الأمور، إذ لم يمر وقت كاف لتغيير طريقتهم في التفكير، فما زالوا أسرى لميراثهم العقلي وثقافتهم السابقة بما فيها من عادات وتقاليد ورثوها عن آبائهم الأولين. "وكانت مظاهر الحياة العقلية في الجاهلية هي اللغة والشعر والأمثال والقصص وهي–فقط– مظاهر عقلهم. أما العلم والفلسفة فلا أثر لهما عندهم لأن طورهم الاجتماعي لا يسمح لهم بعلم ولا فلسفة. نعم

كانت عندهم معرفة بالأنساب والأنواء والسماء وبشيء من الأخبار والطب، ولكن الخطأ البين أن تسمي هذه الأشياء علما، فهي لا تتعدى معلومات أولية لا يصح أن تسمى علما، فلا عهد للعرب الجاهلين به"٦٤٣. لذا لم يكن من الصعب – في ظل هذا التكوين العقلي– حدوث التحريف في ذلك الوقت المبكر أيام عثمان وعلي ، وهي الجهود التي استهلها عبد الله بن سبأ اليهودي اليمني بتدبير شيطاني من يد خفية دبرت بليل وكادت للإسلام وأهله على نحو ما ما جاء في الكتاب.

ولم تكن عقلية العربي المسلم آنذاك قد تخلصت بعدُ من بعض ما كان بها من أدران الجاهلية،فمثلا استمرت الخلافات العصبية بين القبائل في خراسان والشام واليمن والعراق وكان كثير من شبان بني أمية،وبعض شبان بني هاشم يعيشون عيشة هي إلى الجاهلية أقرب منها إلى الإسلام،شراب وصيد وغَزَل.

وسلوك الفرد محصلة تكوينه العقلي وتكوينه النفسي معا.وهذا ما ينبغي وضعه موضع النظر عند رصد وتحليل السلوك الجماعي للشعوب.فالبنية العقلية وحدها لا تكفي لتفسير سلوكياتها، فالبنية النفسية أيضا فاعلة، وهي

---

٦٤٣ – أحمد أمين – فجر الإسلام

تتأثر بالخرافات والأساطير والمأثورات والأعراف والتراث الثقافي والاجتماعي والديني الموروث.

ومن سمات العقل الشعبي السذاجة والجهل وندرة البضاعة من العلم والوعي، أو على الأقل هذا ما كان من أمر العقل الشعبي في بلاد الإسلام في القرون الخوالي، وهي صفات يبحث عنها ويرسخها كل ساع الى بث الدعاوى السياسية أو الدينية.

ولما كان الناس قوة يُحسب حسابها، لذا حرص كل أصحاب الدعوات على تهيئة عقول الجماهير لتقبل ما ستسفر عنه الأحداث التي يدبرون لها، واستغفارهم للمضي في الاتجاه الذي يريده من يحرك الأحداث. إذ لا تتحول الأفكار إلى قوة دافعة مؤثرة إلا بعد ضخها في العقل الشعبي، لذا فإن الأفكار – الصحيح منها والخطأ – تبقى بلا أثر حقيقي إذا بقيت في عقول وضمائر الخاصة فقط، وإنما تتحول إلى قوة فاعلة فور انتقالها الى عقول العامة. فالأديان – مثلا– ما كان لها أن تكون مؤثرة لو بقيت حبيسة عقول الأنبياء، وإنما كان التبليغ هو مهمتهم الأساسية التي كلفهم الله به. وما كان أهل الباطل ليتمكنوا من بث باطلهم والترويج له ما لم ينقلوه إلى عقول العامة. وانكر الجهود الدعائية والدعوية الجبارة للإسماعيلية والفاطميين والقرامطة لنشر المذاهب الشيعية،حتى أن كبير الدعاة في الدولة الفاطمية كان يتبع الخليفة مباشرة

ويحتل المكان الثاني بعده في الدولة، ومقامه فوق مقام قاضـ ـي القضـ ـاة. وانكر الشعراء والقصاصين الذين تولوا الأعباء الدعائية والترويج للـ نظم السياسية والدينية أيام الأمويين والعباسيين وغيرهم.

وقد كانت المنظومة الدعائية للشيعة الإسـ ماعيلية شـ ديدة الإحكـ ام وهرمية الشكل. فقد أدركوا أن ما يصح لمخاطبـ ة العامـ ة، لا يجـ وز لمخاطبة الخاصة، فالعقول تختلف من حيث حصيلتها الثقافية والعلمية،كما تتباين قدراتها من حيث استطاعة التفكير والتأمل والانتقـ اد والتمحـ يص. والناس يتعصبون لأفكار كثيرة ليست بالضرورة صحيحة.وتعصب الناس لفكرة ما ليس دليلا على صحتها،وإنما دليل على قوة غرس هذه الفكرة في العقل وطمرها بالعديد من التعلات والمعاذير غير العقلية – في العـ ادة – وإنما العاطفية منها.

وإذا كانت دعوة الفرق المنحرفة عن الإسلام هي فعلا دعوة إلـ ى الدين الحق، فما بالهم يدعون سرا وبشكل انتقـ ائي، إذ يتوجهـ ون إلـ ي ضعاف العقول والجهلة وأصحاب البداوة وممن يعمـ دون إلـ ى اللـ ذات القريبة وممن لا طاقة لهم بتحمل أعباء العبادة. وتفسير سرية هذه الدعوات يقع بين كونها ذات توجهات سياسية ومرامي للاستحواذ علـ ى السـ لطة والمُلك،وبين أنها دعوات للانحراف وطلب الباطل وتشويه عقيدة الإسلام فيبتعد عنه العقلاء بعد تصويره في شكل خرافات لا يقتنع بها عاقل.وذلك

ينطبق عليها جميعا تقريبا، أي أن استتار وتخفي هذه الدعوات يعود إلى طلب الملك والنفوذ والسلطة والدينار، والحيلولة دون انتشار الإسلام.والإنسان يميل إلى التمسك بما يعتقده حتى وإن ثبت له بالدليل الدامغ بطلان ما يعتقد.فتغيير المعتقد أو حتى إعادة النظر فيه عملية عقلية جريئة تضاد ما يميل إليه الإنسان من الإبقاء على ما هو عليه من حال. ففي سنة ١٩٤٦ صُدم اليابانيون لما أعلن إمبراطورهم أنه غير مقدس وأنه ليس سليل ابن الشمس كما كانت أجيال اليابانيين تعتقد. وفي الدستور الذي وضعه الأمريكان لليابانيين بعد هزيمتهم في الحرب العالمية الثانية، نُص على أن الإمبراطور مجرد رمز للدولة وسلطاته تشريفية فقط.

والعقل الشعبي هو منتِج الرأي العام وهو مؤشر اتجاهات التفكير وصنع المواقف، و هو الذي يحث أو يثبط العقل الديني والسياسي، وهو الوعاء الذي يحتوي على التراكم الجمعي للأفكار والخبرات والمؤثرات التراثية والعادات والتقاليد والأعراف، وهو – أي العقل الشعبي– الهدف المنشود لدعايات النظم السياسية والدينية. و تستفيد الدول والحكام من توجيه العقل الشعبي لحشد الجماهير لتأييد مواقف حكومية ما قد لا تخدم بالضرورة مصالح هؤلاء الناس.

وعبر تاريخ المسلمين تم تشكيل الإطار الفكري لهذا العقل الشعبي بفعل الجهود الدعوية للنظم الشيعية والصوفية ﴿ دعاة الشيعة، وفلاسفة

الصوفية ومشايخهم، والطرق الصوفية، وفقهاء السلاطين، وغيرهم ﴾ ، تم توجيهه – أي العقل الشعبي – في اتجاه مهادنة الظلم وقبوله، كما تم ترويضه في ظل ظروف الأمية والجهل، لكي يقبل التحريف الذي ألحقه أعداء الإسلام بالإسلام، فالعامة إذا جهلت باتت كالأنعام أو أضل سبيلا، فتستمع إلى كل ناعق. والعقل الشعبي هو الوعاء الذي يسع الأفكار الساذجة إذ لا يملك هذا العقل أية حوافظ من المنطق أو الفطنة أو العلم.لذا فهو الوعاء الذي تحتفظ فيه الشعوب البدائية أو الأمية، بأساطيرها وأوهامها وأفكارها وآمالها ومعتقداتها. وهو المحرك شبه الأساسي للجماهير والعامة. والأفكار السائدة في العقل الشعبي هي الأفكار التي تجد من يغذيها باستمرار ويدفعها دفعا إلى هذا العقل، وكل من يريد كسب مساحة داخل هذا العقل عليه أن يصوب إليه ما يريد دسه من أفكار بالإلحاح والمثابرة والتكرار وذلك كله في غياب التوعية والعلم. وهذا العقل البدائي وسِع أساطير الشعوب حول الخلق والإله والكون، وله سذاجات تثير الضحك من جانب والاشمئزاز والاندهاش من جانب آخر. وترسُّخ الأفكار السائدة في العقول تحول دون تكوين أفكار بديلة وتعطل قدرة هذه العقول على النظر إلى الأشياء بطريقة مختلفة، فأنصار اتّباع "ما ألفينا عليه آباءنا " غير قادرين على النظر إلى الأشياء بطريقة مختلفة، وإن استطاعوا ذلك، فهم لا يرغبون فيه. ولا يمكن اكتشاف آفاق جديدة

بمواصلة النظر في نفس الاتجاه القديم، وإنما لابد من تجول العقل وتنقل الفكر من جهة لأخرى. ولا تكتمل حرية العقل ما لم يمكنه النظر بطرق مختلفة جديدة لنفس الأشياء والأفكار القديمة، فقد يقنع العقل الكسول بفكرة ما من باب العجز عن البحث عن فكرة أخرى مغايرة. والتاريخ وحوادثه يصنعه عقلان: العقل الشعبي، وعقل الصفوة. وعقل الصفوة هو إجمالي عقول الحكام وأصحاب المنفعة وجماعات المصالح والمؤسسة الدينية. وعقل الصفوة هو الذي يصنع الأفكار الموجّهة وإن لم يؤمن بها، وإنما يرى أنها وسيلة إلى السيطرة على العقل الشعبي، وبالتالي تسيير الجماهير والدهماء في اتجاه خدمة مصالح الصفوة. والكهان والمؤسسة الدينية هم الذين يزينون هذه الأفكار و المعتقدات الباطلة والتافهة ويضفون عليها الشرعية ويضخونها في عقول الدهماء كوقود يحركهم في الاتجاه المطلوب.أما العقل الشعبي فمهمته هي اختزان الأفكار التي يصنعها غيره، إذ ليس من مهمته صنع الأفكار فهو أعجز من ذلك، والحركة الدائرة بين عقل الصفوة والعقل الشعبي بين فعل وانفعال هي التي تصنع التاريخ وحوادثه. وعقل الصفوة هو الذي يدفع بالطبقة صاحبة الامتيازات والمكاسب في كل مجتمع في كل زمان،بأن تتصدى لأي تغييرات دينية أو سياسية أو غيرها، يكون من شأنها القضاء على ما لها من امتيازات أو حتى انتقاصها.وهذا التصدي هو بالضبط ما فعلته قريش للمنافحة عن

مكاسبها المهددة بالزوال من قِبل الدين الجديد، وهذا م ا يفعل ه الكهن ة والسحرة وأصحاب كل سلطان يعود بالمنافع والمكاسب عل ى الطبق ة المميزة في المجتمع،إذ تهب هذه الطبقات للزود عن مكاسب ها. ونظ را لافتقاد العقل الشعبي القدرة على النقد والتمحيص،ولعجزه عن رد الظواهر إلى أسبابها،فإنه لا يخطط لأي إصلاح موجه إذ تعوزه المقدرة على ذلك، فضلا عن افتقاده لحاسة استشعار الخطر والتنبؤ بالتدهور، فهو – م ثلا– قد يضيق بالفقر الذي يعيش فيه ولكنه يعجز عن تفسير علة فق ره وأن ه بسبب ضعفه وتخاذله أمام قوى الشر التي تسلبه أقواته وتنتهك عرض ه وتسفك دمه. ولما كان العقل الشعبي لا يملك ما يؤهله لأن يفك ر، فه و بحاجة لمن يفكر له، وليس أمامه إلا عقل الصفوة المنتفعة. ولا يمكن حل هذه الإشكالية إلا باستنارة العقل الشعبي حتى يمكنه التفكير بنفسه لنفس ه خدمة لمصالح الجماهير العريضة،وحتى يمكنه الدفاع عن مصالحه الت ي تتعارض مع مصالح الصفوة. واقتصرت أفهام الناس وحظ وظهم م ن الدين والمعرفة على ما يتيحه لهم فقهاؤهم من آراء وفتاوى. وأصبح الناس غير مستطيعين إلا بغيرهم، كالأعمى الذي لا يقوى على السير بلا هاد يرشده أو عصا يتوكأ عليها. ولما ضل "الفقهاء" وأضلوا الناس، أص بح الجميع في ظل الأمية التي أحاطت بهم، كالأنعام أو أشد ضلالا. ول م يكن ممكنا استفحال أمر الصوفية ما لم يكن عقل الأمة مغيب ا، وتغيب ب

العقل هنا سبب ونتيجة في آن واحد، إذ استفحل ظهورها بمجرد تعطيل العقل، ومع تضرر العقل الشعبي استشرى الورم الصوفي في عقل وجسد الأمة، وعجز هذا العقل عن تفنيد مزاعم المبطلين: فصدّق الناس –مثلا– أن " الصوفي عبد الوهاب الشعراني مكث سنين لا يضطجع على الأرض لا ليلا ولا نهارا، بل اتخذ له حبلا بسقف خلوته يجعله في عنقه ليلا حتى لا يسقط، وأكل التراب مدة شهرين ولكن عناية الله جعلته يسيغ التراب فيجد فيه طعم لحم المرق ٦٤٤.

وثقافة الإنسان وحصيلته العلمية هي التي تمكنه من التفكير السليم وتمنحه القدرة الحقيقية على تفسير الظواهر واستكناه الواقع، فإذا تردت هذه القدرات بفعل الأمية والجهل عجز بالضرورة عن تفسير واقعه واكتشاف صحيحه من باطله.

وهنالك صدع ضخم في واقعنا الثقافي، تترتب عليه بالضرورة وجود فجوة مماثلة في العقل المسلم . انظر إلى الإنتاج الثقافي في عالمنا الإسلامي، واستدل مثلا بمحتويات مكتباتنا، فما تجد فيها غير كتب التراث الصفراء التي تقف عند حدود ما كتبه السابقون قبل ألف سنة، ويعتبره ا

٦٤٤– أبو صالح محمد المليجي الشافعي– المناقب الكبرى– نقلا عن كتاب عبد الوهاب الشعراني

البعض غاية ما يمكن للعقل بلوغه، مع تحريم انتقادها، وتجريم مغادرتها وتجاوزها.

﴿ تم بحمد الله تعالى ﴾

فتوى الأزهر للتقريب بين الشيعة والسنة

نص الفتوى التي أصدرها السيد صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر في شأن جواز التعبد بمذهب الشيعة الإمامية:

١. إن الإسلام لا يوجب على أحد من أتباعه اتباع مذهب معين، بل نقول: إن لكل مسلم الحق في أن يقلد بادئ ذي بدء أي مذهب من المذاهب المنقولة نقلا صحيحا والمدونة أحكامها في كتبها الخاصة. ولمن قلد مذهبا من هذه المذاهب أن ينتقل إلى غيره – أي مذهب كان – ولا حرج عليه في شيء من ذلك.

٢. إن مذهب الجعفرية المعروف بمذهب الشيعة الاثني عشرية مذهب يجوز التعبد به شرعا كسائر مذاهب أهل السنة.فينبغي للمسلمين أن يعرفوا ذلك، وأن يتخلصوا من العصبية بغير الحق لمذاهب معينة، فما كان دين الله وما كانت شريعته بتابعة لمذهب، أو مقصورة على مذهب، فالكل مجتهدون مقبولون عند

الله تعالى يجوز لمن ليس أهلا للنظر والاجتهاد تقليدهم والعمل بما يقرونه في فقههم، ولا فرق في ذلك بين العبادات والمعاملات٦٤٥.

٦٤٥- نص هذه الفتوى في كتاب: دعوة للتقريب تاريخ ووثائق، والكتاب صادر عن المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ص٢٢٥

قائمة ببعض مراجع الشيعة التي تناولت موضوع تحريف القرآن

١. أصول الكافي ثقة الإسلام محمد بن يعقوب الكليني– دار التعارف – بيروت.

٢. فروع الكافي ،، ،، ،، ،، ،، – دار الأضواء – ،،

٣. وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة محمد بن الحسن الحر العاملي.

٤. من لا يحضره الفقيه محمد بن علي الحسين بن بابويه القمي ﴿الصدوق﴾.

٥. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار– محمد باقر المجلسي – دار إحياء التراث العربي – مؤسسة التاريخ العربي – بيروت.

٦. مستدرك الوسائل حسين النوري الطبرسي.

٧. الوافي محسن الفيض الكاشاني.

٨. بصائر الدرجات الكبرى في فضل آل محمد محمد بن الحسن الصفار

٩. تفسير الصافي محمد بن الفيض الكاشاني – الأعلمي – بيروت.

١٠.تفسير العياشي محمد بن مسعود العياشي – مؤسسة الاعلمي – بيروت.

١١.تفسير القمي على بن إبراهيم القمي – دار السرور – بيروت.

١٢.تفسير بيان السعادة في مقامات العبادة الحاج سلطان محمد الجنابذي – الأعلمي – بيروت.

١٣.البرهان في تفسير القرآن السيد هاشم البحراني – دار الهادي – بيروت.

١٤.التبيان في تفسير القرآن أبي جعفر الطوسي – مكتب الإعلام الإسلامي – إيران.

١٥.مجمع البيان في تفسير القرآن أبو علي الفضل الطبرسي – مكتبة الحياة – بيروت.

١٦.مرآة الأنوار ومشكاة الأسرار أو﴿مقدمة البرهان في تفسير القرآن ﴾ أبي الحسن الشريف النباطي الفتوني – إيران.

١٧.البيان في تفسير القرآن أبو القاسم الخوئي – مؤسسة الاعلمي – بيروت.

١٨.رجال الكشي لأبي عمرو محمد الكشي– تقديم أحمد الحسيني.

١٩.رجال النجاشي لأبي العباس أحمد بن علي النجاشي– دار الأضواء– بيروت.

٢٠.لؤلؤة البحرين في الإجازات وتراجم رجال الحديث – يوسف البحراني – الأضواء – بيروت.

٢١.رجال العلامة الحلي – الحسن بن يوسف بن المطهر الحلي – دار النخائر – قم – إيران.

٢٢.روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات – محمد باقر الخوانساري – الدار الإسلامية – بيروت.

٢٣.تنقيح المقال – للمامقاني.

٢٤.جامع الرواة – محمد بن علي الأردبيلي – دار الأضواء – بيروت.

٢٥.رجال الطوسي – محمد بن الحسن الطوسي – دار الذخائر – قم – إيران.

٢٦.﴿الكني والألقاب﴾ عباس القمي.

٢٧.الفهرست – للطوسي.

٢٨.نقباء البشر في القرن الرابع عشر – أغا بزرك الطهراني.

٢٩.أعيان الشيعة – محسن الأمين.

٣٠.طبقات أعلام الشيعة – أغابزرك الطهراني.

٣١.الذريعة إلى تصانيف الشيعة – أغا بزرك الطهراني.

٣٢.٣٢– أمل الآمل – محمد بن الحسن الحر العاملي – دار الكتاب الإسلامي – قم – إيران.

٣٣.منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة – ميرزا حبيب الله الهاشمي الخوئي مؤسسة الوفاء – بيروت.

٣٤.شرح نهج البلاغة – ميثم البحراني – ط إيران.

٣٥.أكذوبة التحريف أو القرآن ودعاوى التحريف– رسول جعفريان– قم – إيران.

٣٦.آراء حول القرآن – السيد علي الفاني الأصفهاني – دار الهادي – بيروت.

٣٧.لمحات في تاريخ القرآن – محمد علي – منشورات الاعلمي.

٣٨.عقائد الأمامية – محمد رضا مظفر – دار الصفوة – بيروت.

٣٩.عقائد الاثنى عشرية – إبراهيم الموسوي الذنجاني – الأعلمي – بيروت

٤٠.الصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم – زين الدين أبي محمد علي النباطي – البياضي – المكتبة المرتضوية – إيران.

٤١.الأنوار النعمانية – السيد نعمة الله الجزائري – مؤسسة الأعلمي – بيروت.

٤٢.أوائل المقالات في المذاهب المختارات – محمد بن النعمان ﴿المفيد﴾ – دار الكتاب الإسلامي – بيروت.

٤٣.الاختصاص – للمفيد.

٤٤.علل الشرائع – أبي جعفر محمد بن علي ﴿الصدوق﴾ – الأعلمي – بيروت.

٤٥.المراجعات – عبد الحسين شرف الدين الموسوي – الدار الإسلامية – بيروت.

٤٦.الاحتجاج – أبى منصور احمد بن علي الطبرسي – مؤسسة الأعلمي – بيروت.

٤٧.مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول – محمد باقر المجلسي – إيران

٤٨.النجم الثاقب في أحوال الأمام الحجة الغائب – حسين النوري الطبرسي – أنوار الهدى – قم – إيران.

٤٩.تذكرة الأئمة – محمد باقر المجلسي – فارسي – منشورات مولانا – إيران

٥٠.الشيعة – محمد صادق الصدر.

٥١.تحفة العوام مقبول – منظور حسين. أردو.

٥٢.أصل الشيعة وأصولها – محمد حسد ين آل كاشد ف الغطاء – الاعلمي – بيروت.

٥٣.﴿الألفين﴾ – ابن مطهر الحلي – الاعلمي – بيروت.

٥٤.الحكومة الإسلامية – الخميني – المكتبة الإسلامية الكبرى.

٥٥.كشف الأسرار – الخميني.

٥٦.مصباح الهداية إلى الخلافة والولاية – الخميني.

٥٧.فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب – حسين النوري الطبرسي.

٥٨.مشارق الشموس الدرية – عدنان البحراني – المكتبة العدنانية – البحرين.

٥٩.الدرر النجفية – يوسف البحراني – مؤسسة آل البيت – إيران.

٦٠.المصباح – تقي الدين إبراهيم الكفعمي – مؤسسة الاعلمي – بيروت.

٦١.المسائل السروية للمفيد – المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد.

٦٢.السبعة من السلف – مرتضى السيد محمد الحسيني – المكتبة الثقافية.

٦٣.الناسخ والمنسوخ – كمال الدين العتائقي الحلي–مؤسسة آل البيت

الملحق الثالث

كتاب الخطة السرية لآيات الشيعة في إيران

نشرت رابطة أهل السنة في إيران – مكتب لندن – هذه الرسالة السرية للغاية الموجهة من شورى الثورة الثقافية الإيرانية إلى المحافظين

في الولايـ ـات الإيرانية . وهذه الخطة ﴿البروتوكول﴾ موجهـ ـة إلـ ـى المناطق السنية في إيران، من جهة، وموجهة إلى دول الجوار من جهـ ـة أخرى، وهي بقلم الدكتور/ عبد الرحيم البلوشي في سنة ١٤١٩ هجرية، ونصها كما يلي:

" إذا لم نكن قادرين على تصدير ثورتنا إلى البلاد الإسلامية المجاورة فلا شك أن ثقافة تلك البلاد الممزوجة بثقافة الغـ ـرب سـ ـوف تهاجمنـ ـا وتنتصر علينا، وقد قامت الآن بفضل الله وتضحية أمة الإمام الباسلة دولة الاثني عشرية في إيران بعد قرون عديدة، ولذلك فنحن – وبنـ ـاء علـ ـى إرشادات الزعماء الشيعة المجلين – نحمل واجبا خطيرا وثقـ ـيلا وهـ ـو تصدير الثورة، ولهذا فإننا خلال ثلاث جلسات وبآراء شبه إجماعية من المشاركين وأعضاء اللجان وضعنا خطة خمسية تشمل خمس مراحـ ـل، ومدّة كل مرحلة عشر سنوات، لنقوم بتصدير الثورة الإسلامية إلى جميع الدول المجاورة فنوحد الإسلام أولا ، لأن الخطر الذي يواجهنا من الحكام الوهابيين وذوي الأصول السنية أكبر بكثير من الخطر الذي يواجهنا من الشرق والغرب، لأن هؤلاء ﴿ الوهابيين وأهل السنة﴾ يناهضون حركتنا وهم الأعداء الأصوليون لولاية الفقيه والأئمة المعصومين، وحتى إنهـ ـم يعدّون اعتماد المذهب الشيعي كمذهب رسمي دستورا للبلد أمرا مخالفـ ـا للشرع والعرف، وهـ ـم بذلك قد شقوا الإسلام إلى فرعين متضـ ـادين ...

وبناء على هذا: يجب علينا أن نزيد نفوذنا في المناطق السنية داخل إيران، وبخاصة المدن الحدودية، ونزيد من عـ ـدد مسـ ـاجدنا و﴿الحسـ ـينيات﴾ ونقيم الاحتفالات المذهبية أكثر من ذي قبل، وبجدية أكثر، ويجب أن نهيئ الجو في المدن التي يسكنها ٩٠ إلى ١٠٠بالمائة من السـ ـنة حتـ ـى يـ تم ترحيل أعداد كبيرة من الشيعة من المدن والقرى الداخلية.

و نحن نعلم أن تثبيت أركان كل دولة والحفاظ على كل أمة أو شعب ينبني على أسس ثلاثة:

- الأول: القوة التي تملكها السلطة الحاكمة.
- الثاني: العلم والمعرفة عند العلماء والباحثين.
- الثالث: الاقتصاد المتمركز فـ ـي أيـ ـدي أصـ ـحاب رؤوس الأموال.

وإذا استطعنا أن نزلزل كيان تلك الحكومات بإيجاد الخلاف بين الحكام والعلماء، ونشتت أصحاب رؤوس الأموال في تلك البلاد ونجذبها إلـ ـى بلادنا، أو إلى بلاد أخرى في العالم، نكون بلا ريب قد حققنا نجاحا باهرا ولافتا للنظر، لأننا أفقدناهم تلك الأركان الثلاثة.

وأما بقية الشعوب التي تشكل ٧٠ إلى ٨٠ % من سكان كل بلد فهم أتباع القوة والحكم ومنهمكون في أمور معيشتهم وتحصيل رزقهـ ـم مـ ـن

الخبز والمأوى، ولذا فهم يدافعون عمن يملك القوة ...وجيراننا من أهل السنة والوهابية هم: تركيا والعراق وأفغانستان وباكستان وعدد من الإمارات في الحاشية الجنوبية ومدخل ﴿الخليج الفارسي﴾ ...

أسلوب تنفيذ الخطة المعدّة: ولإجراء هذه الخطة الخمسينية يجب علينا بادئ ذي بدء أن نحسن علاقتنا مع دول الجوار ويجب أن يكون هناك احترام متبادل وعلاقة وثيقة وصداقة بيننا وبينهم حتى إننا سوف نحسن علاقتنا مع العراق بعد الحرب وسقوط صدام حسين، ذلك أن إسقاط ألف صديق أهون من إسقاط عدو واحد. وفي حال وجود علاقات ثقافية وسياسية واقتصادية بيننا وبينهم فسوف يهاجر بلا ريب عدد من الإيرانيين إلى هذه الدول، ويمكننا من خلالهم إرسال عدد من العملاء كمهاجرين ظاهراً ويكونون في الحقيقة من العاملين في النظام، وسوف تحدد وظائفهم حين الخدمة والإرسال.لا تفكروا أن خمسين سنة تعد عمراً طويلاً، فقد احتاج نجاح ثورتنا خطة دامت عشرين سنة..... حتى فرق الوهابية والشافعية الحنفية والمالكية والحنبلية كانت تعتبرنا من المرتدين وقد قام أتباع هذه المذاهب بالقتل العام للشيعة مرارا وتكرارا، صحيح أننا لم نكن في تلك الأيام، لكن أجدادنا قد كانوا، وحياتنا اليوم ثمرة لأفكارهم وآرائهم ومساعيهم وربما لن نكون نحن أنفسنا في المستقبل لكن ثورتنا ومذهبنا باقيان. ولكن يكفي لأداء هذا الواجب المذهبي التضحية

بالحياة والخبز والغالي والنفيس، بل يتوجب أن يكـ ون هذ اك برنـ امج مدروس، ويجب إيجاد مخططات ولو كانت لخمسمئة عام مقبل فضـ لا عن خمسين سنة، فنحن ورثة الملايين الشهداء الذين قتلوا بيد الشـ ياطين المتأسلمين ﴿ السنة﴾ وجرت دماؤهم منذ وفاة الرسول في مجرى التاريخ إلى يومنا هذا، ولم تجف هذه الدماء ليعتقد كل من يسمى مسلما بـ . علي وأهل بيت رسول الله ويعترف بأخطاء أجداده.

مراحل مهمة في طريقنا:

ليس لدينا مشكلة في ترويج المذهب في أفغانستان وباكستان وتركيا والعراق والبحرين، وسنجعل الخطة العشرية الثانية هي الأولى في هـ ذه الدول الخمس، وعلى ذلك فمن واجب مهاجرينا – العملاء – المكلفين في بقية الدول ثلاثة أشياء:

١- شراء الأراضي والبيوت والشقق، وإيجاد العمل ومتطلبات الحياة وإمكانياتها لأبناء مذهبهم ليعيشوا في تلك البيوت ويزيدوا عدد السكان.

٢- العلاقة والصداقة مع أصحاب رؤوس الأموال في السوق والموظفين الإداريين خاصة الرؤوس الكبار والمشـ اهير والأفراد الذين يتمتعون بنفوذ وافر في الدوائر الحكومية.

٣- هناك في بعض الدول قرى متفرقة في طور البناء، وهناك

خطط لبناء عشرات القرى والنواحي والمـ دن الصـ غيرة الأخرى، فيجب أن يشتري هؤلاء المهـ اجرين العمـ لاء الذين أرسلناهم أكبر عدد ممكن من البيوت في تلك القـ رى ويبيعوا تلك بسعر مناسب للأفراد والأشخاص الذين باعوا ممتلكاتهم في مراكز المدن، وبهذه الخطة تكون المدن ذات الكثافة السكانية قد أخرجت من أيـ ديهم – ويجـ بـ عـ ى الأفراد في هاتين المرحلتين أن يسعوا للحصـ ول عـ ى جنسية البلاد التي يقيمونه فيها باستغلال الأصدقاء وتقـ ديم الهداية الثمينة، وعليهم أن يرغّبوا الشـ باب بالعمـ ل فـ ي الوظائف الحكومية والانخراط خاصة في سلك الجنديـ ة. وفي النصف الثاني من هذه الخطـ ة العشـ رية يجـ بـ – بطريقة سرية وغير مباشرة – اسـ تثارة علمـ اء السـ نة والوهابية ضد الفساد الاجتماعي والأعمال المخالفة للإسلام الموجودة بكثرة في تلك البلاد، وذلك بتوزيع منشـ ورات انتقادية باسم بعض السلطات الدينية والشخصيات المذهبيـ ة من البلاد الأخرى، ولا ريب أن هذا يسكون سببا في إثارة أعداد كبيرة من تلك الشعوب، وفي النهاية إمـ ا أن يلقـ وا القبض على تلك القيادات الدينية أو الشخصيات المذهبية أو أنهم سيكذبون كل ما نشر بأسمائهم وسوف يدافع المتدينون

عن تلك المنشورات بشدة بالغة وسـ تقع أعمـ ال مريبـ ة وستؤدي إلى إيقاف عدد من المسؤولين السابقين أو تبديلهم، وهذه الأعمال ستكون سببا في سوء ظن الحكـ ام بجميـ ع المتدينين في بلادهم، وهم بذلك لن يعملوا على نشر الـ دين وبناء المساجد والأماكن الدينية، وسوف يعتبـ رون كـ ل الخطابات الدينية ولاحتفالات المذهبية أعمـ الا مناهضـ ة لنظامهم، وفضلا عن هذا سينمو الحقد والنفرة بين العلمـ اء والحكام في تلك البلاد وحتى أهل السنة والوهابية سيفقدون حماية مراكزهم الداخلية ولن يكون لهم حمايـ ة خارجـ ة إطلاقا. انتهي الكتاب السري

صدر للمؤلف

١- الاستبداد ودوره في انحطاط المسلمين ﴿طبعتان﴾

٢- اعتقال العقل المسلم ودوره في انحطاط المسلمين ﴿ثلاث طبعات﴾